الأعمال الشعرية الكاملة

محمد مهدي الجواهري



شاعر الرفض والإباء

الجزء الثاني

دراسة وتقديم
عصام عبد الفتاح



الأعمال الشعرية الكاملة

محمد مهدي الجواهري



شاعر الرفض والإباء

الجزء الثاني

دراسة وتقديم

عصام عبد الفتاح



بطاقة فهرسة

مكتبة جزيرة الورد

اسـم الكتاب : الأعمال الشعرية الكاملة

(محمد مهدي الجواهري) الجزء الثاني

دراسة وتقديم : عصام عبد الفتاح

رقـم الإيداع :

الطبعة الأولى ٢٠١١



مكتبة جزيرة الورد

القاهرة : ٤ ميـدان حليـم خلـف بنـك فيصـل

ش ٢٦ يوليو من ميدان الأوبرا ت : ٠١٠٠٠٠٤٠٤٦ ـ ٢٧٨٧٧٥٧٤

Tokoboko_5@yahoo.com

المقدمة

هذا هو الجزء الثاني من الأعمال الكاملة للشاعر العربي الكبير «محمد مهدي الجواهري» تناولنا في الجزء الأول سيرة الشاعر .. ومجموعة دواوينه الشعرية الأولى .. وهنا في هذا الجزء نتناول المجموعة الأخيرة من دواوينه .. وبعض قصائده التي لم يحوها ديوان من قبل .. وإن نُشرت في بعض الجرائد والمجلات العربية في أحيان متفرقة معظمها كان في حياة الشاعر .. وقد نوهنا لذلك في هوامش هذا الجزء .

والآن نبدأ قراءتنا مع الجزء الثاني من ديوان الجواهري .

عصام عبد الفتاح

سر فى جهادك

سر فى جهادك يحتضنك لواء ... نثرت عليه قلوبها الشهداء
ضوى به علق النجيع كأنه ... قبس ينار به الدجى ويضاء
من عهد «زغلول» يرف وتحته ... لمكابدى وهج الوغى أفياء
لم يخزه الخلف الكريم ولا ازدرى ... الأبناء ما شرعت لها الآباء
فدت الكرامة بالحياة ، ولم تقل ... إن الكرامة للحياة فداء
إن الجهاد صحيفة مخضوبة ... جمدت عليها للشعوب دماء
هوت العروش على مدب سطورها ... وتصاغرت لحروفها الكبراء
حمراء صارخة ومن لمح السنا ... للتضحيات فإنها بيضاء
الهاديات الخابطين تساقطت ... منها على خطواتهم أضواء
ضلوا الطريق فأرشدتهم هامة ... منخوبة ، أو إصبع جذاء
آمنت بالفادين ..كل بنية ... لم تعلها أشلاؤهم فهباء

أزعيم مصر وللشعوب أمانة ... ما انفك يحمل ثقلها الأمناء
الصامدون على وعورة دربهم ... ما مسهم ضجر ولا إعياء
والصابرون على الجلاد وإنها ... لمجالدين تناثرت أشلاء
ينهى بها المتشككون وإنها ... أمر لحر مؤمن ونداء
ورسالة خلق البليغ سريرة ... لأدائها لا القالة البلغاء
إن الضمير متى تخون ربه ... شك ، فقد خان اللسان أداء

سر فى جهادك تمش خلفك أمة　　هى بالطموح منيعة عصماء
شرف يمد الحق أن غريمها　　شاكى السلاح ، وأنها عزلاء
عركت صروف الدهر لم تبطش بها　　غمى ولا طاشت بها نعماء
ترمى فتدفع بالرماة إصابة　　وتزيد فى تجريبهم أخطاء

واستكملت عدد اجهاد فذادة　　شم الأنوف ، وقادة أكفاء
فى كل يوم أبلج ينفى بها　　ظلم الشكوك ، وأزهر وضاء
يجتث من دغل القديم مشذب　　فيها .. ويحدث لبنة بناء
وجزاهم خيرا جزوه بمثله　　وطن أفاء ظلاله وأفاءوا
حتى انتهت لك فاضطلعت بعبئها　　ولمثل متنك كانت الأعباء
ولمثل نفسك ما تفل بمثله　　عند النفوس عزيمة ومضاء
فاصمد فحقك قوة مرهوبة　　الأقوياء إزائه ضعفاء
وانفد بطعنتك الصميمة إنها　　داء البغاء وإنها لدواء
فلقد تعجب مستبيح غاصب　　أن المباح ذمارهم رحماء
ولقد تساءل مقتل متكشف　　للبغى أين الطعنة النجلاء
ولقد تشكت من هوان لديغها　　فى الناس تلك الحية الرقطاء

أزعيم «مصر» متى ترد إنطاقها　　تنطق وتفصح نقمة خرساء
مكبوتة كالنار أعلت وقدها　　وسط البيوت مصرة نكباء
سبعون عاما «والكنانة» تغتلى　　والنيل يشخب والجموع تساء
وترابة الوادى تئن وحولها　　مرعوبة تتجاوب الأصداء

والـذل يعـتصر النفـوس جرانـه ... وكـأن حشرجـة الصـدور رغـاء

وعـلى العيـون مـن المغاضـة جمـرة ... وعـلى القلـوب مـن الهـوان غثـاء

وثـرى دنشـواى الخضـيب تصـوبه ... بالـذكريات غمامـة سـوداء

وصحائف التاريخ أفسدت زهوها ... مـا عـاث فى جنباتهـا الـدخلاء

كقـوائم الطـاووس حـين تروعـه ... يغـدو زقـاء ذلـك الخـيلاء

وكـأن منطقـة «القنـال» تلوثـت ... بـالواغلين جريمـة شـنعاء

وكـأن مغـرز كـل رجـل مـنهم ... صـوت يصـيح متـى يـتم جـلاء

سر فى جهـادك تلـق حولـك ترتمـى ... سـت الجهـات لخصـمك البغضـاء

هى خير ما أسدى الطغاء وأسلفت ... كـف الغـزاة ومـا أفـاد بـلاء

ومـن الصـدور المـوغرات ذخـيرة ... ومـن الـذخول كتيبـة شـهباء

واشـدد جنائـك لا ينلـك مثـبط ... بالمغريـات ولا يخنـك دهـاء

واحذر فملء ثياب خصمك غادر ... حـذر الجنـان وكائـد مشـاء

بـز الثعالـب فى اقتنـاص أخيـذها ... وشـأى الـذئاب بـها تسـاس الشـاء

متنمـر يغشـى الضـعاف كأنـه ... بمسـوحه مترهـب بكـاء

يسـتل مـن قعـر النفـوس إباءهـا ... وعـماد مـا تبنـى الشـعوب إبـاء

ويشـيع فيهـا اليـأس أن تعلـو يـد ... مـن دونـه أو أن يقـوم بنـاء

أو أن يـدوربغير مـا يـوحى بـه ... فلـك لهـا ، أو أن تطـول سـماء

أو أن تمخـض عـن زعـيم بطنهـا ... مـا لم «يعمـد» عنـده الـزعماء

«شر البـزاة» قنصـت ، فى يقظاتـه ... خطـر ، وفى غفواتـه إغـواء

يـأتى الحمامـة وكرهـا إن أخلـدت ... ذعـرا وأنـذر بـالحمام فضـاء

واستمته شر الظروف وقد هفا ... وتلقفته غابة شجراء
فتوق أن ترخى يديك فلم تزل ... فيه حياة تختشى وذماء

أثبت كعوبك تغل تحتك ساعة ... رمضاء ثمة تبرد الرمضاء
وتمل بالبرحاء تخمد غبها ... وتمد من أنفاسك الصعداء
ما أهون السراء إن لم تغشها ... وتزك طهر نتاجها الضراء
شرف السياسة أن تخوض غمارها ... مستبسلا وكذلك الهيجاء
لو لم يكن عقبى تضال مناضل ... إما ..وإما لم يكن زعماء

سبحان آلاء الشعوب فإنها ... لتقلب الأيام كيف تشاء
والله في همم الرجال ، وإن رمى ... رجم الظنون ، وشعوذ الجهلاء
المحكمو أسر الشعوب تبدلت ... دول بهم فإذا هم الأسراء
ناموا على الغبق اللذيذ وأصبحوا ... فإذا الصبوح مدامع ودماء
وإذا العبيد النائمون على العصا ... تاهون في أوطانهم أمراء
وإذا وخيز الشوك يفرش ملعبا ... فرشته أمس حديقة غناء
وإذا بحكم الأخرقين كما انبرت ... حمقاء تنقض غزلها خرقاء

يا وفد «مصر» رأيت كيف تحولت ... لنقيضها الأسماء والأشياء
أرأيت كيف الظلم أثبت صورة ... لخرافة تعيى بها العنقاء
نزل السراة على الصعالك عالة ... فلهم غداء عندهم وكساء
عشرون مليونا عريق مجدهم ... للبيض من حلفائهم أجراء

منهم وإن سلخت جلود نسائهم … للغانيات معاطف وفراء
وبهم وإن فجرت عروقهم دما … للشاربين تفجر الصهباء
ومن الجياع وإن خوت أمعاؤهم … للاعبين موائد خضراء
ومن البلاد وإن تشرد أهلها … حصن يقيهم غارة ووقاء
ومن الشباب بمصر رغم أنوفهم … عمن بلندن جزية وفداء
وكذلكم يجزى الحليف حليفه … دستور شرع سنه الحلفاء
ند يعاهد نده ووراءه … قدر يقهقه ساخرا وقضاء
فإذا تململ قيل بئست شيمة … طعن الوفاء بها ، وبئس وفاء
رحماك تاريخ الشعوب تحدنا … ما شئت ، إلا أننا بلداء

سر فى جهادك على جذوة قابس … من «طور سينا» تقبس الصحراء
ولعل قافلة تسير القهقرى … فيها يبدل سيرها حداء
ولعل مضطجع النيام تهزه … كف الصباح فيحسر الإعفاء
ولعل أهل الكهف يفرج عنهم … فإذا هم يقظ به أحياء
أزعيم «مصر» تلفتت لك جيرة … رثاء ، باد بؤسها ، عجفاء
تستاقها كف الخطوب كأنها … نعم يراح بسرحها ويجاء
حسرت عن المرعى وراحت ترتعى … منها الخطوب وتسمن الأرزاء
واجتاحها حب السلامة ذلة … ومن السلامة للشعوب وباء
تتدافع الشهوات بين عصابة … وصبابة ، وتجاذب الأهواء
أزعيم «مصر» وقد ينيم على الأذى … حمد ، ويغرى بالخمول ثناء

ومن القساوة في العتاب مودة ... ومن الثناء خديعة ورياء
وكذا الشعوب يمد في نزواتها ... ملق وينعش ذهلها إغراء
لزمت جموع «الرافدين» جحورها ... مثل الأرامل ضمهن خباء
وتبنت الشكوى ، فكل سلاحها ... عند التصادم آهة حراء
تلك «العواصم» كان ستر تتقي ... خزر العيون به وكان غطاء
واليوم وهي على العراء كأنها ... بين العوالم سوأة نكراء
كانت على عهد «البداء» جنائنا ... واليوم وهي بقيعة جرداء
يتفيأ المتحكمون ظلالها ... والأجنبي .. وأهلها فقراء
وتروح تستستقي الغمام ظوامئ ... في حين يغرق آخرين الماء
وبجمرة «الدستور» تشق أمة ... وعليه يبرد معشر سعداء
أخذ «العبيد» الموثقون بحبله ... وانسل منه عبيده الطلقاء
وكأن «نصفا» زبدة مواعة ... منه و«نصفا» صخرة صماء

لم يبق شيء يستفز مسامحا ... لم تبل هذي الأمة السمحاء
زعم المبرأ حالها أن قد مشى ... فيها السقام وأعظلت أدواء
كذبا فعند المشرقين نظائر ... مما تحس وعنده نظراء
أمم غزا المستعمرون ديارها ... ونفوسها ، وعتوا بها ما شاءوا
شرعت لها بدع الضلال وعبدت ... سبل الخنا واستحدث الزعماء
وتضافر الإقطاع ينخر صلبها ... والجهل ، والأدقاع ، والإثراء
وتعددت فيها المذاهب ضلة ... وتفرقت شيعا بها الآراء
وبحالك من ليلها كانت يد ... تمتد من تاريخها بيضاء

وتروح تمسح كل موطن علة ... حتى يحل محلها الإبراء
لا هم جنبني الضلال أأمة ... عقر البطون وأمة عشراء
مل المقام «زعيم مصر» بموطن ... صافى به سراقه الخفراء
أصفى فلا عود ولا إبداء ... وخوى فلا دلج ولا إسراء
وهفا فخيل الحادثات تدوسه ... وتدرس كل بطيئة عجلاء
بين اثنتين فساسة قد أوثقوا ... بالأجنبى وساسة جبناء
و«محايدون» يفاخرون بأنهم ... عما يحيق بأهلهم غرباء
هووا السلامة حيث كل عشيرهم ... صرعى، وكل رفاقهم أنضاء
و«مناوشون» يبادلون خصومهم ... غزلا، فلا عنت ولا إيذاء
و«مهذبون» خصومة وطريقة ... مرنون فى أسلوبهم ظرفاء
يدرون من معنى «السياسة» أنها ... كأس بها يتقارع الندماء
متسامحون يميلهم ترف الصبا ... وتشيع فيهم رخوها النعماء

و«مخدرون» يُسهِّلون مهمة الجراح ... ساعة تبتر الأعضاء
و«منفسون» كأنهم صمامة ... ينفى بها ضغط البخار الماء
طورا على المستعمرين، وتارة ... حرب على أعدائهم شعواء
يبغون أنصاف الحلول، وإنهم ... أدرى بأن المنصفات هراء
متصيدو جاه يرون طريقه ... أن يجمع الدهماء والوجهاء
فهم مع الغرثى صباحا، غيرهم ... فى الليل ساعة تسرج الأبهاء
يتعطفون على «السواد» وإنه ... منهم كما احتكت بهم «حرباء»

ويبصبصون لمدقع ، ويمسهم ... ضر إذا مس التراب حذاء
ويثرثرون عن الإخاء وحولهم ... خول أسارى عندهم ، وإماء

و«مظاهرون» على الطغاة وإنهم ... شرط لهم إن صرّحت هيجاء
يتراشقون على الرخاء كما رمت ... بالورد أترابا لها غيداء
فإذا تفجرت الجموع وآذنت ... بالفجر تلك الليلة الطخياء
نهضوا لتفريق الصفوف ، وأقسموا ... أن لا يمس الحاكمين بلاء
ثم ارتقوا أدراجها فإذا بهم ... رغم العبيد السادة الوزراء
و«مثقفون» ثناهم عن شعبهم ... بيع يدر عليهم وشراء
أعمتهم عن كل قصد شهوة ... ولقد تحس طريقها عمياء
زوت «الشباب» عن البلاد مطامع ... مجذومة ، ومنافع خساء
حتى من الألم الحبيس تصوحت ... جنباتهم ، وتعرت السيماء
بئس الضلوع فلا الرماح تقصفت ... فيها ، ولا عصفت بها الشحناء
واستسلم «الشعراء» إلا عصبة ... تسقى الحميم ، وأخلد «الأدباء»
واستأثر «الفنان» يرسم «بطة» ... حسناء تمسح ريشها حسناء
وتنفس «الفقهاء» أي منهم ... عند الصلاة الضارع البكاء

وتغيبت بين السجون «عصارة» ... هي في عيون مسلط أقذاء
غطت على فقر الرجال كما ارتمت ... في القفر تزهى «واحة» خضراء
ومشت على البلد المليح نسائم ... من روحهم ، وتساقطت أنداء
ومضوا على النهج السوي وإنه ... في «الرافدين» لكربة وعناء

وتحملـــوا ديـــة الصـــمود وإنهـــا زبـــر الحديـــد يجـــره الســـجناء
حبسوا «الضمائر» أن تلاث كما أبت أكـل الثـدى عـلى الطـوى عـذراء
وتنكـــروا للحـــاكمين فيـــاهم أكـــل لســـوط عـــذابهم وغـــذاء

ولقد تروعك ، حين تنظر من «عل» فيهـــا لأســـفل ، هـــوة جوفـــاء
المـــوت يكمـــن عنـــدها وتســـدها خلـــل الرمـــاد «الثـــورة» الحمـــراء
فمكـرش نفـج الحضـين كمقـرب بـــادى الوحـــام كأنـــه «النفســـاء»
ومصـــعلك لصـــق الهـــوان كـــأنما قدفتـــه مـــن أحشـــائها الغـــبراء
وشـواحب ضـنك العظـام خدودها وكـــأنهن بـــها نـــزفن خـــواء
ولواهـــب حمـــر الخـــدود كـــأنما فـــيهن مـــن شرب الـــدماء حيـــاء
ومكافـأون عـلى الجـرائم خـير مـا يجـــزى الكـــريم لأنهـــم قربـــاء
ومزاملـــو قعـــر الســـجون كرامـــة ويعـــــذبون لأنهـــــم كرمـــــاء

***

إلى الشعب المصري

يـا «مصر» تسـتبق الـدهور وتعثـر والنيـــل يزخـــر والمســـلة تزهـــر
وبنـــوك والتـــاريخ فى قصـــبيهما يتســـابقون فيصـــهرون ويصـــهر
والأرض ينقــذ مــن عمايــة أهلهــا نـــور يـــرف عـــلى ثـــراك ويـــنشر
هذا «الصعيد»مشت عليه مواكـب للـــدهر مثقلـــة الخطـــى تتبخـــتر
فى كـــل مطـــرح وكـــل ثنيـــة حجـــر بمجـــد العـــاملين معطـــر
يهـــزا مـــن الأجيـــال فى خطراتهـــا «الكرنـك» الشـاوى بهـا و«الأقصر»

مشت القرون متمهات، سابق ... منها يحدث لاحقا ويخبر
يصل الحضارة بالحضارة ما بنى ... فيكم «المعز» وما دحا الإسكندر
وتناثر الجمرات حولك، نابغ ... يخفى، وآخر عبقرى يظهر
ووسعت أشتات الفنون كأنها ... فلك يدور وأنت أنت المحور

يا مصر لم تبخس جمالك ريشة ... مرت عليه، ولم يخنك مصور
لله جوك أى مبعث فتنة ... حتى الطبيعة عنده تتمصر
الليل عندك غير ما عرف الدجى ... فى أرض غيرك والصباح المسفر
وكأنما من صنع جوك وحده ... قمر على كبد السماء منور
وكأن مذهبة الأصيل ملاءة ... بمذاب ما نضت القرون تعصفر
وتمور حبات رملك بينها ... رفق الدهور وعنقها يتمور
ومشى الضباب على سماك كأنه ... مما أثارته الحوادث عثير

يا «مصر» مصر الشعب: لا غاياته ... تفنى، ولا خطواته تتقهقر
باق وكل معمر فإلى مدى ... عال، وكل منيعة تتدهور
جبروته الأعلى، فلا «نيرونه» ... شيء، ولا «فرعونه» المتجبر
يلوى على ما لا يضاق، ويرتضى ... ما لا يليق، ويستكين ويصبر
يزرى به المتحكمون فيزدرى ... وتنال منه الحادثات ويسخر
حتى يظن به الظنون مؤمل ... وبحار فى تعليله متفكر
ويروح يسدر فى الغواية سادر ... ويشط فى غلوائه مستهتر
فإذا استوى أجل، وحانت ساعة ... وتكافأت فرص، وحم مقدر

واستنفد المتضاربون قداحهم ... وانفض عن خسر الربيح الميسر
ألقى لهم يده وشد ذراعه ... فإذا يد الطاغى أذل وأقصر

يا مصر مصر الأكثرين ولم يزل ... فى الشرق يرضخ للأقل الأكثر
وهنا ، وثمة ، لا يزال منعم ... أشر بنعمة خالقيه يكفر
هذا السواد أعز ما ضمت يد ... للطارئات وخير ما يستذخر
مديه بالعيش الرخى فلم يكن ... ليصون ملكا جائع يتضور
ودعيه يشعر أن شقة بيته ... علق يصان ، ونعمة لا تكفر
ثم اقذفى المستعمرين بوعيه ... نارا تشب ، وصاعقا يتمطر
وتقحمى الغمرات صدرك محتم ... ومداك متسع ، ووجهك مسفر
يا مصر ليس بمنقذ أوطانه ... حرج الفؤاد ، ولا عديم معسر
والملك ينسف من قواعد أسه ... صدر بمضطرم الحزازة موغر

يا مصر والدنيا يعن مخاضها ... والأمر يفجأ ، والفجاءة تغدر
وخطى الشعوب سريعة ، وأمامها ... دنيا بها تبنى الشعوب تعمر
وجهاد كل مذادة عن حقها ... بالعدل ما بين الرعية ينصر
يامصر فى سوح الجهاد ركائز ... تهدى المضل طريقه وتحذّر
ووراء أجداث الضحايا إصبع ... يومى إليك بها وعين تنظر
مائة تقضت ، كل يوم مظهر ... لمكافحين ، وكل يوم مخبر
لم تفترى عزما ولم تهنى يدا ... تتصارعين وغاصبا لا يفتر

يا مصر: لو وعت الجموع ولو صفا ... كـدر النفـوس ولـو أثـاب مـقصر
فتماسـكي فـوراء جيلـك آخـر ... أقسـى عـلى نقـد الجـدود وأقـدر
يجـزى البنـاة المحسنين ، ويـزدرى ... بالناكصـين عـن الجهـاد ، ويسـخر
وتشـابكي فيـد القـوى عظامهـا ... ممـا تشـابكها الشـعوب تـكسّر
وتكاشـفى لا يسـتغل مخـرج ... مـا تبتغـين ، ولا يشـط مـفسر
ألقـى لـه الـورق الصريـح فإنـه ... بـالحق يغلـب ، والصراحـة يقمـر
كـذب المعـرف للسياسـة أنهـا ... مـن راح أكثـر مـن سـواه يمكـر
إن الشـجاع هـو الصريـح بوجهـه ... يـوم الكريهـة والجبـان يغـرر

أنا ضيف مصر وضيف طه ضيفها ... مـا بعـد ذلـك للمفـاخر مفخـر
أنـا ضـيف مصر فلـن أثقـل فوقهـا ... ظـلى بمالكـه تعـاب وتنكـر
وإذا عتبـت فمثلها مـس الثـرى ... غيـث تخللـه سـحاب أكـدر
يـا مصر : لاءمـت البسيطة شملها ... فـالكون أصـغر ، والمسـافة أقصر
وتلاقـت الـدنيا فكـاد مشرق ... مـن أهلهـا بمغـرب يتعثـر
ويكـاد بيـت فى العـراق بجـذوة ... مضرومـة فى «تبيـت» يتنـور
وهنـا يكـاد بـمصر يسـأل أهلهـا ... هـل فى العـرق أعـاجم ، أم بربـر
ويكـاد يجهـل أن «بغـدادا» بهـا ... كانـت يـد الـدنيا تطـول وتـقصر
أو أن «كوفانـا» و«بصرة» مـنهما ... كانـت إلى الأمـم الحيـاة تصـدر
أيكـون عـذر الجهـل أن عمومـة ... أغنـى ، وأن بنـى أخيهـا أفقـر
أو أن تضـيق بخنصريهـا راحـة ... إذ كـان أصـغر مـا تضـم الخنصر

يــا مصر إن الرافـــدين لجـذوة — لـــو أن مــاء جــذوة تتســعر
طفحــت ضـفافهما دمـا ، وتصـافقا — بــالموت ينــذر والحيــاة تــبشّر
تنساب دجلة لـيس يـدرى سابح — فيهــا متــى تطغــى بــه وتــدمّر
وتغــط أثبــاج الفــرات كأنهــا — جبـــل عـــلى قيعانـــه يتســـور
وعــلى الجبــال محــلأون كــأنهم — فى الجـــو عقبـــان تلـــوب وأنسر
ومصـــارع الشـــهداء فى جنباتهـــا — شـــبح يخيــف الســـادرين ويسهر
لا يعلمــون وفى السماء صــواعق — عـــن أى ســقف فــوقهم تتحــدر

يــا مصر لم يعــد الكــلام خديعــة — إن اللســـان هـــو الضــمير الأصــغر
إنــا وإيــاكم كــما احتاجــت يــد — ليــد ، وإن كــذب الــدعاة وزوروا
إنـــا إذا أنّ الجـــريح بأرضـــكم — ناغـــاه مجـــروح يـــئن ويزفـــر
وإذا استقى نخب الجهاد شهيدكم — فلـــه هنـــاك مهلـــل ومكـــبر
وإذا تفجـــرت العـــروق كريمـــة — ســـالت عـــروق جمـــة تتفجـــر
إنــا لنســأل حــين نرمــى ســهمنا — عـــن أى ســـهم فى «الكنانــة» ينثــر

يــا مصر لـيس مـن العـراق مفـرق — ينــدس مــا بــين الصــفوف ويحشر
إنــا لنــبرأ مــن نصــوص عنــدنا — تمضى عـــلى مـــا لا نحـــب وتمهـــر
تمضى على صدع الصفوف وفوقها — راحـــت يـــد المســـتعمرين تـــؤشر
قولـــوا لأولاء الـــذين يـــرونكم — إنـــا بضـــوء خطـــاهم نســـتبشر
إن العـــراق مســـير ، ومحلـــه — فى حيــث مصر تكــون حــين يخــير

قولوا لهم أعطوا الأديب يراعه — وتلمظوا جمراته وتصبروا
وتنظروا هذى السحابة ريثما — يعلو الخطيب ويستقيم المنبر
قولوا لهم خلو «السفير» وأسفروا — ودعوا حراب الأجنبى وأصحروا
وستعلمون من المجلى فى غد — ومن المكب لوجهه المتعفر
ومن المقيم على تراث بلاده — ومن المشرد تائها يتعثر

يا مصر مصر الأكثرين تحية — من جرحى الدامى أعف وأطهر
إنا وأنتم فى خضم واحد — موج المصائب حولنا يتكسر
ولنا غريم فى السياسة مارق — مذق ، يكيل لنا الوعود ويغدر
يستاق كل طريدة ويبيحها — ويجىء كل جريرة ويبرر
هو ذلك الدجال يلبس ، كاذبا — ريش النعامة وهو ذئب أمعر
هو من عرفت «بدنشواى» ومثلها — ألف تداس بنعله وتحقر
هو من بلونا ، ليت أن بلاءنا — حز الرقاب أو الوباء الأصفر

حييت مؤتمر الثقافة عنده — عقد الحياة عسيرة تتيسر
أكبرت جهد المخلصين نهارهم — يبنى الصفوف وليلهم يتفكر
النكارين نفوسهم لم تزههم — متع الحياة وزهوها المتبطر
نهجوا طريق القادمين وكله — مستوحش من خيفة مستوعر
واستنزفوا بالواجبات دماءهم — تجرى بمدرجة الحياة وتهدر
وتساقطوا قطعا فمن أشلائهم — يمتد هذا العالم المتحضر
ما روعة التاريخ لو لم يسقه — دمهم به يزكو ومنه يزهر

أفدى الذين استنهضوا أوطانهم ... شأن الهداة المرسلين وطوروا
لضمان ألفة شملها ما ألفوا ... ولكي يحرر أهلها ما حرروا
أبوا الخنوع فآثروا أن يقبلوا ... والمغريات تريدهم أن يدبروا
من كل مشوى على جمر اللظى ... يسقى «الحميم» وفى يديه «الكوثر»
ألقى خطاه بحيث يتقد الثرى ... جمرا ، وحيث جحيمه تتسعر
وبحيث تستعرى الفلاة ذئابها ... وتثور أضبعه عليه وأنمر
وبحيث يفرش كل شبر فوقها ... جثث الذين تقحموا فتكوروا
وراءه ، وأمامه ، مدموغة ... آثار سفر شككوا فتحبروا

وشجبت أن الفكر راح يهينه ... نفر بحرمة علمه يتستر
ما انفك يوهم نفسه ويضلها ... عن نهجها أن الثقافة متجر
أوفى على بؤس الجموع وذلها ... من برجه متبخترا يتأطر
وتملق المتغطرسين كأنه ... عبد لما شاء الولاة يسخر
آمنت بالخلق القويم ، وإننى ... بالعلم ، منزوع الضمير، لأكفر
ولكل آثام الدنى مغفورة ... إلا الخيانة إثمها لا يغفر
شر السموم العلم إن لم يحمه ... حرم يصان ، وذمة لا تخفر
ولقد يهون منكب متفرج ... كحصان دارة جلجل يستشزر
لو لم يهل الأجنبى مثقف ... يبنى على ما خططوا ويدمر

باسم الثقافة راح يدلف ها هنا ... وهنا ، مريب خطوة مستنكر

يتساءل الجمهور عنه أخابر ... سحاب الحياة مثقفا أم مخبر

ومثقف باسم «العلاقة» بينهم ... يستعمرون وبينه يستعمر

أرخى العنان وراح يورد نفسه ... في أي ماء يوردون ، ويصدر

«متتيمس» يرمي البلاد بمنهج ... منه المياه «التيمسية» تقطر

ومثقف صعد السلالم مقعدا ... مثل الجواد على الحواجز يطفر

بز النظائر وهو أحدث منهم ... وشأى العباقر وهو أجوف يصفر

ألقى له الدستور رحب خوانه ... ما شاء من ألوانه يتخير

أشياخ «مؤتمر الثقافة» إنكم ... مني بما تشكو الثقافة أخبر

تمضي السنون وكل شيء جامد ... تتطور الدنيا ولا يتطور

هدر جهودكم إذا لم تبضعوا ... منها الضمير ، وكم جهود تهدر

سترون علتها العصبية أنها ... بدن نكرمه ، وروح نحقر

راجعت ما نهج الدعاة فلم أجد ... مستعمرا فيها بشر يذكر

ووجدت كف الأجنبي كما اشتهت ... من خلقة الجيل الجديد تصور

ودم الضحايا فيه عق فلم يسل ... فوق الطروس عبيره المنتشر

أما الثقافة في العراق فإنها ... سم به نسقى ومنه نخدر

ذاق العراق المر مما سامه ... باسم الثقافة مارق مستأجر

ومفرق زرع «الخلاف» وإنه ... شجر عن الجيل المزعزع يثمر

وسلوا عن «الأيام» فيه فعندنا ... في كل يوم منهج يتغير

ولكل أونة لكل وظيفة ... «من آل نعم رائح فمبكر»

يمشى بظلها الغريب كما احتمت ... فى أمس «بين الكاعبين المعصر»
ماذا يفيد مثقفون يميزهم ... عمن سواهم «مذهب» أو «عنصر»
ولمن تراد ثقافة من أمرها ... تبكى البلاد، ويضحك المستعمر
«طه».. ونور الفكر أوفى حرمة ... والمجد أوفر، والمكانة أوقر
سبعون من سوح الجهاد قضيتها ... للخير تعمل جاهدا وتفكر
تستن زحمة دربها وتجوزه ... وتشق خابط ليلها وتنور
وتجىء بالرأى الصريح وإنه ... للآن أصعب ما يكون وأندر
ويقيم من رهج القيامة حاقد ... ويثور الدنيا عليك مثور
وتمر مرفوع الجبين مجليا ... تحثو التراب بوجهه وتغبر
لله درك أى هم شاغل ... يحيا به الليل الطويل ويسهر
ويسامر الدنيا فكل ضميمة ... فيها ندى من نثاه وسمر
يروى القريب إلى البعيد حديثه ... ويسر فيه الغائبين الحضر
يا صاحب «المتعذبين» وعنده ... مما يعانون، العذاب الأكبر
ومنور الجيل الجديد كما هدى ... فى الليل مختبطا شهاب نير
أشكو إليك، لأن مثلك عارف ... مثلى، وليس لأنك المستوزر
ركضت بى الخمسون لا حلباتها ... توفى العثار ولا العنان يقصر
وتناهبت شعرى بمحض غبارها ... فبياضه بسواده يتندر

طه .. وما جزعا أبث شكايتى ... فأنا الهزبر المستميت القسور
وأنها المقيم بحيث تشتجر القنا ... فوقى، وحيث كعوبها تتكسر

لكــن بمحتملــين وزر ســواهم أن لا يــروح لمــارق يســتأجر

خلفــى مــن الــذكر الجميــل أجلــه ومعــى مــن النفــر العديــد الأكثــر

وبكــل بيــت مــن قصــيدى منشــد وبكــل حفــل مــن شــذاتى مجمــر

وثــرى الجــدود يمــدني بهباتــه وبمجــد تلــك التضــحيات يــذكر

ودم الشــهيد مضرجــا وثيابــه تطــوى ، وفى يــوم الحســاب ســتنشر

وأنــا لســان الشــعب كــل بليــة تأتيــه أحمــل ثقلهــا وأصــور

وإذا تفطــر مــن فــؤادى جانــب حــدبت عــلى قلوبــه تتفطــر

إنــى لأحســب حــين أخــبر ذمتــى أن الــبلاد إلى ضــميرى تنظــر

وكــأن منهــا حــين أنــوى نيــة رصــدا يطــوقني . وحــين أفكــر

لم أدر «طــه» والشــعوب كريمــة أقســو فأعتــب ، أم ألــين فأعــذر

أيضــيق بــى وبمــن جنيــت علــيهم بلــد بمــن رمــت الروامــى يزخــر

يــا أيهــا الفكــر العظــيم تحيــة مــن شــاعر بعمــيم لطفــك يغمــر

أوليتنــى حســن الرعايــة إنهــا شرف ســيذكر مــا حييــت ويشــكر

وعليــك يــا مصر السـلام ، وإنـه ذوب الحشاشــة مــن فمــى يتقطــر

***

عبد الحميد كرامي

هذه القصيدة ألقاها الشاعر في الحفلة التي أقامتها لجنة تأبين عبد الحميد كرامي في بيروت عام ١٩٥٠ وكان الشاعر قد لبى دعوة اللجنة إياه للاشتراك في الحفل المذكور بعد إلحاح شديد تضمنته برقيات ورسائل عديدة.. وكان للقصيدة صداها وأثرها البليغان في كل أرجاء لبنان.. ونشرتها عدة صحف في بيروت ، وأعادت

نشرها أكثر من مرة ..

كانت الوزارة القائمة ، حين إلقاء القصيدة ، هي وزارة رياض الصلح .. وبعد يومين استقالت الوزارة وشكلها حسين العزيني .. وقد دشنت الوزارة الجديدة أعمالها بـ «طرد» الجواهري من لبنان !

وللعلم فإن العوينى رئيس الوزراء الجديد ، والصلح رئيس الوزراء المستقيل كانا من أعضاء لجنة التأبين التى دعت الشاعر لحضوره والمشاركة فيه .

لقد أثار حادث الطرد هذا ضجة كبيرة ، فى لبنان والعراق ومصر .. وشاركت معظم الصحف اللبنانية فى الاحتجاج الشديد على هذا الحادث ..

ونكتفي ، هنا ، بما كتبه الدكتور « جورج حنا » فى جريدة «النهار» ..

قال :

«لا يعيب لبنان شيء أكثر مما يعيبه تحقيره للفكر واضطهاده المفكرين فهذا البلد الذى طالما تمنينا بأن يلصق به لقب بلد الإشعاع ما فتئ القائمون على أمره يعملون لإزالة هذا اللقب عنه .

بعد كل الاضطهادات التي استهدف لها رجال القلم والأدب والفكر الحر ، تتوج الدوائر المختصة قائمتها بطردها من لبنان محمد مهدى الجواهري شاعر العرب الأكبر .

قصيدة الجواهري في حفلة المغفور له عبد الحميد كرامي لم تكن جوهرة شعرية وأدبية وحسب ، وإنما كانت أجمل لوحة يرسمها فنان عن العالم العربي .

ماذا قال الجواهري ، وبماذا كفر لكي يطرد من بلد بعث إليه بعشرين رجاء قبل أن يأتي إليه ؟

ومن هو الذي غضب على الجواهري ، لأن الجواهري ثائر على الاستعمار ودعاة المستعمرين ؟

وأي لبناني ، بل أي عربي . يجرؤ على الجهر برأي مخالف لرأى الجواهري؟

والله ما كنا نريد أن يكون طرد الجواهري من لبنان فاتحة عهد هذه الوزارة .. لقد كنا نأمل منها غير ذلك .

بقى أن نسأل :

من الذي طرد الجواهري من لبنان ؟

باق – وأعمار الطغاة قصار –   من سفر مجدك عاطر موار
متجاوب الأصداء تفح عبيره   لطف . ونفح شذاته إعصار
رف الضمير عليه فهو منور   طهرا كما يتفتح النوار
وذكا به وهج الإباء فرده   وقدا يشب كما تشب النار
العمر عمر الخالدين يمده   فلك بطيب نثاهم دوار
يتمخض التاريخ فى أعقابهم   حمدا ، وتعصف ليلة ونهار
أما النفوس الزاخرات عروقها   بالمغريات فنشوة وخمار

عبد الحميد وكل مجد كاذب   إن لم يصن للشعب فيه ذمار
والمجد أن تهدى حياتك كلها   للناس لا برم ولا إقتار
والمجد أن يحميك مجدك وحده   فى الناس .. لا شرط ولا أنصار
والمجد إشعاع الضمير لضوئه   تهفو القلوب ، وتشخص الأبصار
والمجد جبار على أعتابه   تهوى الرؤوس .. ويسقط الجبار

جانبت مزلقة الطغاة وإنها ... بالورد تفرش والنضار تنار
وسلكت نهج المخلصين وإنه ... أسل يخضب من دم وشفار
لو كنت تستام الحياة رخيصة ... وافاك منها مغنم وتجار
ولو ارتضيت الحكم أعرج أهوجا ... لمشت إليك عجولة أوطار
جئت الوزارة ليلة ونهارها ... فرأيت كيف تراكم الأوزار
ورأيت كيف الحكم يشمخ كاذبا ... فى حين يملأ دفتيه العار
ولمست كرسيا يرج كأنه ... نعش يدق بجنبه مسمار
ورأيت إذ «باريس» شلت كفها ... كيف اصطفاه بلندن نجار
فنفضت كفك من حطام عنده ... يخزى البنون وتخجل الأسفار
وخرجت موفور الكرامة عالقا ... من فوق مفرقك الأغر الغار
بوركت خالصة الضمير فإنك ... الجنات تجرى تحتها الأنهار
قد كان وسعك أن تغالط ذمة ... أو أن تغرر والهوى غرار
وتقول كنت وكان صنع معاشر ... أعطوا يدا للأجنبى وساروا
أو أن تسمى «الشر» يهلك أمة ... خيرا كما يتصنع الأشرار
أو أن تجىء «النفع» وترا أجذما ... فى حين تشفع عنده الأضرار
حوشيت ما قيم الرجال إذا ارتقى ... منها الضمير، وصوح الإيثار
لا يقدر الحرمان مما يشتهى ... ويتاح .. إلا القادة الأبرار
لا بد أن يرى – وإن طال المدى ... بالناس – موهوب الثياب معار
إيه «كرامة» والقريض وسيلة ... للخير، لا خمر ولا أسمار
يلوى من الخيل الجياد عنانها ... حتى يتاح لركضها مضمار

ومزية الزعماء أن حياتهم ... خصب وأن مماتهم إثمار
فإذا ذكرت بك البلاد فعاذر ... فهي الحبيب لنفسك المختار
عبد الحميد وما تزال كعهدها ... شعب يذل وأمة تنهار
ومسلطون على الشعوب برغمها ... السوط يدفع عنهم والنار
وصحافة صفر الضمير كأنها ... سلع تباع، وتشترى، وتعار
ومبصبصون كأنهم عن غيرهم ... مسخ، ومن آثامه آثار
يتهافتون على مواطئ أرجل ... يومي لهم بكعوبها ويشار
قدر أناخ على البلاد بكلكل ... فنبا به متن، وزل فقار
وغمامة سوداء ران جرانها ... عنتا فلا غيث ولا إصحار

لبنان يا بلد الصباحة تجتلى ... والعلم يقطف، والنهى تشتار
يا موطن الأحرار حين يسومهم ... خسف وحين تشرد الأحرار
ناغيت حسنك والصبا لي شافع ... ومسحت تربك والهوى لي دار
وأثرت من «قيثارتي» فتجاوبت ... بحفيف «أرزك» تلكم الأوتار
ومشت تذيع على القوافي عطرها ... وجمالها الأنجاد والأغوار
حتى إذا زحم الشباب ولطفه ... ثقل الحياة تحطم القيثار
ونهضت للمحتل أرضك، بطشة ... أشر، وسوط عذابه هدار
ومنعت أن أغشى ربوعك بعدها ... أو أن أزورك، «والحبيب يزار»
وظللت أرقب يوم يوثق آسر ... عات، ويوم يفك عنك إسار
أسفا فقد أنهت إلي - مشوبة ... بالحزن - يوم خلاصك الأخبار
أهداكه إذ فر جحفل غاصب ... جيش لآخر غاصب جرار

وبدا يزحزح عن سماك مذنبا   رجم سواه مذنب سيار

لبنان نجوى مرة وسرار   إنا بحكم بلائنا سمار
ماذا يراد بنا وأين يسار   والليل داج ، والطريق عثار
والوحش يربض فى الثنايا منذرا   والموت جآر بها زآر
أعقاب لبنان تدنس وكره   للأجنبى قواعد ومطار
أو بحره نبع الفخار يشقه   فى كل يوم منهم بحار
أو فخر منهاض الجناح بأنه   بجناح أقتم كاسر طيار
اليوم ينزل عشه ويدوسه   لا الريش ينجده ولا المنقار
وغدا يلقفه وينتف ريشه   فيها يلقف أجدل جبار

أشباب لبنان يضام لأنه   يقظ على عقبى المصير يغار
ألمثلهم صاغ القيون حديدهم   وبنى السجون لمثلهم معمار
هل غيرهم حطب الوغى إن شبها   باغ وعم الخافقين أوار
أو غيرهم يسقى الثغور دماءه   لتمر منها غدرة وفجار
السوط ذل لا تُقر هوانه   إلا بسلخ جلودها الأبقار
والسجن لو علمت من الثاوى به   لتساقطت ببناته الأحجار

كنا لكم نعم النذير لو ارعوى   غاو ، ولو ألوى به إنذار
ما أشبه التاريخ دامى جرحنا   كجروحكم بأكفنا نغار

كـان الغريـب وكـان بغي سـافر ولقـد يهـون منكـرا إسـفار

جمعت بـه شتى الصفوف ووحدت شـتى القلـوب ، ونامـت الأوغـار

وتوضـحت فيـه المعـالم لم تشـب دجـلا ، ولـن تطمـس بهـا الآثـار

وبـه تكشـف كـل أريـد حالـك داج ، كـما تنكشـف الأقـمار

وتمـايزت – للمـؤثرين نفوسـهم والمـؤثرين بلادهـم – أقـدار

قـد كـان ميـدان الجهـاد يسـوده حكـمان وقـد جـاحم ، وفـرار

كبت بـه الهـوج الهجـان لوجهها وحـوى الجيـاد كريمـة مضـمار

وهفـا الـدعى فلـم يفـاخر أنـه يعلـوه مـن رهـج الجهـاد غبـار

حتـى إذا لقحـت قبيـل أوانهـا شـعواء يجهـل كنههـا الثـوار

ومضى بـوزر مغـامر ومتـاجرا ومـبرر شـهداؤها الأبـرار

ألقـى لنـا المسـتعمرون عصـابة كانـت تضـم شـتاتهم أجحـار

من حاضنى حكم الدخيل وناصرى سـلطانه إن عـزه الأنصـار

ممـن بـلا «لـورانس» صـدق ولائهـم للتـاج لا دغـل ولا إسرار

راحـوا فـما بكـت الـديار عليهم وغـدوا فلـم يفـرح بهـم ديـار

وبنـوا لنـا بيتـاً أقمنـا عشره ولمـن هنـاك التسـعة الأعشـار

ثـم انكفأنـا نصـطلي بوقيـدة نحـن الوقـود لهـا ، ونحـن النـار

وانصـاع يـدفع مـن دمـاء جزيـة شـعب تغـل جهـوده أنفـار

وتخربـت – لتسـد أجـواز السـما تلـك القصـور – مـن الجمـوع ديـار

وبـدت عـلى تلـك الملايـين التـى شرت الحريـر لغيرهـا ، أطـمار

وأفـاق مخـدوع ليسـمع هاتفـا «خـف الهـوى وتقضـت الأوطـار»

وتسـاءلوا فـيم اسـتجدوا ثـورة وعـلى مـن امتشـقوا الحسـام وثـاروا

أعلى الدخيل السامرى ومثله ... وأمر منه عجله الخوار
ولأجل من ألمن مضوا ببقية ... رأف الغريب بمثلها ، وأغاروا
الأجل أن يسقى الطغاة دماءهم ... ولهم - إذا رفقوا بهم - أسآر
تلك الثلاثون العجاف ، أذلها ... سوط الرعاة ، ومسها الأضرار
جمدت على الجلد اليبس ضروعها ... من فرط ما احتلبت لها أشطار
لم تبق منها الطارئات جزارة ... لو كان يعرف رحمة جزار

سرعان ما خفق اللواء وشرعت ... نظم ، وقامت دولة وشعار
الجور صلب كيانها ، ونظامها ... الإقطاع والإذلال والإفقار
لم يبق شبر لم تنله معرة ... أو لم تنشه مذلة وصغار
وبكل آونة فويق بناته ... ينقض من هذا البناء جدار
صور مزيفة كأن نحاسها ... من فرط ما لمع الطلاء نضار

كنا نشاجر - حين نرحل - غاصبا ... إذ كان بين الغاصبين شجار
واليوم والوحى الملقن واحد ... حجز توحد بيننا وحصار
والأمن كان وكان معنى فقده ... أن البلاد تحفها أخطار
فإذا به شبح تهدد أسه ... صحف ، وتنسف ركنه أشعار
كنا نقيم الكون حين يمسنا ... ضر ، وحين يهدنا إعصار
والآن نحن إذا اشتكينا غاصبا ... قالوا : أولاء بنوكم الأخيار
«ممن حملن بهم وهن عواقد ... حبك النطاق» حرائر أطهار

أولاء أنتم غير أن إطارهم ... منا ، وبئست صورة وإطار
ولنحن أعرف من هم ولمن هم ... ولمن تمثل هذه الأدوار
ومن المصرف من فضول عنائهم ... ولمن يعود الورد والإصدار

تنهى وتأمر ما تشاء عصابة ... ينهى ويأمر فوقها استعمار
خويت خزائنها لما عصفت بها الشـ ... ـهوات ، والأسباط ، والأصهار
واستنجدت – ودم الشعوب ضمانها ... ورفاهها – فأمدها «الدولار»
يلوى به عصب البلاد ، وتشترى ... ذمم الرجال ، وتحجز الأفكار
عرفوا مصايرهم إذا جلى غد ... فى المشرقين ، ولاحت الأنوار
وإذا استوى أجل فزعزع طارئ ... عات ، وقر من الشعوب قرار
ورأوا بأعينهم فجيعة أهلها ... إذ عرسوا ، وحبورهم إذ طاروا
وتيقنوا أن لا وجار يقيهم ... حتفا ، وللضب الضليل وجار
فهم وفرط الحقد لاث دماءهم ... كلب بهم لدمائنا وسعار
وهم يحدون الأظافر منهم ... علما بيوم تقلم الأظفار

قلنا لهم : فيم اللجاجة والسما ... تعطى وتمنع ، والقضا غدار
وعلى م يشتط الممثل منكم ... رفقا بساعة ترفع الأستار
وعلى م يوغل فى الحماسة راقص ... بأشد مما ينفخ الزمار
وعلى م يسدر فى الصبابة سادر ... وعلى م يخلع فى الغرام عذار
قلنا لهم : إن الشعوب منيخة ... أبدا ، وحكام الشعوب سفار
قلنا لهم : إن النبى محمدا ... يأبى الخنا والواحد القهار

قلنـا لهـم : إن البيـاض لشـحمة ... والليـل ليـل والنهـار نهـار
فـأتى الجـواب لنـا بـأن نهـاركم ... ليـل ، وأن عشـيركم كفـار
وإذا أبيـتم فالجريمـة أنكـم ... للبلشـفية ، بيننـا أنصـار
لـو كنـت مـنهم لم أكـافئ غـيرهم ... بـالخير ممـا عجلـوا وأثـاروا
يـا أيهـا المتحكمـون وإننـا ... ودماءنـا مثـل البهـيم جبـار
قولوا الصحيح سنستبيح جلودكم ... للسـالخين لأنكـم أحـرار

إنـى – وللـذواد عـن أوطـانهم ... وشـعوبها الإجـلال والإكبـار –
لى فى العـراق مقالـة مـأثورة ... وكأنهـا مثـل بـه سـيار
أبصرت شـمطاء تتيـه وفوقهـا ... تشـكو الضـياع قـلادة وسـوار
جسـد تعـوض بـالحلى وجرسـه ... إذ غـاض منـه شـبابه الفـوار
فـذكرت كيـف يشـد مـن متغطرس ... واهـى الضـمير ، ضـميره المنهـار
ورأيـت فى سـوق النخاسـة تعـتلى ... وجـه الرقيـق مهانـة وصـغار
وبآسـن مـن بؤسـهم مسـتنقع ... قـد راح يـنفخ صـدره سمسـار
فـذكرت مـا تلقـى الشـعوب ضـعيفة ... عـزلا تسـوس أمورهـا أغـمار
وذكـرت كيـف المسـتظل بغـيره ... يـوحى ويـوهم أنـه جبـار
عبـد الحميـد وطهـر نفسـك جنـة ... وجميـل صـنعك روضـة معطـار
يـا دارجـا فى الخالـدين ضـميره ... صـلت عليـك الرفقـة الأبـرار

***

أيها الوحش ...
أيها الاستعمار...

خل شدقيك يمصان دمي
ويمجان دماً كالعلق
خل عيشي مضغة من علقم
خله نهب الطوى والقلق

سمن الكلب على لحم الشعوب
واكسه من عريها أبهى حلل
واخلع البؤس عليها والشحوب
وأسل ذوب الأسى بين المقل
وانشر الرعب على كل الدروب
لا تنرها بشعاع من أمل

ثم دعها نهزة للألم
تتلظى في جحيم الحرق
هل سوى أن تغتدي بالضرم
وتلوى في وساد الأرق

أيها الوحش وما أزكى الوحوش
تتحدى الجوع بالمفترس
تغتذي أطفالها فيما تنوش
تحت أستار الدجى والغلس
وتغذي بعظام و«مشوش»
ونفايات الدم المنبجس

أيها الوحش الضروس المحتمي

بفصاحات اللغى والمنطق
وبما شرعة من نظم
يختزى منهن وجه الورق

أيها الوحش الذى ذاق الزنوج سكرات الموت من أنيابه
جرمهم أن عدموا لونا يموج بالدم الأزرق من أنسابه
أيها الوحش الذى سام الفروج أن يلدن البيض من أترابه

ميز العرق وفاضل بالدم
وتصاعد طبقا عن طبق
وامنح السادة رق الخدم
واعط للصبح زمام الغسق

أخنق الفكرة فى صدر يضوع ترها فى آخر أذكى تفوح
إنها كالشمس إن هم طلوع صاح أو لم يصح الديك يلوح
لا يغطى من سنا الشمس السطوع عاصف يغدو عليها ويروح

سوف يهزا الصبح بالليل العمى
حين تنداح سماء المشرق
وسينجاب غشاء الظلم
عن صباح مستفيض ألق

أيها الوحش أطل عهد الظلام ... تبعد الساعة عن موعدها
برر الجور بأسياط الطغام ... تبعث النقمة من مرقدها
كم وكم هزت أهازيج الظلام ... أمة غارقة فى ددها

فامض فى ميدانك المزدحم
بجراثيم الخنا واستبق
فغدا يكبح عض اللجم
من عنان السادر المنطلق

أيها الوحش ولابد النشور ... إن حرا منجز ما يعد
ونحوس الفلك الحر تدور ... ويد القوة تعلوها يد
أيها الوحش، ولابد، القبور ... قاذفات حمما ترتعد

تغتلى من غيظها المحتدم
وتجافى رحمة المرتفق
فيد تسقيك كأس العلقم
ويد آخذة بالمخنق

أيها الوحش تسمع تسمع ... صرخات الحقد تطوى المشرقين
تر ذوب الدم بين الأدمع ... يرتمى من حنق فى المقلتين
ركب تعرفها فى المركع ... تقتضيك اليوم شر الركبتين

عكست أدراج تلك السلم
فارتقى الكابى وزل المرتقى
وستسقيك مجاج الحمم
أمم أغصنتها بالشرق

أيها الوحش وأشباح الجياع ... زاحفات بالبطون الخاوية
ألف ويل لك من هذا الصراع ... يوم تشتط الذئاب العاوية
سوف تجتاحك هاتيك الضباع ... ساربات فى القفار الخاوية

أسرجت أحداقها بالضرم
من شظايا دمها المحترق
ألف ويل لك من منتقم
محرج نفس عنه مختنق

خل هذا الكوخ فى حر الهجير ... يعصم العذراء أن تنزلقا
خلها والغيد تزهى بالحرير ... ترتدى العفة ثوبا خلقا
خلها فى لفحات الزمهرير ... تتذرى من رماد طبقا

أو ليست حسرة فى معصم
من تقاليد النجار المعرق
عصم الله كرام النعم

وسـمت بـالطهر عـن منزلـق

خـل هـذا الوغـد أو ذاك الـزنيما يجمـع الأشرار مـن هنـا وهنـا

خـل فى محنتـه شـعبا كـريما خلـه منقسـما مـنهم ومنـا

خـل مـن يشـجب تفريقـا ذميما بـالأذى والبـؤس والشـتم معنـى

ارم حـرا واثبـا بـالتهم

وابتـدع مـا لم يكـن واختلـق

ثـم جـرد صـنما مـن مجـرم

غـارق فى خزيـة مختنـق

أهـن العلـم وحـط الأدبـا بالـذى تخلـق مـن هـذى النجـوم

واكتشـف فى كـل يـوم ذنبـا حيـثما حمـت عـلى الهـون يحـوم

ثـم قلـده الكنـى والرتبـا زخـرف يفنـى ومجـد لا يـدوم

ثـم جنـد خلقـه كالخـدم

مـن حطـام البشر المرتـزق

خـل مـن علمتـه بـالقلم

رهـن إيـماء الخـؤون الأحمـق

***

معروف الرصافي

لاقيت ربك بالضمير — وأنرت داجية القبور
وأشعت فى الأبد البهيم — طلاقة الأبد المنير
وذهبت لم تعلق يداك — بغير مكرمة وخير
وسمرت والألم الدفين — ونعم ذلك من سمير
ونطقت بالخرس المبين — ولست بالعى الحصور
إن زم من فمك الزمان — فلن يزم فم الشعور

ونزلت حيث تذوبت — غر الجماجم من عصور
حيث «الهوام» ترنحت — بشراب «آلهة» طهور
وسمعت «أصداء» الحياة — ترن من «بم» و «زير»
حيث ارتمى سجع الحمام — على «البغام» على «الزئير»
وبحيث تزدحم النوابغ — مثل نحل فى قفير

أضفيت قافية تشع — على «قصيد.» من عشير
وأجد فى سفر الردى — سطر لمؤتلق السطور
وكشفت عن صدر يتيه — بقلبه بين الصدور
عريان إلا من صميم — الحب والألم الغزير
لله درك من جرىء — دون فكرته جهير
أنكرت أن «الدين» لم — يبرح مليا بالقشور
يجتر من «أحكام» — بئر لوثت بدم البعير

يلهـو بـه مـن لـيس يعـرف ... مـا «البجـير» مـن «العجـير»
قـد كنـت تـؤمن أن عقبـى ... المـوت شـيء فى الضـمير
وحياتـك الـدنيا لجنتهـا ... مثـال والسـعير
«الله» عنـدك كـان رمـز ... سـعادة الجمـع الغفـير
والكفـر ألا تغضـب ... الأشرار فى شـجب الشرور
والفسـق فى شرب الـدماء ... ولـيس فى شرب الخمـور

واكبـت ركـب البائسـين ... وجبـت مترفـة القصـور
ومريـت خلـف البـؤس والنعمـى ... شـطيرا فى شـطير
ومسـحت مـن دمـع اليتـيم ... بآهـة الكبـد الحـرور
و «المرضـعات» وقـد خـوت ... أثـداؤهن مـن الضـمور
وتيـبس الطفـل الرضـيع ... فـما سـوى نفـس بهـير
عـاطيتن حشاشـة ... بـاللطف تنطـف والشـعور

مـا زلـت تقـدح مـن زنـاد ... الفكـر موهوبـا فتـورى
أيقظـت هاجعـة عـلى ... فـرش مـن البلـوى وثـير
تغفـو عـلى حلـم الخنـوع ... وترتعـى طيـف الثبـور
ووقيتهـا شر المـزا لـق ... فى الجهالـة والوعـور
قرعتهـا أن تسـتنيم ... مـن الهـوان عـلى شـفير
وأدلـت مـن زنـق النعـاس ... بجفنهـا التعـب الحسـير
وطلبـت منهـا أن يـوفر ... وعيهـا سـهر «الخفـير»

ســــاءلتها أيـــــن المصـــــير ... وألـــــف وحـــش فى الحظـــير

وأريتهـــا التـــاريخ يزخـــر ... بالبشـــــير وبالنـــــذير

تتفـــاغر «الهـــوات» فيـــه ... وتـــنجلى ســـبل العبـــور

يتناديـــان عليـــك أيـــا ... شـــئت مـــن درب فســـيرى

كـــم تخلـــدين ، وكـــل شـــىء ... يســـتحثك أن تثـــورى

ونحـــت مـــن عـــود الطغـــاة ... وقـــد جســـا نحـــت الشـــجير

زعزعـــت ســـاقة بغـــيهم ... وضربـــت منهـــا فى الجـــذور

وشـــجبت أن تبقـــى الجمـــوع ... لعابريهـــا كالجســـور

وفضـــحت غـــش المســـتعير ... بـــما فضـــحت مـــن المعـــير

وســـحقت «ديـــدان» الزعامـــة ... أفرخـــت بـــين الجحـــور

يتجنبـــون عـــن العســـير ... ويشـــجعون عـــلى اليســـير

يعيـــيهم الـــدرب الطويـــل ... فيهرعـــون إلى القصـــير

مـــا المجـــد كـــأس تجتليهـــا ... للســـقاة يـــد المـــدير

المجـــــد يخنـــــق بـــين ... أو تـــار ، وولان ، وحـــور

مـــا فخـــر مـــن يمشـــى عـــلى ... ضـــوء الكواكـــب والبـــدور

والمجـــد لـــيس رضـــا الـــوزير ... ولا مصـــاقبة «الســـفير»

المجـــد صـــنو للـــدماء ... وللســـجون وللقبـــور

وأطـــرت مـــن تلـــك «النحـــوس» ... معششـــات فى الوكـــور

تلــك «التقاليــد» العريقــة ... في الغبــاء وفي الــدثور

ورفعــت مــن تلــك «الأسـيرة» ... باســم ربــات الخــدور

مثـل السـوام أحـل بيـع رقابهـا ... باســم «المهــور»

والوائــد الســفاح بــرر ... جرمــه باســم «الغيــور»

فحملــت عنهــا طيعــا ... ديــة التحــرر والسـفور

«معــروف» أمــس منحتنــي ... عطــف الكبــير عــلى الصـغير

وأســيت جرحــي ، إن ... جرحــك نــاغر جــم البثــور

خبرتنــي أن خضــت قــبلي ... مــا اســتفاض مــن البحــور

ســيرت فيهــا كالسـفين ... مــواخر الكلــم الشــهير

وبكيــت مجــدا ضــاع مــا ... بــين «الخورنــق»و «الســدير»

يلهــو عــن «الغــدِ» بالــذي ... قــد كــانَ في أمــسِ الــدبير

خبَّرتنــي كيــفَ انكفــأتَ ... وأنــتَ تَعْثُــرُ بــالنُّمور

نهــبَ العيــونِ الحاقــدات ... عليــكَ مِــن خُــزرٍ وصــور

رهــينَ إفــكٍ مــن طغــام ... يُرجِفــونَ بــه وزور

خبَّرتنــي كيــفَ ادَّرعــتَ ... بنشــرةِ الشــهم الصَّــبور

كيــفَ امتُحنــتَ وقــد هــوتْ ... رَخَــمُ الطيــورِ عــلى النُّســور

مــا كنــتَ يــا «معــروفُ» منــ ... ـــعدِمَ العضــيدِ ولا النَّصــير

كنــتَ الــرَّكينَ عــلى القلــو ... بِ، المُســتفيضَ عــلى الثغــور

أقســمتُ بالصــالينَ ، دونَ ... شُــعوبِهمْ، حــرَّ الســعير

بُمســاقِطينَ لهــا النــدى ... ومرَّمضــينَ عــلى الهجــير

بالقيـــــــادة المتطلِّعيــــــــ ـــنَ إلى السـما مِثــلَ الصُــقور
بالســــــادة المُتكدِّحيــــــــ ـــنَ لخيرهــا كَــدْحَ الأجيــر
بالســـــابقينَ زمــــانُهمْ أعيـــا ، وغـــذّوا في المسيــر
بـــالنور يفـــتحِمُ النفـــوسَ مــنَ النظـــيم، أو النثـــير
بـــالكفِّ تُـــومئ للطريـــ ـــقِ كأنهـــا يُنبـــوعُ نـــور
بـــالظُّفر مُـــدَّميًا لِمـــا نَحَــتَ الحيــاةَ عــلى الصــخور
بـــالرأس مُشـــتعلاً وقـــدْ ضـــوَّى بــهِ وَخْـــطُ القتـــير
لـــو لا شَـــذاتُكَ وهـــي عِلـــ ـــقٌ لا يُعـــوَّضُ بـــالنظير
وهواتـــفٌ كـــرُّ السنيـــ ـــن يُجـــدُّ منهـــا والشُّـــهور
لعجبـــتُ مـــن هـــذا التشـــا كُـــل في حياتـــكَ والمصـــير
مـــا كـــانَ أشـــبهَ نعشَـــكَ البـــ ـــالي بمُنْجَـــردِ السريـــر
وحفـــيرَكَ الـــداجي بخُـــصٍّ عشـــتَ فيـــهِ كالأســـير
وفُضـــالةَ الكفـــنِ الأسيـــ ـــفِ بـــذلكَ الثـــوبِ الحسـير
والوحشـــةَ الطَخْيـــاءَ مثـــلَ كآبـــةِ القلـــبِ الكســـير

«معـــروفُ» نـــمْ فـــوقَ الـــتُّرابِ فلســـتَ مـــن أهـــل الحريـــر
وتمـــلَّ مـــن «دُودٍ» أعـــزَّ عليـــكَ مـــن لُكَـــع شَريـــر
مـــن نـــاصرٍ لـــكَ في الـــعشيِّ وعـــاقرٍ لـــكَ في البُكـــور
ومُعـــيِّرٍ لـــكَ أنَّ جـــدَّكَ لم يَمُـــضَّ دمَ الفقـــير
لم يُـــرضِ بـــالملقِ الـــوُلاةَ ولا تزَّلـــفَ للأمـــير
لم يُعطِـــكَ السُـــحتَ المحـــرَّمَ إرثَ مـــتروف الضـــمير

فوُصمتَ بالفقرِ الطهور … وراحَ يَفْخَرُ بَالفُجور
ومساوم لكَ أن رآكَ … حُرِمتَ من شَرْوى نَقِير
يبغي ضميركَ ساترًا … لضميرهِ العَفِنِ الحقير
كالجيفةِ النتناءِ يُبـ … ـغَى عندَها أرَجُ البَخُور

«معروفُ» نمْ فوقَ الترا … ب مضمَّخا بشذا العُطور
بالمحسناتِ الصُّنع لم … تطلُبْ بها أجرَ الشَّكور
والعابقاتِ كأنها … مُتَفَتِّحُ الزَّهَرِ النَّضير
والصاخباتِ كأنها … موجٌ يزمجرُ بالهدير
وإذا سألتَ عن «العراق» … فقدْ وَقَعْتَ على الخبير
الجورُ يَخْطَفُ أَهْلَهُ … خَطْفَ الأجادِلِ للطيور
والسوطُ يأكُلُ منهُمُ … أكْلَ الذِّئابِ من الجزور
والوعيُ يدفعُ بالوُعاةِ … من السجون إلى القبور
والذُّليُّ يعصِفُ في مشا … رِفِهِ، ويطفحُ في الثغور
زَّلتْ متونُ لمدَّعينَ … بهِ عن الحِملِ العسير
وترَّنحتْ زُمَرُ الشبابِ … بِ بقاصماتٍ للظهور
وتراكضتْ فيه تجولُ … كما اشتهتْ خيلُ المُغير

«معروفُ» كنتَ تَعُبُّ من … ضَنكٍ وفكرٍ في غدير
أنا منهما أسقي وأشربُ … بالصغير وبالكبير
ما كانَ أشبهَنا وما … أدنى مصيرَك من مصيري
إنَّا كلانا نازلانِ … من القضاء على حفير

تنويمة الجياع

نـامي جيـاعَ الشَّـعْبِ نـامى
حَرَسَـتْكِ آلِهـةُ الطَّعـام

نـامي فـإنْ لم تشـبَعِي
مِـنْ يَقْظـةٍ فمِـنَ المنـام

نـامي عـلى زُبَـدِ الوعـود
يُـدَافُ في عَسَـل الكـلام

نـامي تَـزُرْكِ عـرائسُ الأحـلام
في جُـنْح الظـلام

تَتَنَـوَّري قُـرْصَ الرغيـفِ
كَـدَوْرةِ البـدرِ التـمام

وَتَـرَيْ زرائِبَـكِ الفِسـاحَ
مُبَلَّطَـاتٍ بالرُّخَـام

نـامي تَصِـحّي! نِعْـمَ نَـوْمُ
المـرءِ في الكُـرَبِ الجِسَـام

نـامي عـلى حُمَـةِ القَنـا
نـامي عـلى حَـدِّ الحُسَـام

نـامي إلى يَـوْم النشـورِ
ويـومَ يُـؤْذَنُ بالقِيَـام

نـامي عـلى المسـتنقعاتِ
تَمُـوجُ بـاللُّجَج الطَّـوامِي

زَخَّـارةً بشـذا الأقـاح
يَمـدُّهُ نَفْـحُ الخُـزَام

نـامي عـلى نَغَـم البَعُـوضِ
كأنَّـهُ سَـجْعُ الحَـمَام

نـامي عـلى هـذي الطبيعـةِ
لم تُحَـلَّ بـه «ميـامي»

نـامي فقـد أضـفى «العَـرَاءُ»
عليـكِ أثـوابَ الغـرام

نـامي عـلى حُلُـم الحواصـدِ
عاريـاتٍ للحِـزَام

متراقِصَـاتٍ والسِّـيَاط
تُجِـدُّ عَزْفَـاً بأرْتِـزَام

وتغـازلي والنَّـاعِمَات الزاحفـاتِ
مـن الهـوام

نـامي عـلى مَهْـدِ الأذى
وتوسَّـدِي خَـدَّ الرَّغَـام

واسـتفرِشي صُـمَّ الحَصَى
وَتَلَحَّفـي ظُلَـلَ الغَـمَام

نامي فقد أنهى «مُجيعُ الشَّعْبِ» أيَّامَ الصِّيَام
نامي فقد غنَّى «إلهُ الحَرْبِ» ألحانَ السَّلام

نامي جِياعَ الشَّعْبِ نامي الفَجْرُ آذَنَ بانْصِرام
والشمسُ لنْ تُؤذيكِ بَعْدُ بما تَوَهَّج من ضِرَام
والنورُ لَنْ «يُعْمِي» جُفوناً قد جُبِلْنَ على الظلام
نامي كعهدِكِ بالكَرَى وبلُطْفِهِ من عَهْدِ «حَام»
نامي.. غَدٌ يسقيكِ من عَسَلٍ وخَمْرٍ ألْفَ جَام
أجرَ الذليلِ وبردَ أفئدةٍ إلى العليا ظَوَامِي
نامي وسيري في منامِكِ ما استطعتِ إلى الأمام
نامي على تلك العِظَاتِ الغُرِّ من ذاك الإمام
يُوصِيكِ أن لا تطعمي من مالِ رَبِّكِ في حُطَام
يُوصِيكِ أنْ تَدَعي المباهِجَ واللذائذَ لِلئام
وتُعَوِّضِي عن كلِّ ذلكَ بالسجودِ وبالقيام
نامي على الخُطَبِ الطِّوَالِ من الغطارفةِ العِظَام
نامي يُسَاقَطْ رِزْقُكِ الموعودُ فوقَكِ بانتظام
نامي على تلكَ المباهج لم تَدَعْ سَهْماً لِرَامِي
لم تُبْقِ من «نُقلٍ» يسرُّكِ لم تَجِئْهُ.. ومن إدَام
بَنَتِ البيوتَ وَفَجَّرَتْ جُرْدَ الصحارى والموامي
نامي تَطُفْ حُورُ الجِنَانِ عليكِ منها بالمُدَام
نامي على البَرَصِ المُبَيَّضِ من سوادِكِ والجُذَام

نـــامي فكَــفُّ الله تغســـلُ عنـــكِ أدرانَ السَّـــقَام
نـــامي فحِـــرْزُ المـــؤمنينَ يَـــذُبُّ عنـــكِ عـــلى الـــدَّوَام
نـــامي فـــما الـــدُّنيا ســـوى «جسرٍ» عـــلى نكَـــدٍ مُقَـــام

نـــــامي ولا تتجـــــادلي القـــولُ مـــا قالـــتْ «حَـــذَام»
نـــامي عـــلى المجـــدِ القـــديم وفـــوقَ كـــوم مـــن عِظَـــام
تيهـــي بأشـــباهِ العصـــامِيّينَ! منـــكِ عـــلى «عِصَـــام»
الـــرافعينَ الهَـــامَ مـــن جُثَـــثٍ فَرَشْـــتِ لهُـــمْ وهَـــام
والـــواحمينَ ومـــن دمائِـــكِ يرتـــوي شَرَهُ الوِحَـــام
نـــامي فنومُـــكِ خَـــيْرُ مـــا حَمَـــلَ المُـــؤَرِّخُ مـــن وِسَـــام

نـــامي جيـــاعَ الشـــعبِ نـــامي بُرِّئْـــتِ مـــن عَيْـــبٍ وذَام
نـــامي فـــإنَّ الوحـــدةَ العصـــماءَ تطلُـــبُ أنْ تنـــــامي
نـــامي جِيَـــاعَ الشَّـــعْبِ نـــامي النـــومُ مـــن نعـــم الســـلام
تتوحَّـــدُ الأحـــزابُ فيـــه ويُتَّقَـــى مِـــن خَطَـــرُ الصِـــدام
تَهْـــدَا الجمـــوعُ بـــهِ وتَســـتغني الصُّـــفوفُ عَـــنِ انقســـام
إنَّ الحماقـــةَ أنْ تَشُـــقِّي بـــالنُهوضِ عصـــا الوئـــام
والطَّـــيْشُ أن لا تَلْجَئِـــي مِـــن حاكِمِيـــكِ إلى احتكـــام
الـــنفسُ كـــالفَرَسِ الجَمُـــوح وعَقْلُهـــا مثـــلُ اللجـــام
نـــامي فـــإنَّ صـــلاحَ أمـــرٍ فاســـدٍ في أن تنـــامي

والعُـرْوَةُ الـوثقى إذا اسـتيقَظتِ … تُــــؤذِنُ بانفصـــــام
نـــامي وإلا فالصُّـــــفوفُ … تـــؤُول منـــكِ إلى انْقِســـام
نـــامي فنومُـــكِ فِتْنَـــةٌ … إيقاظُهــــا شرُّ الأثـــــام
هـــل غـــيرُ أنْ تتيَقَّظِـــي … فتُعَــاوِدِي كَــرَّ الخِصـــام

نـــامي جيـاعَ الشـعبِ نـامي … لا تقطعـــي رِزْقَ الأنـــامِ
لا تقطعـــي رزقَ المُتَـــاجِرِ … والمُهَنْـــدِسِ.. والمُحَـــامِي
نـــامي تُرِيحِـــي الحـــاكمينَ … مـــن اشـــتباكٍ والتحَـــامِ
نـــامي تُـــوَقَّ بـــكِ الصَّـــحَافَةُ … مـــن شُـــكُوكٍ واتِّهَـــامِ
يَحْمَـــدْ لـــكِ القـــانونُ صُـــنْعَ … مُطَـــاوِعٍ سَـــلِسِ الخُطَـــامِ
خَـــلِّ «الهُـــمَامَ!» بفضـــل بنومِـــكِ … يَتَّقِـــي شَرَّ الهُـــمَامِ
وتَجَنَّبِـــي الشُّـــبُهَاتِ في … وَعْـــي سَيُوصَـــمُ بـــاجْتِرَامِ

نـــامي فجِلْـــدُكِ لا يُطِيـــق … إذا صَـــحَا وَقْـــعَ السِّـــهَامِ
نـــامي وخَـــلِّي الناهضـــينَ … لوحْـــدِهِمْ هَـــدَفَ الرَّوَامِـــي
نـــامي وخَـــلِّي اللائمـــينَ … فـــما يُضِـــيرُكِ أن تُلامِـــي
نـــامي فجـــدرانُ السُّـــجُونِ … تَعِـــجُّ بـــالموتِ الـــزُّؤَامِ
ولأنـــتِ أحـــوجُ بعـــدَ أتعـــابِ … الرُّضُـــوخِ إلى جَمَـــامِ
نـــامي يُـــرَحْ بمنامِـــكِ … «الـــزُّعَمَاءُ» مـــن داءِ عُقَـــامِ
نـــامي فحقُّـــكِ لـــن يَضِـــيعَ … ولســـتِ غُفْـــلاً كالسَّـــوَامِ

إن «الرُّعـــاةَ!» الســـاهرينَ ســـــيمنعونَكِ أنْ تُضَـــامِي

نـــامي عـــلى جَـــوْرٍ كـــما حُمِـــلَ الرَّضِـــيعُ عـــلى الفِطَـــام
وَقَعـــي عـــلى البلـــوى كـــما وَقْـــعَ الحُســـامُ عـــلى الحُســـام
نـــامي عـــلى جَـــيْشٍ مِـــنَ الآلام محتشـــدٍ لُهـــام
أعطـــي القيـــادةَ للقضـــاءِ وحَكِّمِيـــــهِ في الزِّمَـــــام
واستسلمي للحادثـاتِ المشفقاتِ عـــــلى النِّيَـــــام
إنَّ التـيقظَ - لـو علمـتِ- طليعـــةُ المـــوتِ الـــزؤام
والـــوَعْيُ سَـــيْفٌ يُبْـــتَلَى يـــومَ التَّقَـــارُع بانْـــثِلام

نـامي شَـذَاةَ الطُّهْـرِ نـامي يـــا دُرَّةً بـــينَ الرُّكَـــام
يـــا نبتـــةَ البلـــوى ويـــا ورداً ترعـــرعَ في أهتضـــام
يـــا حُـــرَّةً لم تَـــذْرِ مـــا معنـــى أضـــطغانٍ وانتقـــام
يـــا شُـــعْلَةَ النُّـــورِ التـــي تُـــغْشِي العُيُـــونَ بـــلا اضـــطرام!
سُـــبحانَ رَبِّـــكِ صُـــورةً تزهـــو عـــلى الصُّـــوَرِ الوِسَـــام
إذْ تَخْتَفِـــينَ بـــلا اهـــتمام أو تُسْـــفِرينَ بـــلا لِثَـــام
إذْ تَحْمِلِـــينَ الشرَّ صـــابرةً مِـــنَ الهُـــوج الطَّغـــام
بُوركْـــتِ مـــن «شَـــفْع» فـــإنْ نـــزلَ الـــبلاءُ فمـــن «تُـــؤَام»
كـــم تصـــمُدِينَ عـــلى العِتَـــابِ وتَسْـــخَرينَ مـــن المـــلام
سُـــبحانَ ربِّـــكِ صـــورةً هـــي والخطـــوبُ عـــلى انســـجام

نـــامي جيـــاعَ الشـــعبِ نـــامي ... النــــــومُ أَرْعَـــــى للـــــذِّمَام
والنـــــومُ أَدْعَـــــى للنُـــــزُولِ ... عـــــلى السَّـــــكِينَةِ والنِّظَـــــام
نـــامي فإنَّـــكِ في الشَّـــدائِدِ ... تَخَلُصِـــــينَ مـــــن الزِّحَـــــام
نـــامي جيـــاعَ الشَّـــعْبِ لا تُعْنَـــيْ ... بِسَـــــقْطٍ مـــــن كلامـــــي
نـــامي فـــما كـــانَ القَصِـــيدُ ... ســـــوى خُرَيْـــــزٍ في نظـــــام
نـــامي فقـــد حُـــبَّ العَـــماءُ ... عَـــنِ المســـاوئ والتَّعَـــامِي
نـــامي فبـئسَ مَطَـــامِعُ الـــواعِينَ ... مــــن سَـــــيْفٍ كَهَـــــام
نـــامي إليـــكِ تحيّتِـــي وعليـــكِ ... نائمـــــــــةً ســـــــــلامي

نـــامي جيـــاعَ الشَّـــعْبِ نـــامي
حَرَسَـــتْكِ آلهـــةُ الطعـــام

***

قفص العظام

تعـــالى المجـــدُ يـــا قفـــصَ العظـــام ... وبـــوركَ في رحيلـــك والمُقـــام
وبـــورك ذلـــك العُـــشُّ المضـــوي ... بوحشـــتهَ..وبالغُصـــص الـــدوامي
وصـــابتك التحايـــا عـــاطرات ... بـــما لم يحتمـــل صـــوبُ الغـــمام
تعـــالي المجـــدُ لا مـــالٌ فُيخـــزي ... ولا مُلـــكٌ يُحلَّـــل بـــالحرام
ولا نشـــبٌ تُهـــانُ الـــروح فيـــه ... فَتَخْضَـــعَ للطُغـــاة وللطَغـــام
ولكـــن مهجـــةٌ عَظُمَـــتْ فجلّـــت ... وجَـــلَّ بهـــا المـــرومُ عـــن المَـــرام
تعـــالي المجـــدُ يـــا أم الرزايـــا ... تمَخَّـــضُ عـــن جبـــابرة ضِـــخام

تملي القبرُ منها أيّ عطر ... ووجهُ الأرض أيّ فتيَ هُمام
وُهبتِ الثروةَ الكبرى دماءٌ ... وروحاً وارتكنتِ إلى حُطام
ونوّرْت الدروبَ لساكنيها ... وعُدْت من « السواد » إلى ظلام
وأبْتِ كما يؤوبُ النَّسرُ هيضَتْ ... قوادمُهُ بعاصفةٍ غُرام
فدتكِ الأمهات مكرَّشات ... تثَاقلُ بالفضولِ من الطَّعام
تبلَّد كالربيظةِ في رخاءٍ ... وتثغو في التثاؤب كالسَّوام
حَجَجْتُ إليكِ والدنيا تلاقي ... عليك بكل قاصمةٍ عُقام
وفي صدري تجولُ مسوَّمات ... من البلوي عَصَيْن علي اللّجام
وأماتُ المطامح في ضلوعي ... حواشدُ يضطربن من الزَّحام
وطارتْ بي علي الخمسين ذكرى ... أقلّتْني إلى عهد الفطام

وحُطَّت بين تلك وبين هذي ... حُمُول من دموع وابتسام
ورحتُ أُعيدُ أعداداً رِطاباً ... وأحطاباً إلى « عُشِّ الحمام»
فما هي غير أن لاحت لعيني ... مخايلُ من ملامحِك الوسام
وروعةُ صورة بإطار مجدٍ ... يجللها من الكرَبِ الجِسام
ورفتْ في نَديفٍ مّنْ مشَيب ... ذوائبُ لم ترفُّ علي أثام
وضوّت من جينك لي غضون ... بها يَغْنَي الزمانُ عن الكلام
وطُفْتِ بخاطري حتى تمشّي ... حنانُكِ مثلَ بُرْءٍ في سقام
فكنتِ الدهرَ أنت وكان لمحٌ ... لشخصِك يرتمي كل الأنام
وكنتِ السمع مني لا ورائي ... سواك صديً يرِنُّ ولا أمامي

فيـا شـمسي إذا غابـت حيـاتي نشـدتُك ضـارعاً ألا تُغـامي
ويـا « متعوبـة » قلبـا وروحـا أخـافُ عليـك عاقبـةَ الجِـمام
ويـا مكفوفـةً عـن كـل ضرٍّ نشـدتُكِ أن تكُفْـي عـن ملامـي
فلـيس يُطيـقُ سـهماً مثـل هـذا فـؤادي وهـو مُرْتَكـزُ السِّـهام
لقـد كنـتِ الحسـامِ عـلي ظـروف حُمْلـتُ بهـا عـلى حـدِّ الحسـام
وقـد كنـتُ الحـرون عـلي هجـين يحـاول أن يُسَـيِّرَ مـن زمـامي
ولـيس رضـيعُ ثـديكِ بالمجـاري ولـيس ربيـبُ حِجْـرِكِ بالمضـام
تعـالي المجـد يـا قفـصَ العظـام وبـورِكَ في رحيلـك والمقـام

***

مقالة كبُرت

ماانفـك يـا مصر والإذلالُ تعويـدُ يسـومُكِ الخسـفَ كـافورٌ وإخشـيدُ
مقالـةٌ كـبرت الحـبّ شـافِعُها حبُّ المسودين لـو شـاؤوا لما سيدوا

***

الثائر ولله الغد لله

يقول شوقي:

«لم يكـن لي غـد» هـل قالهـا وهـو لـه فـاهمُ
«فلم يكـن» يفيـد معني مضى و«لي غـد» مسـتقبل قـادم

فكتب تحتها الأستاذ الجواهري :

يبكـي عـلي أمـس لـه أخطـل لم يسـتثره غـدُه القـادمُ

إنَّ غـــداً يعرفـــه ثـــائرٌ لا المســتكينُ الســادرُ النــاعم

***

في مؤتمر المحامين ..

ســلامٌ عــلى حاقــدٍ ثــائرٍ عــلى لاحِــب مــن دم ســائرِ
يَخُــبُّ ويعلــمُ أن الطريــــق لابُــدَّ مُفــضٍ إلى آخــرِ
كـــأنَّ بقايـــا دم السابقيـــن مــاضٍ يُمهِّــدُّ للحــاضرِ
كـــأنَّ رمـــيمَهُمُ أنجـــمٌ تُســدِّدُ مِــن زلــلِ العــائر
ولــيسَ عــلى خاشــعٍ خــانعٍ مُقــيمٍ عــلى ذُلِّــهِ صــابر
عفــا الصــبرُ مِــن طلــلٍ داثــرٍ ومــن مَتْجــرٍ كاســدٍ بــائر
يغُــلَّ يــدَ الشــعبِ عــن أن تُمَدَّ لــكسرِ يــدِ الحــاكمِ الجــائر
ويــأمُرُه أن يُقِــرَّ النــزولَ عــلى إمــرةِ الفاســقِ الفــاجر

ســلامٌ عــلى جــاعلينَ الحتــوفَ جسرًا إلى الموكــبِ العــابر
عــلى نــاكرينَ كــرامَ النفــوسِ يــذوبونَ في المجمــعِ الصــاهر
ســلامٌ عــلى طِّيــات النــذورِ ســلامٌ عــلى الواهــبِ النــاذر
ولــيس عــلى واهبــينَ العــراء ضــحاياهمُ خَشــيةَ النَــاحر
ســلامٌ عــلى غاصــبٍ مــا يُريــدُ مــن فــمِ مُســتذئبٍ كــاسر
ولــيس عــلى رابــطٍ حقَّــه بخــيطٍ مــن الأمــلِ الســادر
بليــدٍ يَظَــنُّ خــلاصَ الشــعوبِ يُبتــاعُ بــالثمنِ الخــاسر

سلامٌ على غَمراتِ النضال ... سلامٌ على سابحٍ ماهر

عَنود يُصارعُ لُجَّ الخُطوبِ ... وضخَّابَ أذِيِّها الزاخر

يَصُدُّ ـ وقد زَحَمَتْهُ الحتوف ـ ... وشقَّ الرئيُّ على الناظر

بعين إلى الحجِ تَطَّمي ... وعين إلى الشاطئ الآخَرَ

تبسَّمَ الهوَّةَ المُجتواه ... تكشَّفُ عنْ فَمها الفاغر

لأنَّ السماءَ رمتْ نحوَهُ ... صدى سابح خلفَه ماخِرِ

سلامٌ على حُسنِ ذاكَ المصيرِ ... سلامٌ على البطلِ الصائر

سلام علي خالع من غد ... فخارا علي أمسه الدابر

وليس على عائش كالغراب ... على جيف الساحق الغابر

سلام علي نبعة الصامدين ... تعاصت علي معول الكاسر

تهب لتخضد منها الرياح ... فترتد عن خاضد قاهر

وليس علي غصن ناعم ... رشيق يميل مع الهاصر

سلام علي مدقع غامر ... خصيب بإيمانه عامر

وليس على مدع كاذب ... وسادته – زغب الطائر

يروح ينفج من حضنه ... بدعوى من الكلم النافر

ويكشف عن محرب «حارد» ... ويطوي على خائف خائر

أفي الغنم أشجع من قسور ... وفي الغرم أجبن من صافر

سلام على مثقل بالحديد ... ويشمخ كالقائد الظافر

كــأن القيــود عــلى معصـميه مفــاتيح مســتقبل زاهــر
أقــول لملقــي بتلــك الجبــاب هــزوء بأهوالهــا ســاخر
تبــوأ مــن ســجنه غابــة تــدور عــلى أســد خــادر
مقــيم عــلي العهــد كالديــدبان تعاليــت مــن حــارس ســاهر
تعاليــت مــن محنــق لا يطيــق بيانــاً ســوى النظــر الخــازر
تعاليــت مــن عــاجز قــادر وبوركــت مــن دارع حــاسر
تعاليــت مــن قــدوة تتــدي ومــن مثــل مــنجح ســائر

سـمير الأذي والظـلام الرهيـب خــلا الحــي بعــدك مــن ســامر
ويــا جــذوة الفكــر إن العــراق حــريص عــلى مــؤمن فــاكر
ويا لامعاً حيث سـود الخطـوب تطــيح بــأي ســني بــاهر
تنزهــت عــن صــدأ الطارئـات لأنــك مــن معــدن نــادر
ســلمت فأنــت منــاط الرجــاء لشــعبك في غــده البــاكر
وأنــت الإمــام لتلــك الصــفوف في زحفهــا الحاشــد الظــافر
تــذوب مــن جسـمك الضـامر فتضــفي عــلى عرضــها الــوافر
وتعلي حسـاب الضـحايا الكثـار لترفــع مــن مجــدها الكــاثر
وأنـت المـؤدي عـن الأرشـدين ديــات المــقصر والقــاصر

ســلمت فإنــك في نــاظري فــإن غبــت ففــي خــاطري
ســلمت فــإن غصــون الســنين عــلى وجهــك الشــاحب الغــابر
ســطور مــن المجــد لا تنمحــي وعشــت وعاشــت يــد الســاطر

وإن الغبـار.. غبـار النضـال ... بمفرقــك الألــق العـافر

سنا « الغار » يضفر للصامدين ... وعـاش صمـودك مـن ضـافر

سلمت فما كان هون الجسوم ... عـلى شرف الـروح بالضـائر

ولا كان بـري الحديد اللحوم ... عـلي الحـر بالمأكـل الخـاشر

سـلمت فـلا يـد مطمـورة ... حوتـك.. تـدور عـلى الطـامر

سـلام عـلي مصر في أمسـها ... منـاراً لـدى الغيهـب العـاكر

تمـد الحضـارة في جزرهـا ... وتـدفع مـن موجهـا الحـاسر

سـلام عـلي يومهـا المجـتلي ... مـن التضـحيات بـه.. البـاهر

سـلام غـدها المرتجـي ... عـلى بـاطن منـه أو ظـاهر

سـلام عـلي المهج الطـاهرات ... تسـيل عـلي الـوطن الطـاهر

سـلام عـلي مهـدرات الـدماء ... غِضـاباً كشقشـقة الهـادر

ويـا وفـد مصر السـلام ... سـلام المـواطن لا الزائـر

تمـرون منـا بـذكراكم ... مـرور الحبيـب عـلى الخـاطر

ونـدفع عـنكم ثقال الخطـوب ... دفـاع الجفـون عـن النـاظر

ونـنصركم بنيـاط القلـوب ... وحسـبكم ذاك مـن نـاصر

دمـاً بـدم نحضـن الآصرات ... وبـورك بالحاضـن الآصر

ومنـا ومـنكم لفـك الإسـار ... سـباق لقطـع يـد الآسر

سـلو الرافـدين فكـم أجريـا ... إلى النيـل فـيض الـدم المـائر

وكـم رد نحوهمـا طميـه ... يـد المسـتمن بهـا الشـاكر

وكـم نحـن سرنـا عـلى هـديكم ... هـدى الركـب بالكوكـب السـائر

ثقــوا بالنجــاح لمستضــعفين ... تجمعهـــم تــرة الـــواتر

ويــا رسـل الحــق مـن أهلنــا ... ســـلام لجمعكـــم الزاهـــر
ومنــي إلــيكم تحايــا الجمــوع ... عـــلى فـــم شـــاعرها الشـــاعر
تــرف كــنفخ الشــذا العــاطر ... وتهمــي كصــوب الحيــا المــاطر
أبـــثكم لا أحـــب الحــماس ... ولا أنـــا للـــنقص بالنـــاكر
ولســت بملــق غبــار النكــوص ... عـــلى المرهبـــات.. ولا العـــاذر
ومــا زلــت أعــرف أن الأديــب ... طبيـــب.. أخـــو مبضـــع ســـابر
يقــوم – لينهض مـن جيلــه – ... بـــدور المـــبشر والزاجـــر
وينكـــأ مـــن قرحـــه مـــثلما ... يضـــمد جرحـــه النـــاغر
بلينـــا.. وأنـــتم.. بمســـتعمر ... أكـــول شروب لنـــا غـــادر
يهـــون عـــلي نابـــه لحمنـــا ... هـــوان الجـــزور عـــلي الجـــازر
وزدنـــا علـــيكم بـــأن القضـــاء ... رمانـــا بمنحـــدر حـــادر
وأنـــا الطريـــق إلى مشرق ... مـن الشـمس عنـد الـدجى الـداجر
وأنـــا خصصـنا مـــن الخـــائنين ... بالعـــدد الأرذل الـــوافر
أبـــثكم لا أحـــب الشـــكاة ... ولكنهـــا همســـة الحـــائر
تــريكم يــد الغاصــب المختفــي ... وراء يـــد الخـــائن الســـافر
مضي أمــس يســحب مـن خلفـه ... شـــباباً كزهـــر الرُبـــى العـــاطر
على الجسر يمحون عـن شعبهم ... وتاريخـــه.. فجـــرة الفـــاجر
هـــم الجمـــرات دمـــاً فـــائراً ... يســـعر فـــيض الـــدم الفـــاتر
إلي الآن تلـبس هـذي الجمـوع ... مـــن فضـــلهم حلـــة الشـــاكر

ولمـا أمـالوا خيـام العتـاة | بعـات مـن العاصـف العـاصر
وكـادت تطـيح بأوتادهـا | إلى « حيـث » و« الأبـد الـداهر »
تنصـل مـن نحـرهم غاصـب | وأومـا إلى « عبـده » النـاحر
فطـاح بهـم كـورود الربيـع | تهـاوت بريعانهـا النـاظر
وفـروا خِفافـاً فـرار الأبيـق | يحـنُّ إلى ربقـة الآسر

ومـدت يـد مـن وراء الحجـاب | لثـان يسـاوم كالتـاجر
فكـان سـتاراً عـلي سـوءةٍ | تبـدت بهـا سـوءة السـاتر
وردت « هلبـوك » إلى بغيهـا | وعـادت إلى أمسـها الـداعر
وخفـت « لكـاع » إلى الـراجين | تبحـث عـن راحـم غـافر
ورفـت عـلى « الطهـر » راياتهـا | رفيـف الشراع عـلى داسر
تنصـب مـن صـدرها الفـاجر | كـأن لم يعـد ثـم مـن ذاكـر
كـأن لم يعـد ثـم مـن حـافظ | لسـود صـحائفها نـاشر
خسـئت.. فحسـبك مـن مخـبر | يحـدث عنـك ومـن خـابر
فإن يـذهب المسـتكين الضـعيف | يجـيء ألـف محـترب قـادر
وإن يطمس البغـي تلـك القبـور | ترشـد إليهـا يـد القـابر
ومثلـك لـف نضـال الشـعوب | ألوفـا ببركانـه الثـائر
وأشرف منـك لتنورهـا | رمتهـا سـجورا يـد السـاجر

عتـاب وإن لاح صـفو العتـاب | لـدي الـبعض كـالنغم النـافر
عتـاب ولـيس عـلى خـائن | بـآلاء موطنـه كـافر

وليس علي الشعب يعطي الدماء ... يـــــإيماءة القائـــــد الآمـــــر
ولكـــن عـــلي نفـــر « أوســـط » ... تجمـــــد كــــاللبن الخـــاثر
قعيـــد ويكـــره ســـعي الجمـــوع ... إلى الخـــير كــــالمرأة العــــاقر
فـــلا هـــو للشـــعب في كلـــه ... ولا هــــو للجانـــب الآخـــر
ولكـــن كـــما شـــغلت نفســـها ... بنحيـــين أخـــت بنـــي عـــامر
فكـــف تهـــده غـــيظ الجمـــوع ... وكـــف عـــلى منصـــب شـــاغر
ضـــعاف يـــراودهم مكـــرهم ... فيخشـــون مـــن ثعلـــب مـــاكر
كما يفحص «الـورق» اللاعبون ... يخــــافون مـــن لاعـــب قـــامر
وإلا فـــما خـــوف مســـتوثق ... عفيـــــف بأطماحــــه طـــــاهر
إلي المجـد.. بـئس المتاع الـدلاء ... تـــــدلي بمســـــتنقع غــــائر
وبـئس الحيـاة لمـلء البطـون ... تمـــد إليهـــا يـــدا صـــاغر

أقـــول: وقـــد لاح غـــول الـــبلاء ... يفـــرج عـــن شـــدقة الكـــاشر
وخفت « للبندن » تلك اللصوص ... تلـــبس ثـــوب الـــدجي العـــاكر
تحـــوك بـــرغم أنـــوف الـــبلاد ... نســـيج الهـــلاك لهـــا الـــدامر
وراحـــــت تســـــيل بألعابهــــا ... لعـــاب الأفـــاعي يـــد الســـاحر
وذرت قـــــرون لمســـــتعبد ... بنعــــرة ســــيده نــــاعر
إلي كـــم تـــداري شـــيوخ العـــراق ... وأقطــــاب محـــوره الـــدائر
عجـــولاً تـــربي لمســـتعمر ... ويلعـــن في عجـــل « الســـامري »

***

الدم الغالي

خــلي الــدم الغــالي يســيل إن المســـيل هـــو القتيـــل
هـــذا الــدم المطلــول يختصر الطريـــق بـــه الطويـــل
هـــذا الــدم المطلـــول إن عـــز الكفيـــل هـــو الكفيـــل
أن يســـترد بـــه الأســـير وأن يعـــز بـــه الـــذليل

مُـــدى بهامـــك فالجهـــاد لديـــه مـــن هـــام تلـــولُ
مـــتراكمات لا تبـــالي الـــدهر يـــقصر أو يطـــول
يحلـــو التفيـــؤ - في ذراهـــا للمناضـــل - والمقيـــل
كـــم لوحـــت للســـالكين وكـــم نهـــتم أن يميلـــوا
الخالـــدات الشـــامخات وكـــل شـــامخة فصـــول
والحـــاكمات العـــادلات وكـــل حاكمـــة تـــدول
مـــن ههنـــا « فجـــر » يطـــل ومـــن هنـــا « ليـــل » يـــزول
وكـــان مخضـــبة الـــدماء فويقهـــا « الشـــفق » الظليـــل

مـــدي بهامـــك إنهـــا منكوســـة.. حمـــل ثقيـــل
يلهـــو بهـــا المتحكمـــون ويســـتبد بهـــا الـــدخيل
مـــدي بهـــا « جسرا » يمهـــد للرعيـــل بـــه الرعيـــل
مـــدي بهامـــك كالقـــداح يجيـــل نثرتهـــا المجيـــل
وتقـــامري وللمـــوت إن خلاصـــك الـــربح الجزيـــل
خــلي الــدم الغــالي يســيل ضـــوءاً يُنـــارُ بـــه الســـبيل

عـــذراً يقـــوم عـــلى الطغـــاة ... الســـــافحين.. بـــه الـــدليل

هـــــذا الـــــدم الرقـــراق ... ركــــاض لغايتـــــه عجـــول

متحـــــدر كالســـهم صـــلباً ... لا يزيــــــغ ولا يميــــــل

يصـــل المناضــــل بالمناضـــل ... حــــين يعييـــه الوصـــول

غـــرر الكفـــاح إليـــه تعـــزى ... حــــين تنســـب والحجـــول

خـــلي الـــدم الغـــالي يســـيل ... فلطالمــــا جـــف المســـيل

ولطالمــــا ذوت الكرامـــــة ... مــــثلما تـــذوي الحقـــول

هـــذا الســحاب الجــون يستســقي ... بـــــه البلـــــد المحيـــل

خـــلي الـــدم الغـــالي يســـيل ... كـــما يســـيل السلســـبيل

عـــذباً.. وإن غـــص الـــدعي ... بـــــه وإن شرق الـــــدخيل

هـــذا الـــدم الرقـــراق نهـــاض ... بـــما يعيـــي حمـــول

يـــذكرني بجمرتـــه العـــزائم ... إذ يبلـــــدها الخمـــــول

خـــلي الـــدم الغـــالي يســـيل ... فـــالبغي مرتعـــه وبيـــل

هـــذا الـــدم الغـــالي ... حييـــي في تواضـــعه خجـــول

كالـــدود يزحـــف في الـــتراب ... وعنـــده المجـــد الأثيـــل

هـــذا الـــدم الغـــالي غـــريم ... للمحـــب لــــه عـــذول

يلقـــي الضـــنين المســـتعز ... بـــه ويعشـــق مـــن يـــذيل

هـــذا الـــدم المطلـــول ... حـــل حـــين تعتـــاص الحلـــول

قـــل للشـــباب بـــمصر والـــدنيا ... لمـــن يصـــبغي تقـــول

هـذا أوان الجولة الكبرى ... تبارك من يجول

هل غير أن يفني لتسعد ... بعده الأجيال جيل

دفع الدماء عن المواطن ... حرة ثمن قليل

ولدي البطون الطاهرات ... عن الذي يمضي بديل

إن لم تصولوا للذياد ... عن الحياض فمن يصول

خوضوا دم المستعمرين ... فطالما خيضت وحول

وتصيدوهم مثلما ... صيدت لمحترش وعول

لكم الديار ومجدها ... وفخارها الضخم الأثيل

والنيل يشخب بالنعيم ... كأنه الضرع الحفيل

والشاطئان المرعيان ... وريف مرجها الخضيل

والفارعات تزينت ... ورقاً كما ضفر الجديل

لكم المروج وعطرها ... ونسيمها العبق العليل

وتذبذبون على الهوامش ... مثلما عاش النزيل

تتفيأون ذري الغريب ... كأنكم نشء فسيل

سل هيكل التاريخ كم ... داست محاربه خيول

كم موكب للبغي جال ... به وكم سحبت ذيول

كم فصدت فيه العروق دماً ... ولم يشف الغليل

سل هيكل التاريخ تنبئك ... الشهود به العدول

المهدرات من الدماء ... كما تهادرت الفحول

والعافيات من الضحايا ... مثلما عفت الطلول

سل هيكل التاريخ كم غال المواكب فيه غول
وهل انتهتْ - إلا بما تنهي الشعوب - به الفصول

***

ذكرى

ذكري تصيح على المدى آثارها وتشب جذوتها.. وتذكو نارها
ويضاء من شرر الفتية ليلها حقداً.. ويشرق بالدماء نهارها
وتجل عن فيض الدموع مخافة من أن يشاب بمائهن أوارها
ذكري سيعلق بالأثيم غبارها ويرف فوق ثرى الشهيد عمارها
ستظل تصرخ هذه آثاره أما الجناة فخزيها آثارها
ذكري ستعبق من شفاه رواتها أبد الأبيد ندية أخبارها
سيروح مضفورا لكل مناضل من زهر أضرحة الضحايا غارها
ستطوف كأساً يستلذ سقاته مما يفوح وينتشي سمارها

***

أنا الفداء

غذيت بشتمك سيد الشعراء ديدان أوبئة بغير غذاء
علقت زواحفها بمجدك مثلما طمع العليق بدوحة علياء
وتهضم الأرجاس ذكرك مثلما ضيم الأريج بجيفة نتناء
من عالم «الجبروت» نزل عنصر كان الغريب بعالم «الجبناء»
كان الغريب بعالم متمخض عن خائن ومخرب ومرائي

وأنـا الفـداء لمخلـص متعـذب ... أمـا الـمدعي ففديـة لحـذائي

***

اللاجئة في العيد

كادت حجول الدجي تطوي على الغرر ... وأوشك النسر أن يهوي بمنحدر

وفحمة الليل والإصباح يعجلها ... ما انفك يقدح فيها النجم بالشرر

كأنما نسمات انفجر فاترة ... ما يسلم الليل من أنفاس محتضر

كأنه.. ورجوم الشهب تفرده ... يلم أذيال عجلان على سفر

وراح يرعي « سهيل » وحده جزعاً ... فلول جيش من الظلماء مندحر

يلم ما حصد الإصباح من قطع ... وما ارتمي لنجوم الليل من كسر

أراح صمت الدياجي في غياهبها ... ما أتعب الرأد من سمع ومن بصر

وصكت الروح أصداء تجد بها ... في عالم الناس رؤيا عالم الفكر

كأنما الخطرات الغر عالقة ... بجنح داج من الظلماء معتكر

الهاديات خطي الأقوام من عصر ... والمشرفات على الدنيا إلى عصر

وثم حيث الضفاف الجرد ينعشها ... برد الندي ومسيل السلسل الخصر

وحيث تنحدر الأجراف هاوية ... مهوي مدب من الرقراق منحدر

غوت جراء مشوقات فطارحها ... ثغي من الشاء أو ثأي من البقر

ونقنقات « بنات الماء » خالطها ... صر الجنادب لم تكفف عن الهذر

وخفقة لشراع في مخارقه ... ملاعب للصبا والشمال العطر

كأن ساحرة مرت بإصبعها ... على شتيت من الألوان والصور

ولاءمت نافر الأنغام ناشزها ووقعتها بلا عود ولا وتر
دنيا من «الزنج» في الأجواء راقصة على خطى الشهب من عار ومتّزر
حتى إذا الفجر أبدي من نواجذه ونم عنه سنا الأوضاح والغرر
وضم ذاك الغراب الجون قادمه علي الجوانح صنع الخائف الحذر
وروع الجانب الغربي منبلج من جانب الشرق موعوداً علي قدر
دب السنا وتعرت نجمة السحر وانزاح ثوب دجي عريان منحسر
وفي المجرة.. والإصباح يطفئها جمال نبعين فياض ومندثر
وانداح في الأفق ضوء راح منشراً علي الغيوم وبين الماء والشجر
وزعزعت من ليالي الصيف حالمة سمراء ظمياء لو لم ترم بالقصر
ودغدغت نسمات الفجر ناعمة نعس الجفون وما استرخي من الشعر
واشتاقت الصبح الغرب راعية حسناء سارحة في البدو والحضر
واستيقظت دجلة كسلي كأن يداً راحت تنفض عنها رعشة الخدر
قرت شواطئها واهتز واسطها نظير لو حين مسبوك ومنكسر

وثم غربي بغداد ودجلتها وتحت منتطح الأطباق والحجر
وحيث ترتفع الأسوار مطبقة علي وجوه صفيقات من الصعر
عش للاجئة ضمت جوانحها علي ضحايا لما سموه بالقدر
علي صبايا كأغصان مجففة لم يبق في عودها ماء لمعتصر
و« فعمة » كنبات الظل ما عرفت عصف الخطوب.. ولا إلمامه الكدر
نهب العيون جمال من غضارته تكاد ترتد عنه العين من خفر
وأمهم دوحة جرداء شامخة هوت بها فأطاحتها يد الغير

وحولهم من علوج المال أمسخة ... مثل الخنازير صفوها على السرر
ذوو الرقاب الغلاظ الشاخبات دما ... يطوون أفئدة قدت من الحجر
من كل محتقب الأوزار.. منتفخ ... من خزيها.. بدماء الناس متجر
تحميهم من يد الجمهور أنظمة ... مطاطة لهم تنداح كالأكر
تلف من خزي ماضيهم وحاضرهم ... وتبتني لذويهم شامخ الأسر
كأن تلك الضحايا حول جيرتها ... نفي القشور يبيسات من الثمر

وحين ألقت عليها الشمس نضرتها ... وجددت عهدها من حسنها النضر
وساقطت فوقها أولى أشعتها ... وذوبت عطرها في نحرها العطر
تثاءبت وكأن الصبح أفزعها ... فاسترجعت طرفها مرعوبة النظر
كانت على موعد منه يؤرقها ... علما بأي مصير منه منتظر
كانت تود لو أن الليل لم يطر ... من وكره.. ولو أن الصبح لم يثر

وزغردت صبية فاستعبرت جزعاً ... لصبية حولها صرعى من الخور
مبرئين بلا إثم وإنهم ... فيها يجرون من بؤس ومن صغر
أثام مجتمع عاث الفساد به ... فعاد وهو بقايا هيكل نخر
لم يبق خزيا وعارا لم يجئ بها ... ولم يدع فيها فخراً لمفتخر
تهدي العذاري لدور العهر مسبغة ... ويحشدون لها السكين كالبقر
ويحرم النصف من حق الحياة به ... ومن مساقط نور الشمس والقمر
ويستبيح به نصف محارمه ... لأنه مفرغ في صورة الذكر
أودت بهم كف عزري ومحتقر ... ولم تغثهم يداً مزر ومحتقر

من عابثين بلا خوف ولا خجل ... وعائبين بلا جدوى ولا أثر
نقش على الماء يبغي أن يصد به ... من الخنا والأذى نقش على الحجر
تمضي الضحايا به صماء باردة ... تكاد تلعن من يمضي على الأثر

ومر طيف من الذكري يجلله ... وقر الحياة وما فيها من العبر
وراعها شبح الماضي كأن به ... مسا من الجن أو لمساً من الذعر
ما كان أبعده عن بؤس حاضرها ... وما تمثل من أيامها الأخر
بدا لها أنها كالمجتلى فرقاً ... طيف الجنان فساحاً وهو في سقر
وصافحت عينها « يافا » وبهجتها ... في مورق من مغانيها ومزدهر
وبيتهم في أعاليها .. وغرفتها ... في ظل كوخ من الأغصان مشتجر
ووالد كان يرعاها بمكتدح ... غال رخيص رفيع الشأن مؤتجر
وفيح « بيارة » ما انفك عابقها ... يسري إليهاِ بفواح من الزهر

ورن في سمعها لحن أعاد لها ... بوق « الجهاد » بوجه الآبق القذر
وصوت « شيخ » يعبي فوق مئذنة ... زحف الجنود من الآيات والسور
واستعرضت وهي في أسمال بذلتها ... جيشاً يحارب بالأمجاد من مضر
تَمُدُّه دول « سبع » يعينهم ... على الرعايا ضِعافاً.. بطش مقتدر
وأبصرت « مدفعاً » يرمي قذائفه ... إلى الوراء رتيباً.. صنع مبتكر
وصوت داع يناديهم ليرتحلوا ... كيلا يعوقوا طريق الزحف والظفر
وكي يعودوا إلى الأوطان طاهرة ... من رجس متشح بالذل معتمر
وغام في عينها من موت والدها ... ما لا تطيق به عين على النظر

بدا لها صدره الدامي على مضض ... وطعنه « التائه » المستأسد النعر
قالوا لها إنه «ضب» بلا «ذنب» ... و « قطة » دونها ناب ولا ظفر
قالوا لها إنه « مسخ » بمرتدع ... مما يخيفونه يكوي ومزدجر
وراعها أنها تصغي لمتدح ... مسعي حماة « فلسطين » ومفتخر
وأنها تنتشي من خمرة الظفر ... في كل مجتمع منهم ومؤتمر
ثم ارعوت فإذا الدنيا تطالعها ... بما يثوب إليه كل مفتكر

ثم استقرت على أشلاء رازحة ... من كل مترب الخدين منعفر
مرمية في حنايا الخص يغمرها ... بالبؤس أي غريق فيه منغمر
سينهضون ولا حول لمنتهض ... ويطلبون ولا عذر لمعتذر
وينظرون لأتراب وعندهم ... ما عندهم من لبانات ومن وطر
ورأس « حسان » لم تسمح ذوائبه ... كف ولم تنض عنه وعثة الشعر
وثوب « داود » في اللبات منخرق ... لولا الحياء لقالت غير منستر
يا ليلة العيد ماذا أنت جالبة ... علي جناحك من نفع ومن ضرر
يا ليلة العيد كم شاهدت من عجب ... في الدهر منك ومن أترابك الأُخر
لقيد تنورن عن صبح به بلج ... بينا تلبدت سوداء فلم تنري
وهل يسر صباح العيد مبتئسا ... يمسي ويصبح في الدنيا على سفر
يا ليلة العيد إن الجوع منتظر ... فرائساً حرة.. والعار منتظري
الآن أقحم حتى لات مقتحم ... فقد تصبرت حتى لات مصطبر
وقد تحرجت في وسع ومقتدر ... والآن أخرج عن وسعي ومقتدري
سأفتديهم وبئس الجوع من خطر ... بما سأحمل من نفسي على الخطر

ثم ارتدت خير ما أبقي الزمان لها ... من مظهر لصروف الدهر مدخر
وأصلحت زينة قد كان أفسدها ... ما خلفت لوثة الترنيق والسهر
وقبلت أمها كالمرتجى سلفاً ... غفران جرم فظيع غير مغتفر
كأنها عصرت فيها براءتها ... وطهرها.. وجمال الروح في الصغر
ثم استدارت فليت الطهر لم يغر ... وليت دائرة الأفلاك لم تدر
وليت هذا المهين الروح من ورق ... لم يلف يوماً..ولم يقرض ولم يعر

سخرية الخلق لا سخرية القدر ... هذا التفاوت في الإدقاع والبطر
هذا الصباح الذي يلقي بناظرة ... على القصور.. ومن أخرى على الحفر
علي صريعين من بؤس ومن خور ... هنا .. وثمة من قصف ومن سمر
تلقى على حسك البؤس له قدم ... تشكو بها انتعلت وخزاً من الإبر
بينما تخوض أخري منه في بؤر ... زخاة بلبانات وفي غدر
صبح ألم « بغيداء » وإخوتها ... هو الملم بذاك الفاسق الأشر
وحين واسطت الشمس الفضا ومشت ... تنير خلقا دجا روحا فلم ينر
كانت مباءة رجس في ملاعبها ... تدمي بطهر على الأقدام منتحر
وكان علج نواميس مهرأة ... يعب حراً طليقاً من دم هدر
وكان في سوق أعراض مهددة ... يبتاع غصن كريم ناضج الثمر
وكان في آسن مستنقع علق ... يمتص من عرق طهر ثم منفجر
وكان مجتمع يروي برمته ... عن الضحيات فيه أفحش السير
يروي حكاية رجس فيه محتشم ... ومعدم طاهر الأعراق محتقر

عن خائضين غمار الهون من غصص   وقانعين من الأوشال بالغمر

وطار «حسان» في أثوابه فرحاً   ولو دري بالذي فيهن لم يطر
يعل بالعيد أقوام ذوو ظمأ   لا يسألون عن الإيراد والصدر
لا يأبهون بأن كانت منابعه   من جاحم بوقيد العار مستعمر
فإن رأيت بثوب العيد ذا سغب   فظن خيراً ولا تسأل عن الخبر
فإن مجتمعاً يطوي على دخل   لا يسألون به عن لوثة الأُزر

***

يوم الشهداء في إيران

سالت لتملي ما تشاء دماؤها   وهوت لترفع شأنها شهداؤها
وانصاع مخضوباً يركز نفسه   ما بين ألوية الشعوب لواؤها
ضاءت وبالمهجات تفرش أرضها   بالمكرمات النيرات سماؤها

***

ما تشاؤون

ما تشاءون فاصنعوا   فرصة لا تضيع
فرصة أن تحكموا   وتحطوا.. وترفعوا
وتدلوا على الرقاب   وتعطوا وتمنعوا

ما تشاءون فاصنعوا   لكم الأرض أجمع
لكمُ الناسُ أكتع   مِن ذويهمْ وأبصع

خـــول عنـــدكم خـــذوا ... مـــن تشـــاءون أو دعـــوا
قـــد خلقـــتم لتحصـــدوا ... وعبيـــدا ليزرعـــوا
لكـــم «الرافـــدان» و«الـــزاب» ... ضرع فـــأضرعوا
تخصـــب الأرض تحـــتكم ... مـــا أمـــرتم وتمـــرع
ليـــت أن الجمـــوع ... فـــيهن شـــاء وترتـــع
مـــا تشـــاءون فاصـــنعوا ... الجماهـــير هطـــع
مـــا الـــذي يســـتطيعهُ ... مُستضـــامونَ جـــوَّع

مـــا تشـــاءون فاصـــنعوا ... كـــل عـــاص يطـــوع
فشـــاب يخيفـــيكم ... للمطـــامير يـــدفع
وضـــمير يهـــزكم ... بـــ(الكـــراسي) يزعـــزع
ولســـان ينوشـــكم ... بالـــدنانير يقطـــع
مـــا تشـــاءون فاصـــنعوا ... جوعـــوهم لتشـــبعوا

مزقـــوا مـــا اســـتطعتم ... مـــن جلـــود.. ورقعـــوا
هـــل ســـوى أن أعينـــا ... بـــدم القلـــب تـــدمع
وقلوبـــاً نياطهـــا ... حشرجـــات تقطـــع
وعـــراة عـــلى الـــدروب ... حيـــارى تجمـــع
أرهبـــوهم ليضرعـــوا ... وخـــذوهم وأوجعـــوا

مـــا تشـــاءون فاصـــنعوا ... وأغـــذوا وأسرعـــوا

قعقعوا من قداحكم   فالليالي تقعقع
ما تشاءون قاصنعوا   لكم الناس مصنع
لكم الحكم ملعب   في نهار.. ومخدع
لكم الأمر مسبح   باللبانات مترع
ما تشاءون فاصنعوا   وأجيدوا وأبدعوا
انظموا «المال» كالقصيد   بحوراً وقطعوا
لكم «عقده» الفريد   وللشعب مصرع

ما تشاءون فاصنعوا   تستعزوا وتمنعوا
ضيقوا ما استعطتم   من خناق ووسعوا
ما نهبتم فوزعوا   للحواشي وأقطعوا
عن ذويكم وعنكم   الدساتير تدفع
القوانين شرعة   بحراب تشرع
والأراجيف شرطة   « والتقارير» مدفع
والسجون المزججات   قطار مدرع
والتآويل في القضاء   بلاء مبرقع
كاذب من يخيفكم   بعظات ويصدع
ويريكم مصارعاً   لطغاة « تصرعوا »
حسبوا الليل مركبا   فإذا الفجر يطلع
وإذا الدرب موصد   وإذا الريح زعزع
وإذا كل روضة أزهرت   أمس بلقع

كــــاذب ! كـــــل همــــه — أن تخــــــافوا وتفزعـــــــوا
لكـــــم «الجـــــن» تهـــرع — مـــــثلما «الإنـــــس» تخضــــع

أنـــتم «الشـــمس» في السـماء — وأزكــــــــي وأرفـــــــع
وعقــــاب عــــلى الجـــواء — منيـــــــــع وأمنـــــــع
أنـــتم المـــوت هـــل يحـــين — مـــــن المـــــــوت مصرع
أنـــتم «الخلـــد» هـــل يغـيض — مـــــن الخلـــــد منبــــع
أنـــتم «الســـل» يختفـــي — في صــــــدور.. ويرجــــع
أنــــتم « الله » واحــــــداً — وهــــو لا شـــك .. أربـــع
فرصـــــة لا تضـــــيع — مــــا تشــــاءون فاصــــنعوا

***

أخاوديّ

بقلــب أم بنعشــك حــين مــادوا — ودمعـــــي أم رثـــاؤك يســـتعاد
ومـن ضـحكاتك العـذبات صبحا — أم الناعيـــــك لـــيلا يســــتزاد
ومـــن إنســـان عينـــي أم ســـواه — يجلـــل بيتـــك الألـــق الســـواد
ومـــن ذكـــري تـــروق أم افتقـــاد — يشـــق تـــؤودني الكـــرب الشـــداد
رمتــــك أبــــا محمــــد الليـــالي — ورميتهــــا قضــــاء لا يــــذاد
وصــــادتك الحنـــوف وأي حـــي — يفـــوت شـــباكهن ولا يصـــاد
وأي مثــــار نقــــع لم تدســـه — خيـــول منيـــة صـــلب صـــلاد
عـــلي أني لفـــرط أسي وحـــب — أكــــاد أخــــال أنــــك مســـتعاد

كأنك أول الأحياء ألقي ... به أحبابه جدثا وعادوا
وأول جوهر علق فريد ... بسوق الموت كان له نفاد
طواك ومنية كفن صغير ... به المرجو يطوي والمراد
وحل الخمسة الأشبار صدر ... رحيب ضم دنياه بجاد
كأن ضريحك الزاكي إناء ... به المعروف ينضح والسداد
كأن ترابه العبق المزكى ... لجمرة مطمح خمدت رماد

أخا ودي ولا كان الوداد ... عواقبه الفجيعة والحداد
ولا كانت ليال من صفاء ... على أسحارها شجناً يعاد
وآراء يزودنا سناها ... وفي آصالها للموت زاد
كأن لم نحتضد شوك الليالي ... ولم يسلس لنا منها القياد
ولم يعشب بمخضر الأماني ... مراح نستطب ومستراد
كأن لم تمح ساعات التلاقي ... ونجواهن ما كتب البعاد

أحباي الذين جروا تباعاً ... كأن الموت بينهم طراد
أحقا أن مثواكم حفير ... نضائده لأرؤسكم وساد
أحقاً أن أنفسكم هباء ... أحقاً أن ألسنكم جماد
أحقاً أن أعينكم تناست ... - خلاف عيوننا - كيف السهاد
أكاد إدخال أنكم نيام ... وأن لا بد ينتفض الرقاد
وأن لا بد يجمعنا ندي ... ويذكي شوقنا السمر المعاد
وأن الصبح موعدنا وأنا ... لأعيننا بطلعته ارتياد
كفى جزعاً بأن يخفي حفي ... بإخوان له فيقال بادوا

ولـولا فـرض تضـحية وحـق لقلـت: ومـا المـآل ومـا المفـاد

أخـا ودي وإنـك في ضـميري وإن ألـوي بنـا وبـك افتقـاد
أجـر كبـدي فـإن بهـا شـجوناً مـن الـذكري لجمرتهـا اتقـاد
وفـك لـو استطعت صفاد روحي وكيـف وأنـت يوثقـك الصـفاد
حلفت بطهر نفسك وهو حلف يجـر بـه الظنـين ويسـتقاد
وبالسـنن الـذي تجـري عليـه ركـائزه الرجاجـة والرشـاد
يمينـاً بـالمروءة .. في نهـار مواسـاة .. وفي ليـل رفـاد
يمينـاً بالوفـاء .. ولـو تـأتي بـه ضر ولـو جلـب اضـطهاد
يمينـا بـالهموم لهـا اعتكـاف بصـدرك نـزلا ولهـا احتشـاد
لقـد كنـت الضـماد على جروحـي فهـن النازفـات ولا ضـماد
تجـافي النـوم بعـدك عـن جفـوني كـأن شـفار جفنـي القتـاد
وطـاح بـعشي العـالي عصـوف وطـار بزرعـي السـوافي جـراد
يعـزُ عـلى أن سـواد عينـي بـه مـن فقـد طلعتـك ارتـداد
وأن يلقـي بمرثيـة لسـاني وأن يجـري بمنعـاك المـداد
جريـت إلى المـدي خبيـاً فقلنـا تجـاوز سـابقيه أو يكـاد
وحـين همـت لمجدبـة غيـوث وحـين ذكـا لموريـة زنـاد
وحـين اشـتد حرصـاً مسـتميت ذخيرتـه حياتـك والعتـاد
وحـين دنـت عليـك معرشـات غصـون الخـير حـان لهـا انعقـاد
هـوت بـك مـن ذري جبـل منيـف يـد ضـاقت بصرعاهـا الوهـاد
كـما تشـأي قرائنهـا لتكبـو ولكـن كبـوة المـوت الجيـاد

أخــا ودي وكــل منــاي قــول يجانبــه غــرور واعتـــداد
يجــانبني بــه فخــر حــرام علــي لأن مبــدأه معــاد
فـإن أذكـر ذويـك فـرب فخـر تشــارك والألــوف بــه أحـاد
وإني حــين أبتعــث القــوافي تشــيد بفضــل مكرمــة تشــاد
أديــن بــأن منــاط مجــد مشــاع لا الطريــف ولا الــتلاد
ونبــع المجــد لا يفنــي معــين لــه.. إلا إذا فنــي العبــاد
زهانــاً أن تشــابكنا عروقــاً ويزهــي وفــرة الخصــب الســواد
ســنابل مــن زروع نــاضرات تــوزع يــوم يقتســم الحصــاد
وأنصــبة تــوفي فانتقــاض عــلى قــدر المــوفي وازديــاد
صــميم الفخــر أن لفــت بطــون مكرمــة وأصــلاب عــداد
مــآثر غيرنــا ضــيفت إلينــا ومفخرنــا لمفخــرهم يــزاد
يــزين البيــت أن لــه ســناداً لــه بســواه في المجــد اعتضــاد
وأوتــاداً مــن الجــارين شــوطاً بــه ســيدوا.. وآخــر فيــه ســادوا
أتمــوا مجــد غــيرهم وفــاتوا وقيــدوا نحــو مكرمــة وقــادوا
ســتحصي مــا لنــا أو مــا علينــا شــداد في محاســبة لــداد
فللأجيــال مــا أبقــي جهــاد يشرفكــم .. ومــا أفتــي اجتهــاد
وللتــاريخ مــا أســدي وأجــدي قــراع الظــالمين أوالجــلاد
وللأوطـــان أي دم زكـــي أطــاح البغــي منــه والفســاد

فتـي القـوم الـذين لكـل خطـب كفـــاء أن ينـــادوا أو ينـــادوا

كفـــاء للفخـــار فقـــد دعـــاهم ... لبـــذل الـــروح تضـــحية فجـــادوا

أجبـــت أبـــاك مـــن ينـــادي ... وقلبـــك جـــاوب الحســـن الجـــواد

أثمـــة نـــدوة تبغـــي حلومـــاً ... موطـــدة.. ورأيـــاً يســـتفاد

وبيـــنكم هـــوي منـــي خضـــيب ... ينـــز دمـــا كـــما نـــز الـــشهاد

فـــؤادي بيـــنكم يثـــوي مقـــيماً ... كـــأن ضريحـــه مـــنكم فـــؤاد

فيـــا لـــك مـــن عـــماد لم يثبـــت ... عـــلى قـــدم لكثـــرة مـــا يـــآد

وبيـــت صـــيح نهبـــاً في ذويـــه ... كـــأن المـــوت فيـــه هـــو العـــماد

أحبـــاي الـــذين بهـــم تحـــلي ... حيـــاة صحصـــح وبهـــم تـــراد

بـــذكراكم.. وذكـــراكم يمـــين ... تحـــاط بهـــا الأخـــوة والـــوداد

ليعجبنـــي بجنـــبكم فـــراش ... يوســـدني ثـــراكم أو مهـــاد

وذلـــك مهـــبط لا بـــد منـــه ... فعمـــر الحـــي للميـــت امتـــداد

شـــقاء في جـــواركم نعـــيم ... وصـــاب يســـتقي معكـــم شـــهاد

ســـقيتم كـــل مـــاطرة.. وإن لم ... تســـقوها فـــلا نـــزل العهـــاد

***

ظلام...

ظـــلام يفـــور .. ونجـــم يغـــور

وزنجـــي ليـــل يخيـــف الـــدهور

حمـــول لثقـــل الـــدياجي صـــبور

كـــأن ثنايـــاه عـــش النســـور

كـــأن المجـــرة فيهـــا بثـــور

وأقـــزاع غـــيم هنـــا.. أوهنـــا

كـــأن الحلوكـــة فيهـــا ســـنا

كـــأن الإلـــه الـــذي هيمنـــا

يفجـــر مـــن جنبـــات العصـــور

غبـــاء الفســـوق وعهـــر الفجـــور

وينســـل ممـــا تحيـــك الشرور

رداء يجللهـــــــا أدكنـــــــا

بـــه تتزيـــي بنـــات الخنـــا

كـــأن الســـموات قفـــر يبـــور

كـــأن يـــداً مـــن وراء الســـتور

تـــراوح بـــين الحصى والصـــخور

هنالـــك حيـــثُ الشرابُ الطَّهـــور

يلـــوث منـــه طفـــاح الزنـــا

كـــأن العـــوالم رهـــن الثبـــور

كـــأنَّ الطبيعـــةَ بنـــتُ القبـــور

كـــأنَّ القبـــور بحـــور تـــدور

كـــأنَّ البحـــور ســـماء تمـــور

كـــأنَّ الســـماء عجـــاجٌ يثـــور

كـــأنَّ العجـــاجَ بشـــيرُ النُشـــور

كـــأن النشـــور كفـــاح يطـــول

تـــكسر فيـــه القنـــا والنصـــول

وتسحب للموت فيه ذيول
كأن الرعود قراع الطبول
كأن الغيوم مساق العجول
كأن البروق خيال يجول
كأن الأعنة ريح شمول
كأن سنا البرق نصل يغور
كأن الهزيم حوار يدور

أجَلْ أيُّها الفَلَكُ العاصفُ
سمعناكَ
يا أيُّها الهاتف
أجل أيها الغرب القاصف
أجل أيها المرعب الخائف

أجل يا مخيف السما والصقور
ويا من يخاف الصبا والدبور
ويا من نعته بغاث الطيور

أجل أيها الفلك الأعجف
أجلْ أيّها الصاعقُ الأجوف
أجل أيها الشارقُ الأغدف
أجل من خُيولِكَ ما يَعْصِفُ
وما يستطير.. وما يزحف

أثـر مـن بروقـك مـا يخطـف
ومـا النـور مـن مثلـه يـأنف
ودف مـا يـرق بـها يعنـف
أسـل مـن دمائـك إذ ترعـف
فويـق الـدموع التـي تـذرف
أجـل أيهـا الحجـل ! « المشرف »
سمعناك :
إنك إذ تهتف
وإذ تسـتبين .. وإذ تهـرف

سمعناك :
إنك إما تخور
لتسـمع حتـى أصـم الصـخور
وتبعـث حتـى رمـيم القبـور
وتجمـع حتـى عظـام الطيـور

أجـل أيهـا الفلـك .. العاصـف

أقـم يـا ظـلام رواق الضـباب
وشـد في فيافـك سـود القبـاب
وغـط السـما بجنـاحي عقـاب
ومـج حنقـاً مزيـداً كالعبـاب
وجـرر عـلى الأرض ذيـل السحاب

أقـــم: لا ختـــام ولا مطلـــع
وخـــيم فـــلا نجمـــة تلمـــع
ولا همســـة مـــن فـــم تســـمع

أشـع وحشــة هــي صـنع الإلــه
فقــد يصـنع الإنــس حتــي شـياه
وأرغــم بســوطك صــعر الجبــاه

ليبنـــي مـــن فـــزع مســـجداً
ينـــاجي العبيـــد بهـــا ســـيدا
وتعبـــد موحشـــها هجـــداً

أقـــم أيهـــا الرعـــب لا تـــبرح
وجـــــدد شخوصـــــك في المسرح
وزنـــــدك مســـــتور فاقـــــدح

ودم هكـــــذا غضـــــباً ينبـــــع
ومرجـــاً بـــه غصـــص ترتـــع
ثـــراء هـــو الحـــزم الأمنـــع
إذا ابتلـــع الشـــمس مســـتنقع

فإنـــك مهـــا تشـــع مـــن ســـواد
وتلـــبس دياجيـــك ثـــوب الحـــداد
ويـــذر مـــع الـــريح منـــك الرمـــاد

ومهـــا ارتمـــت خافقـــات الظـــلال

فويــق الســهوب وبــين الرمــال
ترجفهـــــا بــــين آل .. وآل

كآبـــة ديجـــورك الزاحـــف
ووحشـــة زنجيـــك الراجـــف
وملهـــم قيثـــارك العـــازف

ومهـــا ترامــت رؤوس الجبــال
تثــير مــن الرعــب مثــل الخبــال
بحيــث تهــيم بنــات الخيــال

وقـــد آد مـــتهن وزر الخطايـــا
حــواسر مــن فــرط هــول.. عرايــا
تجــوس الثــري .. وتجــوب الثنايــا
فلســت ببــالغ رعــب البرايــا
إذا خطـــرت في بـــرود الجـــلال
وقـــد ســترت جيفــاً في الحنايــا
وإن هـــي زرت جيــوب الكــمال
وقـــد راعهـــا قبحهـــا في المرايـــا

إذا الفجــر دغــدغ نهــد الرحــاب
ومســته منهـــا شـــذاة فـــذاب
وطــم غــدير الصــباح الهضــاب
إذا انــدفق الضــوء مــن كــل بــاب

ونفـــض بـــالنور وجـــه الـــتراب

إذا الجانـــب المعشـــب الممـــرع
تلفـــع في بـــــرد يصــــقع
أحـــس لظـــي قبلـــة تُطبـــعُ

مـن الشـمس مغموسـة بالرضـاب
إذا الشـمس مـزق عنهـا الحجـاب
سموح مع الـريح.. رخـص الإهـاب
إذا غـــص تنورهـــا المســـتطاب
بفـيض مـن الضـحكات العـذاب
إذا هـــي ألقـــت مجـاج اللعــاب

لتبصـــق في وجـــه خلـــق كـــدود
زحـــوف عـــلى بطنـــه مثـــل دود
أجـــير ويشـــمخ صـــنع العبيـــد

إذا مـــا النهـــار المـــليء الوطـــاب
بعهـــر النفـــوس .. ونبـــل الثيـــاب
أشـاخ – وشـاخ – جمـوع الـذباب
تمـــرغ في الحمـــأت الرطـــاب

فعـــد أنـــت يـــا زاهيـــاً كـــالغراب
ويـــا شـــامخاً كـــالحلوم الغضـــاب
ويـــا نافـــذاً.. نافعـــاً.. كـــالحراب

فلــف البرايــا لهــذا الخضــاب
تجــدد بــه عهــدها بالشــباب

غفــا الحقــد يــا ليــل والحاقــد
ولفهـــــا نعشـــــك البـــارد
غفـــا نفـــس عفـــن حـــارد

يضــيق بــه قفــص الأضــلع
ونــاب وبيء مــن المضــجع
ويطفــو عــلى القفــر والبلقــع

غفــا الحقــد يــا ليــل كــالمومس
وكلــت عيــاء فلــم تهجــس
ونامـــت ضـــمائر في أنفـــس

مشي الــرجس فيهــا يلــوث الــدما
ويرقـــي بأنفاســـها ســـلما

ويطلـــع في عينهـــا والفـــم
نظـــائر مـــن روحهـــا المظلـــم
وأزبـــاد ســـم مـــن الأرقـــم
ورحـــت حنانـــاً عـــلى المجـــرم

تكفنهـــا بغـــداف الجنـــاح
وتلعنهـــا بصـــفير الريـــاح
وتمســـخها إذ يلـــوح الصـــباح
وحـــين يمســـح طهـــر البطـــاح

نشاوي المروج.. ونعس الأقاح

ذئاباً تنزي رشاقاً خفافا
ووحشاً يسوم الحياة اختطافا
وأغلية تتهادي .. لطافا
زفير من البؤر الآسنات
ولفح من الشيم الماجنات

يمد رداء الوجوه الصباح
علي الخطرات الغلاظ القباح

ويذكي أريج الندي والسماح
علي باطن كله منتن
وفيضاً من الكلمات الفصاح
علي الخزي عن نفسه يعلن
كما أعلنت نتنات الجراح
برغم الضماد الذي تبطن

غفا الحقد يا ليل والحاقد
ولفهما نعشك البارد
وفر بك النفس الصاعد
من المجد يلعنه الماجد

تعفن منه المروج الفساح
وتوبا به عطرات المراح

غفت بك يا ليل ذات الوشاح
يراودها كل نذل وقاح
سفيه من البغي والاجتراح
وترضع منها بنات السفاح

ثدي الخنا.. ورضاع الفجور
يسمم القلوب التي في الصدور
وتسمن منها عِجاف الشرور

وترتع
حتى إذا الصبح لاح
وآذنها النور بالافتضاح
تخطت إلى الحسنات الوضاح

تحملن وزراً ولاء الغبايا
يسوم به الخسف مثل المطايا

لتستر منهم كما يزعمون
عواء الصدور.. ونبح البطون
وعهر الفسوق الذي يضمرون
فداء لوجهك يا أسود
غرانق أوجهها صرخد
كأن بها سرجاً توقد
وأرواحها جثث همد
أساري لأهوائها أعبد

بهـا الـدود مـن خسـة يزحـف
وأشـباح مأثمـة ترجـف
ومهلكـة بالخنـا تنطـف
فهـم جيـف فوقهـا عكـف

وهـم في مفاحصـهم يزحفـون
وهـم في مفـاجرهم يرجفـون
وهـم بالمفـاخر إذ يسـترون
صـفاق الوجـوه وخـزر العيـون

لبـدون أكثـر خزيـاً وعـاراً
فليـت الخنـا عنـدهم والشـنارا
أمـاط الـدجي وتـردى النهـارا
وعـاف مـن المجـد ثوبـاً مُعـارا
ولاح عـلى خـير حـال يكـون

وليـت الفجـور الـذي يبطنـون
تمشي صريحـاً ووافي جهـاراً
وألقـي مـن الكـذب عنـه الخمـارا
ولم يتبرقـع بـذاك الفتـون
يضـاعف قبحـا بـه واحتقـارا

وليـت الهلـوك أزاحـت دثـارا
فـلا بـالزواني ولا بالعـذاري

ولا بالـــذي يتقيـــه المجـــون
ومـــا تتحامـــاه حتـــى الظنـــون

***

الشباب المستخنث

مـــن مبلـــغ الأجيـــال ... أن شـــبيبة يتكحلـــون
يتخططـــون فـــإن عجبـــت ... فـــإنهم يتحمـــرون
أم هـــم وقـــد لبســـوا ... الجديـــد غرانـــق يتـــأنقون
المـــائعون مـــن الـــدلال ... المنعمـــون المترفـــون
يتـــأطرون مـــن النعـــيم ... كـــما تـــأطرت الغصـــون
إني رأيـــت وليتنـــي ... قـــد كنـــت ممـــن يعمهـــون
زمـــرا مـــن نفـــر المخنـــث ... يسرحـــون ويمرحـــون
يتماجنـــون وبالمناكـــب ... بيـــنهم يتـــدافعون
في حيـــث يـــنخفض الحيـــاء ... وحيـــث ترتفـــع السـجون

***

كما يستكلب الذيبُ

عـــدا عـــلى كـــما يســـتكلب الـــذيب ... خلـــق ببغـــداد أنـــماط أعاجيـــب
خلـــق ببغـــداد منفـــوخ ومطـــرح ... والطبـــل للنـــاس منفـــوخ ومطلـــوب
خلـــق ببغـــداد ممســـوخ يفـــيض بـــه ... تـــاريخ بغـــداد لا عـــرب ولا نـــوب
لا الأريحـــي الـــذي ضـــمت ملاعبهـــا ... ولا التقـــي الـــذي ضـــمت محاريـــب

ولا الكـــريم يمينـــاً جودهـــا رفـــه ... ولا الكـــريم ضـــميراً جـــوده طيـــب
ولا الرفيـــع عـــن الـــدنيا يليـــق بـــه ... لـــــوم لمطلـــــب دنيـــــا وتقريـــــب
لـــو شـــئت مزقـــت أســـتاراً مهلهلـــة ... فـــراح ســـيان مهتـــوك ومحجـــوب
لبـــان للنـــاس مصـــدوقاً بـــلا دغـــل ... مبرقـــع مـــن إبـــاء القـــوم مكـــذوب

إني لأعـــذر « أحـــراراً » إذا برمـــوا ... بـــالحر يلويـــه ترغيـــب وترهيـــب
والصابرين على البلوى إذا عصفوا ... بالصـــابر الشـــهم آدتـــه المطاليـــب
والخـــابطين بظلـــماء كـــأنهم ... «بغل الطواحين» يجري وهو معصوب
فـــما لعبـــدان أهـــواء.. وعنـــدهم ... في كـــل يـــوم مـــن التغريـــر أســـلوب
عفـــر الجبـــاه عـــلى الأقـــدام شـــيخهم ... مـــن الســـبالين بـــالإيماء مســـحوب
القاعـــدون إذا اشـــتدت مجلجلـــة ... وطـــاح ضـــحيان محـــروب ومكـــروب
والراكضـــون إذا انجابـــت عجاجتهـــا ... كـــأنهم في الميـــادين اليعاســـيب
النـــافجون مـــن الأحضـــان أخبثهـــا ... وإن غـــذتها وربتهـــا الأطابيـــب
والعـــالفون حصـــيد الـــذل راكمـــه ... هم والجدود ! فموروث ومكسوب
علاهـــم – فعلـــوا بـــالجور غـــيرهم – ... ســـوط الـــولاة عـــلى الظهـــرين ملهـــوب
ومـــا لهـــذا الجبـــان الـــنكس قـــد هزئـــت ... منـــه.. ومـــن صـــحبه الغيـــد الرعابيـــب
ومـــا لمســـتخنث وغـــد وســـادته ... ريش النعـــام مـــن « الـــدهناء » مجلـــوب
منـــافقون يـــرون النـــاس أنهـــم ... شُـــم.. أُبـــاة.. أماجيـــد.. مصـــاحيب
وإنهـــم قـــادة صـــيد وأنهـــم ... غـــر المصـــابيح والـــدنيا غرابيـــب
والنـــاس والله يـــدري أنهـــم همـــل ... غفل.. سوام.. عضاريط.. مناخيب

مشت إلى بعوضات تلدغني ... وهل يحس دبيب النمل يعسوب
ما أغرب الجلف لم يعلق به أدب ... وعنده الكريم الحر تأديب
وصاحب السواة النكراء أعوزه ... كي يستر الناس.. ثوب عنه مسلوب
تسعون كلباً عوى خلفي وفوقهم ... ضوء من القمر المنبوح مسكوب
ممن غدتهم قوافي التي رضعت ... دمي فعندهم من فيضه كوب
وقبل ألف عوى ألف فما انتقصت ... « أبا محسد » بالشتم الأعاريب

يا منطوين على بغضي لعلمهم ... أني لدي الناس.. أني كنت محبوب
تغلي الحزازات فيهم إن أرؤسهم ... دون وكعبي رفيع الشأن مرهوب
ويستثير شجاهم أصيد عصرت ... منه الخطوب وشدته التجاريب
يردد الجيل عن جيل أوابده ... فهن في الدهر تشريق وتغريب
يشدو بجمراته ما شب مضطرم ... وبالحنين له ما حنت النيب
ما كنت أول محسود نهضمه ... وكس.. وحاربه بالسب مسبوب
ولست أول مأخوذ بمجتمع ... يمشي الضلال به.. والإفك والحوب
ولست آخر ركاض مشي رهقاً ... فجاوز العدو مشي منه تقريب
يا غامرين خلت من كل مكرمة ... نفوسهم.. وخلا من قبل ملحوب
مسهدين على مجدي ونسبته ... كما تسجل للنهر المناسيب
يريح جنبي إن يذكي جوانحكم ... جمر من الضغنة الحمراء مشبوب
أطلت همكم والدر ينذركم ... أن سوف لا ينقضي هم وتعذيب
يبقي القصيد لظى والأرض مشربة ... دماً.. وتذري مع الريح الأكاذيب

***

أبيات

ينقضي عهد التصابي وأصبو ... وتخب الأيام بي وأحب

يا فؤادي أأنت جذوة نار ... كلما هبت الرياح تشب

طال عمر الدجى وإن نور الفجر ... وإن راح شارق يستتب

الدياجي في القلب.. لا الثغر ... يغتر ولا العين من ضياء تعب

***

التعويذة العمرية

عوذت وجهك

عوذت وجهك بالقمر ... وبما أضاء وما ازدهر

وبما تفتح من ضميم ... النبت أو نور الزهر

بالاي من «عاد» و«نمرود» ... ومنزلة «البقر»

عوذته بـ «العفص» رطباً.. ... أو يبيساً يدخر

من شر حاسدك الذميم ... على سناك المزدهر

والشانئيك الأغبياء ... على حجاك المسبطر

وعلي اصطبارك صبر ... مروان الحرون إذا أصر

يا تحفة العصر الحديث ... بحيث تحسده العصر

يا أيها «الفكر» العظيم ... بحيث تنحسر الفكر

يا خير من حكم البلاد ... وخير من «ساس»[1] البشر

يا خالق « النواب » خلق « الطير » من طين الحفر

يا منقذ الوطن العزيز من العدو المستحر

يا فاتح « الكاوور » والباغي بها عات أشر

يا غارماً تلك الجيوش وغانماً ذاك الظفر

يا منقع الأرض اليبيسة من دماء بني التتر

سبحان خالقك المبرأ كيف صاغك من درر

***

خبث للشعر أنفاس

خبت للشعر أنفاس أم اشتط بك الياس

أم الحي وقد أغفيت إبلاس وإخراس

كأن لم يعترف ناساً فهل أنت به الناس

ويا رب المقاييس ترى أعياك مقياس

أكفراً بالقياسات وما قيس.. ومن قاسوا

أم الخير شكا الندرة حيث الشر أكداس

أم الثروة للقبح وعند الحسن إفلاس

أم العبد على الأحرار قوام ونخاس

أم الفكر بأظلاف الوحوش الغبر يَنداس

أم الأصنام أرباب أم الأرؤس أعجاس

أم الصيد الضراغيم لها للبوم إسلاس

أم الموت غشي الحي فما في الدار أحلاس

أدر كأسك « باخوس »   فقد صوحت الكاس
وعد يحمدك سمار   ولح يتبعك جلاس
ودغدغ ضرع خابية   يدر الضرع إبساس
وأسرجها بمضمار   تخلت عنه أفراس
تفجر أيها الينبوع   ينطف منك إحساس
يروي البلقع الأجرد   لا الزهر.. ولا الآس
نعوك كأنما منعاك   للغربان أعراس
وخالت نفسها دوحاً   على فبرك أغراس
ودق هناك ناقوس   ورنت ثم أجراس
وقام عليك للناعين   رجام وقداس
وللعبرات أشكال   وللباكون أجناس
نعوك رجاء أن تزهي   بما كفنت أدراس
وأن تبعث أموات   وأن تنشر أرماس
ورحت – لعنت –   لا نفس ولا صدر ولا راس
تمد لهم كما مدت   لغرقى اليم أمراس
وتوهمهم وعيش القوم   أوهام وأحداس
تضارب فيك أقداح   فأخماس وأسداس

مدي حتى إذا روت   يبيس الحقد أوكباس
وضوى من لظي الضغنة   إظلام وإدماس

مــــدي حتـــي إذا انزاحـــت ... مـــن الأحقـــاد أكـــداس

وأبليــت فــرط مــا شــدت ... منــــــازعهن أقــــــواس

عبقــت كــما مشــت في الفجــر ... للنســـــــمات أنفـــــاس

وصــبت كــما يصــوب الغيــث ... فيـــه اللطـــف والبـــاس

ولحــت كــما انــبرى يختــال ... للكربــــــات لبـــــاس

تنصــب صــدرك العريــان ... إذ لم يبــــق برجـــــاس

وتشــعل مــن دم القلــب ... وقـــد أعـــوز نـــبراس

وتكتــب في غضــون الوجــه ... إذ لم يلـــــف قرطـــــاس

أجــل يــا مبضــعا يجــرح ... بالرحمـــــة إذ ياســـــو

ترفــق إن جــرح القــوم ... قتـــــال وحســـــاس

أثـــارت منــــه أدواء ... وأقــــذاء.. وأرجــــاس

تثبـــت أيهـــا الإيـــمان ... لا يطرقــــك وســـــواس

وقــل : هــل غــير مــا حجــر ... لثـــــائهم أو المـــــاس

ويــا صــل الرمــال السـمر ... لا يرهبــــك نســـــناس

تجـــامح أيهـــا الليـــث ... فـــما شـــأنك إســـلاس

ولم تعـــوزك أظفـــار ... ولم تخـــــــذلك أضراس

وعنــدك أشـــعث لبـــد ... عـــلى كتفيـــك نـــواس

لـــك الصــبغة لم تعلــق ... بهـــا شـــية وإلبـــاس

فـــما أنـــت وأصـــباغ ... مهـــــــــراة.. وأوراس

وقـــدس غابـــك الملتـــف ... لم تدركــــه أقـــداس

فـــما أنـــت وأقفـــاص | بهـــا يزحـــف خنـــاس
تجـــامح حـــارس الغـــاب | وإن هــــوم حــــراس
فأنـــت « القيـــل » والبـــاغون | صـــيداً منـــك أخيـــاس

وأنـــت لكـــل مفـــترس | ربيـــب الغـــدر فـــراس
ســـلاماً أيهـــا النـــاس | فـــإن العـــرق دســـاس
وإيمانـــا ولـــن تنهـــار | للإيـــمان أســـاس
منيعـــاً.. لا الأسي.. لا الشـــك | لا الحرمـــان.. لا اليـــاس
وجبـــاراً كـــما شـــدت | ضـــلوع الصـــيد أتـــراس
وحلـــواً مـــثلما حـــلي | مـــن الوحشـــة إينـــاس
« ألا لا تخـــب أنفـــاس | ولا يـــذهب بـــك اليـــاس

***

كفارة.. وندم..

ستبقي – ويفني نيزك وشهاب – | عـــروق أبيـــات الـــدماء غضـــاب
لطـــاف كأنفـــاس النســـيم نـــوافح | كريـــاه صـــم كالصـــخور صـــلاب
هـــوت عـــذبات العمـــر إلا صـــوامداً | عـــلي لفـــح إعصـــار فهـــن رطـــاب
وجـــف وريـــق منـــه إلا نديـــة | تعاصـــت عـــلى الأيـــام فهـــي شـــباب
عييـــت بطـــب الأحمقـــين وجهلهـــم | بـــأن النفـــوس الخـــيرات عجـــاب
فهـــن إذا مـــا الأمـــر هـــان أبـــاطح | وهـــن إذا مـــا الجـــد جـــد هضـــاب
وهـــن « منفيـــات » لأن هويهـــا | بألســـنهن يـــزدري ويعـــاب

وهــن « عظــيمات » لأن صريحهــا يــئن أنــين الكلــب حــين يشــاب
يضــيق بهــا كــون وهــن فســائح وســبع ســماوات وهــن رحــاب
يســاقين أحقابــاً وهــن ظــوامئ ويطعمــن أجيــالاً وهــن ســغاب
وينحــتن والــدنيا لهــن نمــوذج ويرســمن والرؤيــا لهــن خضــاب

أقــول وقــد كــل الجــواد فلــم تجــل مســومة غــالوا بهــن عــراب
ولاح محــك للرجــال فلــم يكــن هنالــك إلا زائفــون كــذاب
وصــوح قــاع الطيبــات وأعولــت عليهــا مــن الضــغن الخبيــث ذئــاب
وقــاء اللئيم الــدون مــا في ضــميره وجــف فــما عنــد الكــريم شراب
حنانيك نفسي لا يضق منك جانب إذا ضاق من رحب النفوس جناب
ولا يتهضــمك انخفــاض فطالمــا تخفــض نسر صــاعد وعقــاب
وشــامخة الأدواح يلــوي عنانهــا مع الـريح والمحض الصريح يراب
ومالــك مــن عتــب عــلى الــدهر إنــما عليــك لمــا هونــت منــه.. عتــاب
تقحمتــه حتــى كأنــك فوقــه وأنــك إذ طــم العبــاب عبــاب
ورحــت ســماحاً تحضــنين صروفــه كــما احتضــن السيــف الجــراز قــراب
فلا تهن الشكوى عليك وإن مشت بمــنحسر بــادي الضــلوع حــراب
فــإن تقتــنص منــك الليــالي فريســة وإن يجتمــع ظفــر عليــك ونــاب
وإن تتشــابك للحــزازات أجمــة ويلتــف للحقــد المــبرح غــاب
فلليــث أضري مــا يــري إذ تهيجــه وأقتــل مــا تخشــاه حــين يصــاب

هبينــي لم أســلف جمــيلا ولم أقــل جمــيلاً.. ولم تخضــب عــلى ثيــاب
ولم أزج تلــك التضــحيات كريمــة بهــا راح يجــزي مــدع ويثــاب

ولم أدع للجلي كقيس ورهطه ... وللحيس تدعي خثعم وكلاب

فهل أنا إلا من سواد نقائصي ... إلى نقص أزكاهم حصي وتراب

حنانيك نفسي دونك الكون كله ... فرني به يسمع صدي وجواب

محلقة طيري وإن هب عاصف ... وأخلد ليل.. واستكن ضباب

وساخرة حتى تزيغ شواخص ... إليك.. وحتى تستشيط رقاب

وعامرة ظلي ولو أن عالماً ... برمته عن جانبيك خراب

ولا تعرفي حداً فأنت مفازة ... ستبقي عصوراً تقتفي وتجاب

وكوني على شتى طباعك حرة - ... فأنت إلى شتى الدهور خطاب

فإن آب أقوامٌ ليوم وليلةٍ ... فأنت لأجيال تعن مآب

وإن تمحو أجساماً جلودٌ فإنما ... حوي الفلك الدوار منك إهاب

تعالي فقد أغلى نسيجك حاضر ... كمثلك فذ جللته صعاب

وشعب على البلوي يعيش وموطن ... لكل الهموم الخانقات مثاب

ولن يجد الآتون مثلك عندما ... يخف قراع.. أو يهون طلاب

فلا تكتمي عاباً فمجدك كاذب ... إذا لم يشبه للجراحة عاب

ولوحي خلال الحادثات مشعة ... كما لاح مابين الغيوم شهاب

وما هي إلا غمزة ثم تنجلي ... وما أنت إلا خمرة وحباب

دعيها تسل قيحاً «لوحدك» ثرة ... جراح أجدت فانتكأن.. رغاب

فهن لنفح الطيبات مجامر ... وهن لعطر الذكريات عياب

وهن وما يترفن كأس وخمرة ... وثغر كعاب روذة ورضاب

هو الشعر موجوعاً ينابيع رحمة ... وخلوا من القلب الجريح سراب

أللناس زاد غير آهة شاعر وغير الدم المنزوف منه شراب

ولا تجزعي أن لا تجازي بطيب وإن راح يحصي الطيبات كتاب
فإن تجاراً إن تعوض مؤمناً جنان وولدان بها وكعاب
يتمم مجد التضحيات وأهلها وآثارها أن لا يكون ثواب
وأبلغ منه إن يحل بمنعم من المرتجي من الثواب.. عقاب

ويا وطناً ردت على ظلاله مصوحة روي ثراك سحاب
ندي المسك فيا عبرتني عجاجة وفيا سيحثي بالحمام تراب
ولكنني آس لنهب مقسم وليس به للصالحين نصاب
وبيت لسراق تلوذ بركنه سباق على تهديمه وغلاب
مجافية أحكامه.. فهو جنة لرجس وللزاكي لظي وعذاب
ومعكوسة حتى كأن خياره به خطأ .. والأرذلون صواب
أطاحت بأعشاش النسور بغاثه وحل به خير الوكور غراب
وجاعت ملايين به وزروعه لسبع سمان يعتلفن.. نهاب

ويا طينة ديفت بشطآن دجلة لأنت أريج ينتشي وملاب
ويا صورة أخاذة أي روعة وسحر وإغراء بهن يذاب
لأنت لأوطان تحب رسالة وأنت لذكري من بهن كتاب
تخطي أصيل فوق دجلة خاضب عليه من الغيم الشتيت نقاب
وبعثر لون فوق لون كأنما تصبغ في الأفق الرحيب ثقاب
على النخل من جو حفيف ذؤابة وفوق القباب البيض منه قباب
وما هي إلا برهة ثم أرزمت سماء.. وحنت للرعود سقاب

مشت غيمة تستاق أخرى وخلفها ... من الليل يمشي موكب وركاب
تـوارب لـلإشراق بـاب.. وفتحـت ... مـن الغـرب للـريح النديـة بـاب
تنضـد منهـا غيمـة فـوق غيمـة ... فهـن رزاح عنـدها ولغـاب
وأربـد جـو مكفهـر.. وجلجلـت ... رعـود وأرخـي جانحيـه ربـاب
وأحكم بين الأرض والأفق موهنا ... عـراك يرجـي غبـه ويهـاب

سرى البرق وهـاج السـنا فتنورت ... كوي في الضفاف استجمعت وقباب
وطـارت بـألواح الزجـاج شرارة ... تمـزق منهـا للظـلام حجـاب
وران نضـيد مـن غيـوم كـأنما ... فجـاج بـه مغـبرة وشـعاب
علي الجانـب الغـربي للـبرق دعـوة ... لـدي الجانـب الشرقـي منـه تجـاب
تحلـب ضرع مـن سـحاب وآخـر ... وحـل وطـاب مفعـم ووطـاب
مـدي ليلـة حتـى إذا الفجـر مسـها ... ويـدل منهـا صـغة وخضـاب
ودغـدغت السـعف المغفـي نسـائم ... لطـاف.. نـديات الشـذاة.. عـذاب
ونقـل رعيـان الغيـوم قطيعهـا ... إلى آخـر يسـقي بهـا ويصـاب
تزحزح مركـوم مـن الغيـم وانـبرت ... تهـاوي ربي منسـوفة.. وهضـاب
وحالـت سـما مأهولـة فـإذا بهـا ... لـدي الصـبح قفـر مـوحش ويبـاب

***

الراعي

لـف العبـاءة واسـتقلا ... بقطيعـه عجـلا .. ومهـلا
وانصـاع يسـحب خلفـه ... ركبـا يعـرس حيـث حـلا

أوفى بهـــا .. صــلا بــزاحم ... في الرمـــال السـمر صـــلا
يرمــي بهـــا جــبلا فتتبـع ... خطــوة .. ويحــط ســـهلا
أبـــدا يقاســمها نصــيباً ... مــن شـظيف العـيش عــدلا
يصـلي كـما تصـلي الهجـير ... ويسـتقي ثمــداً وضـحلا
يـومي فـتفهم مـا يريـد ... ويرتمـي فتهـب عجـلى
وتكـاد « تعـرب بالثغـاء » ... هــلا و « حـيهلا » و « هــلا »
يقفـو بعـين النسر ترقـب ... أجـــدلا – ذئبـــا أزلا
ويحـوط كالأسـد اجتبـي ... أشـباله .. جـديا وسـخلا
أوفى عـلى روض الحيـاة ... يجوبـه حقــلاً فحقــلا
وارتـد يحمـل مـا يصـون ... ذمـاً ومـا أغنـي وقـلا
« نايـا » يـذود بـه الـوني ... ويلـون النسـق المملا
وعصـا يهـش بهـا ... ويرقـي ذروة .. ويقـيم ظـلا

يـا راعـي الأغنـام أنـت ... أعـز مملكـة وأعـلى
لله ملكــك مــا أدق ... ومــا أرق .. ومــا أجـلا
يرويـك مـن رشـفاته ... قمــر السـماء إذا أطـلا
ويقيـك في وعـث السري ... وهـج المجـرة أن تضـلا
وتلـم في الأسـحار عنقـود ... النجـوم إذا تـدلى
أبـداً تشـيم الجـو تعـرف ... عنـده خصـباً ومحـلا
وتكـاد تغـرف وابـلاً ... حـذقا وترشـف منـه طـلا
تزهـي بـأن الأرض خضراء ... زهـت نبتـاً وبقـلا

وتــود لــو حنــت الفصــول ... عــلي الربيــع فكــن فصــلا

ولــو أن كــل النــاس مثلــك ... مــن غضمــارتها تملــى

أعطيــت نفسـاً لمـت الأجـزاء ... حتــى صرن « كـــلا »

وأســلت « بعــدا » في غــمار ... الــذكريات فعــاد « قــبلا »

عريــان مــن « عقــد » النفــوس ... عصــلن فاستعصــين حــلا

لم تــرع مــن شــجر التكالــب ... وارفـــاً حقـــداً وغِــلا

وجهلـــت مترفـــة الحيـــاة ... تـــذوبت كســـلا وذلا

لم تخــش بــؤس غــد يشــوه ... مــن جمــال « اليــوم » شــكلا

لا تعــرف « الأشــباح » رعنــاء ... الخطــي.. شــوهاء.. خجــلي

أطيافـــك الزهـــر النـــدى ... شـــذاً.. وألوانـــاً.. وظـــلا

ومطــارح « المعــزي » تعــاود ... عنـــدها وطنـــا وأهـــلا

وكسرحـــك الراعـــي تعـــن ... رؤاك .. معلمـــة وغفـــلا

ترتـــاد « معجمـــة » الـــدني ... وتجوســـها فصـــلاً ففصـــلا

وتســـامر النجـــوي تعـــب ... بكأســـها نهـــلاً وعـــلا

وتـــري ملونـــة الطبيعـــة ... إذ تغـــم .. وإذ تحـــلى

غـــول الظـــلام إذا تعـــلى ... وســـنا الصـــباح إذا تجـــلى

حييــت راعــي الضــأن يرعــى ... ذمـــة كـــبرت و « إلا »

تلـــك الأمانـــة أودعـــت ... أثقالهـــا كفـــواً وأهـــلا

كانـــت لـــه غـــلا وآخـــر ... شـــاءها للنـــاس غـــلا

مـــا أقـــبح الـــدنيا إذا ... ضـــل الرعـــاة ومـــا أضـــلا

نفسي ..

نفسي ونفس المرء إن عدمت ... مما يثير فإنها عار
لو كنت خصمك كان مطلبي ... أن لا يهب عليك إعصار
هل كنت إلا طينة عفنت ... إن لم تمسك.. من لظي.. النار
أعزيزتي ظلي مؤججة ... تصليك أحقاد وأوغار
وتثيرك الذكرى ولا عنت ... يغني ولا حقد ولا ثار
إن النفوس يزين أثرتها ... عند الصراع الحق إيثار

***

قال ... وقلت

ونجي مثلي غبي وحمل المرء ... هم المغفلين غباء
من أولاء الذين يسخر راع ... ورعايا منهم.. وذئب وشاء
قال والحال.. قلت إني من ... حال هباء خلو كهذي براء
قال والناس.. قلت شيء هراء ... خدم عند غيرهم أجراء
غني الدود عن سواه بمسعاه ... وهم من تواكل فقراء
ومسفون ينكرون على الصقر ... المعلى أن يحتويه سماء
الضحايا لديهم النبغاء ... والبعيدون عنهم العظماء
وقريب منهم خنوع وإسفاف ... وكذب وغفلة ومراء
قال لله أنتم الشعراء ... عدد الرمل عندكم أهواء
أمس والشعب كله معجزات ... لك واليوم كله أسواء

قلت مهلا يا صاحبي ظلمات ... الليل في عين حالم أضواء
أرأيت الكواز أنفس ما يملك ... ذخراً طين خبيث وماء
صانعاً منه ألف شكل جراراً ... قائلا في نعوتها ما يشاء
يتغني بكوزه وكأن الكوز ... في الحسن كوكب وضاء
وكذا كل خالق يترضي ... ما تسني.. وهكذا الشعراء

***

يا أم عوف

يا « أم عوف » عجيبات ليالينا ... يدنين أهواءنا القصوي ويقصينا
في كل يوم بلا وعي ولا سبب ... ينزلن ناساً على حكم ويعلينا
يدفن شهد ابتسام في مراشفنا ... عذباً بعلقم دمع في مآقينا
ويقترحن علينا أن نجرعه ... كالسم يجرعه « سقراط » توطينا

يا «أم عوف» وما يدريك ما خبأت ... لنا المقادير من عقبي ويدرينا
أني وكيف سيرخى من أعنتنا ... تطوافنا .. ومتى تلقي مراسينا
أزري بأبيات أشعار تقاذفنا ... بيت من « الشعر المفتول » يؤوينا
عشنا لها حقباً جلي نددللها ... فتجتوينا .. ونعليها فتدنينا
تقتات من لحمنا غضا وتسغبنا ... وتستقي دمنا محضا وتظمينا
يا « أم عوف » حرمنا كل جارحة ... فينا لنسرج هاتيك الدواوينا
لم يدرِ أنا دفنا تحت جاحمها ... مطالع.. يتملاها براكينا

يا « أم عوف » بلوح الغيب موعدنا ... هنا.. وعندك.. أضيافاً .. تلاقينا

لم يبرح العام تلو العام يقذفنا ... في كل يوم بموماة ويرمينا
زواحفاً نرتمي آناً .. وآونة ... مصعدين بأجواء شواهينا
مزعزعين كأن الجن تسلمنا ... للريح تنشرنا حيناً وتطوينا
حتى نزلنا بساح منك محتضن ... رأد الضحى والندي والرمل والطينا
مفيء بالجواء الطلق منصلت ... للشمس تجدع منه الريح عرنينا
خلت السماء بها تهوي لتلثمه ... والنجم يسمح من أعطافه لينا
فيه عطفنا لميدان الصبا رسنا ... كاد التصرم يلويه ويلوينا
يا « أم عوف » وما آه بنافعة ... آه على عابث رخص لماضينا
على خضيل أعارته طلاقتها ... شمس الربيع وأهدته الرياحينا
سالت لطافاً به أصباحنا ومشت ... بالمن تنطف والسلوي ليالينا
سمح نجر به أذيالنا مرحاً ... حيناً .. ونعثر في أذياله حينا
آه على حائر ساد ويرشدنا ... وجائر القصد ضليل ويهدينا
آه على ملعب – إن نستبد به ... ويستبد بنا – أقصي أمانينا
مثل الطيور وما ريشت قوادمنا ... نطير رهواً بما اسطاعت خوافينا
من ضحكة السحر المشبوب ضحكتنا ... ومن رفيف الصبا فيه أغانينا

يا « أم عوف » وكاد الحلم يسلبنا ... خير الطباع وكاد العقل يردينا
خمسون زمت مليئات حقائبها ... من التجاريب بعناها بعشرينا
إذ نحن من هذه الدنيا ضراوتها ... وإذ مغاني الصبا فيها مغانينا
يا « أم عوف » بريئات جرائرنا ... كانت.. وآمنة العقبى مهاوينا
نستلهم الأمر عفواً لا نخرجه ... من الفحاوي ولا ندري المضامينا

ولا نعـــاني طويـــات معقـــدة ... كـــما يحـــل تلاميـــذ تمارينـــا
نـأتي المـآتى مـن تلقـاء أنفسـنا ... فـــيما تصرفنـــا منهـــا وتثنينـــا
إن نـنـدفع فبعفــو مــن نوازعنـا ... أو نرتــدع فــبمحض مــن نواهينــا
مـا إن يـرين علينـا خـوف منقلـب ... ولا نراقـــب مـــا تجـــزي جوازينـــا
لا الأرض كانـت مغـواة تلقفنـا ... غـــدرا .. ولا خاتـــل فيهـــا يـــداجينا
إذا ارتكســـنا إغاثتنـــا مغاوينـــا ... أو ارتكضـــنا أقلتنـــا مـــذاكينا
أو انصـببنا عـلى غـاي نحاولهـا ... عـدنا غـزاة.. وإن طاشـت مرامينـا
كانـت محاسـننا شـتي.. وأعظمهـا ... أنـا نخـاف عليهـا مـن مسـاوينا
واليـوم لم تـأل تسـتشري مطامحنـا ... وتقتفيهـا عـلى قـدر معاصـينا
فـما نعـالج خرقـا مـن مهازلنـا ... إلا بأوســـع منـــه في مآســـينا
يـا « أم عـوف » أدال الـدهر دولتنـا ... وعـاد غمـزا بنـا مـا كـان يزهونـا
خبـا مـن العمـر نـوء كـان يرزمنـا ... وغـاب نجـم شـباب كـان يهـدينا
وغـاض نبـع صـفا كنـا نلـوذ بـه ... في الهـاجرات فيروينـا ويصـفينا

يا « أم عوف » وقـد طـال العنـاء بنـا ... آه عــلى حقبــة كانــت تعانينـــا
آه عـلى أيمـن مـن ربـع ضـبوتنا ... كنـــا نجـــول بـــه غـــراً ميامينـــا
كانـت تجـد لنـا الأحـلام حاشـية ... مذهوبــة كلـــما قصـــت حواشـــينا
كنـا نقـول إذا مـا فاتنـا سـحر ... لا بـــد مـــن ســـحر ثـــان يواتينـــا
لا بـد مـن مطلـع للشـمس يفرحنـا ... ومـــن أصـــيل عـــلى مهـــل يحيينـــا
واليـوم نرقـب في أسـحارنا أجـلاً ... تقـــوم مـــن بعـــده عجـــلى نواعينـــا

يا « أم عوف » كواد أنت نازلة ... دمثاً فسيحا.. ندياً كان وادينا
في مثل رملتك الحمراء زاهية ... كانت تخب « عفاريتا » مهارينا
ومثل خيمتك الدكناء فارهة ... كانت ترف على رمل صوارينا

يا « أم عوف » وما كنا صيارفة ... فيها نحب ولا كنا مرابينا
لم ندر سوق تجار في عواطفهم ... ومشترين مودات وشارينا
لا نعرف الود إلا أنه دنف ... من الصبابة يعتاد المحبينا
فما نصابح إلا من يماسينا ... ولا نراوح إلا من يغادينا
يا «أم عوف» ولا تغررك بارقة ... منا ولا زائف من قول مطرينا
غفلا أتيناك لم تعلق بنا غرر ... ولا حجول وإن رفت هوادينا
إنا أتيناك من أرض ملائكها ... بالعهر ترجم أو ترضي الشياطينا
إن لم يلح شبح للخوف يفزعنا ... فيها يلح شبح للذل يصمينا
يا « أم عوف » أأوهام مضللة ... أم الأساطير يبدعن الأساطينا
من عهد « آدم » والأقوام مزجية ... خوف الشرور.. الضحايا والقرابينا
أكلما ابتدع الإنسان آلهة ... للخير صيرها شر ثعابينا

يا «أم عوف» سئمنا عيش حاضرة ... ترب سقطين شريراً ومسكينا
وحش وإن روض الإنسي جامحها ... قفر.. وإن ملئت ورداً ونسرينا
ضحاكة الثغر بهتاناً وحاملة ... في الصدر للشر أو للبؤس تنينا
وخانقاً من « قراميد » يحوطنا ... حوط السجون مناكيداً مساجينا
ران الخمول عليه .. واستبد به ... جذب الجواذب من هنا ومن هينا

ولقمة ردها ما نسترق به ... وما نكافح زقوماً وغسلينا
يا « أم عوف » وقد شبنا بمعترك ... نرعى المقاييس منه والموازينا
عمياً ندور على مرمى حوافره ... معقودة بتواليه نواصينا
ما انفك فحش تظنيه يلاحقنا ... حتى عدينا بفحش في تظنينا
فما نصدق أفواها بألسنة ... ما لم يقمن عليهن البراهينا
ولا بأفئدة حتى تعاهدنا ... بأن أنياطها ليست ثعابينا
وقد بشمنا بمود من مراتعنا ... يغثي النفوس وموب من مراعينا
لا يلمس الروح فينا من يصاحبنا ... ولا تحد حدود من يعادينا
ولا ينم بس من يضاحكنا ... ولا يرف بجفن من يباكينا
ولا تسيل على اللبات أنفسنا ... إلا ذما ثم تغشاها غواشينا
وآنس أن بئسنا فهو مادحنا ... أغمه إن نعمنا فهو هاجينا
يضوي لشامته شر يحيق بنا ... حقداً .. ويسمنها خير يواتينا
لم يدر أنا على الحالين يرمضنا ... من بؤس خلق سوانا يعنينا
وأننا حين يروي الناس نبعهم ... نروي بنبع هموم فجرت فينا
وأننا نحسب الخالين من ألم ... غرثي عفاة وإن كانوا قوارينا
لم يدر أن النفوس العامرات بني ... تبقى على نكد الدنيا عناوينا

يا رملة الله ردي عن تحيتنا ... بخيرٍ ما فيك من لطف وحيينا
وسامرينا فقد ألوي بنا سمر ... وطارحينا فقد عيت قوافينا
ردي بما وهبته الشاء من وتر ... إذ ثغا رددته الروح تلحينا
ونبحة من « كليب » خلت نبرتها ... من زخرف القول تحريكاً وتسكينا

وخطبة تسمع الرهطين ملفية ... في الذئب والحمل المرعوب مصغينا
عوي هزيعا فردت عنه ثاغية ... كانت تقول له «آمين» .. آمينا
وحوله الشاء والمعزي مهومة ... تزجي الأكارع أو ترخي العثانينا
تهش للمرج فينانا وترعدها ... رؤيا تمثل جزارا وسكينا
أغفي ونصب خيشوماً يحس به ... خُطى اللصوص ويستاف السراحينا
ولفه وهج الأصواف يوقدها ... عن صر «كانون» تنوراً وكانونا
ويا بساطاً من الخضراء طرزه ... صوب الغمام أفانيناً أفانينا
أوص المروج بنا خيراً لعل بها ... من ضنكة الروح فينا ما يداوينا

جئنا مغانيك نُساكاً يبرحهم ... لقيا حبيب أقاموا حبه دينا
ولاءمتنا شعاب منك طاهرة ... كما تضم المحاريب المصلينا
لم ألف أحفل منها وهي موحشة ... بالمؤنسات.. ولا أزهي ميادينا
ولا أدق بياناً من مجاهلها ... ولا أرق لما توحيه تبيينا
حتى كأن الفجاج الغبر تفهمنا ... والمبهمات من الوادي تناغينا
تجاوبت بصدي الدنيا مفاوزها ... واستعرضت من بني الدنيا الملايينا
وانساب حشد الرمال السافيات بها ... يحصي الأناسي منها والأحابينا
كم لمت الشمس أوراساً وكم قطفت ... من الأهلة عرجوناً فعرجونا
وكم حوت من ربيع الدهر أخيلة ... فطرن رعباً.. وأفراساً فعرينا
أحالها النور شيئاً غير عالمها ... حتى كأنا بواد غير وادينا
حتى كأنا وضوء البدر يفرشها ... نمشي على غيمة منه تماشينا

***

الأرض .. والفقر

أوقـد مـن الحـق للـداجين نبراسـاً ... وأقـرع لإيقـاظ الكهـف أجراسـا
وأعـط اليراع كـما عـودت حرمتـه ... وامـلأ بـما يخلـد القرطـاس..قرطاسـا
يـا منصـف النـاس في هـم وفي ألم ... أمعـن– لـك الخير– فيما ينفـع الناسـا
أنـر دروبـاً دجـت حتـى كـأن بهـا ... وحشـاً مـن الفقـر والإذلال فراسـا
قـرأت «سـفرك» وضـاحا تليح بـه ... للنـاس مـن جـذوات الحـق نبراسـا
«والأرض» والفقر ضدان التقي طرف ... يحيـي بـآخر يـردي النبـل والباسـا
قرأتـه فكـأن الأرض تطلـع لي ... غـولا يجـوب رياحينـا وأوراسـا
وطـاف بي طـائف مـن أمـس مزدهـراً ... يشـيع في الشرق أعيـاداً وأعراسـا
هـذي القفـار تلـوح اليوم موحشـة ... في أمـس كانـت أفانينـا وأغراسـا
كانـت جنانـا رواء العـدل ينفحهـا ... عطـراً ويملؤهـا بشراً وإيناسـا
طابـت رخـاء فطـاب الملـك مجتمعـاً ... منها.. وطابت نفوس القوم إحساسا
حتى إذا اجتاحت الأطـماع سـاحتها ... تجيـل فيهـا مـن الإدقـاع أفراسـا
وحطهـا الظلـم مـن عليـاء عزتهـا ... وسـامها الخسـف إفقـارا وإبلاسـا
ومزقـت نـوب شـتي أواهلهـا ... وفـرقتهن ألوانـاً وأجناسـا
في حين راحت بما امتصت وما انتزفت ... تزهي«خضيراء» نشوي تنعظ الراسا
عـادت يبابـا كـأن المـوت يحضـنها ... كمـن تحضـن أجـداثا وأرماسـا
ويـا أمينـا عـلى النجـوي إذا افتقـدت ... ممالـك خانهـا الحـراس حراسـا

هز « المسوسين » عل النقد يوقظهم وعـظ فقـد يعـظ التـاريخ سواسـا

تـرجم لنـا نقـدات القـوم نلـف بهـا عنـد الصراع متاريسـاً وأتراسـا

إن يجلـف الحـق أو يـدرد فـإن بهـا فـيها تقـوم أظفـاراً وأضراسـا

خـير الأكـف يـد بـالخير مترعـة تنضـو عـن الشـعب أسمالا وأدراسـا

إنـا لنبـدل كـي نعمـي بصـائرنا عـن الحقـائق ميزانـا ومقياسـا

فالعبـاقر يـوم السـلم « أحمـرة » وبالمغـاوير يـوم الحـرب أنكاسـا

وننصـب الـوهم سـلطاناً ونمنحـه يـد المذلـة إخـلاءً وإسلاسـا

ونلهـب المصـلحين الغـر مثلبـة ونسـتزيد مـن الوسـواس خناسـا

ليت الكفاف ومثوي الطهر مرجسة أن لا نميـز عـلى الأطهـار أرجاسـا

تـرجم لنـا نقـدات القـوم تلـق بهـا عـلي السـفينة نهـب الـريح أمراسـا

وصـب كـما بلـت الأنـواء مجدبـة وطـب كـما عبـق الريحـان أنفاسـا

***

خلفت غاشية الخنوع..

خلفـت غاشـية الخنـوع ورائـي وأتيـت أقـبس جمـرة الشـهداء

ودرجت في درب على عنت السرى ألـق بنـور خطـاهم وضـاء

خلفتهـا وأتيـت يعـتصر الأسـى قلبـي وينتصـب الكفـاح إزائـي

وحمـدت نفسـا حـرة لم تنـتقص شـهد الوفـاء بعلقـم الإغـراء

صبغان يأتلقان ما عصف الدجى بالنـاس لـون سـنا ولـون دمـاء

يلدان فجرا صادقا حلو السنا ... خضل الظلال منعم الأفياء

من عهد «قابيل» وكل ضحية ... رمز اصطراع الحق والأهواء

ومرارة الثكل المقدس إرثة ... من «آدم» جاءت ومن «حواء»

وفظاعة التاريخ بلوى فكرة ... تهدى السبيل بفكرة عمياء

قد قلت للإلف الخدين يدلنى ... أنى تكون معالم الفيحاء ؟

قف بى على النسر الخضيب ولم لى ... منه نسيل قوادم حمراء

وتخط بى أرضا تعفر فوقها ... ملك السماء مدوخ الأجواء

قف بى فلست بمأتم لرثاء ... أيهان عرس رجولة ببكاء

قف بى ألم هنا قوافى جمعت ... للمجد من ألف به أو ياء

أنا لا أرى العصماء غير عقيدة ... مناسبة فى فكرة عصماء

هذا أنا .. عظم الضحية ريشتى ... أبدا ولفح دمائها أضوائى

أستلهم النغم الخفى يموج فى ... جرح الشهيد بثورة خرساء

وأحس أن يد الشهيد تجرنى ... لتلفنى وضميره بـرداء

هاتيك أبياتى يصوغ خيالها ... دون «العناصر» عنصر الأرزاء

وأولاء أزهارى يرعرع نشأها ... نبع الأسى وخميلة الضراء

كسبيكة الإبريز تعدل قوة ... الشهداء فيها رقة البؤساء

قالوا قرابين ، فقلت أرادها ... للأرض من وصى بها لسماء

عنى الإله بها فصيّر أمرها ... للناس فى أخذ لهم وعطاء

واختـار للفـدى للفضـل صـفوة ... مـن ناهضـتين بثقلـه أكفـاء
يهبـون أرواحـا فتـنهض أمـة ... شـماء مرسـاة عـلى الأشـلاء
وأثـابهم عنهـا الخلـود فهـا هـم ... نصـب شـخوص فى عيـون الرائـى

عـدنان إن دمـا وهبـت رسـالة ... أنـا مـن صـميم دعاتهـا الأمنـاء
آمنـت بـالحمر النـوافح فى الثـرى ... يبسـا ، أريـج الواحـة الخضراء
المهـديات العمـى أيـة رؤيـة ... والمسـمعات الصـم أى دعـاء
والمنـزلات عـلى المـدى سـور الهـدى ... ورسـالة الآبـاء للأبنـاء
والجـاعلات «الجيـل» جسر رديفـه ... وبنيـه للآتـين رمـز فـداء
آمنـت لا وحـى العقيـدة وحـدها ... لكـن بـها أسـلفت مـن خلصـائى
آمنـت إيـمان الحجـيج بقصـده ... فهنـاك لى جـدث عـلى البطحـاء
آمنـت إيـمان النهـار بشمسـه ... فلقـد غمـرت بنورهـا الوضـاء
آمنـت إيـمان الـدماء بنفسـها ... فأنـا الصـبيغ بهـا صـباح مسـاء

عـدنان لـو أفضى إليـك نـدائى ... ولـو اسـتمعت للهفتـى ودعـائى
ولـو انعطفـت إلى أحبتـك الألى ... يتصـيدون رؤى القريـب النـائى
أطريـك لـو أنجـاك مطـر مـن أذى ... ولـو اسـتردك سـالما إطرائـى
عـدنان يـا لطفـا تفجـر عـن دم ... يـا جـدولا ينسـاب فى صـحراء
ياضـحكة الفجـر النـدى تهشـمت ... بنعيـب فوهـة بومـة نكـراء
قـالوا أتعرفـه ؟ فقلـت وكنهـه ... عرفـان نـور الشـمس بـاللألأء

ولـــرب أرواح تـــذيع صـــفاتها ... حتـــى وإن عريـــت عـــن الأسـماء
يـــا أيهـــا البطـــل الموحـــد أمـــة ... بدمائـــه ، قدســـت مـــن بنـــاء
أســـلفت للأجيـــال خـــير عطـــاء ... ولقيـــت مـــن عقبـــاك خـــير جـــزاء
وأقمـــت مـــن ذكـــراك مزحـــف فيلـــق ... فى كـــل معركـــة وخفـــق لـــواء
اليـــوم تحصـــد أمـــة حلـــو الجنـــى ... ممـــا زرعـــت بهـــا مـــن الخلفـــاء
الحارســـين الشـــعب مـــن أعدائـــه ... والشـــعب يحرســـهم مـــن الأعـــداء
والشـــاربين بمثـــل مـــا يســـقونه ... بالحـــب صـــنع النخبـــة النـــدماء
عـــدنان لا ثـــار فأنـــت مـــبرأ ... مـــن ضـــغنة ، عـــف عـــن الجبنـــاء
كفـــت الجريمـــة خزيـــة ونكايـــة ... لمعـــذبين بجـــرمهم تعســـاء
عدنان ما جدوى قصاصك من يد ... ألـــوى بهـــا مســـتعمر ، جـــذاء
عـــدنان ثـــأرك أن تطـــوح أمـــة ... بركـــائز المـــوحين للعمـــلاء

عـدنان أنطقنـى فقـد خنـق الشـجا ... بفمـــى البليـــغ مقالـــة البلغـــاء
حاســـبت نفســـى والأنـــاة تردهـــا ... فى معـــرض الـــتصريح للإيـــماء
بينى لعنـت فلسـت منـك وقـد مشـى ... فيـك الخمـول ولسـت مـن خلطـائى
مـــاذا يميـــزك والســـكوت قســـيمة ... عـــن خـــانع ، ومهـــادن ، ومرائـــى
أبأضـــعف الإيـــمان يخـــدع نفســـه ... مـــن ســـن حـــب المـــوت للضـــعفاء؟
أيـــزم مـــن شـــفة عـــلى عـــذباتها ... نضـــحت أمـــانى عـــزة وإبـــاء؟
خـلى النقـاط عـلى الحـروف وأوغـلى ... فى الجهـر مـا وسـعت حـروف هجـاء

مــا أنــت إذ لا تصــدعين فواحشــا إلا كراضــيــة عـــن الفحشـــاء

أضــحية الحلــف الهجــين بشــارة لــك في تكشــف ســوءة الهجنــاء
أسطورة «الأحلاف» سوف يمجها ريــخ مثــل خرافــة «الحلفــاء»
سرعــان مــا تنهــد بعــد أوارة تعشــى العيــون كفحمــة الطرفــاء
قــالوا «تعاقــدنا» فقلــت هنئــتم بقــران فــرط خنــا بفــرط غبــاء
واهــزأة الأحــلاف بــين مســخر ومســـخرين ، وســـيد وإمـــاء
يــا مــن رأى «حلفــا» عجيبــا أمــره بــين الثــرى وكواكــب الجــوزاء
وتعلقــت هــزءا عــلى أضــوائه بنيــوت ذؤبــان أكــارع شــاء

هاتيــك أنعــم حلفــة وإخــاء إعصــار طــاعون وريــح وبــاء
وعصارة للرجس تنسف ما ابتنى الأجــداد مــن أكرومــة وحيــاء
وجيــوش بغــي تســتعين بمثلهــا مــن خــائنى وطــن ومــن دخــلاء
نسجوا نسيج العنكبوت وها هم منــه بليلــة حاطــب عشــواء
واهــى الخيــوط يشــف عــما تحتــه فكــأنهم منــه بغــير غطــاء
واعتــاص رتــق فتوقــه حتــى مشــى ســأم الكــلال عــلى يــد الرفــاء

دوى عــلى المســتعمرين صــواعقا وعــى الشــعوب ويقظــة الــدهماء
وتكشــفوا عريــا عــلى أضــوائها مثــل اللصــوص بليلــة قمــراء
وتقيحــت مــن زمنــة فتعفنــت بصــديدهن ضــمائر الأجــراء
فهــم كفــاجرة تغطــى جهــدها صــدق الفجــور بكــاذب الخــيلاء

وهـــم كخرقـــاء تــنفش عهنهـــا　　صــيفا وتــنقض غزلهــا بشـــتاء
وهـــم يزمـــون الحقائـــب خشـــية　　مـــن فجـــأة الأقـــدار كـــالنزلاء
ســـتغذ فى غـــد القريـــب كتائـــب　　لحتـــوف معتصـــمين كالزبـــاء
ستدوس أقـدام الشـعوب كخرقـة　　مهـــروءة مـــن كـــان ســـوط بـــلاء
ســـيرون كيـــف تجيـــد فى إبانهـــا　　صـــنع المعـــاجز جمـــرة البغضـــاء
ســـيرى عتـــاد الأجنبـــى بعينـــه　　مرمـــى عقيـــدة أمـــة عـــزلاء
ســـتعود تصـــهر طلقـــة وقذيفـــة　　ترمـــى الطغـــاة سلاســـل السـجناء

عـــوذت «جلـــق» بالضـــحايا جمـــة　　مـــن كيـــد همـــاز بهـــا مشـــاء
مـــن ســـائرين القهقـــرى لم يعرفـــوا　　بـــين الجهـــات الســـت غـــير وراء
عوذتهـــا بـــأغر أبلـــج مصـــلت　　كالسيف «شكرى» كاشـف الغـاء
بالحامـــل الأعبـــاء يشـــمخ فوقهـــا　　أمـــل العروبـــة أثقـــل الأعبـــاء
بمســـعر الجمـــرات يحـــدو أمـــة　　لم تخـــل فى الأزمـــات مـــن حـــداء
عوذتهـــا بشـــبيبة ، رأد الضـــحى　　مـــن بعضـــها ولطافـــة الأنـــداء
عودتهـــا بالمـــالكى ورهطـــه　　مـــن صـــفوة العقـــداء والـــزعماء
مـــن نـــاذرين نفوســـهم لم يعرفـــوا　　فـــيهن غـــير فريضـــة وأداء
بشراة مـوت يزحفـون إلى الـوغى　　زحـــف الحبيـــب لموعـــد ولقـــاء
وبراقـــد فى «ميســـلون» وطيفـــه　　متنقـــل ينهـــى عـــن الإغفـــاء

يا شام يا لمح الكواكب في دجى ... يا موكب الأعراس في صحراء

يا موئل الذكرى يغطي أرضها ... وسماءها حشد من الأصداء

يا أم «أقيال» ومدرج أمة ... وعرين أشبال وكهف رجاء

يا أخت «غسان» ينام رهطه ... يوماً بجلق – سيد الشعراء –

يا بنت «مروان» يركز راية ... حمراء فوق رمالك السمراء

يا ملعب البيض الغرائر يمحي ... يوم الغرام به بيوم لقاء

أبدا يضوع به لفتيان الحمى ... غزل يذوب على لظى الهيجاء

جل العلا أبنيت من أشلاء ... أرفعت فوق جماجم ودماء؟

لله أنت أكل يومك حاشد ... برجولة ومروءة وفتاء؟

في أي جو عابس لم تسفري ... ريا الجنان ندية الأضواء؟

وبأي سوح مكارم لم يرتفع ... علم عليك مثلث الأجزاء؟

اليوم عيد الواهبين، وفي غد ... عيد الفتوح ، وأمس عيد جلاء

قدما دمشق لسنة عودتها ... في الحمد من عود على إبداء

أفزعت من محل الخطوب سياسة ... بناءة ونتجت من عشراء

سلمت يداك فقد قسوت عليها ... في عصر رأس الحية الرقطاء

لم يبق منها غير سؤر حشاشة ... يلوي بها ذنب وغير ذماء

أنهي فديتك أمرها وتخلصي ... منها ومن قشر لها ملساء

وتحضنى جيلا أسلت لرعيه خير الصدور وأكرم الأثداء
ردى الأمانة يستتسر بنورها «عدنان» وهو بلجة الظلماء
أنفاسك الروحاء هن بقية للمجد من أنفاسك للصعداء
يا كوكب الشهداء شكوى مرة لك ترتمى من كوكب الشعراء
قسما بقبرك وهى حلفة صادق أجلى بيانا من أجل ثناء
ما ضيعة الشهداء فى أسر الردى كمتاهة الشهداء فى الأحياء
فى كل يوم ميتة ملحودة بالصبر آونة وبالإغضاء
وبكل زاوية ضمير يلتوى لى الطعين بحربة عقفاء
أبدا تنز دما جراح كرامة هانت هوان الجرح فى عجماء
حسب الكريم من الأذى إحجامه حتى عن الشكوى من الإيذاء
وكفى الشجاع روية وعزيمة ذلا تمنى عيشة الجبناء
وسقيت من وعى البلاد وعزها ما يصطفيك بروضة غناء

***

قصة..

قال طفلى – وقد رميت بقاع وتلاقت على شتى البقاع
لزنى فى العذاب حاكم «بغداد» بأمر من أجنبى مطاع
واجتوانى حكام «مصر» و «لبنان» يخافون مقولى ويراعى
كنت أنى حللت ثم وهنا من عتو الولاة ضيف السباع
أبتى كيف يستجيب لك الرزق وقد جانبتك شتى الدواعى
ولديك الحمل المطوع ما كان لحر سواك بالمستطاع

عـن حـرام.. أم عـن طـماع ولم تعـ ... ـرف حراما.. ولا خسيس طماع

قلت : احفظ عني حديث الطباع ... ومـداها في رفعـة واتصـاع
أنـا سـميت شـاعر البلـد الأوحـد ... مـلء الأفـواه والأسـماع
كـل عـرس أنـا «المغنـي» وفي ... كـل عـزاء أنـا الهتـوف النـاعي
كسر الموت من جناحي وطاحت ... في سـبيل الـذياد عنـه ذراعـي
وحرمـت النعـيم مـد جناحيـه ... يقينـي ومـن معـي كـالشراع
عـن يمينـي وعـن شـمالي عـزين ... شـبه نـاس شـتائت أوزاع
فهـم الصـاحب المداجي ، وخـدن ... يـوم خمـر ، وتـوأم في رضـاع
أيسروا مـؤثرين إرغـادة الـواني ... عـلى شـقوة الكمـي الشـجاع
وحـوالي كـل منـتفخ الأوداج ... مـن فـرط بطنـه وارتبـاع
كـل مسـتقبح القـذالين غطـت ... جـده العـيش منـه نكـر الضـباع
وبهـيم أوفـت بـه غفلـة الدهـ ... ـر عـلى أي مركـب ومتـاع
من قصـور ومـن حبـور ومـن ميـ ... ـسور جـاه ، ومـن قـرى ، وضـياع
وأنـا عنـدهم أثـير عـلى فـرط ... اخـتلاف في زحفهـم واندفاعي
أشتكي صادقا ويشكون عن كذب ... - بـلادا تنوهـت - وخـداع
لم يمـروا يومـا ببـابي .. كـأن لم ... تـك بـاب العـلى وغـر المسـاعي
وكـأن لم تـداو مـنهم نفوسـا ... وبئـت .. جمـرة القصـيد المذاع
وكـأن لم يـدروا بـأني لـو شئـ ... ـت لأنزلـت في جنـان وسـاع

أنــا خصــم الإقطــاع والإدقــاع ... وكثـــير فى ذلكـــم أتبـــاعى
لم أدع منـــه مقـــتلاً لم أمرغـــه ... بســـهمين ولم أطلـــه بيـــاعى
وغريــب جــم البداعــة والأيــام ... تـــأتى غرائـــب الإبـــداع
أن يقينـــى شر احتـــاجى إلى الأد ... نـــين «شـــيخ» فى ذروة الإقطـــاع
لا أســـميه .. إنـــه يمقـــت «التمـــ ... ـــجيد» مـــن بـــائع ومـــن مبتـــاع
كـــان يســـعى إلى إذ لا صـــديق ... بمـــوات ، ولا قريـــب بســـاعى
كـــان يهتـــز مشرقـــا بـــين موقيـــ ... ـــه ضـــمير المولـــه الملتـــاع
كـــان ينصـــب فى الـــدياجر ســـودا ... حلكـــا مثـــل كوكـــب منصـــاع
كـــان يبـــدو كأنـــه مـــن حيـــاء ... وحبـــاء ، ونخـــوة ، فى صراع
كـــان يـــوحى لحـــن الوفـــاء ويستـــو ... حـــى صـــداه ، حلـــو اللقـــا والسماع
كان محض النجار والحب والإعزاز ... والصـــمت.. كـــان محـــض الطبـــاع
كـــان بقيـــا الـــنماذج الغـــر مـــن فـــر ... ســـان يـــومى أكرومـــة وقـــراع
قـــال طفـــلى : أذلـــك الملـــك النـــازل ... صـــبحا مـــع النـــدى والشـــعاع
الـــذى كنـــت أرتعـــى منـــه فى نـــو ... مـــى بمـــرج رحـــب الظـــلال مشـــاع
المليـــح السرور واللطـــف فى الأنـــ ... ـــفس غمـــت مـــن كربـــة وارتيـــاع
قلـــت : بـــل ذلـــك الكـــريم الـــواعى ... يـــتقصى أمـــر الكـــريم المضـــاع
ليس يعفى ندى الكـريم دجى الليـــ ... ـــل ولا صـــمته مـــن الإشـــعاع

***

الجزائر

ردى علقـــم المـــوت لا تجزعـــى ... ولا ترهبـــــى جمـــــرة المصرع

فـمـا سـعرت جمـرات الكفـا ... ح لغـير خليـق بهـا أروع
ولا تهنـي إن سـموم الفخـا ... ر يشـق عـلى الهـين الطيـع
دعـى شـفرات سـيوف الطغـاة ... تطبـق منـك عـلى المقطـع
فأنشـودة المجـد مـا وقعـت ... عـلى غـير أوردة قطـع
وخـلى النفـوس العـذاب الصـلاب ... تسـيل عـلى الأسـل الشرع
فسـارية العلـم المسـتقل ... بغـير يـد المـوت لم ترفـع
ومـدى يـداً لمجـر النجـوم ... وأخـرى إلى الجـدث البلقـع
فإنـك والمـوت دون الحيـاض ... صـنوان لـلشرف الأرفـع
ردى علقـم المـوت بـئس الحيـاة ... ترنـق بالـذل مـن مكـرع

«جزائـر» يـا كوكـب المشرقيـ ... ـن دجـا الشرق من كربـة فاطلعى
ويـا عقـب العـرب المغـربين ... أعيـدى صـدى «عقبـة» تسـمعى
أجـدى عهـودا عفـت وابعثـى ... نوافـع مـن سـفرها المتـع
إذ الحـق يغمـر مـن بلقـع ... ربـى الخلـد فى مسـكه الأضـوع
وإذ «يثـرب» تلهـب المشرقيـ ... ـن بـالعبقرى وبـالألمعى
وإذ يهـزأ البـدوى الأميـ ... ـن مـن تـاج «قـيصر» أو «تبـع»
وإذ حـور «الأنـدلس» تصـطبى ... لـرود أعاريـب فى «الأجـرع»
وإذ غـن أغياضـها تسـتمن ... قفـرا يبيسـا بـلا أزرع
و«رومـا» تكـب عـلى وجههـا ... وتمسـح مـن خـدها الأضرع
تكفكـف ذيـلا أثـار العجـا ... ج عـلى مغـرب الشـمس والمطلـع

تطـــالع بـــالموت فى يقظـــة ... وفى النـــوم بالشـــبح المفـــزع
وتفصـــد أعراقهـــا لا الحريــــ ... ـــر نطـــع ولا الكـــأس للمـــترع
وتطعـــن فى «جلـــق» بـــالفؤاد ... وتمنـــى بــــ «وهـــران» فى الأذرع
ففـــى الـــبر مـــوت بـــلا مهـــرب ... وفى البحـــر مرســـى بـــلا مقلـــع

«جزائـــر» يـــا جـــدث الغاصـــبين ... بوركـــت فى المـــوت مـــن مربـــع
ويـــا نبعـــة الصـــبر الصـــامدين ... لوتهـــا الريـــاح ولم تقطـــع
تعاصـــت فلـــم تعـــط مـــن نفســـها ... لنكبـــاء مجنونـــة زعـــزع
ثبـــى فمنـــاط رجـــاء الشـــعوب ... ومـــوت الطواغيـــث أن تفزعـــى
«جزائـــر» مـــا أنـــت مجذومـــة ... ولا أنـــت بـــالوتر لم يشـــفع
ولكـــن منـــى أمـــة ، والصـــميم ... وذوب حشاشـــتها أجمـــع
«جزائـــر» دارت بمســـتعمر ... رحـــى مـــن يضرس بهـــا يهلـــع
طحـــون تـــذرى هشـــيم العتـــاة ... عـــلى مصـــطل نـــارهم مـــدقع
وآذن فجـــر الشـــعوب العتـــو ... ف ينشـــق عـــن يقظـــة المهجـــع
وكـــان النضـــال صـــدى يختفـــى ... ويخنـــق فى زحمـــة المـــدفع
فهـــا هـــو ذا دارة للنجـــوم ... تســـبح فى فلـــك أوســـع
وكـــان المناضـــل فى لجـــة ... العمايـــات ينـــداح كـــالقوقع
فهـــا هـــو فـــيما يهـــم الحيـــاة ... والنـــاس كـــالكف والإصـــبع
«جزائـــر» ســـامك خســـف الهـــوان ... شرع لمثلـــــــــــك لم يشرع
وســـفر بـــه المثـــل الصـــالحات ... ردت إلى الخلـــق الأوضـــع
أذيلـــت صـــحائفه النـــيرات ... وديســـت وليثـــث بمســـتنقع

مشت لك «باريس» أم الحقوق وحشا يدب على أربع

تمزق أظفاره أمة بحق الحياة لها تدعى

«فرنسا» .. وما أقبح المدعى كذابا ، وما أخبث المدعى

فداء لمقصلة الثائرين مجازر للشيب والرضع

لك الويل من رائم أطعمت دم الراضعين ولم تشبع

وحادية أنزلت ركبها خداعا على مذئب مسبع

فيا عجبا من دبى مهلك على الزرع والضرع مستودع

ولص يجوس خلال الديا ر في بزة الأفقه الأروع

ومستذئب يستميل الرعاة لتلجأ منه إلى مفزع

لك الويل فاجرة علقت «صليب المسيح» على المخدع

تهدم «بستيل» في موضع وتبني «بساتيل» في موضع

أمن «مشعل النور» ما تحرقين أباة على الضيم لم تربع

ومن يوم «تموز» ما ترسلين شواظا على هلع فزع

ومن «مطبخ» الثورة المدعاة ما رحت تطهين للجوع

فيا سوأة الدهر لا تطلعي ويا بؤرة الغدر لا تنبعي

ويا قرحة في صميم الشعوب قيئي صديدك واستبضعي

تواري فإن هوان الحياة والطهر والعدل أن تطلعي

وظلي بحيث يظل الغراب يحدج في جشث وقع

جزائر كيلي بصاعي حقود عم في ضراوته مقذع

عـلى موجـع الظلـم بـالأوجع ... ومستبشـع الحقـد بالأبشـع
خذى الوحش من ظفره وانزعى ... ومـن نابـه حـردا واقلعـى
وشـقى مرارتـه وامضـغى ... وشـؤر قرارتـه فـاجرعى
دعيـه يـذق مـا أذاق الشـعوب ... مـن الهـول والفـزع الأفظـع
وجريـه فـوق رغـام أجـر ... عليـه مواكبهـا يركـع
وتـلى بخـد لـه أصعـر ... يمـرغ ، وجيـد لـه أتلـع
وديفـى الصبـوح لـه والغبـوق ... بجـام بصرف الأذى مـترع
وخليـه يرتـاد مـن أضـلع ... خـواء ويـورد مـن مـدمع
«جزائـر» دقـى بجـرس المنـون ... عـلى مسـمع مغلـق يسـمع
دعـى حسـك الحقـد والانتقـام ... يقضـان مـن نـاعم المضـجع
وخـلى الرقـاب الغـلاظ القبـاح ... تـرق عـلى تـرف المبضـع
وسـلى المخالـب مـن أذؤب ... تعـاوت عليـك ومـن أضـبع
تلـوك بلحمـك فى ماضـغ ... هريـت بحـر دم مشـبع
ودورى بكـأس الهـوان الفظيــ ... ـع عـلى مـترع مثلهـا يكـرع
صـمودا «جزائـر» لا ترهبـى ... شـذاة الصـمود ولا تفزعـى
يحـم أخـو الحـق مـن مـربح ... كـما حمـت الشـمس مـن مطلـع
وفجعـا وإن شـق فهـو الضـمين ... بأنـك مـا عشـت لـن تفجعـى
خـذى فى السـماء ولا تجنحـى ... ومـوتى هنـاك ولا تخضـعى
ومهـما ترضـيت دون الحيـاة ... حيـاة الكـريم فـلا تقنعـى
دعـى الخيـل فى جثـث ترتمـى ... وسرح القنـا مـن دم يرتعـى

أطيحى فديت .. بخير الرؤوس حصيد المدرع والمدفع
فلم أر وردا كضرع الحتوف مرته يد الأروع الأشجع
يظل المليحون طول الحياة يؤوبون منه إلى منبع
فصونى ثرى غدك المستجد بنضح دم فائر يمرع
وزيدى ضحاياك تزدد بها نجوم سماواتك اللمع
فلم تشتعل كدم الثائرين مصابيح فى حالك أسفع
وما هى إلا ضلوع تقر لهول يطوح بالأضلع
ورجل تثبت فى جاحم من الضر من يعله يضلع
وعين تحد صميم البغى ومقتل رجس به مودع
وكف توتر من قوسها وأخرى تشد على المترع
وإغماضة ثم يهوى العتل هوى الجنادل من متلع

«جزائر» لو نهنه السادرون ولو آب غاو إلى مهيع
ولو أبصر العمى عمى القلوب ولو حسر الغى عن برقع
ولم أر كالحق من منبت يفىء الحياة ومن مزرع
تضاعف حباته نسلها متى يقتطع ناهض يرجع
ولا مثل راكبة وعيها إلى الحق من منجح مسرع
ولا كالمحاول خنق الشعوب بكفيه من أحمق لا يعى
ولكنه البغى ، سطو الجبان وعون اللئيم ، ودعوى الدعى

«جزائر» أسطورة حلوة بشمس يرد على يوشع

تنبى بإمكان ما يستحيل … على خالق مؤمن مبدع
وعن بعد مستبقين السماء … بأرحب من جوها أوسع
وخاوين من همة قنع … بلا مطمح ، وبلا مطمع
فلمى صفوفك واستجمعى … تردى الحياة وتسترعى

***

النبّاشون ..

أبصرت «حفارا» بمقبرة … نكراء يوسع أهلها «نبشا»
قد كنت أعرف أن ساكنها … ممن أشاع «الكيد» والبطشا
ومن الذين يرون موهبة … للمرء أن يرشو وأن يرشى
قد كنت أعرف ههنا جدثا … ضم الغباء وعانق الفحشا
وهناكم من كنت أعرفه … يخشى «زرازيرا» ولا يخشى
قد كنت أعرف ههنا جيفا … تؤذى الثرى وتدنس النعشا
فإذا «مداد» كالصديد قذى … يكسو يراعا يشبه - الرفشا -
فيخط فوق وجوههم نقشا … وإذا بها بنقيضها تنشى
وإذا الزنيم اللص يبعثهم … مثل الملائك حفت «العرشا»
وإذا قحيف فارغ عفن … بالعبقرية فذة يحشى
وإذا كعين «الصقر» .. مغمضة … عن أن تحس خيالها تعشى
وإذا بـ«نابليون» يهزمه … «هر» يصاول ضيغما نفشا
وإذا «روفائيل» يزاحمه … من لا يميز لصورة نقشا

وإذا بطـــون الغيـــب تســـألني ... مـــا لســـت أملـــك رده دهشـــا
أفمـــوطن فيـــه يعاســـبة ... كـــأولاء كيـــف بطاحـــه تغشـــى
وعرينـــه كيـــف استبيح وحمـــى ... للـــواغلات تلـــذه فرشـــا
لم لم يـــذد عـــن حوضـــه حنفـــا ... لم لم يـــزع عـــن عرضـــه وحشـــا
ولم اســـتبد الفقـــر يقضـــمها ... ويحشـــها بنيوبـــه حشـــا
ولم ابتنـــى جهـــل ومســـكنة ... مثـــل الغـــراب فويقهـــا عشـــا
لم لم يثبـــت أمـــة خفقـــت ... خلـــل الريـــاح كريشـــة رعشـــا

***

رجل..

وتســـاءلت عرســـي وفى دمهـــا ... قلـــق، وفى قســـماتها وجـــل
أمـــس اســـتمعتك تطـــرى رجـــلا ... مـــن زائريـــك بأنـــه رجـــل
أوضـــح ســـلمت فأنـــت مـــن غنيـــت ... المفـــردات لديـــه والجمـــل
رجـــل.. ومـــا إن كـــان بيـــنهم ... أنثـــى، ولا طـــير، ولا جمـــل
هـــل قالـــت «الأبقـــار» ذا بقـــر ... فينـــا، أم «الجمـــلان» ذا حمـــل
أم هـــل تـــنفج شـــامخا جبـــل ... يـــوم التفـــاخر أنـــه جبـــل
لا شـــك أن وريفـــة شـــجر ... ومنيفـــة بترابهـــا جبـــل

هـــل قـــد صـــمت.. أأنـــت محتقـــرى ... أن لســـت أعـــرف مـــا هـــو الجـــدل
أن لســـت بـــالكلمات أشـــتمل ... أن لســـت بالإبـــداع أنتعـــل
أن لســـت أعـــرف سر قافيـــة ... مـــا بـــين «إن» وأختهـــا تصـــل

يـا بنـت فطرتهـا وكـم غلبـت | بـالفطرة الآراء تنتحـل
الحـق عنـدك آمـن أبـدا | طلـق وعنـدى غـائم وجـل
والبربريـة شـل منطقهـا | عقـلا ، يخـاف شـذاته الشـلل
لم تـدر بنـت الغـاب مـا زلـل | وبنـو الـدهاء .. أخـوهم الزلـل
لا تخجلينـى إننـى بشر | جـم العيـوب . وبعضـها الخجـل
قـل الرجـال .. فقيـل ذا رجـل | أمـا «الوعـول» فلـم يقـل وعـل
وستسـألين وكيـف تعرفـه | رجـلا ، ألسـت تـروح ترتجـل
يـا بنـت فطرتهـا سـنا ودجـى | ورؤى تعـن وعـارض خضـل
سـأكون مثلـك سـاعة سـنحت | يـا ليـت عمـرى عنـدها بـدل
أنـا فى محـيط عشـته ملـك | لـو صـحت الأمثـال والمثـل
فتصـورى ملكـا يـراوده | الكـذب ، والبهتـان ، والـدجل
وتصـورى مـا شـئت مجتمعـا | أنـا فيـه يـوم تفـاخر بطـل

***

بورسعيد

يـا معـدن الخسـة مـن تقاتـل | وفـوق مـن تسـاقط القنابـل
أأصـيدا يـذود عـن أوطانـه | أم حـرة عـن عرضـها تناضـل
أم هـم عجـوز ترتمـى .. وصـبية | ومقعـد . ومرضـع . وحامـل
وفـيم أنـت والغـراب صـاعد | ومـم أنـت والوبـاء نـازل
يـا معـدن الخسـة .. ثـم معبـد | فيـه إلـه تدعيـه ماثـل

ومعهـــد يمـــد فى حضـــارة هنــا زهــت والكــون غــر خامــل
ومصـــنع تعيـــل فى أكنافـــه أطفالهـــا عاملـــة وعامـــل
يـــا معـــدن الخســـة نكـــس علــها تطهـــرت مـــن لمســـه الأنامـــل
رف عـــلى الشـــمس فغطـــى نورهـــا بخزيـــه .. وهـــو بخـــزى آفـــل
واطـــو «شـــعارا» أفـــرخ الغـــى بـــه وامتهنـــت عاليـــه الأســـافل
يفـــدى بـــراثن «الهزبـــر» مصـــحرا الأســـد المزيـــف المخاتـــل

«كنانـــة الله..» اســـلمى ، إن المنـــى دونـــك لغـــو.. والحيـــاة باطـــل
يـــا دارة المجـــد مشـــت رواعـــد للغـــدر فيهـــا وارتمـــت زلازل
لا تهنـــى..وإن أغـــد عاجـــل للخـــير..واســـتأنى بخـــير آجـــل
وإن غـــدت إذ يمطـــر العهـــر الـــردى فى وصـــفه تنســـاقش المحافـــل
تـــذكى مـــن الشـــعب الرزايـــا جـــذوة كالســـيف تجلـــو حـــده الصـــياقل
«كنانـــة الله» ســـيجلو عاصـــف ويمحـــى ضـــر . ويثنـــى واغـــل
وتنـــبرى مـــلء الصـــعيد والســـما تـــزدحم الأســـود والأجـــادل
خـــوضى دمـــا «أســـوان» منـــه مـــترع عـــبر القـــرون و«الصـــعيد» حافـــل
واســـتكملى مرحلـــة مـــن العنـــا مـــرت عليـــك مثلهـــا مراجـــل
واحـــتملى ثقـــلا تمرســـت بـــه شـــامخة مـــن صـــيدك الكواهـــل
كـــم غـــاص فى رمالـــك الســـمر غـــو غـــاز..وكـــم ديســـت بهـــا جحافـــل
وكـــم مشـــت مـــن فـــوقهم مزهـــوة تحـــدو ركـــاب العـــزة القوافـــل
خـــط «أبـــو الهـــول» لهـــا مصـــايرا تعرفـــه الأغـــوار والمجاهـــل
الصـــامت الـــواعى ..يـــرى آجالهـــا تـــدنو ..فيســـتهزى بـــها تحـــاول

ذابوا وظل النيل يجرى صاخبا وظل منداحا عليه الساحل

«كنانة الله» اسلمى لأمة أنت لها الغاية والوسائل
أنت لها رأد الضحى وشمسه من بعد ما رانت بها الأصائل
تسعون مليونا عليك فائت يعطفها..وحاضر..وقابل
وأضلع كأن كل خافق تحمله على هواك نازل
مرت بها«ألف»يلوك لحمها ذل ، ويبرى عظمها تواكل
ما عقمت يوما ولكن حرة تخطفت وليدها القوابل
وأسلست قيادها ، فزائغ عن لا حب الدرب بها ..ومائل
حتى إذا تنفس الصبح لها عن أبلج تزهى به الشمائل
عن ألمعى يهب الجن النهى به غواة عبقر تباهل
حتى إذا تمخضت عن مارد تعجز أن تنقصه الحبائل

عن مصلت أفرغ فى جاحمة لم يلهه الغمد ولا الحمائل
عن حنضل غص به مر الشجى وجندل رضت به جنادل
حتى إذا انشق جمال عن ثرى يبس فرفت فوقه الخمائل
يلم شملا لعب الدهر به ونال منه اليأس والتخاذل
حتى إذ وعت بعيد غفلة فينم ، وعما ، ولمن تناضل
حتى إذا «الصقر» تمطى مغضبا تخاف منه الغيلة الغوائل
حتى إذا انصب يشد صلبها كابن اللبون ذب عنه بازل
تجمع البغى على منقاره دم الشعوب ، لم يزحه غاسل

واستنفر المفـوح مـن آثامـه فصـائلا تزحمهـا فصـائل

تجمـع البغـى مغيظـا تغـتلى فيـه علـى الـوعى اغـتلى مراجـل

واصـطرع الباطـل وهـو فـارس مـدجج..والحـق وهـو راجـل

مـات الضـمير فانطفـا..واتقـدت مـن حمـم القـواذف المشـاعل

وابتـدرت عـوالم تسـاءل مـا الله والشـعب الأبـى فاعـل

«كنانـة الله» والله يـد تلـوى يـد الطـاغوت إذ تصـاول

صـبرا لحـين يـدرك البغـى الـونى صـبرا ليـوم تكشـف المقاتـل

صـبرا علـى «حنظلـة»مكربـة تخجـل مـن مريرهـا الحناضـل

***

وحي الموقد

إن عرسـى وهـى جاحمـة فجـة..لـون مـن الأدب

جـاءت «الكـانون» توقـده وبـه جـزل مـن الخشـب

فـوق بعـض بعضـها ، طبقـا لائـذات..صـنع مرتعـب

خفـن فاستسـلمن عـن فـزع للمنايـا..شر مرتقـب

ومشـى بـرد الرمـاد بهـا كتمشـى المـوت فى الركـب

خلتهـا والعـود يلمسـها تثقـل «الكبريـت» بالعتـب

فتأبـت ، ثمـة ارتعـدت ثـم أقعـت ، ثـم لم تثـب

وانـبرت مـن يأسـها سـكنى هـرة مفضـوحة الغضـب

قلـت : أذكـى – ويـك – جـذوتها وأريحيهـا مـن التعـب

أطعميهـــا الزيـــت يمـــش بهـــا مشـــية الكفـــران فى الســـغب
فاســـتعاذت وهـــى قائلـــة لـــيس هـــذا «الجـد..!» مـــن لعبـــى
إنهـــا أفعـــى..وقـــد علقـــت عضـــة منهـــا..عـــلى ذنبـــى
إى وأمـــى!..أحرقـــت كتـــدى فأطارتـــــه .. وشـــيب أبـــى
قلـــت هاتيـــه..وثـــار لهـــا ضرم كـــالبرق فى الســـحب

شـــب فى مبـــيض ســـالفتى فكـــأنى بعـــد .. لم أشـــب
وأتـــى وجهـــى فلطخـــه كخلـــيط البـــسر والرطـــب
ومشـــت عرســـى لتســـعفنى – وكـــما تهـــوى لتشـــمت بـــى
هتفـــت : بئســـت مغـــامرة يـــا بـــن خمســـين.. أأنـــت صـــبى
أو مـــا تنفـــك محتضـــنا لعبـــة .. مـــن هـــذه اللعـــب
قلـــت: يـــا هـــذى لـــو اخترمـــت مفرقـــى شـــقين لم أتـــب
أنـــا ذا مـــن أربعـــين خلـــت أطعـــم النـــيران باللهـــب
فـــإذا خفـــت وضـــعت لهـــا خـــير لحمـــى موضـــع الحطـــب
راح فى حـــرف يزخرفـــه وهـــو عـــن شيء ســـواه غبـــى
نحـــن فى العقبـــى سواســـية نلتقـــى طوعـــا عـــلى ســـبب

أنـــت قـــد أوصـــتك شـــعلتها أن تـــوقى ســـوء منقلبـــى
وأنـــا يـــوحى إلى بهـــا أن تقحمنـــى .. ولا تهـــب
وكـــذا يـــدرى الجبـــان وغـــى فيســـمى الحـــرب بـــالحرب

وتـــرى نفـــس الشـــجاع بهـــا لـــــذة .. كالحـــــك فى الجـــرب

قـــد حببـــت النـــار عـــن صـــعد وأثـــرت النـــار عـــن صـــبب

ورأيـــت «الوغـــد» يشـــعلها لا لشـــــيطان .. ولا لنبـــــى

يجـــتلى بـــالنور يســـكبه وهـــج الألقـــاب والرتـــب

ويـــرى فى بـــؤس فحمتهـــا بهرجـــات «المـــاس» .. والـــذهب

أنـــت خـــير مـــنهم ، ســـكنى تقتلـــين الخـــوف بـــالهرب

وأنـــا أزكـــاكم أربـــا أستشـــف «الخـــير» فى العطـــب

أشـــعل «النـــيران» لا رغبـــا وأصـــاليها بـــلا رهـــب

غـــير علـــم .. أنهـــا ســـبب لحيـــاة ..أيـــما ســـبب

***

ذكرى المالكي

ترنحـت مـن شـكاة بعـدك الـدار وهـب بالغضـب الخـلاق إعصـار

وأرعـد الـوطن الغـالى وقـد ثقلـت عليـه ممـا جنـى الجـانون أوزار

واستصرخت حلبات السبق فارسـها وقـد هـوى ، وانتخـى شـوط ومضـمار

ومـر طيفـك بالفرسـان فانعقـدت عليـه كـالحلم المخمـور أبصـار

مشـى الهـداة عـلى أضـواء ضـحكته واسـتلهمت دمـه الفـوار ثـوار

قـال «المغـاوير» إعجابـاً بسـيدهم حسـب الكتائـب يوم الـروع مغـوار

حسـب الـدجى قمـر يجلى العـماء بـه وفى السـماء مصـابيح وأقـمار

وكـان خلـف العـزاء المرتجى فلـك بغـير مـا أمـل الراجـون دوار

تبنـى الحيـاة وتختـار الرجـال ومـن ورائهـا المـوت يـدرى كيـف يختـار

جل الشهيد كأن الله جسده ... نورا تغار به فى الجنة النار

فى هذه الدار إيثار وتضحية ... وفى ذرى الخلد جنات وأنهار

هناك حيث يحوك الخلد سندسه ... أما الذى حاكت الدنيا فأطهار

يا من سقى دمه خير الزروع مشت ... تصد بعدك عنه الماء أشرار

ويا أخا الجدث الثاوى بمدرجة ... تهفو عليه رياحين وأزهار

منذ اصطفاك فداء معجلا قدر ... تعاورت وطنا فديت أقدار

من كل فج تنادت والتقت زمرا ... إن المقادير أرحام وأصهار

منهن عون نتاج الشرق مزمنة ... فينا ، ومنهن ، صنع الغرب أبكار

عدنان لم تزل الدنيا يصرفها ... فى الخير والشر أنفار وأنفار

وليس ينفك باسم البر محترف ... غاو يهدم ما تبنيه أبرار

ومدعين مرونات منافقة ... هم للشكوك على الإيمان أنصار

شجب الطغاة لديهم سفر ملحمة ... غلافه ورق جم ودينار

ونجدة الحق شوك أو تعرشها ... من الزخارف أعناب وأثمار

ما أهون الحبل محرورا يراح به ... أنى يشاء فأيمان وأيسار

لم يبرح الغدر يلفى العون من خور ... وما يزال ، حمى الخوان ، خوار

قد صرخ الأمر لا لبس ولا شبه ... ولا وسيط ..فعبدان وأحرار

أيستوى حافظ عهدا ولافظه ... ومؤمنون بأوطان وكفار

وأنت يا جيش عدنان أعر خلدى ... مشبوب زندك تخلد فيك أشعار

يا دافع الخطر الملقى بكلكله ... على العروبة لا مستك أخطار

ويـا صـفيين في الجُـلى إذا احتربـت لأنـتم خـير مـن يصـفي ويختـار
لـولاكم لم يجـد رمـزا لـه علـم ولا تـذوق طعـم الـدار ديـار
سـور تعلـق حبـات القلـوب بـه فهـن وهـو سـياجات وأسـوار
وذادة كنسـور الجـو تجمعهـا مـن السـموات أعشـاش وأوكـار
محلقـين بصـمت والـردى لغـة قـوادم أفصـحت عنهـا ومنقـار
على الحدود بحيث الورد ذو صرد صـدر تفجـر نبـع فيـه فـوار
وثـم في الجبهـات السـود متربـة عليـا جبـاه تمنـى لثمهـا الغـار
صبرا وإن ملـت الأسـياف أغمـدة إن الأمـين عـلى العقبـى لصـبار
صـبرا وإن هزنـا إذ هـز إخوتنـا جـرح تقـيح في الأردن نغـار
لابـد أن يسـترد الفـتح «خالـده» وأن يطـل عـلى اليرمـوك «ضرار»
ويـوم ذي قـار مرجـوع دمـا سربـا مـا ظـل ينضـح في يحمومـه القـار
تمـرغ الثـأر إذ هيضـت جوانحـه واليـوم ينقض مثـل الأجـدل الثـار

عـلى «الخليجـين» سـفاح سـندركه وفي «الجزائـر» رهـن الكـف جـزار
«وثالـث» هـو مـن خبـث ومـن ختـل شر الأثـافي لا قـدر ولا نـار
لـه رفيقـان رعيـان وأذئبـة ومسـتقران مغـدور وغـدار
وحـش يمـزق أهلـوه فتنجـدهم مـن الإعـارة أنيـاب وأظفـار
يـا للحفيظـة أجيـال يسـخرها بيـع ، ويغلقهـا في الـذل إيجـار
وفي ذرى القـدس مسـخ شـاء خالقـه أن تحتمي بحمى «الأقـداس» أوضـار
لم تكفـه القبلـة الأولى يعيـث بهـا حتـى أتـى القبلـة العصـماء يمتـار

شكت مياه طهورات بحوزتها ... أن شقها من يهود الرجس بحار
يأبى «سعود» ويأبى طائف بمنى ... والله . والبيت . والصديق . و«الغار»
يا جيش «عدنان» لا ضير وأن دلفت ... بالمزعجات أراجيف وأخبار
هنا بجلق عملاق على «بردى» ... وثم فى مصر يحمى النيل جبار
اسلم «جمال» لنا نلسم فقد عرفت ... بك الكرامة فى الشرقين أمصار
جزيت عن أمة أنعشت تربتها ... خيرا.. كما جزيت سمحاء مدرار
تمخضت حقبا أرحامها ، وأتى ... على المخاضة إعنات وإعصار

وأطبقت لم تلح عن صارم ذكر ... حرائر من «قيون» الله أطهار
حتى إذا الغيب أبدى حر صفحته ... وحان للأجل المضروب مقدار
تنفس الصبح عن «مصرية» ولها ... فى المهد شبل قبيل الزأر زئاب
وانصاع يبرى سيوف الهند لاهبة ... مهند يعربى الحد بتار
فذ عجيب له حدان مؤتشب ... حلو ، وحد كطعم الموت مرار
تغشى المشاكل متنيه فيحسمها ... لاحيث تطغى ولكن حيث يختار
ويمكر الثعلب الغاوى فيخدعه ... عن غيه .. حذق فى الرشد مكار
عرق من الشعب لم ينبض بخائنة ... ولا التوى منه إعلان وإسرار
لا يومه ترف بالقصف منتزف ... ولا لياليه أقداح وأسمار
يا أمة يومها من أمسها عبق ... لله فى غدك لموعود أسرار
شئنا الأذى أو أبينا .. إنه ثمر ... فيه لنا ولمن يبغيه إمرار
لم يعرف الدهر مثل العرب من صبر ... بهم على الضر إلحاح وإصرار

ما خائفون ازديار الموت عن رفة ... كعاطشين هم للموت زوار
نحن الذين أعرنا الكون بهجته ... لكننا الدهر إقبال وإدبار
تنفست رئة الدنيا بنا ومشى ... فيها نسيم يهز الروح معطار

منا اكتست حقب ألوانها ، وبنا ... رفت على الصور الجرداء آطار
تذوبت فى بنات الضاد أنظمة ... وفلسفات ، وآراء .. وأفكار
إذ الثقافات أشتاتا نجمعها ... كالشهد يجمعه نحل ويشتار
وإذ جنى الفكر معسولا يذوبه ... طرس .. وينفحه عود وقيثار
وإذ حمى الدين مأهول تراوحه ... أئمة .. وبطاريق .. وأحبار
تصرمت نشوات ما تزال لها ... صبابة نغتذى منها وأسئار
شدنا الحياة ، وكوفئنا المهات كما ... شاد «الخورنق» كى يردى «سنمار»
كفرت بالسلم من بعد الجنوح له ... فقد وهت حجج منه وأعذار
وقد ربت فى ظلال منه مأثمة ... واستكلبت فيه أضباع وأنمار
شر من الحرب سلم خادع مذق ... فى الوعد عى ، وفى الإيعاد مهذار
مزعزع من أديم الأرض ليس له ... إلا على الدم إرساء وإقرار
يا فالق «الذر» خلاقا مشت عنتا ... توزع «الذر» للتدمير فجار

ويا مفيضا على الإنسان قدرته ... لقد أهان جلال القدرة العار
ليت الجناحين من لطف ومن دعة ... فى الطير .. شاءهما للخير طيار
وليت لم يخز حوت البحر بحار ... ولم يشر بالردى المجلوب تيار
ومنذرين طواغيتا وما علموا ... أن الشعوب ضمانات وإنذار

قوى من الحق كالصبح المبين هدى | وجحفل كسواد الليل جرار
دال الزمان فليس الشرق مزرعة | فيها غلال ، وألبان ، وأبقار
تمخض الكون وامتدت يد رفعت | بها عن المارد الشرقى أستار
وراح يحفر قبر الغرب حفار | ويستجد له التابوت نجار
والحق مطرقة يلوى القوى بها | وكل شعب سليب الحق مسمار
يا يوم عدنان لا تبرح لنا حرما | به يطوف حجاج وعمار
وموسما من «عكاظ» أن أغص به | فحل ، تفتق فحل فيه هدار
ويا ربى الشام لا جافتك ناضحة | باللطف تندى عشيات وأبكار
ماذا يحدث ، لو أنطقت صامته | عن الحضارات ، رمل فيك موار
فى الجاهلية أذواء ، وفى غدها | مهاجرون على «الوثقى» وأنصار

وما عسى عن «ضمير» أو ميامنه | لدولة الشعر تروى فيك أسفار
إذ الذؤابة من «غسان» تنضحها | يوم السباسب بالأطياب أطيار
وإذ «نبيغ» بنى ذبيان تحضنه | من آل جفنة أنداء وأسمار
والعيش فى ليل «داريا» يرن به | «للبحترى» بها غناه مزمار
وإذ «أبو الطيب» الشريد فى حلب | نجم تضاء به الأفلاك سيار

مشت بمغناك أعراس الربيع ولم | يحضن عروسا كأرض الشام آذار
أبدت بها وهبته الأرض زخرفها | وازينت منه أنجاد وأغوار
وانشق حتى عمود الصخر وافترعت | حتى الجلاميد بالأغصان أشجار

تباركت «غوطة» شدتك خضرتها ... كما يشد الضلوع العشر زنار
وقدست هامة من «قاسيون» بها ... تعلقت من عيون الزهر أنظار
مجلبب بشفيف الغيم تصبغه ... مما يلون حالات وأطوار
حتى إذا خالطته الشمس شق بها ... عنه القميص، وحلت منه أزرار
سبحان ربك كيف الأمر منتقل ... وكيف تلعب بالأدوار أدوار
وكيف زان الثرى زهر الربى أنقا ... وأسرج الشجر المجرود نوار
وكيف لان الشتاء الفظ .. وانطبعت ... من النسيم على خديه آثار
صحت سماء وغامت، وانجلى أفق ... واربد، واختلفت شمس وأمطار
وأجلت الغيد عن سوق وأذرعه ... كلا الربيعين خداع وغرار
أفرغت حسنك فى نفسى وفى خلدى ... وإنما الحسن إحساس وإبصار
ورحت عبر القرون الحالمات به ... تهزنى منك بالأمجاد أحجار
كأنهن «دنان» الخلد عاطرة ... أتت عليهن أزمان وأعصار
تلك المعارج تصبينى بعتمتها ... كأنها من سنى التاريخ أنوار
جلالها عن «بنى مروان» مالكة ... وصمتها عن «صلاح الدين» إخبار
وإنما الملك تعلى منه آثار ... كالعمر يعمره حلم وتذكار

«دمشق» : كلك ألطاف وتكرمة ... للنازليك وإيلاف وإيثار
دمشق : لى فى رباك الخضر جمهرة ... هم لى الأهل، والجيران، والدار
أحببتهم وأحبونى كما امتزجت ... فيها تجاوب أنغام وأوتار
دمشق : نحن بناة الشعر آلهة ... لا تضطنيها حزازات وأوغار
وما لنا كسوانا فى مجالدة ... وقول حق لبانات وأوطار

نقـيم للنـاس أسـواقا محسـدة ... ونحن من كل ما يستام أصفار
ويحطم العمر منا صوغ قافية ... فيها حياة لأجيال وأعمار
عن كل حرف دفعنا فدية فدحت ... لو كان للحق ميزان وأسعار
نحن الجبابرة الأعلون. يرهبنا ... إذ يرهق الناس «فرعون» وجبار

ومرجفين بإغماض وغمغمة ... هم من الناس فى الإعراب إضمار
رموا على ظلالا من سرائرهم ... كما ارتمت فى النمير العذب أقدار
إن الكذوب جبان درعه ختل ... ودرع كل شجاع القلب إصحار
دمشق : لم يأت بى عيش أضيق به ... فضرع «دجلة» لو مسحت درار
وثم ، لولا ضمير عاصم ، حفر ... للمغريات ، و«للبترول» آبار
لو شئت كافأ مثقالا أصرفه ... شعرا من الذهب الإبريز فنطار
لولا رسالة حق قد يحيق بها ... حتى من المدعين الحق إنكار
تبجحوا أنهم حرب لمن ظلموا ... فى الرافدين وأعوان لمن ثاروا
عجبت للقوم في أمري أهمْ سندٌ ... للظلم؟.. أم هم على الثوار ثُوار
يا سادتي إن بعضَ العَتبِ منبِّهةٌ ... لغافلينَ ، وبعض الشعر إشعار
أنا «العراق» لساني قلبهُ.. ودمي ... فراتُه .. وكياني منه أشطار

***

وخط المشيب .

مشـى وخـط المشـيب بمفرقيـه — وطـار غـراب سـعد ممـن يديـه
وراحـت مـن زهاهـا أمـس حبـا — تقـول اليـوم: واأسـفى عليـه
تبـدل غـير رونقـه ولاحـت — تضـاريس السـنين بأخدعيـه
رمـادا خلتـه لـولا بقايـا — توقـد جمـرتين بمقلتيـه
أهـذا مـن بـه فتنـت كعـاب — ومـن سـحر النـدى بأصـغريه
أهـذا تائهـا مـن نقلتـه — عـلى الأحـداق أحـلى خطوتيـه
ومـن أصـبى «فلانـة» وهـى خـدر — دم العشـاق يصـبغ جنبتيـه

مشـى وخـط المشـيب بـه كـأن لم — يرجـل داهنـا مـن لمتيـه
ولم يـتخط أهليهـا إليهـا — ولم تـتخط أهليـه إليـه
ولم يحسـد لحظوتـه لـديها — ولم تحسـد لحظوتهـا لديـه
ولم تنضـب مراشـفها فـتظما — لفـرط تـذوب فى مرشـفيه

مشـى وخـط المشـيب بـه فـألوى — بأيكتـه .. وعـاث بوجنتيـه
وئيـد خطـى كـأن عـذاب جيـل — تخـيره .. فحـط بمنكبيـه
ومتروفـا كـأن يـد الليـالى — بمبضـعها تفصـد أكحليـه
وأخـلى ملعـب الصـبوات منـه — وبـدل مشرقيـه بمغربيـه
وقـرب مـن منيتـه .. وخـوف — لقـرب المـوت شر منيتيـه

سـقيت الغيـث يـا زمـن التصـابى — ويـا حسـنا بـأقبح صـورتيه

ويـــا نهـــرا يســـيل دمـــا وخمـــرا   حســـونا ذا وذا مـــن ضـــفتيه
ويـــا ســـيفا نجـــر حمالتيـــه   ونركـــب حـــين نجمـــح شـــفرتيه

مشـــى وخـــط المشـــيب بـــه فرنـــت   مناحـــه ثاكليـــه بمســـمعيه
وراح يصـــيح عـــن ألم ورعـــب   إلى واه مرجعـــة .. وويـــه
فســـوت لحـــده كلتـــا يديـــه   مشـــى وخـــط المشـــيب بمفرقيـــه

***

الناقدون .

أخـــا القلـــم الراعـــف الرافـــد   ويـــا لابســـا بـــزة الناقـــد
ويـــا فـــارس الخطـــوات الحســـان   فى «آبـــق..» الفكـــر و«الآبـــد»
ويـــا مـــن أقمـــت عليـــه الحـــدود   فى «قـــاصر» منـــه ، أو راشـــد
ويـــا مـــن تـــدنيت كالمجتـــدى   ويـــا مـــن ترفعـــت .. كالزاهـــد
إليـــك النصـــيحة مـــن متعـــب   بطـــب النفـــوس .. ومـــن جاهـــد
خبـــير بـــما أحكمـــت عقـــدها   عـــلى المخبثـــات يـــد العاقـــد
متـــى كنـــت ذا جـــرأة أن تقـــول   إنـــك «ألفـــان» للواحـــد
وإنـــك «ثلـــج» لجمـــر الغضـــا   وجمـــر لمنجمـــد بـــارد
«وللجـــب» :يـــا لـــك مـــن شـــامخ   وللطـــود : يـــا لـــك مـــن هامـــد

متـــى رحـــت تـــترع عـــن مبـــدع   أكاليـــل إبداعـــه الخالـــد
لتضـــفر منهـــا بكـــف النفـــاق   تاجـــا عـــلى فـــارغ جامـــد

وتخلــع حقــدا عــلى العبقــرى أمجـــاد ســـاع عـــلى قاعـــد
متى رحـت تسـأل أيـن الأديـب؟ حنانــا عـــلى .. الأدب الراكـــد
وإشـــفاقه منـــك كالوالـــد ورعيـــا «لفنـــك ..» كالرائـــد
ومــا أنــت فى العــير مــن حيــة ولا «الفلــس» .. فى كنــزه الحاشــد
ولســت ، إذا اغتيــل ، بــالمرتجى ولا أنــت ، إن ضــيم ، بالذائــد
ولكــن لتغمــر مــن «حامــد» وقــد شــع نــورا ، ومــن «خالــد»
تســاءل :أيــن ؟ وســت الجهــات تشـــير إلى علـــم فـــارد

متـى اسـطعت وأد نـداء الضـمير بـــا لم تطقـــه يـــدا وائـــد
متـى رحـت تطلـع شـتى النجـوم فى دارة الشـــعر ..كالراصـــد
تجـــادل فى حجـــر نـــازل لـــتغمط مـــن كوكـــب صـــاعد
تصـم – وأنـت تحـس الـدبيب– عـــن صـــاعق ، مـــرزم ، راعـــد
وتعمى – وأنـت تـرى الزاحفات– عـــن مشـــعل للســـنا واقـــد
متـى رحـت تمـدح «فـأر» القـريض تكيـــد لضرغامـــه المـــارد
متـى رحـت تـبرز حسـن البيـان فى زى داعـــــرة ناهـــــد
جمـــيلا بأســـلوبه المنتقـــى خبيـــث المقاصـــد.. كالقاصـــد!

متـى رحـت تصـدر عـن حـاقن مــن الــرأى فــظ ، وعــن حاقــد
متـــى رحـــت تنـــزل بـــالملهمين عـــلى حكـــم أنمـــوذج فاســـد
فطـــورا عـــلى منـــزع ســـارد وطـــورا عـــلى مـــذهب بائـــد
وآونـــة لـــرضى ســـيد وأخـــرى لمجتمـــع ســـائد

متــى كنــت أجبن مــن صــافر
والأم مــــن جمــــل شـــــارد

يغيظـــــك أن يعـــــتلى نـــير
بغــيض الضــياء عـــلى الحاســد

يـــزاحم حتـــى العمـــى نـــوره
ويصـــــمد فى القــــدر الصـــامد

وأن تنـــبرى فـــذة...مغـــرب
مـــن الـــرأى عـــزت عـــلى الصـائد

متـى رحـت تهـرب مـن نخـوة الـ
ـــكمى ..إلى خســـة الكائـــد

تثرثـــر فى الشـــعراء الضـــخام
«كـــانوا..» عـــلى الـــزمن البائـــد

دلـــيلا عـــلى علمـــك المستفيـــ
ـض فـيض الوبـاء .. بـك الوافـد

وتسـكت عــن علـم شـاخص
لعينيـــك يشـــمخ كالقائـــد

يشـــد قـــوى أمـــة رخـــوة
ويوقـــد مـــن جمرهـــا الخامـــد

عظمــت حقـودا..ونعـم الغبـاء
يعصـــف فى عـــالم حـــارد

متـــى رحـــت تنقـــل نقـــد البيـان
إلى الطعـــن فى «الأم» و «الوالـــد»

إلى الشـك فى الـدين .. عـن ملحـد
تحـــدر ..أم راكـــع .. ســـاجد

وهـــل جـــده كـــان مـــن مـــأرب
كجـــدك .! أم كـــان مـــن .. آمـــد

متـــى كنـــت إذ تخـــتلى والأديـــ
ـــب تسـفر عـــن عـــاكف عابـــد

أخيـــذ بروعـــة شـــيخ القريــــ
ـــض وجمـــرة تنـــوره الواقـــد

ومفخـــرة الجيـــل والمشرقيــــ
ـــن والـــدهر ، والـــورد ، والـــوارد

وحـــين تســـيل الـــيراع الهزيــــ
ـــل كإيمانـــك .. والقنفـــذ الكامـــد

بـــلا وارد عنـــه ، أو شـــارد
ولا مثـــل منـــه ، أو شـــاهد

متـى رحــت تبحــث عــن نــاقص
فـــإن لم تجـــده ..ففـــى زائـــد

لتقـــبر حســـن الجـــمال الســـوى
وتلحـــده ..عشـــت مـــن لاحـــد

متى كنت لا ترعوى عن هوى ... تعفن كالآسن الراكد

تعاود أدواءك المزمنات ... في العهر، كالمجرم العائد

فحياك ربك، من زارع ... خباث البذور .. ومن حاصد

ولا جف حقدك من حاقد ... ولله درك من ناقد

***

غيداء ...

غيداء: عندك للصبا مهد ... صدر تربع «دسته» نهد

غضر يدغدغ من براعمه ... ويرج منه المعبد البرد

غيداء تعشق فيك جارحة ... أخرى، ويحسد معصما زند

جن الهوى بك، والتوت عقد ... واعتز فيك بضده الضد

غيداء فرط صبابة حشد ... هي فوق ما يسطيعه فرد

غيداء: ما نفسي وإن وثقت ... حجر يداس، ولا صفا صلد

في كل مغرز إبرة شخصت ... من جانبيك خطيئة عمد

هل كان غير نضيج مقتطف ... حلو الجنى، ويد وتمتد

ومددنها فوحق ما قطفت ... ليرف فوق عظامها جلد

•

يا بنت خضراء الربى نفسا ... وشقيقة الطير الذي يشدو

يا من غذيت النبع من «بردى» ... فحلا به الإصدار والورد

يا بنت «جلق» والهوى صلة ... تجد الجدير بها فتمتد

ليت الهوى يجد الهوى نسبا ... والود ليت لصيقه الود

ليــت النفــوس تعاطفــت شــغفا ... وانهـــار دون شـــغافها ســـد
ليـــت اللغـــى راحـــت تؤلفهـــا ... أم ، ويجمـــع شـــملها جـــد

غيــــداء : إذ يتـــأطر القـــد ... وإذ الشـــموع يشـــبها خـــد
وإذ الشـــفاه يضـــمهن فـــم ... حلـــو ، وإذ يتـــنفس الـــورد
وإذ الشـــباب بكـــل جارحـــة ... يزهـــى بـــها وهبـــت ويعتـــد
وإذ النفـــوس يشـــب جاحمهـــا ... وقـــد ، ويطفـــى جمرهـــا وقـــد
تتصـــاعد الأنفـــاس لاهثـــة ... وتصـــيب مرماهـــا فترتـــد
فهنالـــك الأرواح يرمضـــها ... أن الحيـــاة يحـــدها حـــد
وهنـــا يعلـــم هـــازئ بطـــرا ... بالوجـــد مـــاذا يصـــنع الوجـــد

غيـــداء : بـــين جـــوانحى شـــعل ... يجـــرى بهـــا نفـــس فتشـــتد
مجنونـــة كـــالموج عارمـــة ... كـــالموت لا يقـــوى بهـــا شـــد
ألـــوى بهـــا فإخالهـــا جـــزرت ... فـــإذا المخيلـــة عنـــدها مـــد
غيـــداء : مـــا كالحـــب مصـــطليا ... بمنـــى تمنـــى عيشـــة رغـــد
لحظـــات طيـــف ود صـــاحبها ... لـــو أنهـــا ، يقظـــان ، تمتـــد
كنعـــيم خلـــد عنـــده أمـــل ... وبـــديل مـــا تهـــب الـــدنى وغـــد
غيـــداء : إن خرافـــة سرف ... فى العاطفـــات ، وبدعـــة قصـــد
تعطـــى الســـموم لـــدفع شرتهـــا ... وكـــذا الجهيـــد قوامـــة الجهـــد

غيـــداء مـــا لم يبـــد حســـده ... للعـــين فى واديـــك مـــا يبـــدو
قلـــق يحـــاول أن يكتمـــه ... فيطـــول فيـــه الأخـــذ والـــرد

وتجلـــد متكلـــف كـــذب لا يرتضـــيه الواثـــق الجلـــد
غيـــداء : إن الحـــب نقمتـــه نعمـــى ، وفـــرط ضراعـــة مجـــد
يحلـــو بـــه التـــأريق والســـهد وتصـــح فيـــه الأعـــين الرمـــد
يبقـــى الهـــوى غفـــلا بـــلا ســـمة حتـــى ينـــيخ ببابـــه عبـــد
غيـــداء : ألفـــاظ مرادفـــة للعاشـــقين الغـــى والرشـــد
بـــدر ون – دون النـــاس – وحـــدهم مـــاذا يطيـــق اللحـــم والجلـــد
ويـــرون شرع الحـــب منتقصـــا حتـــى يقـــام علـــيهم الحـــد
كـــم صـــد إذلالا غطارفـــة صـــيد ، وكـــم عـــادوا وقـــد صـــدوا
غيـــداء : أهـــل الحـــب مجمـــرة منهـــا يضـــوع لعـــالم نـــد
فطـــروا عـــلى وثنيـــة فهـــم حـــدب عـــلى أصـــنامهم حشـــد
يرعونهـــا مـــا حـــف ذا لبـــد أشـــباله ، والقائـــد الجنـــد
عمـــى ســـوى عـــن شـــعلة وهجـــت فـــيهم ، ولـــو أن الضـــحى رأد

غيـــداء : والـــذكرى يعـــاش بهـــا ويصـــان بـــين أحبـــه عهـــد
فى أمـــس كنـــت أذقتنـــى قـــبلا لم أصـــح مـــن نشـــواتها بعـــد
حـــم الـــوادع فـــنحن فى يـــده كالطفـــل حـــين يهـــزه مهـــد
إن الأحبـــة ســـوف ينثـــرهم قـــدر ، كـــما يتنـــاثر العقـــد

***

إلى القوتلى

ســـيدى : أنـــت أيهـــا الحـــرم الآمـــن يلجـــا لمثلـــه ويعـــاج

يا منى أمة ويا نورها الوهاج ... إن عز فى الدياجى سراج
يا حمولا أثقالها لم يزحزحه ... اختلاج عن عهده وارتجاج
عشت صلت الجبين سيفا ... تفرى بشباه من العدى أوداج

سيدى أنت والتفضل أحواج ... وفيض من الندى أحراج
بسمة منك ، سيدى ، لى سلطان ... و«صرف» مما توجه تاج
ذاك حسبى وكل بحر ... وقد نولى بحرك الفرات ، أجاج

سيدى لا يسؤك ضيقى ... بما أوليت ذرعا ولا يرمك انزعاج
أنا والله رائع فى ذرى لطفك ... ما بى إلى سواك احتياج
أنا والله ضيف ساحتك الغناء ... فيها سراى والإدلاج
غير أنى بالمال أضوى ، وان أسمن ... غيرى . إن النفوس مزاج

أيها الأبلج الأغر بضوء الصبح ... من بين غرتيك انبلاج
سيدى أنت سوف يلتمع النصر ... ويوفى نذر ويقضى حاج
ويخور المستعرون وينفك عن ... المرتجات سودا رتاج
وتدوى بك العروبة سمحاء ... لها بين نابضيك اختلاج
وليدم ظلك الوريف على العرب ... ويخلد ضياؤك الوهاج

***

قبيل الموت مات

أبنى إن أباكم ... كلف قبيل الموت مات

إن العيـــــون الفــــــاترات ... ســــلبنه زهـــو الحيــــاة
الله مـــــن ســـــهر الهمــــوم ... عــــلى الجفـــون المغفيــــات

***

جيش العراق..

سدد خطاي لكي أقول فأحسنا ... فلقد أتيت بما يجل عن الثنا
ولقد دمغت بها تظمت قرائحا ... ولقد عقدت بها نثرت الألسنا
ولقد ضربت فلست أملك مضربا ... ولقد طعنت فلست أملك مطعنا
ما كان عندك كان قولا فاصلا ... يسبى العقول فأى قول عندنا
هـام الطغاة معلقات شرد ... عى الفصيح بها فأصبح ألكنا

جيش العراق ولم أزل بك مؤمنا ... وبأنك الأمل المرجى والمنى
وبأن حلمك قد يطول به المدى ... لكن عزمك لن يحيق به الونى
جيش العراق إليك ألف تحية ... تستاف كالزهر الندى وتجتنى
حمل الفرات بها إليك نخيلة ... ومشى بدجلة جرفها والمنحنى
فلقد أعدت إليهما صفويهما ... من بعدها غصا بأدران الخنا

عبد الكريم وفى العراق خصاصة ... ليد، وقد كنت الكريم المحسنا
أسديتها بيضاء لا منتفجا ... بالنعمة الكبرى ولا متمننا
غامرت بالدم تبتغى منه دما ... شأن المقامر مربحا أو مغبنا
وعرفت كيف تمد جسرا من عنا ... لتطل منه على مروج من هنا
وبصرت كيف تغل نقمة أمة ... مكبوتة لتكون فتحا بينا

حسدت طيف الحالمين وضغته ... من ذكريات الحالمين ملونا
وغدا الخيال بك الحقيقة نفسها ... تسعى ، وعاد المستحيل الممكنا
من بعد ما أرخى الجحود عنانة ... غيا ، وخامرت الشكوك المؤمنا
غمد الطغاة الغابرون فهدموا ... مجدا ، ترعرع فى دم فتمكنا
فجمعت من هنا وهنا لبنة ... فبنيته ، إن المكارم تبتنى
غضر الفتوة كالصبا خشن الشبا ... كشبا الحسام ، وكالموءة لينا
يا جامع الضدين ليلا وادعا ... مكرا ، وصبحا من جراح مثخنا
أطلعت فجرا بالرصانة مثقلا ... لولا نهاك لكان فجرا أرعنا
لبله زحفك والدجى يلج السما ... والنجم يمنعه العجاج عن السنا
والليل بخدع بالسكون منعما ... أشرا ، ويضمر غير ما قد أعلنا
ليل بذوب الخمر كان مغلفا ... وبحشرجات الموت كان مبطنا

شهد الظلامة والتذمر موهن ... منه ، ومزقت البشائر موهنا
يا ليلة «الإثنين» ما من ليلة ... جاءت بصبحك من فرادى أوثنى
حقرت من قمر السماء بحالك ... من بعده ، سأحب ليلا أدكنا
حتى إذا انفلق الصباح تفلقت ... هام تعاضل سمها فتعفنا
ومشى نطاسى يطبب أنفسا ... هوجا شكت وجع الغرور المزمنا
قلمت أظفار الدعى ورهطه ... متفائلا بمصيرهم متيمنا
وسددت مهربه فلم ير عندها ... خيرا من الموت المحتم مأمنا
ونفضتهم نفض اللديغ ثيابة ... وهززتهم هز الرياح الأغصنا
ودعكت جاءتهم وكانت صلفة ... كضميرهم وأخس منه وأخشنا

أقدمتهم سود الخطوب فكذبوا ... لولا مسامعهم تصيخ ، الأعينا

وسحبتهم عبرا وربة عبرة ... زحفت لتنذر في غرور ممعنا
من كل معتصر دما ومسلط ... فوق الرقاب من المظالم محجنا
فاليوم يفحص كل وحش جلده ... خوفا ، ليخفي نابه والبرثنا
قرنوا إلى عقبى يظل شنارها ... أبد الأبيد وساء ذلك مقرنا
وتبطن الديدان وغدا لم يبت ... إلا بناهد كاعب متبطنا
وأدلت من حكم حسبنا أنه ... سيظل يرهق وزره من بعدنا
عصرت به الروح الزكية فانضوت ... ونما به الزرع اللئيم فأبدنا
ومشى إلى الهرم النعيم فشبه ... والبؤس في عود الصبا فتغضنا
زحفت ملايين الجموع إليهم ... فتخيروا الأشر الأخس الأجبنا
وتنكروا للطيبين كأنهم ... دود القبور ، يحب لحما منتنا
ثوب أبينا أن يرى تاريخنا ... متلوثا بوسيخه متدرنا
مدت إليه يد الشباب وجيشه ... فتعاورته من هناك ومن هنا

ومبايعين تحضنوا متصعلكا ... حتى إذا عقد اللواء تفرعنا
أبت الرعية أن تقلد أمرها ... متهتكا أو أحمقا أو مدمنا
أوراثة والسوط ينظم عقدها ... ليشد خيط العنكبوت وأوهنا
أم كل من نطقت بصلب خائر ... زحف البشير إلى الجموع فأذنا
حكم الشعوب فلم تفكر أمة ... هل تم رشد متوج؟ وبمن بنى
ومتى ختان دعى عهد غادر ... متخلع ، ولمن أتى؟ وبمن زنى

ألقـى عـلى بغـداد أوجـع نظـرة ... متشـككا بمصـيره متظننـا
وأبـت مطـاوى فجـرة أن تنطـوى ... ومفـاتن مـن لـذة أن تفتنـا
سيغيض من هذى القصور نعيمها ... ويموت رخو العيش من تلك البنى

ورغـادة العهـد الخليـع ستنقضى ... أيامهـا النشـوى ويـدمغها الفنـا
والموكـب السـامى سيعلن ربـه ... مـن كـان أمـس إذا تبينـه انحنـى
وبـدا لـه العـرش الـوثير مزخرفا ... بالـداهنين وبالـدعاة مزينـا
حتـى إذا قصـف المـدافع حولـه ... دوى ، آدار برأسـه وتيقنـا
تبـت يـداك وأنـت تملـك أمـة ... إذ كنـت مـن فقـع بقرقـر أهونـا
هـلا خلعـت عـلى ضـميرك رقـة ... إذ كـان جلـدك مـن حريـر ألينـا
اليـوم يـنشر للحسـاب كتـابكم ... فى مـوطن جمـع الحسـاب فـدونا
آواكـم مـن بعـد فـرط مهانـة ... وتعهـد الغرثـى العجـاف فأسـمنا
وحمـاكم لعقـا كأضـباب الفـلا ... بـل تحسـدون الضـب يـألف مكمنا

لم يبـق شيء لم نقلـة تشـكيا ... فـيما مضى بالمصرحـات وبـالكنى
كنـا نقـول لهـم حـذار مـن لظـى ... إما اعـتلى ، ومـن اللهيـب إذا ادنـى
ومـن الصـدور الحابسـات زئيرهـا ... ومـن النفـوس الكـاظمات تحينـا
ومـن السـجون الـداجيات فإنهـا ... كانـت ومـا زالـت لبـاغ مـدفنا
ومـن السـياط فـإن حـر نشـيدها ... بنهايـة الجـلاد كـان ملحنـا
ستحول سلسـلة السـجين وقيـده ... مـن معـدن بخـس لأثمـن معـدنا
كنـا نحـذرهم ونضرب راعيـا ... مـثلا لهـم ، وقطيعـه مـثلا لنـا
مـا أقبـح الـدنيا إذا ضـل الصـوى ... راع بثلتـه ومـا أدنـى الـدنا

ستحاسبون فإن عرتكم نكسة ... فسينطق الرقم الخبيث بما جنى

وستسألون عن الجموع تسخرت ... عن فحش فقرهم وعن فحش الغنى

كنا نشبههم وباء جارفا ... في الفسق لم يترك عفيفا محصنا

وعصابة للرجس تنسف ما دحا ... سلف الجدود من المفاخر وابتنى

كنا نبصرهم عواقب بغيهم ... مما تأصل جذره فتمكنا

من جمرة المتظلمين وإن خبت ... ومن السواد المستكين وإن ونى

كنا نقول لهم :أولاء نعالهم ... من خدكم أعلى وأشرف موطنا

قلنا لهم خير الثنا وأمره ... فتخادعوا عنه بمعسول الثنا

كنا نحذرهم فيزحف سادر ... ليصب دستور العذاب مقننا

ليشرع البلوى كما شاء الهوى ... ويصوغ ملحمه الشقاء تفننا

ليقر - إذ أخذ الضنين بتهمة- ... أخذ البريء تخرصا وتكهنا

فاليوم يدمى بالعضاض بنانة ... جبس ويلعق ، صاغرا مر الجنى

واليوم يكتالون ما كالوا لنا ... عدلا ، ونسخر مثلما سخروا بنا

واليوم تثقل فوقهم أشلاؤهم ... كالنخلة الجرداء يثقلها القنى

وأولاء هم صرعى ، تجرر أمة ... أسلابهم جر الخيول الأرسنا

وأولاء هم لا الجاه يدفع عنهم ... ضرا ، ولا الذهب السبيك المقتنى

وأولاء هم ولقد تحنط شيخهم ... بالآسنات وبالخفاف تكفنا

سجدوا إلى الدرك الحضيض تدنيا ... ولقد يعافون السجود تدينا

بالشاطئين مطوفون فأيسر ... بالحصة الأوفى يباهي الأيمنا

متذبذين على العراء كعقرب الـ ... ـساعات بالأجل المحتم مؤذنا

وهوا الخصى للأجنبي يشدها ... واليوم تعصرها الجموع لتمرنا

هـذا العـراق وهـذه ضرباتـه ... كانـت لـه مـن قبـل ألـف ديـدنا
سـاء العروبـة والعـراق صـميمها ... أن يشتكي، وقد استبيح، من الضنى
جسـد تضعضـع ركنـة فمشـى دم ... حلـو إلى شريانـه فتحصـنا
كانـت كمـؤتمن يتـيم قـلادة ... مـذخورة ، فأضـاع عقـدا مثمنـا
وطـن تطهـر ، إذ تطهـر قلبـه ... وطـن ، وقـد عـادا معـا فتوطنـا
اليـوم عـاد القـاهرى لأهلـه ... وابـن الشـام لبيتـه فتبغـدنا
واليـوم يقسـم لـن يـذوق غـرارة ... حتـى يطهـر مـن «حسـين» أردنـا
ذئـب مـن الأفعـى تململ فـالتقى ... والأجنبـى بموعـد فتحصـنا
وغـدا لنـا معـه بفجـر موعـد ... ينجـاب عـن صـبح أرن أرونـا
أولاء أهلـك فلتغـذ زيـارة ... لهـم ، فقـد شـد الركـاب لتظعنـا
زرهـم فـإن قبـورهم مفتوحـة ... ليـزاد جمـع الأدونـين بأدونـا

عبـد الكـريم ولـن تهـيمن قـوة ... الحـق كـان ومـا يـزال مهيمنـا
فـإذا همـا اجتمعنـا فأيـة غرسـة ... بالعـدل تسـقى والمـروءة تجتنـى
مـا جئـت مـن حسـن فخل سـبيله ... لنـاس ، واكتمـل الأتـم الأحسـنا
وإليـك يـا جـيش العـراق تحيـة ... مـن دمعـة الشـاكى أرق وأثمنـا
أنـا ذاك الفـرد المخلـد أمـة ... فيما اصطلى، وبما ارتعى ، وبما جنى
خـير الشـفاعة لى بـأنى كاشـف ... حـر الضـمير وقائـل : هـذا أنـا
سـتون عامـا لم أحـاول سـاعة ... أن أختفـى عمـن هنالـك أوهنـا
والعفـة الكـبرى بحـوزة ماجـد ... غمـروة بـالحور الحسـان فأحصـنا

جـيش العـراق ولم أزل بـك مؤمنـا
وبأنـك الأمـل المرجـى والمنـى

***

باسم الشعب .

عصـفت بأنفـاس الطغـاة ريـاح ... وتنفسـت بالفرحـة الأرواح
واليوم تشرقت فى النفوس وضاحة ... ويشـع فى حلكاتهـا مصـباح
جـدعت عرانينـا غلاظـا فتيـة ... مـن يعـرب غـر الجبـاه صـباح
ومشـت عليهـام العبيـد جحـاجح ... شـم الأنـوف يقودهـا جحجـاح
صـلت الجبـين كـأن روعـة نفسـه ... عكسـت عليـه ، محجـل وضـاح
يجتاح باسم الشعب وغدا باسمه ... راحـت كرامـة أمـة تجتـاح
النـاعمون المترفـون آجـالهم ... وسـط الحديـد كـما تجـال قـداح
والسـادة الوقحـون هـذب طبعهم ... زرد يعـض عـلى اليـدين وقـاح
والشـائحون عـن الجمـوع تصـعرا ... خرفـون يلـوى عـنهم ويشـاح
والأذوءب الاقحـاح فى جـبروتهم ... وسـط السـجون أرانـب أقحـاح
كانت قباحا فى الرؤوس وجوههم ... واليـوم وهـى عـلى الصـدور مـلاح
زادت ملامحهـم غبـاء ، وانجـلى ... زيـف الغمـوض بهـا فهـن فصـاح
هـان الكـريم علـيهم فـأريتهم ... كيـف الكرامـة تسـتبى وتبـاح
«بغـداد» يـا درب الغـزاة ولحـدهم ... مـا إن لهـم بعـد الغـدو رواح
يـا رقيـة الحـاوى ينـيم بسـحره ... أفعـى تسـبل نيوبهـا وتـزاح
لا الموثـق المسـحور يلقـى عنـده ... روحـا ولا هـو سـاحرا يرتـاح

بغداد يا قلب العراق ووعية … وضميره لا زعزعتك رياح
لا نال دجلتك الرخية عاصف … والجرف سمحا لا عراه جماح
ورؤى لياليك الحوالم لا مشى … فيها بفجر موحش إصباح
بغداد جمرك فى الكفاح وفى الهوى … وعلى الشفاه ظوامئا لفاح
والفتنة الكبرى يلفك سحرها … سر على وطف الجفون يباح
وجمالك الغاوى يصيح على المدى … وله يصاخ ، ومن شباه يصاح
فإذا الندى طل الغصون فلا اشتكى … ألم الفراق البلبل الصداح
وإذا الصبا مرت الجفون فلا رمت … حلم العذارى حرقة ولواح
وإذا الاصيل كسا رباك فلا انطوى … ذاك البساط الممتع الفياح

بغداد والرؤيا تنقل والهوى … يضوى ويسمن والمنى تنداح
والنفس تعكس ما تحس فترتمى … للعين من خلجاتها أشباح
ولقد يريبك الشيء شيئا ضده … ما تخلع الافراح والأتراح
رانت على غشاوة لفت بها … فى الرافدين متالع وبطاح
ورمت على الصور الحسان ملاءة … سوداء موحشة فهن قباح
حتى كأن النخل غول والربى … موتى وأعراف النخيل رماح
وكأن دجلة لا يهز ضفافها … آذيها وضجيجة الملحاح
وتبلد الحس الرهيف فلم ينر … صور الجمال وميضه اللماح
من نبع فيضك كنت أصفو إن صفا … وأمج حين يشاب منه قراح
كنت الأمين عليهواك يسسؤونى … خرسى غداة يسهؤوك الإفصاح
قد كنت يا «بغداد» أصحر للأذى … عريان أسقى صويه وأراح

قد كان عندي إذ يسر معاشر ... بوح ، وحين يروبون صراح
كنت السبوق إلى رضاك مكاشفا ... أيام يعوز غيرى الألماح
غامرت أمتحن البلاء ، أخوضه ... إذ يغتلى وأشد إذ ينداح

حتى إذا رمت النفوس غثاءها ... ومثلن من دنف فهن صحاح
ورمى اللثام الفجر عن قسماته ... وبدت نواجذه ، ورف صباح
باكرت ساعات السرور أقيتها ... ملحى ، وأعلم أنهن شحاح
كنت الهتوف بك الصدوح مناغيا ... إذ أعوز الجمع المصيخ صداح
كنت الكفور بسفر مجد كاذب ... إذ دفتاه تجارة ورباح
ولقد دعاني أن أقر بمربضي ... أن الأجم مصاول نطاح

يا فتية العهد الجديد يضمهم ... في حومة الجديد كفاح
يا أيها الجند المجند عنده ... بالرأى ، وليد ، واللسان سلاح
ناشدتكم جثث الضحايا لم يزل ... منها يرف على البلاد جناح
وبتلكم الغرر الصوادع للدجى ... في الترب يخنق نورها الصفاح
بالشامخين الفارعين تقصفوا ... حينا كما تتقصف الأدواح
بمعبدين الدرب ألقوا فوقه ... وهجا يضيء من الدماء وراحوا
ناشدتكم بالواهبين نفوسهم، ... نكران ذات منهم وسماح
لا تتركوا الوطن الحبيب لفرقة ... نهبا يجاء بسرحه ويراح
وتحضنوه وإن تفرى دونه ... حضن ، وإن يبست عليه الراح
لموا الصفوف عليه يتسع المدى ... بكم ، وترحب بالصفوف الساح.

وتعاطفوا ، إن الحياة وشائج ... ومن القلوب إلى القلوب لقاح
ما مثله وطن تلون أرضه ... حسنا كما تتلون الأقزاح
فيه الجنوب أباطح ودماثة ... وبه الشمال أهاضب وطماح
ومغارس الزيتون بردها الندى ... والنخل فى سعفاته ممراح
والرافدان يلاعبان سهوبه ... والزيت غداء بها رواح
وعلى الفرات ودجلة نبع الهوى ... ثر ، ونبع سواهما ضحضاح
والأغنيات بها ترقص خدرها ... رود ، وينعش حقله فلاح
عبد الكريم ورب فرد باسمه ... عن كنه نهضة أمة إيضاح

يا باعث اليوم الأغر كأنه ... بين النظائر حلية ووشاح
يا رب تموز وجاعل جمره ... بردا ، به يتبرد الملتاح
يا لاويا بالسيف غلف أخادع ... لم يلوها الوعاظ والنصاح
يا ماسخا حلم الفراعن بكرة ... شمطاء ، وهى لدى العشى رداح
السامرى بك استذل وعجله ... و- الأجنبى- وكبشه النطاح
يا مهدى الشعب المبرح نعمة ... نعم الحياة بدونها أتراح
عهدا كما نتجت حصان حرة ... ونتاج هاتيك العهود سفاح
والعزة القعساء عذب نميرها ... بشبا الأسنة مرة تمتاح
جنبته درن الشكاة وقد مشى ... فيه من الألم الذبيح كساح
وكفيته رنق المذلة خصبها ... جدب وفيض سرابها ضحضاح
وفككته من ربقة لم يرضها ... فى جوره «الحجاج» و«السفاح»
عانى بها الأسيان والآسى معا ... وتململ المجروح والجراح

أرأيت كيف الحاكمون بأمرهم ... ذابوا وقد وعت الجموع وساحوا
إن أفسحوا أجلا فإن وراءهم ... شعبا ، وأحلام الشعوب فساح

لله صنعك إذ بكل ثنية ... تئد الصلاح معرة وطلاح
وإذ النفوس تطيح من عليائها ... لتذوب فى أطماعها الأطماح
وإذ العراق مصفد ، وإذ الحمى ... نهب ، وإذ هدر الحقوق مباح
حتى جلا صدأ الضمائر فانجلت ... للمشرقين ضميرك النضاح
كنت الأريب العبقرى ، سلاحه ... فى الخطة الأحكام والإنجاح
ضيقت حوزتها فصدت طريدها ... ولقد يشل القانص الإفساح
لم ترتعد فرقا ، ولم تضعف يدا ... عما يعن وراءها ويتاح
وانصاع يزخر بالفخار وبالنهى ... والمكرمات جبينك الوضاح
ولقد يماز لدى العجاجة فارس ... ويبين عند اللجة الملاح
فالآن إذ سطع العراق وإذ نفى ... ليل الشكوك البارق اللماح
أتمم رسالتك الكريمة تكتمل ... غرر لها وتمدها أوضاح
قل وامش، لا يشغلك كيف تؤولت ... آى وكيف تخالف الشراح

عبد الكريم وفى المراء جبانة ... تزرى وصنو شجاعة أصراح
كنت العطوف به يراض جماج ... فكن العنوف به يهاض جناح
لا تأخذنك رحمة فى موقف ... جد ، فجد الراحمين مزاح
ولقد تكون من القساوة رحمة ... ومن النكال مبرة وصلاح
ولطالما حصد الندامة مسمح ... وأتى بشر ثماره الإسماح

تخشى بغضبتها البحار وترتجى ... وتهاب بالصر العصوف رياح
وتوعد الرسل الهداة حماهم ... لا الآى منزلة ولا الألواح
أقدام : فإن على الجناة جناحها ... فيما جنوه وما عليك جناح
هل كان وزرك أنْ تطوح سكرة ... بالشاربين ، وتغدر الأقداح
أو أن يسقوا فضل ما سقوا به ... ودم الجموع مزاجهم والراح
هل غير أن الطائحين بأمة ... مغلوبة ، يهوى بهم ويطاح
عبد الكريم وللجموع شريعة ... الفرد يرخص عندها ويباح
وسلامة الأوطان علق مضنة ... لا بد تزهق دونه أرواح
ولرب جرم بالسماحة ينمحى ... ولرب جرم بالدماء يزاح
لا تسجحن حيث النكال ضرورة ... ولقد يكون نكاية إسجاح
وتذكرن ما أسلفوا ، وتجرموا ... فى الرافدين وأهرقوا ، وأباحوا
فى الجسر من عبق الدماء زكية ... رصد لجرم مبيحها فضاح
وبجانبى بغداد فى رأد الضحى ... عود المشانق أخضر فواح
من فوقها الصيد الأباة تركزت ... شوسا ، كما تتركز الأرماح
ناحت بيوت المستباح ذمارهم ... فليعل فى بيت المبيح نواح
ولتزك بالدم مجديات ضمائر ... موتى ويعشت أجرد صحصاح
حوشيت أن تلغى لديك جناية ... صفحا ويعفى للجناة سراح
أو أن يعود لمجهزين على الحمى ... مغدى بمدرجة الحمى ومراح
أو أن يخيب ، وفى يديك رؤوسهم ... شعب لخطف رؤوسهم طماح
أجهز على الإفساد تنجز عبرة ... للمفسدين ، ويكمل الإصلاح

وهب الجموع رؤوسهم تنفحهم ولأنت مناح الجدا نفاح
واقطف زروع الشر فى ريعانها فهم أتاحوا قطفها وألاحوا

***

تحية إلى رونترى

يا رسول الشر والدنس وغراب البين فى الغلس
يا نذير الشؤم يحمله بين جنبيه مع النفس
يا ابن قوم شيخهم «دلس» وهو مشتق من الدلس
كل يوم تحت ماضغه يتلوى لحم مفترس
يا ابن أحلاف قد ارتكست فى الدنايا شر مرتكس
يا ابن بنت اللؤم قد سرقت فى الليالى لحية القسس
يا كذوبا لابسا أبدا وهو لص بدلة الحرس
يا ولوغا فى دم لزج يتحرى عن دم يبس
يا ضحوكا عن فم بشع ضم ناب الفاتك الشرس
يا لسانا كله ملق عشت طول الدهر فى خرس
يا حصانا خاسرا صفعت أخدعيه رفسه الفرس
كسحت رجلاك من أشر راكض فى الغى ، منغمس
وعت الدنيا فمت كمدا واكتئب ما شئت وابتئس
وعلت راياتها شرفا يا لواء البغى ، فانتكس
وطنى فى طهره عبق لا ندنسه ولا تدس
فإذا غامرت فاحتبس وإذا كابرت فاحترس

فقشـــور البـــيض جـــاهزة　　علهـــا تشـــفى مـــن الهـــوس

لا تلـــح فى جونـــا أبـــدا　　يـــا غـــراب البـــين فى الغلـــس

***

أزف الموعد

أزف لموعـــد والوعـــد يعـــن　　والغـــد الحلـــو لأهليـــه يحـــن

والغـــد الحلـــو بكـــم يشرق وجهه　　مـــن لدنـــه ، وبكـــم تضـــحك سـن

والغـــد الحلـــو بنـــوه أنـــتم　　فـــإذا كـــان لكـــم صـــلب فـــنحن

فخرنـــا أنـــا كشـــفناه لكـــم　　واكتشـــاف الغـــد للأجيـــال فـــن

يـــا شـــباب الغـــد إنـــا فتيـــة　　مـــثلكم فرقنـــا فى العمـــر ســـن

لم يـــزل فى جانحينـــا خـــافق　　لصروف الـــدهر ثبـــت مطمـــئن

لا تلومونـــا لأنـــا لم نكـــن　　مـــثلكم فـــيها تجنـــون نجـــن

ولأنـــا حـــين يصـــفو محضـــكم　　محضـــنا يمـــزج حينـــا ويشـــن

ولأنـــا إذ تـــردون الأذى　　بـــالأذى نجـــزع منـــه ونـــئن

عبقـــر واد نزلنـــا سرحـــه　　شـــتوة فهـــم أصـــم لا يـــرن

ونـــزلتم فتلقـــاكم بـــه　　الربيـــع الغـــض والـــروض الأغـــن

لـــيس بـــدعا أن تجولـــوا مـــثلما　　جـــال فى مضـــماره مهـــر أرن

البـــديع البـــدع أن يلحقكـــم　　فى مضـــامير الصـــبا عـــود مسـن

يـــا شـــجيرات كـــونى لـــه　　إذ يحـــر الخطـــب وكنـــا يســـتكن

وإذا ريشـــت ســـهاما ثلـــة　　مـــن بنيـــه فلـــيكن مـــنكم مجـــن

يـــا شـــباب الغـــد : هـــذا وطـــن　　كلـــه فضـــل وألطـــاف ومـــن

ليس ندرى من خفايا سحره ... غير أطياف وأحلام تظن
عجب هذا الثرى تألفه ... وإلى أتفه ما فيه تحن
كل ما عندك منه أنه ... كوكب يبزغ أو ليل يجن
مدرج فى الحل تستذرى به ... وضريح عندما ترحل عفن
تصطلى العمر جحيما عنده ... وهو فيما تعد الجنة عدن
وهو إذ تستوبئ الأرض شذا ... وهو إذ يقبح كل الكون حسن
وهو حتى إن تجافى عنك خدن ... وهو حتى إن تخلى عنك حصن
يفتدى إذ يرخص الفادى به ... وبه إذ توهب النفس يضن
فاستمنوه بما تعطونه ... من دم إن الحمى لا يستمن

يا شباب الغد أنتم فكرة ... يعذب اللفظ بها إما تعن
تشحذ الروح على مرآتها ... مثلما يشحذ مبراة مسن
كلكم يا فتية الحى يد ... واليد اليسرى إلى اليمنى تحن
كنياط القلب أنتم بعضها ... إذ يئن البعض يشكو ويئن
لا يفرقكم أكول لحمه ... شرها ما دام فى الشحمة سمن
ومطايا أجنبى رزح ... مسها مما تسام الذل وهن
ودعاوات بلا طائلة ... كحروب عبر شطرنج تشن

كنتم الجذوة والجو دجى ... والسنا الوضاح والآفاق دجن
والضمير الحى فى معترك ... كل حى بضمير منه رهن
شبعت منكم سياط ودم ... قبور وطوامير وسجن

وحملــــتم ثقلهـــا إذ غـــيركم ... كــل منــه كاهــل أو زل مــتن

وصـــبرتم وصـــبرنا واغــتلى ... بــدم قلــب وبالدمعــة جفــن

أفــــألآن إذ انــــدك الخنـــا ... وهــوى ركــن مــن البغــى وركــن

وأقــام الشــعب جمهوريــة ... كسنا الشــمس متى ما تعل تـدن

وزعـــيما يشــمخ الجيــل بــه ... وإليـــه فى الرزايـــا يطمـــأن

يصـفع الطـاغوت جبـارا فيهفـو ... ويـــدك الوغـــد ســفاحا فيعنــو

ينعــق الشــاكون أن يخضر حقــل ... بالشـباب الغـض أو يـورق غصـن

أفــلا كــان لهــم فى أمــس عــود ... فى التوابيـــت وفى الأكفـــان ردن

يــا شـباب الغــد كونــوا شرعــة ... للعــلا والبــأس واللطــف تسـن

ســالموا مــا اســطعتم حتــى إذا ... شــنها حربــا أخــو بغــى فشــنوا

وابــدأوا الخــير ســباقا بيــنكم ... فـــإذا بـــودئتم الشر فثنـــوا

وإذا مـــد إلـــيكم ســـاعد ... بــالأذى فاقتســموا زنــد يطــن

تطلــب الرحمــة إذ يشــجب غــبن ... ويحــب الســلم إذ يــبغض جــبن

ويعـــاب الضـــغن إلا ثـــورة ... هــى حقــد يحرس الحــق وضـعن

زحــف النــور فــما يلحــق ظــن ... بحفافيـــه ولا يعلـــق ذهـــن

وكـــأن الأرض شــقت وارتمــى ... صــاعدا منهــا إلى الأفــلاك جــن

غــزت الشــمس شــميس مثلهــا ... وانــبرى للقمــر الوضــاح خــدن

وإلى الآن وأوهـــــام تعـــــن ... وخرافـــات عـــلى العلــم تمــن

ومعيبـــون عــلى الشــمس ســنا ... كــذباب الصــيف فى روض يطــن

تــدرك المنفـــوخ كــبرا هبــة ... فيـــذرى فـــإذا المنفــوش عهــن

اجمعوا أمركم فالدهر جمر ودم لا خمرة تجى ودن
يعمل الجيل لجيل بعده ولقرن بعده يتعب قرن
يبسط العار إلى العانى يدا ويفك القن إذ يعتق قن
ويظل الليل يطوى سره ريثما يعلن صبح ما يكن
ريثما ينتظم الكون غد يطرد الفجر به ليلا يعن
يطرد البؤس به رفق وعدل والحزازات مصافاة وأمن

أزف الموعد .. والوعد يعن
والغد الحلو لأهليه يحن

***

أنشودة السلام

جيش من السلم معقود به الظفر وموكب كشعاع الفجر ينتشر
ونفحة من سماء الحق ترسلها غر الملائك يستهدى بها البشر
من مبلغ الشر أن الخير يصرعه والبغى أن قوى الأحرار تنتصر
وأن فيض الدم المهراق يلعقه لعق الكواسر أفاق ومحتكر
أضحى يمد الثرى كى يستظل به للسلم غصن من الزيتون يزدهر
وأن أطياف أرواح مرفرفة أطارها عن ذراها أجدل أشر
عادت حمامات سلم ترتمى فرقا منها إذا لاحت العقبان والنسر

من آدم ورؤى هابيل ترعبه تنزلت بالسلام الآى والسور

تبارك السلم شهها كله أنف | من عزة وحييا كله خفر
وبئست الحرب قزما عنده صلف | من التعالى ، وفى سيقانه قصر
عجبت للحرب بلهاء ، ومنطقها | إن أغمضت أو أبانت - منطق هذر
ترجو على نفسها البقيا ويفرحها | من لا يبقى على شيء ولا يذر
وما يزال لها ، شمطاء فاركة | خليل سوء إلى مهواة تنحدر
الشاربون دماء الناس ما بذلوا منها | على الشهوة الدنيا ، وما ادخروا
والنائمون على أنات ثاكلة | والهانئون إذا ما استحصد البشر

ناب من الوحش مسعورا أطيح به | وفى البراثن منه لم يزل ظفر
مقلم فى غد خزيان منفتح | مما تقيح من خبث به الوضر
وحش ينز سعارا وهو يحتضر | كالصل ينفث سما وهو يعتصر
آمنت بالسلم لا دين لمن كفروا | به ، ودين لأهليه وإن كفروا
فى المكتين ومثوى أحمد خجل | أسيان يتلو صلاة الحرب معتمر
وينعق «البوم» فى «روما» على يده | دم «المسيح» على الزيتون ينعصر
تأبى الحضارة أن يجتاحها أشر | وأن يذبح من أبنائها بطر
وأن تموت لتبقى طغمة ، زمر | وأن تباد ، ليهنا غاصب ، أسر
وأن تبضع فى أحبابها مهج | وأن يقطع من أنياطها وتر
أتخنق الضحكة النشوى لأن يدا | من الغراب على العصفور تأتمر
أم يهدم العش تلتم الفراخ به | لأن أفعى لها فى هدمه وطر
أم تنطوى نعم الدنيا بطائشة | من ذرة ،والسنا ، والنهر ، والزهر
تهوى الحياة ويخشى ما يكدرها | جبلة ، ويهاز النفع والضرر

في الكوخ طفل غرير حوله بقر — وفي المقاصير طفل حوله سرر
وتزدهي في كلا الوكنين شامخة — روح المفاداة إذ يستحكم الخطر

آمنت بالسلم إن الحرب قد نزفت — دما، وأوغل في أوصالها الخدر
أذلها الترف الغاوي، وأفسدها — لين الفراش، وأفشى سرها البطر
السلم يبرأ من مستكلب حرد — «عبد الحديد» لما يأتيه يأتمر
«عبد الزناد» إذا وافى فمنتصر — وإن تجافى فمهزوم ومندحر
ويا وفود الدنى من كل مزدرع — بالحب، والخير، والإيمان يزدهر
لنا لقاء بغيب منجز معكم — وموعد في كتاب خطة القدر
يا من غذوتم جحيم الحرب جائعة — شرهاء تأكل ما تعطى وتستعر
أعز ما عندكم إذ كم إذ كان عندكم — أعز منه تراب من دم عطر
لم تطلبوا بمرير للموت معذرة — إن اللئيم بطعم الموت يعتذر
قصوا علينا فإنا معشر أذن — وآلمونا فإنا معشر صبر
عن الحروب وما ألقت بساحكم — من الرزايا، وماذا كانت العبر

عندي ولم أخبر الدنيا ومحنتها — نموذج عندكم أضعافه صور
مما تثير الفؤاد الحر خطرته — في المشرقين، وما يشقى به البصر
مررت أمس بـ«فرصوفي» وعندكم — عن زهوها وحضارات بها خبر
عن المواهب ما أرست بها وبنت — وعن بنيها، وما جدوا، وما عمروا
وعن ثمار ثقافات بها نضجت — إذا الثقافة لم ينضج لها ثمر
فما عسى أن رأت عيني، وإن قذى — للآن فيها على الموقين ينحسر

رأيـت قفـرا يبابـا لا أنـيس بـه ... ولا حيـاة ،ولا مـاء ، ولا شـجر
ولا قبـور ، ولا هـام ، ولا جثـث ... لكـن يقـال مجـازا ههنـا قـبروا
وقيل لى ههنا أمس انطوت ، خبرا ... شـم المعاهـد لا يبـدو لهـا أثـر
وههنـا ملعـب كانـت تنـوره ... مـن الشباب بـه الأوضـاح والغـرر
من تحت كل جديل مرسل حجر ... وفـوق كـل جبـين مصـلت حجـر
وجـرمهم أنهـم ذابـوا وشـعبهم ... وأنهـم وتراثـا عنـدهم صـهروا
وأنهـم أقسـموا أن يـدفعوا ضررا ... عـن كـل شبر لهـم حتى وإن نحروا
وأن ذاك وهـذا مـن مـآثرهم ... مـا كـان يصـفح عنـه فـاتح قـذر

يا شارب الدم ليس السلم مضعفة ... ولا شـكاة بهـا يلهـى ويفتخـر
وإنـما هـو إيـمان ، ومقـدرة ... وعـزة ، وتجاريـب، ومعتـبر
يـا شـارب الـدم مـرت ليلـة طرفـا ... ولـن تمـر ليـال بعـدها أخـر
لتسـقين بتلـك الكـأس مترعـة ... سـما ، وتكـرع مـا فيهـا وتنفطـر
لنأخـذنك أخـذ الليـث حصـته ... ونسـحقنك إن الثـأر ينتظـر
لنلقـين رؤوس الشر فارغـة ... كـما تـدحرج عنـد الملعـب الأكـر

جيش من السلم يصطك العراق به ... ويسـتدير عليـه البـدو والحضر
يلفهـم حولـه مـا أسـلفت عـبر ... مـن الحـروب ، ومـا وافـت بـه نـذر
وتسـتجيب لـه الـدنيا لأن لهـا ... فى الرافـدين تراثـا بيننـا كسر
جيـش مـن السـلم مـد الجـانحين لـه ... صقر العراق الشجاع الواثق الحذر
الألمعـى ، فسـوح الفكـر زاهيـة ... والعبقـرى ، فـوادى عبقـر نضر

والحاشد الذهن لا تلهيه خاطرة عن غيرها ما به عي ولا ضجر
موزع النفس بين الأمر يعقده والأمر يحسمه كل له قدر
لا يزدهي أن هذا الكون يعرفه كما تعرف فيه الشمس والقمر
ولا يدل بما أسدى لأمته من الجميل ولا يحتازه البطر
كأنما كان يعنيه «ابن باهله» ويصطفيه وإن طالت به العصر
«طاوى المصير على المعزاء، منجرد بالقوم ليلة لا ماء ولا شجر»
«تكفيه حلزة فلذان ألم بها من الشواء، ويروى شربه الغمر»

***

الرصافى

لغز الحياة وحيرة الألباب أن يستحيل الفكر محض تراب
أن يصبح القلب الذكى مفازة جرداء حتى من خفوق سراب
فيم التحايل بالخلود، وملهم لحفيرة، ومفكر لتباب
حسبى بليت تعلة إذ ميتة حتم، إذ آجالنا بنصاب
ليت السماء الأرض، ليت مدارها للعبقرى به مكان شهاب
يوما له ويقال: ذاك شعاعه لا محض أخبار ومحض كتاب
يا معشر الأدباء، غر جهودكم فى المكرمات عريقة الأنساب
من كل محروم الثواب، معاقب فى هذه أو تلك شر عقاب
يا زمرة الشعراء شف نفوسهم فرطان: فرط جوى وفرط عذاب
ذابوا ليسقوا الناس من مهجاتهم خير الشراب مشعشع الأكواب
وتحرقت منهم لتعلى شعلة لبلادهم كتل من الأعصاب

ناشــدتكم بوشــائج مــن فكــرة
وعقيـــدة ورســـالة ومصـــاب

مــن مــنكم رغــم الحيــاة وعبثهــا
لم يحتســب للمــوت ألــف حســاب

أنــا أبغــض المــوت اللئيــم وطيفــة
بــغضي طيــوف مخاتــل نصــاب

يهــب الــردى شــيخوختي ويقيتهــا
بكهـــولتى ، ويقيتهـــا بشـــبابي

ذئـــب ترصـــدني وفــوق نيوبــه
دم إخـــوتى وأقـــاربى وصـــحابى

***

عيد أول أيار

حييــت «أيــارا» بعطــر شــذاتي
وخصصــته بــالمحض مــن نفحــاتي

وســقيته نبــع القصــيد مضرجــا
كــدماء أحــرار بــه عطــرات

وشــددت أوتــارى وقلــت أظنهــا
ستشـــد أيـــارا عـــلى نغماتـــى

حييــت شــهرا فكــره مــن فكرتــى
فــيها يخــط ، وذاتــه مــن ذاتــى

حييتـــــه وكـــــأنى بهباتـــــه
أزجــى التحايــا الغــر لا بهبــاتى

مــن ليــل «أيــار» نســيم عــواطفى
ومـــن النهـــار وقدحـــه جمراتـــى

وبــوحى كــدح الكــادحين رســالتى
وعـــلى يديـــه تنزلـــت آيـــاتى

مارســت حلــو الحادثــات ومرهــا
ونعمـــت بـــالآلام واللـــذات

ودرجــت فى درب الحيــاة تجرنــى
أنـــى تشـــاء ، طليقـــة ، خطـــواتى

فوحـــق «أيـــار» وعـــمال بـــه
رايـــاتهم فى عيـــدهم رايـــاتى

لوجـــدت ذروة تلكـــم اللـــذات
دفـــع الجمـــوع لأنبـــل الغايـــات

لوجدت طعم الخير خير مطاعمى
لوجـــدت كـــره الشر خـــير لـــداتى

لوجـــدتى والبائســين كـــما التقـــت
جنبـــا إلى جنـــب جـــذور نبـــات

لوجدتنى إذ لا يدق بنبضهم   فلبى أنوء بأفدح السبات

يا أيها العمال سمر زنودهم   صفحات تاريخ ، وسفر حياة
يا أيها الواعون أرهف حسهم   صخب الحديد ، وضجة الآلات
نوم غرار مثل تهويم القطا   وتحفز حذر كصل فلاة
أنتم رؤى الماضى : وأنتم حاضر   يجلى ، وأنتم رمز جيل آتى
فى كفكم حل الأمور وعقدها   وبكم تقص أظافر الأزمات
وعلى كواهلكم مصاير أمة   تغنى بكم عن ناهبين غزاة
من جاعلين الشعب سعر بضاعة   ومقايضين السوق بالحرمات

يا أيها العمال بث مزامل-   لكم يكافح دهره بأناة
منكم .. رفاقى فى الكفاح رفاقكم   وعداتكم ، وسط الكفاح ، عداتى
أنا عامل بالفكر أعمل معولى   فى صخرة فأحيلها لفتات
فى الكف مطرقتى أفل بحدها   أصلاب أوغاد ، وهام طغاة
ستون عاما خضتها كمخاضكم   لجج الحياة عنيفة الغمرات
أجتاز منها لجة وتلفنى   أخرى ، وتفسد لفها عزماتى
بيدى أشد ، فإن هوت ، فبساعدى   فإذ التوى ، فبماضغى ولهاتى

يا أيها العمال والدنيا لها   صور شبيه تلون المرآة
تلقى الحياة على النفوس ظلالها   فى بكرة ، وتديلها بغداة
كونوا وإياها كلقطة لاقط   لشخوصها عريانة القسمات
ردوا لخير شرها إن الفتى   بالسيئات يرد للحسنات

وتعلمـــوا درس الحيـــاة فإنـــه ... قـــاس قســاوة عـــبرة وعظـــات

وتغنمـــوا منـــه وأجـــدى مغنـــا ... مـــن طهـــر أمـــلاك ذنـــوب خطـــاة

وأجـــل مـــن متنـــاهض وحديثـــه ... كـــاب يحـــدثكم عـــن العثـــرات

أنـــا ذاك بعـــض دروســـها ألقـــاكم ... منهـــا بوجـــه مشرق القســـات

يـــا أيهـــا العـــال بـــورك عيـــدكم ... ورفيـــف أرواح لـــه خضـــلات

وتبـــارك الزهـــر المضيء دروبكـــم ... مـــن يابســـات منـــه ، أو نضرات

خمســـون عامـــا حـــزتم عقباتهـــا ... وعـــلى عظـــام ذويكـــم النخـــرات

قامـــت عـــلى جسر مـــن الحسرات ... يرســـى عـــلى مـــوج مـــن العـــبرات

«تـــوريز» حـــدثني بخـــير روايـــة ... عـــن خـــير بنـــاء الخـــير بنـــاة

عـــن شـــجو معتصرين كـــالحشرات ... وأنـــين منتحـــرين بالســـكرات

ولهـــاث مصـــدورين ســـل رئـــاتهم ... ببخـــاره ذوب الرصـــاص العـــاتى

عـــن سبـــع مليـــون ســـقوا بـــدمائهم ... شـــجر الخـــلاص اليـــانع الثمـــرات

صرعـــى منـــاجم «ميركـــور» كـــأنهم ... ورق الخريـــف يطـــيح فى الحفـــرات

«تـــوريز» حـــدثني فجئـــت مغاضـــبا ... أيـــار أوخـــز جنبـــة بشـــكاتى

لا هـــز هـــزاز الحيـــاة وصـــلبها ... وأثـــير صـــانع تلكـــم الثـــورات

يـــا عيـــد «أيـــار» وكـــم مـــن كربـــة ... مـــرت بأيـــار وكـــم مأســـاة

علـــم يـــرف عليـــك صـــاغت لونـــه ... حمـــر المجـــازر مـــن دم أشـــتات

مـــن فتيـــة كســـنا الفـــداء ، وصـــبية ... كـــدم الشـــهيد ، صـــوامت خفـــرات

فاشـــمخ برفرفـــه الخفـــوق فإنـــه ... لا بـــد خفـــاق لســـت جهـــات

كـــم خـــاض أهلـــك مـــن لظـــى مشـــبوبة ... يـــا عيـــد موعـــودين بالجنـــات

يا عيد من في كفهم منح الدنى ... ويقطعون الليل بالحسرات

يا عيد من بنوا الحياة وزهوها ... وتسكعوا خر بين في الطرقات

يا أيها العمال دالت أعصر ... جعلت من الإنسان محض أداة

عصرت دماءكم أكف سقاة ... كأسا تعاطى بين هاك وهات

وعدت على الفكر المنير فدورت ... أفلاكه في أنحس الدرارات

فإذا استعز فرهن كل بلية ... وإذا استذل فخادم الشهوات

منكم على الجثث استقامت دولة ... هي في الصلاح نموذج الدولات

لم تدمغ الفرد الكريم بمنة ... منها ، ولم تصفعه بالصدقات

حبت الصعاليك الحياة وركزت ... أقدامهم في قمة الدرجات

ونمت مواهبهم فذاب بلفحة ... منها صقيع تسلسل الطبقات

يا أيها العمال صفح تسامح ... عما تجيش ببثه خطراتي

أنا لا أثير ظنونكم ، لكن فتى ... حر يحب حرائر الصرخات

ما انفك تنين التحكم قائما ... وتقاسم الأرباح في الشركات

ما زالت الشم النواطح تبتني ... من تلكم السرقات والرشوات

لم يؤخذ المال المقطع منكم ... سحتا ولم تقطع أكف جناة

وتكدس الفقر الخبيث فطاله ... وطغى عليه تكدس الثروات

يا أيها العمال إن ذواتكم ... للشعب ، لا لمكرشين ذوات

أنتم جنود الكون ، طوع أكفكم ... خير الحصون وأمنع الثكنات

يا أيها العمال لموا شملكم ... وتوزعوا فرقا على الوحدات

مـدوا بـ «أيـار» وجمـر كفـاحكم «تمـوز» فهـو مسـعر الجمـرات

وتنظـروا بطـلا وسـيعا حلمـه يسـطيع محـو تظنـنـى وشـكاتى

***

سهام !..

أثنـاء انعقـاد مـؤتمر الأدبـاء العـرب فى الكويـت عـام ١٩٥٩ ، التقـى الشـاعر بالدكتور يوسف مرزة رئيس قسم طب الأسنان فى المستشفى الأميرى هناك آنذاك ، وكانت تعمل فى القسم ممرضة حسناء تقدمت إلى الشاعر برجاء أن يكتب لها شيئا فى دفتر تواقيع تحتفظ به منديلا بتوقيعه :

قال لها : أتريدينه شعرا أم نثرا ؟

قالت : أريده شعرا .

سألها : أأنت متزوجة أم لا ؟

أجابت : متزوجة .

قال : ما اسمك ؟

قالت : سهام .

فقال :

أنـا لا أحـب سـهام لحظـك إنهـا بـدمى مخضـبة وإن لم تشـعرى

ولمـاك غسـلين لأنـى لم أذق منـه حـلاوة سلسـبيل الكـوثر

وعبـير نفحـك أزدريـه لأنـه لسـواى يعبـق منـه ريـح العنـبر

***

الشيخ والغابة!..

ورأى الشيخ ظلال الغابة الدكناء ..

أشباحا تلوح

بعضها يعصر بعضا ..

فتمنى لو يروح

ثم غامت صور ..

ردته كالهرة..

أسيان شجيا!

آه .. لو كان فتيا

آه لو ردت إليه ..

آه .. مما فات شيا

آه .. لو لم يعل فوديه ..

من الشيب مسوح

آه ..لو كان لذى قلب ..

مع الشيب طموح

آه .. لو يسطيع للأرقام دفعا

آه .. لو كان ..

لريعان الصبا يسطيع رجعا

آه .. لو كان ..

لقطعان الهوى فى الشعب مرعى

وتولت قدميه رجفة ..

ثم تلوى ..

ثم ألوى ..

ثم أقعى

فرأى آدم يلتف بحواء ..

وتلتف عليه ..

مثل أفعى

وانتفاضات شباب ..

كالرؤى ..

فى هدأة الليل تجيش

آه يا شيخ ..

وكم تحسب أن سوف تعيش

آه .. لو مدت من الغيب ..

يد خلف حجاب

حاذف النصف من الخمسين ..

من عمر كذوب ..

كالسراب

آه يا شيخ ..

ومن يدنيك من عهد الشباب

أغلقت من دونه سود الليالى ..

ألف باب

لا تحم ..

كاللص مذعورا ..

وكالوحش بلا ظفر وناب

أنت لا تسطيع أن ..

تقطف عنقودا تدلى بالعريش

ألف كف للشباب الحلو ..

أولى منك فى ..

هذا الشراب

آه يا شيخ ..

لو اسطعت ..

رجوعا للشباب

***

فى ذكرى غاندى

سيدى أنت أيها الحق والعزة ... والفجر والندى والعلاء

ذريت فى الهواء ملكا مشاعا ... يتساوى فيها الثرى والفضاء

كل ما نستطيعه لك حب ... وخشوع ووقفة وانحناء

واعتبار المحسنين وإذ يحـ ... ـسن صنع وإذ يساء جزاء

يا لصوقا بالأرض وهو وإيا ... ها انطراح ونعمة ونماء

يا وديعا لوى من الأسد المكـ ... ـلوب ذيلا فقر منه العواء

يا شعاعا من النبوة تستهـ ... ـدى به الأرض أرسلته السماء

يا سليل الفجرين بوذا وكونفشـ ـيوس منه سناهما يستضاء
يا رحيما لم القلوب على جمـ ـرة حب فذابت الشمحناء
والتقت أمة تفل سلاح الـ ـبغي وهو الوديعة العزلاء
يا زعيما آخى الصعاليك والتمـ ـت عليه تحوزه الفقراء
يا هتوفا بالبشر لم تخرس الضحـ ـكة منه بلية وعناء
أيها الكوكب الذى انحسرت عنـ ـه من البؤس هالة غبراء
والتوى السيف وانزوى العنف وانفكت رقاب ولم تطل دماء

قلت كونى شيئا مئات الملايـ ـن فكانت ، وخير شيء يشاء
نبتت فى مجاهل البؤس والذ لة فى الشرق واحة غناء
وارتوت بالندى ندى الخير والرحـ ـمة والعز تربة جرداء
ثم نادت «دلهى» «بكين» فلبتـ ـها ورد النداء منها النداء
ثم دوت هنا ولما تصم السمع فى الشرق زاحفا أصداء
لست بالساحر العجيب كما قالوا ولكن إرادة ومضاء
وكفيل بالمعجزات ضمير ونقاء وجوهر وصفاء
لست بالساحر العجيب ولكن قدر حان وعده وقضاء
كنت فيه تلك الملايـ ـن أفاقت وانزاح عنها الغشاء
وأمينا على رسالتها الكبـ ـرى وقد حان فرضها والأداء
يا مليحا صدرا يفاخر بالمكـ ـنون منه ضميره الوضاء
صان غاندى دم الجموع وصا ن الهند أن تستبيحها شعواء
وحمى الطير والسوام من الذبـ ـح وقامت شريعة سمحاء

أفمحرابـــه تســـيل عليـــه ... بقـــع مـــن دمائـــه حمـــراء

أيهـا الشرق لم تـزل بـك أهـواء ... تعاصـــت ولم تـــزل أدواء

وســلام عــلى النبــى أمدتـــ ... ـــه بـروح مـن عنـدها الأنبيـاء

***

فى عيد العمال

بكـم نبتـدى .. وإلـيكم نعـود ... ومـن سـيب أفضـالكم نسـتزيد

ومـن فـيض أيـديكم مـا نقيـت ... ومـا نسـتجد .. ومـا نسـتعيد

بكـم تبتنـى شرفـات الحيـاة ... وينشـق للفجـر منهـا عمـود

ومما تكـدون تنمـو الـزروع ... وتغـذى الجمـوع .. وتكسى الجنود

ولـولاكم لم يقـم معهـد ... ولا اخضر نبـت ولا رف عـود

ومـن جهـدكم دائبـا مضـنيا ... تـوفر للخـير منـا جهـود

ولـلشر .. حيـث الـدمار الفظيـع ... يبـاد بـه شـيخكم والوليـد

بأيـديكم إذ يشـد الرصـاص ... نمـوت . وحـين تصـب القيـود

فـنحن إذا شـئتم والفنـاء ... ونحـن إذا شـئتم والوجـود

إذن أنـتم الـدهر مـن حقكـم ... إذا حـان يـومكم أن تسـودوا

لكـم وحـدكم سـيزف الثنـا ... وتزجـى المنـى .. وتـرف البنـود

فهـل ذاق طعـم الثنـاء الجهيـد ... ونامـت بحضـن الوفـاء الجهـود

أصـار حكـم أيهـا العـاملون ... وحمـل الصراحـة حمـل يـؤود

لأنكـد مـا عـاق سـير الشـعوب ... جهـود يعفـى عليهـا جحـود

ودهـر تغطـى بـه العاديـات ... سـنى العبقريـات دهـر بليـد

وحكم يقيم على العبقرى ... حدودا .. تقام عليه الحدود

صحابى .. وأنتم لنعم الصحاب ... إذا نكثت من صحيب عهود
أرى الغيب كالشمس رأد الضحى ... وكالنار تعشو إليها الوفود
أرى غدكم ، زاحفا ، فوقه ... ترف مروج .. وتزهى ورود
فميلوا له .. إنه منكم ... قريب .. وما فجر ليل بعيد
مطارقكم هن جرس الزمان ... يدق .. فيسمع حتى الحديد
ومن بينكم سيمد الكفاح ... جيل عنيد ، شديد ، مريد
مضى أمس حيث يقص الشيوخ ... لأبنائهم كيف عاش العبيد
وكيف تعرت على الزمهرير ... زنود ، لتكسى بخز زنود
وكيف استوى حبة حبة ... من العرق المر عقد فريد
وكيف وأطفالكم فى العراء ... صيغت لطفل السرى المهود
وكيف على كسرات الرغيف ... يعفر فى كل يوم شديد

مضى أمس أسود ..من خلفه ... وجوه مضت تنطف اللؤم سود
وفى «يوم تموز» شقت ، له ... وللعاكفين عليه ، لحود
وفى وهج «الثورة» المزدهاة ... تهرت من المتخمين جلود
وأنتم وإن حم فرض الوفاء ... بأن حل عهد . وولت عهود
وأن قد تبناكم أصيد ... زعيم بما يتبنى عميد
فإن وراءكم غاية ... ستطوى مفاوز منها وبيد
كأن رؤوس السعالى بها ... وهام الشياطين طلع نضيد

إذا مـــا ركضـــتم إلى خلـــب ... سراب. .تبـــدى سراب جديـــد
فــلا تســتهينوا بــدرب الكفــاح ... فــدون النهايــة شــوط بعيــد
خـذوا يـومكم مغـنما واحرصـوا ... عليــه ، وزيــدوه حرصــا وذودوا
ونمـــوا مكاســـبكم لا يـــرح ... ثمـــين تـــأتى لكـــم أو زهيـــد
ولكـــن مزيـــدا مـــن التضـــحيات ... ففـــيهن مـــن كـــل خـــير مزيـــد
فـــما زال مســـتنقع الكـــادحين ... يغطيــــــه للمســــــتغلين دود
فـــما قـــبروا كلهـــم .. إنـــما ... يضـيق بمـن عـاش هـذا الصـعيد
ولم ينتـــزف دمهـــم .. إنـــما ... تفـــرى وريـــد .. ليعفـــى وريـــد

مضى زمـــن كـــان فيـــه لكـــم ... يلطـــم خـــد ويســـتام جيـــد
وســـوف يجـــيء زمـــان بـــه ... تلطـــم للمصـــعرين الخـــدود
مشـــى الـــوعى فى أمـــم المشرقـــين ... ولمـــت ، لكـــنس الوســـيخ الحشـــود
وفـــزت عـــلى صرخـــات الجمـــوع ... تـــنفض عنهـــا الخمـــول الرقـــود
غـــدا إذ تجـــر الصـــفوف الصـــفوف ... وإذ يســـتثير الوقيـــد الوقيـــد
وإذ يســـتقيم مـــن الكادحيـــ ... ـــن المســـتغلين حكـــم وطيـــد
وإذ يســـتظل ظـــلال النعـــيم ... طريـــد لمحتكـــر ، أو شريـــد
غـــدا ســـيذوبون هـــم والخنـــا ... ويخلـــد فى النـــاس مســـعى جهيـــد
غـــدا ســـيبيدون ، إن الشـــعوب ... وإن أبطـــأت زحفهـــا لا تبيـــد
غـــدا ســـيذوبون ذوب الجليـــد ... وكيـــف يعـــيش وشمســـا جليـــد
هنـــاك ســـيذكر شـــيخا وليـــد ... ويبكـــى لمـــا ذاق جـــد ، حفيـــد
هنالـــك ســـوف يغنـــى لكـــم ... عـــلى وتـــر القلـــب هـــذا النشـــيد

هنالــك ســوف يقــول الصـغار لقــد نــور الــدرب هــذا النشــيد
تنبـــأ صـــاحبه أن تســـود وهـا نحـن – رغـم أنـوف – نسـود
وبـــورك عيـــد نضـــال ســعيد ســيتلوه مــن حسـن عقبـاه عيـد

***

رباعيات

(بغداد) فى الصباح..

صــفق الــديك وقــد زعزعــه الفجروألــوى بالصــياح
ومشـى النـور عـلى الحقـل وفـوق الـدرب يزهـى والبطـاح
آه مــا أروع «بغــداد» وأحلاهـــا عـــلى ضـــوء الصـــباح
غســلت كــف الســناكل الجراحــات بهــا حتــى جراحــى

قلت وقال ..

قلــت للشــيخ ارتضى العمـــة رزقـــا والقميصـــا
غطيـــا منـــه صـــغار الفكـــر والنخـــوة والـــرأى المحيصـــا
كيــف عريــت مــن الــدين بــها زورت .. روحــا ونصوصــا
قــال : مــا بالــك أمســكت تلابيبــى وأعفيــت اللصوصــا

قصد .. وقصد ..

نظرتنـــى وإذ رددت لهــــا النظــــ ــرة عجــلى راحــت تضرج خــدا
وبـــدت كالـــذى تعمـــد شـــيئا لم يصــبه فأخطــأ القصــد عمــدا
أنـــا أدرى بقصــدها خالــت الشيــ ــب برأســى لهــا ســلاما وبــردا

ومراحـــــا لمقلتيهـــــا ولكـــــن   وجـدت مقلتـى أفصـح قصـدا

حرامى بغداد..

وحرامـــى بغـــداد كـــان كبغـــداد   انطلاقـــا ورقـــة وازدهـــارا
كـــان حلـــوا سـمح العريكـة إذ يخـ   ـطف مـالا .. وإذ يجـوس ديـارا
ليـت قومـا فى كـل يـوم يبيحـون   دمـــارا ويرفعـــون شـــعارا
كحرامـــى بغـــداد كـــانوا يرقـــون   نفوســـا إذ يربحـــون تجـــارا

لحنان..

خـــط «شـــتراوس» عـــلى كمـــ   ـــيه لحنـــا أى لحـــن
بصـــــدى «دالوبـــــه الأزرق»   أجيـــــال تغنـــــى
وعـــــلى كمـــــى لحـــــن   خـــط مـــن حـــبر ودهـــن
ســــــيغنيه المغتـــــــون   مـــــن بعـــــد دفنـــــى

الصيف والمروحة..

صـــــيف كتنـــــور يفـــــور   وشـــــتاء عصر زمهريـــــر
وجنـــاح مروحـــة حسيـــ   ـــر قـــد تخطتـــه الـــدهور
علقـــت تضـــاريس السنيـــ   ـــن بـــه ولم يـــبرح يطـــير
أف لعمـــــر لا يســـــا   وى عمـــر مروحـــة تـــدور

زرع الضمائر..

قـــالوا قـــد انـــتصر الطبيــ   ـــب عـلى المحـال مـن الأمـور

زرع الجماجـــم والقلـــوب وشـــد أقفـــاص الصـــدور
فـــأجبتهم : ومتـــى ســـتر فـــع راية الـــنصر الأخـــير
زرع الضـــمائر فى النفـــوس العاريـــات عـــن الضـــمير

رثاء ..

يـــا أيهـــا القلـــب المضيء لبعثـــه تعـــب الجـــدود
نهشـــتك بالحرمـــان «ديـــ ـــدان» الحـــواجز ، والســـدود
لم تبـــق شـــيئا منـــك يشـــ ـــبع منـــه تحـــت الـــترب دود
أمـــن «اللحـــود» عليـــك حـــ ـــيا يبتنـــين إلى «اللحـــود»

بكف طيار يطير ..

أرأيـــت وقـــاد الحـــروب وكيـــف يـــذكون الســـعير
أرأيـــت عقبـــى الكائنـــات بكـــف طيـــار يطـــير
طفـــلى ، وطفلـــك والفتـــاة الـــرود والشـــيخ الكبـــير
والكـــون طـــرا رهـــن جـــا ســـوس عـــلى بلـــد يغـــير

مؤتمر الأقطاب وذرت الجنب..

وتجمـــع «الأقطـــاب يـــا كـــل بعضـــهم بالحقـــد بعضـــا
يتفحصـــون مشـــاكل الـــد نيـــا ســـماوات وأرضـــا
أيعـــالج المـــرضى أطبـــ ـــاء بـــذات الجنـــب مـــرضى
يشـــكو المحبـــة واحـــد لثلاثـــة يشـــكون بغضـــا

عبر من الإنذار السوفيتي..

أبـــت «الكرامـــة» أن تهـــان ... وعنــــدها عـــزم مريـــد
مـــا أعظـــم «المســـؤول» عـــن ... شرف المـــواطن إذ يـــذود
إن الـــذي آخـــى «الضـــعاف» ... هـــو القـــوى ، هـــو الشـــديد
أمـــا الـــذين يحـــاربون ... «مســـالما» فهـــم العبيـــد

فراغ ثقيل..

يـــا فـــراغ الـــروح كـــم أنـــ ... ــت عـــلى الـــروح ثقيـــل
هـــل إلى أن تمـــتلى بـــا ... لخـــير والحـــب ســـبيل
يـــا فـــراغ الـــروح مـــا شيء ... عـــن الـــروح بـــديل
أنـــت - مـــا عشـــت عـــلى مهـــ ... ـــلكة الجيـــل دليـــل

رب السجن أحب..

عنـــد مـــا أبصرت نـــيرا ... نـــا مـــن البغـــى تشـــب
وإلى «القمـــــنة» مـــــن فى ... كفــــه «زيــــت» يصـــب
وإلى «الســـجن» الـــذى يـــد ... فـــع عنهـــا ويـــذب
قلـــت - والســـجن كريـــه ... «رب الســـجن أحـــب»

جوع .. وشموخ ..

قلـــت للمغـــرور : أن يجـــ ... ـــمع جـــوع وشـــموخ
قـــد أبـــى ذلـــك فـــيما ... فرقـــا قصر وكـــوخ
ونهـــود مـــن عضـــاض الـــ ... ـــبؤس فـــيهن شـــدوخ

ونهـــود مـــن شـــذاهن　　«أخ الـــــدير ، يـــدوخ

قوة وضعف..

قلـــت لمــا قيــل لى : كــم　　أنـــت فى الخطـــب صـــبور
وعـــلى أن تخنـــق المحـــ　　ـــنة بـــالحلم قـــدير
أنـــا فى ذاك هصـــور　　وعـــلى تلـــك جســـور
غـــير أنـــى فى يـــد الرقـــ　　ـــة واللطـــف أســـير

عجب

عجـــب أمـــرى : يثـــير الـــ　　ـــطير ، إذ يـــذبح ، نفســـى
وأصـــم الســـمع عـــن أنـــ　　ـــة شـــاك قلـــع ضرســـى
وأرانـــى أضرب المـــوت　　ولم يـــدن ، برأســـى
أبـــدا ســـيان رمـــ　　ـــسى فى الملـــمات وعرســـى

حكم التاريخ

سيســـب الـــدهر والتـــا　　ريـــخ مـــن أغـــرى بســـبى
لا الأولى ســـبوا فهـــم عبـــ　　ـــدان عبـــدان لـــرب
يـــالخزى المشـــتلى كلـــ　　ـــبا لســـب المتنبـــى
عـــرض كـــافور تهـــرى　　ولـــه مليـــون كلـــب

***

المستنصرية

أعد مجد بغداد ومجدك أغلب — وجدد لها عهدا وعهدك أطيب
وأطلع على المستنصرية كوكبا — وأطلعته حقا . فإنك كوكب
كأن على بغداد مما أفضته — من المجد أذيالا من التيه تسحب
محافلها ملقى ، وغر قبابها — نشاوى، ومثوى سفحها متوثب
أقمت بها عزا عريقا مكعبا — وكان بها ذل عريق مكعب
فمن مخبر المستنصرية أننا — نعود إليها من جديد وندأب
حنانيك إن الدهر يطفو ويربو — وإلمامة الدنيا تجيء وتذهب
وأن نثارات الحضارات منبع — يفيض وفى الأرض السبيخة ينضب
وفى أمس كان الشرق للنور مطلعا — فحوله عنه إلى الغرب مغرب
وها هى نحو الشرق تلوى رقابها — شموس عن الغرب التعيس تنكب
أعد رونق المستنصرية إنه — لرونق بغداد إطار مذهب
تقطعت الأسباب إلا وشيجة — من الفن للذكرى بها نتسبب

ويا رب تموز نزلت بليله — على السحر الريان نارا تلهب
بأسحار بغداد تغنى عوالم — وذكرك من أسحار بغداد أعذب
واسود داج كالغراب كسوته — غبار السرايا فهو كالنسر أشهب
وقفت به التاريخ تحصى ثوانيا — بها رحت تملى والمقادير تكتب
عجيب مدى النصر الذى اجتزت — وتوقيتك النصر المؤمل أعجب
وكان لك الجيشان جيش مدرب — وآخر أقوى منه قلب مدرب

وما السيف إلا آلة خلفها يد ... وخلفهما عزم يهم ويضرب

أبا كل حر لا أبا الشعب وحده ... إذا احتضن الأحرار فى أمة أب

هنيئا لك العيد الذى أنت رمزه ... بذكرك يستعلى وباسمك يطرب

أعد مجد بغداد تعد مجد أمة ... به الكون يزهى والحضارات تعجب

وأرجع لها فى شمس تموز حقبة ... إذ الشمس عن أمصارها ليس تغرب

عمومتها فينا كليب وائل ... وأهوالها منا إياد وتغلب

ورائدها عبد الكريم بن قاسم ... يبارك يوميه الحسين ومصعب

كأنك أهداك المثنى وخالد ... حساميهما والأصغرى المهلب

لها بالفرات السمح حضن يلفها ... وعند الجبال الشم خضراء منكب

يمد الخليج الرافدين وبحره ... وبر الشام الكوفتين ويثرب

أعد مجد بغداد فبغداد روضة ... لدى موسم تذوى وآخر تعشب

يضربها جدب الرجال فتجدب ... وينعشها خصب النفوس فتخصب

وها هى من ألف تصر من تشتكى ... بأن لم يلح عبد الكريم وتعتب

كأن الربيع الطلق من هذه الربى ... يجر على الكون الرحيب ويسحب

هنا انسابت الدنيا وراحت عصارة ... من الفكر فى كأس من الضاد تشرب

وأضفى على شرق وغرب صباغه ... سنى شفق فى دجلة يتذوب

بباريس لون أريحى مهذب ... وفى الصين لون فلسفى مسبب

هنا استن إيمان وفاض تسامح ... وقرت حزازات وأودى تعصب

تعارض بالإسجاح رأى وآخر ... وخولف بالإيثار فكر ومذهب

ولم يحتجز رهنا لغاوين يعرب ... أبو كل من حامى عن الضاد يعرب

لك الخير إن الشعر كالنبع سلسلا ... إذا فاض منه جدول يتشعب

مشت بي ستون وماذا وراءها ... سوى الموت يبغي أجنف الخطو أشيب

كأني فيهن ابن يوم فلم يكن ... سوى يوم تموز من العمر يحسب

أقول لضليل يكن نهاره ... غباء. وأما في العشي فيحطب

لك الويل لا يحلبك ضرعا مطاوعا ... خؤون ولم يمددك جسرا مخرب

ولا يرتخص منك الضمير ولا يلغ ... بنفسك ناب أجنبي ومخلب

لك الويل إني رائد جاء قومه ... بصدق وغيري من يرود ويكذب

لك الويل ماذا كنت تحلم قبلها ... بأكثر مما أنت فيه وتطلب

أيسعى عزيز أن يذل وأهله ... وأن يتغشاهم بعيد مجنب

أهم رخي أن يصوح مرتع ... ووارد رفه أن يرنق مشرب

أبا كل حر لي إليك شفاعة ... فهل أنا ذياك الشفيع المقرب

أجل إن شهيا للقلوب محببا ... يناغيه شعر للقلوب محبب

وأنت الفتى لم تدر من شعث به ... يلم وأنت الأريحي المهذب

هنا لك فيما بين مثوى وآخر ... شباب عن الأفراح في العيد غيب

بنوك الذين استرخصوا مهجاتهم ... وفدوك منهم بالنفوس وذوبوا

وخاطوا عليك الجفن خوفا من الأذى ... إليك على أهدابها يتسرب

حنانيك لا تغضب عليهم بظنه ... فللموت من سخط المحبين أطيب

حنانيك هب غطى على الحق غيهب ... فهل فلق الإصباح يمحى ويشطب

أيلغى فريق في المباراة أول ... ويحوى فريقا سيئ الحظ ملعب

أزل سخطه عنهم فأنت لهم أب ... وحسبك تأديبا ونعم المؤدب

وقالوا حجاب بين شعب وبينه ... فقلت فهل كون بستر يحجب
وربك أدرى بالذى ظن أحمق ... سنى الشعب يخفى أم سناك يغيب
أبا كل حر وابن كل كريمة ... تمخض عن حر كريم وتنجب
خذ الشعب درعا واتشحه مهندا ... فللشعب يا بن الشعب أدنى وأقرب
حنانيك إنا ساعد حين تضرب ... وغصبتك الحمراء أيان تغضب
ضلوعك من أضلاعنا ، كل شظية ... بها من شظايا أمة تتشعب
وأرواحنا سالت وروحك فالتقت ... كما انصب فى الأرض الكريمة صيب
نوقف أدنى الغايتين استجابة ... وتذهب أقصى ما تروم وتذهب
ونصبر حتى يترح اللؤم كائد ... ونحلم حتى يقرع الكذب أكذب
ويكفى بأن نطوى عليه تيقنا ... بأن خبايا طيه ستجرب
وعلما بأن لا بد يخبر أينا ... يجد وأيا فى الملمات يلعب

أبا الشعب لا أخفيك بثا يهزنى ... وما أنا للخل الصريح مروب
تسرب همس أن فقعا بقرقر ... يعيد شراكا للهزبر وينصب
وأن الذى خلف الحدود يمده ... كلص يجوس البيت ليلا ويهرب
أبا الشعب لا يتعب خؤون مغامر ... فخلفك شعب للخؤونين متعب
سل الشعب زحفا تدر كيف زحوفه ... وبذلا تجد أرواحه كيف توهب
ستهوى رؤوس ما اشتكى منك إصبع ... وتلوى رقاب ما التوى منك منكب
ويلتاث نهر من دماء خبيثة ... على قطرة فى ذمة الله تسكب

فقل لهم يأووا ضبابا لأجحر — وربات خدر فالخباء مطنب

وعمرت عمر الشعب يهديك ما حوى — من العمر لو تحصى السنون وتحسب

***

اهدری یا دماء

اهدری یا دماء ..أنت النشید — أنت فى سمع أمة تغرید

أنت نار موقودة .. لك منا — وبنینا .. ومن بنیهم وقود

جنة الخلد أنت..لا مغریات — ونعیم . لذاك عیش بلید

***

بی که س

أخى «بى كه س» والمنايا رصد — وها نحن عارية تسترد

أخى «بى كه س» يا سراجا خبا — ويا كوكبا فى دجى يفتقد

ويا صيد «مجتمع..» دونه — فريس تلوى بشدقى أسد

ويا حاصدا من كريم الزروع — غلال الأسى ، والأذى ، والحسد

ويا نهزة الحقد..حقد الذئاب — على حمل سارح لم يصد

«بلا أحد» ..سنة العبقرى — يعى الناس ..إذ لا يعيه أحد

«بلا أحد» ..غير خضر الجبال — ووحى الخيال ..وصمت الأبد

«بلا أحد» ..يا سنا أمة — تنادت إلى جمع شمل بدد

تصول بسيف كثير الحدود — إذا كل حد له ..جد حد

وكـــان شــبا ذهنــك العبقــرى … خــير العديــد ، وخــير العــدد
تـــثلم فى معـــهان النضـــال … ولمـــت لـــه كسر تفتقـــد
ســـتخلد غـــارا عـــلى ثـــائر … وعـــاراعـــلى مســـتكين قعـــد
وخزيـــا لمتجـــر بالخشـــار … وفى يـــده أى علـــق كســـد
وأعمـــى ضـــمير يعـــد الأديـــ … ـــب صـفرا .. إذ الصـفر منـه عـدد
«بـــلا أحـــد» ..أيهـــا العبقـــرى … وأنـــت الجميـــع .. وأنـــت الأحـــد

***

لبنان يا خمرى وطيبى

«لبنـــان» يـــا خمـــرى وطيبـــى … هـــلا لممـــت حطـــام كـــوبى
هـــــلا رددت لســــــهدها … عينـــى ، وقلبـــى للوجيـــب
هـــلا عطفـــت لى الصـــبا … نشـــوان يرفـــل بالـــذنوب
نـــزق الشـــباب عبدتـــه … وبرئـــت مـــن حلـــم المشـــيب

لبنـــــان كـــــما ذنبـــــى إذا … رقعـــت شـــيبى بالنســـيب
الأخضر الريـــــان بيـــــ … ـــن جـــوانحى عـــرم الشـــبوب
يـــا مـــن يقايضـــنى صـــدى الـــ … ـــهمسات والســـمر المريـــب
وترصـــد الأقـــمار كابـــ … ـــن أبـــى ربيعـــة فى المغيـــب
والكاعـــب الحســـناء تســـ … ـــترنى بمفضـــلها القشـــيب
وتنـــابز القـــبلات فى … نجـــوى كمســـترق الـــدبيب
ويـــدا تخـــبط فى الهـــوى … ويـــدا تعابـــث فى الجيـــوب

يا من يقايضني ربيـ ـع العمر ذا المرج العشيب
بالعبقرية كلها بخرافة الذهن الخصيب
بعصارة الستين ترزح بالأديـب وبالأريـب
شيطان «غوتة» يا ربيـ ـب الغدر والدم والحروب
ومقايض السبعين بالـ ـعشرين عن ثمن رهيب
لو جئتني لوجدتني محض السميع المستجيب

أية بشاوة والليا لي مثقلات بالعجيب
متدافعات بالفجاءة لاينين من اللغوب
ى والدهر فصعد و ما عز الطلاب على طلوب
«والزهرة» الشقراء طوع يدى «ككارين» الرهيب
«الأخطل» الجبار جاء «الكوفتين» على نجيب
وأبو العلاء على بنات الماء تحدى بالجنوب
وذعرت صحراء العراق بموكب النار المهيب
بالآلة الخرساء تسـ ـتورى على وهج اللهيب
وأتيت «لبنانا» بجا نحتين من ريح غضوب
مثل المسيح إلى السماء وقد حملت على صليب
كأسى تصفق بالغمام بكف غيداء لعوب
ويدى على جرس تشد ومقلتى لفم المجيب
وتحفز النهدان فى أفق من الصدر الرحيب
سخرت عصافير السماء بخائفين من الوثوب

بمزعـــــزعين توجســـــا ومحـــزمين عـــلى الجيـــوب
واستصـــغرت زمـــر الجنـــادب فى فويهـــــات الثقـــــوب

صـــناجة الكلـــم الرقيـــــق ومزهـــر الـــنغم الرتيـــب
جئـــت العـــراق فعـــاش فيـــك عهـــود «أحمـــد» و «الحبيـــب»
وســـحرت أم الســـحر«بابـــل» بالعجيـــــب وبالغريـــــب
أبشـــــارة «أنـــــذا» لديــــك محمـــلا بـــرد القلـــوب
تهـــدى إلى نعـــم المثـــــاب عـــلى يـــدى نعـــم المثيـــب
مـــن ســـوح دجلـــة والفـــرات منابـــت المجـــد الســـليب
أم الشـــموس ومسرح الـــــدنيا دمنـــتطح الشـــعوب
مـــن نخلـــة وزيوتـــه ومـــن الشـــال إلى الجنـــوب
مـــن مكمـــن القنـــاص فيـــه لقـــانص الرشـــأ الربيـــب
مـــن دار «هـــارون» الرشيـــد لـــدارة الأدب الحسـيب

ســـقط النـــدى مـــن شـــهرزاد لغصـــن «أنـــدلس» الرطيـــب
مـــن «ألـــف ليلتهـــا» الميـــلتك الغريقـــة بـــالطيوب
مـــن لحـــن «زريـــاب» و «إســـحق» عـــلى شـــفتى «عريـــب»
لمرقـــــرق الـــــنغمات فى أكـــواب منطقـــه الخلـــوب
مـــن عطـــر خمـــر «أبـــى نـــواس» بـــين أربـــاض الكثيـــب
المســـتدر الكـــأس مـــن خلـــق النـــدامى والشروب
والعابـــث الهـــازى بـــا درت نيـــاق مـــن حليـــب

لمعتـــق زهــــر الربـــى عـــن ديمـــة ســـمح ســـكوب
كـــالبحترى يقـــرب إلا بعـــاد بـــاللفظ القريـــب

يـــا مبضـــع الألم الحبيـــس وبلســـم الجـرح الرغيـــب
لا شـــلت الكـــف التـــى مســـحت عـــلى روح الكئيـــب
ومــــذوب الأنغــــام لا خانتـــك بوتقـــة المـــذيب
لغـــة الجـــمال نخلتهـــا مـــن كـــل حوشـــى مشـــوب
ووهبتهـــا الأجيـــال تـــرعـــى منـــة الســـمح الوهـــوب

لبنـــان يـــا خمـــرى وطيبـــى لا لامســـتك يـــد الخطـــوب
لبنـــان يـــا عـــرف الجنـــان الناضـــحات بكـــل طيـــب
متنـــاثرات فى المشـــارف والأبـــاطح والـــدروب
الفاتنـــات بـــما اقتبســـن مـــن الشروق أو الغـــروب
ألـــق التوقـــد بكـــرة وأصـــائلا ألـــق الشـــحوب
يـــا بنـــت ســـاحرة أرادت منـــك معجـــزة الحقـــوب
نفثـــت أفـــانين الـــرؤى مـــا بـــين صـــلبك والتريـــب
بالشـــمس حالمـــة الســـنا والـــريح ناعمـــة الهبـــوب
سرحـــت طـــرفى فى نسيـــج الله والصـــنع العجيـــب
فى ســـحر أنملـــة جلـــت موشـــى مطرفـــك القشـــيب
فى الســـفح ، فى قمـــم الثـــرى فى البحـــر ، فى خضر الســـهوب
فجهلـــت أيـــن انتقـــى مـــن حســـن أشـــتات ضروب

لطـف السـوار بـك الخضـيب أم لطـف معصـمك الـذهيب

لبنـــان يــــا وطنـــى إذا حلئـت عـن وطنـى الحبيـب
نسر يحـوم عـلى ربــاك فــلا تخافيــه كــذيب
أبشـــــارة وبــــأيما شـكوى أهـزك يـا حبيبـى
شـكوى القريـب إلى القريـ ـب أم الغريـب إلى الغريـب
هــل صـك سـمعك أننـى مــن رافـدى بـلا نصـيب
فى كربــة وأنـــا الفتـى الـ ـممراح فـراج الكـروب
أنــا «عــروة الــوردى» رمـ ـز مـروءة العـرب العريـب
وزعـت جسـمى فى الجسـوم ومهجتـى بـين القلـوب

أبشـارة يـا ناخـل الأيـام بــالفكر الأريــب
يـا مـن نزلـت بسـوحها مـن يـانع خضـل ومـوبى
يـا مـن أذبـت ضريبهـا فى علقـم الألم الوصـيب
يـا مـن غـذيت مـن الأذى وشـبعت مـن إفـك وحـوب
أعرفـت أوجـع مـن مثـاب بـالعقوب ومـن مثيـب
أبشـارة إنـى لأرمـز عـن همـوم تغـتلى بـى
كـذب التـبجح غـير مـا ينبيكـه حـال الأديـب
أبشـارة يـا أصـغر الأخـوين سـنا يـا ربيبـى
أنعـش بكويـك سـؤر كـوبى وأذب نصـيبك فى نصـيبى
لـك فضـلة فى العمـر مـن أعـمار شـبان وشـيب

من دفتر الغربة

أية شباب الرافدين

ضموا صفوفكم ولموا ... مجدا إلى مجد يضم
وتكاتفوا ينهض بكم ... جبل يلاذ به أشم
يا غاديا لسفوح دجـ ... ـلة حيث طينتها تشم
حيث الضفاف بكوثر ... عطر قراح تستحم
وإذ الأصائل فيه والـ ... أسحار أطياف تلم
وإذ النسيم يشفه ... من ناعم اللمسات سقم
وإذ الظلال من الغصون ... كعاشق حذر يهم
فيؤم يلثم خدها ... فيصده موج يؤم
مني إليك رسالة ... عن لاعج ضرم تنم
قف بين «دجلة» و «الفرات» ... وصح ليسمعك الأصم

إيه شباب الرافديـ ... ـن وأنتم الشرف الأتم
يا موقدي سرج الدماء ... إذا دجا ليل أغم
أنتم كرامتها ومنـ ... ـكم ما ازدهى وافتر نجم
فلق الصباح بجوه ... ألق ، وبدر دجاه تم
فيكم تنار دروبه ... وبكم خطاه تستتم
ومفجري نهر العروق ... زكا لها أرج وطعم
خمسون في سوح الجهاد ... وسوحها غنم وغرم

كنـــتم نوابضـــها تشـــب ... بنـــاركم وبكـــم تحـــم
ومـــؤملين ضـــياعهم ... ثكـــل عـــلى وطـــن ويـــتم
صرعـــى لمقتطـــف الـــثمار ... غـــداة ناضـــجها يلـــم

يـــا فتيـــة الـــوطن الفتـــى ... أنـــوفهم كعـــلاء شـــم
يـــا مـــن إذا جـــد الـــبلاء ... يخصـــهم شر يعـــم
البـــادئون أوارهـــا ... مـــنهم ، ومـــنهم مـــن يـــتم
والهـــارعون إلى الصريـــ ... ـــخ وحـــولهم صـــم وبكـــم
«يتفرجـــون» وأهلهـــم ... غرقـــى يجـــيش بهـــم خضـــم
فـــيم التفـــرق ، مخـــول ... فى الثـــأر يرصـــده معمـــم
وتصـــعد النعـــرات يخـــ ... ـــلف زيـــدها المنحـــوس بـــم
أعـــلى «المناســـب» والعـــراق ... أب لكـــم زاك وأم
يســـتل ضـــوء نجومـــه ... طفـــل ، ومكتهـــل ، وهـــم
وتشـــدهم عقبـــى مصيـــ ... ـــر مثـــل حـــد الســـيف حـــتم

أم للمبـــادئ وهـــى مائـــدة ... بهـــا عســـل وســـم
جهـــد المقـــل صـــحافها ... والطـــاعمون بهـــن جـــم
يلهـــو بهـــا المتزعمـــون ... وينـــبرى للـــزعم زعـــم
يتقاســـمون ســـهامها ... كيـــف يصرفهـــا وكـــم
متســـابقين لـــرهطهم ... ســـت وللجمهـــور ســـهم
وموسوســـين فعنـــدهم ... وهـــم ، وخـــوف الـــوهم وهـــم

يتنفجـــــــــــون كـــــــــأنهم ظفـــــر بمعركـــــة وحســـم

حتـــــى إذا حمـــــى الوطيــــــ ـــس عمـــوا بســـاحته وصـــموا

وتنـــــــــاذروا فمضـــــــــارب تطـــــوى ، وأحقبـــــة تـــــزم

وارتـــــــــــد فى أعنـــــــــاقكم عـــبء مـــن التبعـــات ضـــخم

ومشــــى الصريـــخ يهـــزكم يـــا فتيـــة الـــوادى هلمـــوا

غامـــــت ســـــماء الرافديــــــ ـــن فكـــل مسرجـــة تغـــم

فى كــــــل بيـــــت فرقـــــة وبكـــــل صـــف منـــه ثلـــم

وتفصـــــمت لحـــــم الجـــــزور وعـــق منهـــا الجـــذم جـــذم

واسترخصـــــت فيـــــه الـــــدماء وأغليــــت نعـــــم وبهـــــم

فكــــــر يشــــــل ، وذمـــــة يلـــوى بهـــا ، وفـــم يكـــم

وثـــواب حـــرف ناضـــج بضـــميره ، قـــذف ، وشـــتم

فلكـــل حـــر الوجـــه جهـــم ولكـــل عـــف الـــنفس فـــدم

فمعاصـــــم الأحـــــرار مـــــن عـــض الحديـــد بهـــن وشـــم

يـــا أيهـــا الصـــنم الحقـــود أأنـــت للتـــاريخ خصـــم

لم يبـــق مـــن جـــبروت «فرعـــون» ولا «نــــيرون» رســــم

حرفـــــان للتـــــاريخ يعـــــ ـــتورانه «بـــئس» ونعـــم

وبــــما تصرف مـــــنهما فى النـــاس تمـــدح ، أو تـــذم

***

براها

حسـناء رجلـك فى الركـاب ... ويـداك تعبـث بالكتـاب
وأنـا الظمـيء إلى شرا ... بـك كـان مـن ريقـى شرابـى
حسـناء زاد مـن اضـطرابى ... بغـى التـنقص فى اضـطرابى
حسـناء سـاعتك التـى ... دورت كانـت مـن طلابـى
حاولـت أجعلهـا الذريـ ... ـعة لاحتكـاكى واقترابـى
عبثـا فقـد أدركـت مـا ... تبغـى القشـور مـن اللبـاب
كنـت العليمـة بـابن آوى ... إذ تحلـق للغـراب
ذل السـؤال جرعتـه ... فبخلـت حتـى بـالجواب
مـا كنـت أعـرف قبـل هـذا ... اللطـف مـا لطـف التغـابى

حسـناء لم يـعسر طلابـى ... إن كـان مـا بـك مثـل مـا بـى
لكـن بـك المـرح اللعـوب ... وسـحره ودم الشـباب
وبـى الـذى لا شيء يعـ ... ـدل قبحـه إلا التصـابى
وخـط المشـيب كأنـه ... كـلأ تهيـأ لاحتطـاب

حسـناء والـدنيا وأنـ ... ـت ومـن عليهـا لانقـلاب
مـا كـان مـدعاة اقـتراب ... عـاد مـدعاة اجتنـاب
إن يمـش فى فـودى ... مبيضـين ، عـود مـن ثقـاب
فلقـد أروح ولمتـى ... كهـلال عيـد فى ارتقـاب

حسناء إن الحب والصبوات ... من شأني ودابي

أنا نحلة لمت من الزهر ... المجاج من اللعاب

ورمت به شهدا يلطف ... من مرارة كل صاب

حسناء لو كان الهوى ... والحب يؤخذ باغتصاب

قد كان ما بيني وبيـ ... ـنك قرب مطرقة وباب

بل كان بعد المشرقيـ ... ـن وقد رجعت إلى صوابي

كنا كأبعد ما يرى ... متعذران على انجذاب

«براها» سلام كلما ... خفق الصباح على الهضاب

ما هز فجر بالندى ... خضر الأباطح والروابي

ما نفضت ريح الصبا ... قارورة العطر المذاب

ما طارح الروض الحمام ... لدى الشجيرات الرطاب

ما طارحته حمامة ... بهديلها، شجو التصابي

«براها» سلام ما اكتسى ... ألق السنا مزق الضباب

«براها» سلام ما ارتمت ... كسرا أغاريد الشباب

ما فاض كوب بالشراب ... وخلا على شفتي كعاب

أطبقت أجفاني أسد على ... طيوفك كل باب

وأصب عطرك فى دمي ... وإهاب حسنك فى إهابي

ورؤى تخالف فى الجمال ... تخالف الصور العذاب

تتلون الأجواء فيك ... تلون الشفق المذاب

وكـــأن أطيافـــا تـــراوح ... فيــك بــين هــل وهــاب
متـــأطرات في اصـــعاد ... ســـاريات في انصـــباب
وكأنهـــا فـــيها تصرف مـــن ... خطاهـــا ، في ارتيـــاب
وكـــأن ســـاحرة أحالـــت ... في بطاحـــك والشـــعاب
أردانهـــا متفتقـــا ... ت عـــن طيـــوف في العيـــاب
بينـــا ســـماؤك مثـــل غـــا ... بـــك أو كجـــانحتى غـــراب
دكنـــاء تســـبح في غيـــا ... بـــات وتمخـــر في عبـــاب
تلقـــى عليـــك طلالهـــا ... حتـــى كأنـــك في يبـــاب
وكـــأنها قمـــم الجبـــال ... تنـــوء مـــن ثقـــل الســـحاب
فـــإذا بهـــا عريانـــة الـــ ... ـــلبات ، ملقـــاة الثيـــاب
كمغـــارز الأبـــر ارتمـــى ... فيهـــا الشـــهاب علـــى الشـــهاب

الشـــمس تـــؤذن بالغيـــاب ... والغيـــث يـــؤذن بانســـكاب
والـــثلج بيـــنهما يســـاقط ... بالنـــديف مـــن الرضـــاب
وســـنى الأصـــيل الشـــاحب الـــ ... ـــمضفور بـــادى الاضـــطراب
عـــدت الغيـــوم علـــى ربـــاك ... الخضر مثقلـــة الوطـــاب
وبـــدت قبابـــك مـــن شغيـــ ... ـــف الغـــيم في أبهـــى نقـــاب
ومســـاقط الأضـــواء مـــن ... أمـــم تنـــاثر كالحبـــاب

«براهـا» وأنـت حصـيلة الأجيـال ... مـــن ألـــق وخـــابى
لم تبرحـــى تـــأتين في الـــ ... ـــحالين بالعجـــب العجـــاب

بـــدم يعتـــق في الثـــرى ودم يعتـــق في الخـــوابي
بنـــت الجـــدود وخلفـــت أغـــلى تـــراث مـــن تـــراب
آفاقـــه مهـــوى القلـــوب وســـوحه مهـــوى الرقـــاب

سرحـــت طـــرفي في الشـــارع آلـــك الحمـــس الغضـــاب
وعرفـــت مـــن نعـــم السـطور الشـــيء مـــن نعـــم الكتـــاب
ووقفـــت حيـــث المجـــد يصـــعد في شـــموخ كالعقـــاب
حيـــث الثـــرى نشـــوان مـــن عبـــق الـــدماء المســـتطاب
وســـمعت في ناديـــك وقـــع حـــوافر الجـــرد الصـــلاب
ســـقت المئـــات مـــن الألـــوف ملابـــة بـــدم مـــلاب

«براهـــا» وأنـــت مـــن الضـــحايا الغـــر ، وافـــرة النصـــاب
«براهـــا» ســـلام نعـــم عقبـــى المجـــد ، في عقبـــى المـــآب
أكنيســـة بجماجـــم الأبطـــال عـــــامرة القبـــــاب
فيهـــا تجـــول الـــذكريات الغـــر كالخيـــل العـــراب
غنيـــت بهـــا الصـــلوات عـــن تلـــك المحاريـــب الرحـــاب
ســـور البطـــولات انـــبرت فتعطلـــت ســـور الكتـــاب

أنطقـــت أوتـــار الحيـــاة بـــأي أنغـــام رتـــاب
مـــن كـــل منتحـــر عـــلى ظفـــر لمفـــترس ونـــاب
لبناتـــك المتلونـــات تلـــون الأصـــل العـــذاب
الحالمـــات مشـــي برقتـــهن شـــجو الاكتئـــاب

لم تكس من حقب بغير ... ظفر دم الضحايا من خضاب
كانت وسائد منطوين ... على جراحهم الرغاب

«براها» وما يجنى الحضارة ... مثل أحجار الصعاب
جيل على جيل يقطر ... شهدة من أى صاب
سوح النعيم على المدى ... كل على سوح العذاب
رقصات مشبوح على ... نغم الكمنجة والرباب
هى من صدى رقصات مذبوح ... على نغم الحراب
قالت لى الأرواح سل ... ن مع الجداول فى انسياب

والتضحيات الصامتات ... وعندها فصل الخطاب
ما ليس يؤخذ باطباع ... ليس يؤخذ باكتساب
وحضارة مجذومة ... أرحامها فإلى تباب
وغد بلا أمس وإن ... غر العيون فكالسراب
سبحانك الوطن المفدى ... ما أعزك من جناب
تنعى على ك السيئات ... ويزدهى بالانتساب
ويهد حتى بالجنان ... بنيك ذل الاغتراب
ما أتفه الدنيا إذا ... غلب الخنوع على الرقاب
وإذا الكرامة جنة ... بيعت بمقفرة خراب
يا سبة الأجيال من ... متهربين من الضراب
متحايلين على النضال ... الصدق بالدعوى الكذاب

يبنـــون مـــا بنــت العـــوالم باضـــــطراد ، باقتضـــاب

البـــاخلين بقطـــرة الـــدم أو تســــــجل فى كتـــاب

ومقايضـــــين بهـــا الحيــــاة وزهوهـــا صـــنع المرابـــى

الضـــالعين مـــع القـــوى المجهـــزين عـــلى المصـــاب

الخالصـــــــين إذا ارتمـــــــى شرر الـــوغى خـــوف العقـــاب

والســـارقين مـــن الصـــلى بنارهـــا ثمـــر الثـــواب

«براهـــا» ســـلام كلـــما خفـــق الصـــباح عـــلى الهضـــاب

***

أنتم فكرتى

أنـــتم فكرتـــى ، ومـــنكم نشـــيدى وبكـــم يســـتقيم لحنـــى وعـــودى

أنـــا طـــير الصـــباح يزعجنـــى الليـــل ويحلـــو بســـحرة تغريـــدى

رب ليـــل ســـهرته أرقـــب النجـــم بعـــين المدلـــة المعمـــود

كلـــما مـــرت الهمـــوم عـــلى أعـــقاب أخـــرى ، أعـــدتها مـــن جديـــد

أتحـــرى بـــؤس الملايـــين ضـــيمت بـــواقى جناحـــــه الممـــدود

كنـــتم فجـــرة المرجـــى وكانـــت مـــن تباشـــيركم عيـــون قصـــيدى

يـــا شـــباب الـــدنا ، ويـــا روعـــة الدهـــر ويـــا رونـــق النظـــام الجديـــد

يـــا لئـــالى الغـــواص مـــن كـــل فـــج جمعـــت فى نظـــام عقـــد فريـــد

يـــا عتـــاد الشـــعوب إذ يتبـــاهى كـــل شـــعب بعـــدة وعديـــد

يـــا مجيـــلى خيـــل البطـــولات تزهـــى كـــل يـــوم بفـــارس صـــنديد

أنـــا مــنكم وإن تــثلم خــدى ... بغضـــون تــثلم الأخــدود
من شواظ دمى مدى الدهر يغلى ... إذ لــداتى دمــاؤهم مــن جليــد
أنـا «كالهدهـد» استدل عـلى الماء ... ومنــى الظــامئ بعــذب الــورود
ذاك أنــى حلمــت قبـل عهــود ... وبــوحى مــن الخيــال الشرود
بالســنا دافقـا مـن الشرق يمحـو ... ظلمــة الليـل عـن شـعوب رقـود

خالـد يـومكم ، وكـم قـد دفعـتم ... ثمنــا غاليــا لهـــذا الخلــود
أى يــوم لأى جيـــل ، إلى أى ... المســاعى يسـعى ، بـأى صـعيد
عزمــة مــن جهــنم ، وانعطــاف ... مــن نسـيم ، وقبضـة مـن حديـد
لكــم التضــحيات بـين طريــف ... بــدم نــاقع ، وبــين تليــد
وعــلى هــذه الكواهــل يلقــى ... عــبء مســتقل رضى ســعيد
غــير أن الجهــود يكملــن حسـنا ... بادكــار لســالفات العهــود
قبـل خمسين أيـن كنـا وأيـن الآن ... أنـــتم ، ياللمقـــاس البعيــد
اذكـروا كـم يـد لمـا تنعمـون الـ ... ـيوم كانــت لآلكــم والجـدود
كـم مضـوا يرقبـون نجـما وفجـرا ... فى ليــالى الشرق الطــوال الســود
كـم تلـووا مـن أجلكـم فى قيـود ... ولــووا فى ســبيلكم مــن قيــود
كــم قلــوب تحرقــت وجلــود ... وقلــوب تململــت فى جلــود
كـم تلـول مـن الرقـاب ضـخام ... وركــام مــن العظــام نضـيد
اذكـروا تلكـم المواكـب ذابـت ... مـن حـوالى جمـر الكفـاح العنيـد
كلظـى كلـما خمـت بوقـود ... اسـتطارت تقـول : هـل مـن مزيـد
كـم تعـرت عـلى رياح خريـف ... للرزايـــا أوراق دوح خضــيد

عند صبح الأحرار دين لزام ... طوق أعناقهم لليل العبيد

كم طريق معبد بدماء ... لشهيد على عظام شهيد
كم رؤوس هوت لرأس شموخ ... ونفوس شقت لأجل سعيد
كم كؤوس من الدموع أذيلت ... نخبا ملفا لغزة عيد
رب مليون جثة فى نعوش ... من بطون الوحوش عبر البيد
كن مهرا حرا، كريما، عزيزا ... لنعوش تكللت بالورود

يا شباب الدنى ورب شجون ... شردهن عبرة لمفيد
لا تملوا وإن أطلت حديثا ... أنا منه، أسيان، بيت القصيد
تشخص التضحيات لحما وروحا ... حين تروى لغيب عن شهود
ولكم قص من حياة جدود ... قصص كان ثروة لحفيد
أنا من تلكم الضحايا رمت بى ... فكرة حرة وراء الحدود
لم أطق كتمها وأعلم كل الـ ... ـعلم أنى بها أحرز وريدى
كنت فيها ألقى بجلدى للنمـ ... ـر وحولى ممزقات الجلود
أستلذ الصراع يبقى خدوشا ... فى عتى ومعجب ومريد
ولأنقى من نجمة فى ظلام ... لطمة فى مصعرات الخدود

وللقيا الحتوف وجها لوجه ... لذة تبتغى بجهد جهيد
يا لجبن الدعى يركب متن الـ ... ـهول علما بأنه غير مودى
يا شباب الدنا وأنتم قضاتى ... فى شكاة تطغى، وأنتم شهودى
أنا فى عزة هنا غير أنى ... فى فؤادى ينز جرح الشريد

لى عتاب على بلادى شديد | وعلى الأقربين جد شديد
أفصقر طريدة لغراب | ونبيغ ضحية لبليد
يا لبغداد حين ينتصف التاريخ | من كل ناكر وجحود
حين يروى حديثها وحديثى | وتوازى نحوسها بسعود
يا لها إذ يقال كان على العقـ | ـم لديها ما لم يكن لولود
وهبته محسودة ، وذوو الحرمان | أدرى بنعمة المحسود
جحدته فعاش أى ضنيك | ورمته فعاش أى طريد
يستقى من دم الفؤاد جريحا | ويغذى جراحه بالصديد
بخلت أن تفيء الظل منه | وحنت فوق كل وغد وغيد
يا لرهط الآداب فيها إذا ما انجاب | عنهم حساب يوم عتيد
أخلدوا سنة الذليل إلى العيـ | ـش وناموا على وساد الوعيد
واكتفوا عن «رسالة» بوخيز | أخرس فى ضميرهم موؤود
واستطابوا صمت القبور وهان | الثكل فيهم بالصادح الغريد
وكأن لم يرفع منار القصيد | وكأن لم يكن محج الوفود
ملأوا الأرض حين عادى ذوى | الحكم وذابوا من حوله حين عودى
بالإطراق مستجم «النواسى» | على ذل شارع للرشيد
وتخلوا عنه فهاهم حصيد | للرزايا ترى وأى حصيد
أجل الطرف فيهم تعترفهم | ملعب الريح فى شتيت بديد
نثرة أصبحوا وكانوا كحبات | الثريا تلم فى عنقود
وحصيدا مشى بهم منجل الدهر | جزاء عن شملى المحصود

وخضيدا طاحت مورقة الأعواد ... منهم بعودي المخضود
بالسلطان سادة الكلم الجبار ... مستبدلا بخوف المسود
ولخير من ميتات حروف ... ما يحت الحفار من جلمود
ولأغلى من صامتين على الظلم ... وهم قوة ، سعاة بريد
والجهول الشجاع فى زحمة الأحداث ... أعلى من عارف رعديد

يا ليالى الخطوب سوداء عودى ... لترى أى كوكب مفقود
لترى كيف قيل صدقا وحقا ... رب ساع مشى بألف قعيد
لترى أى واحد فى عديد ... وعديدا وليس بالمعدود
لترى أى مسعر لحروب ... ضيعوه يوم اصطكاك الحشود
لترى أى غرة قد تخلت ... عن جبين ، وتلعة عن جيد
لترى كيف ذوبت فى جليد ... جذوة من شواظ قلب وقيد

يا ليالى الخطوب عودى ويا ويح ... صريخ لكربة مستعيد
يا ليالى الخطوب عودى وكم خضخض ... جيلا مهد الليالى السود
يا ليالى الخطوب عودى وقد شا ... ءت رؤوس تساقطت أن تعودى
عصر الذل أى عاص شموخ ... ولو السوط أى صلد عنيد
ومشت نعمة بشوكاء تدمى ... فاستطابت نعومة الأملود
يا ليالى الخطوب سوداء عودى ... وأجرى ما شئت خطبا وزيدى
جنبى الخائرين غار الصمود ... وضعيه على جباه الصيد
وأطيحى بكل مالا يطيق المكث ... فى زحمة البلاء الشديد

وأزيحـــى عـــن أنفـــس عفنـــات بالـــدعاوى مضـــمخات الـــبرود
يـــا شـــباب الـــدنا : وهـــذا فـــؤاد فى قصـــيد ، وآهـــة فى نشـــيد
أنـــا زرع البلـــوى وهـــذا حصـــيدى ونتـــاج الأســـى وهـــذا وليـــدى
يـــا شـــباب الـــدنا وهـــا أنـــا مـــا فى أيكتـــى ، مغمـــز ولا جـــف عـــودى
غـــير أنـــى ولم أكـــن ببلـــد خفـــت قـــول البليـــد فى تفنيـــدى
خفـــت مـــن شـــامت حقـــود لئـــيم وكـــما تعلمـــون : لـــؤم الحقـــود
يـــا شـــباب الـــدنا ورب معـــاد كـــان بغيـــا المعيـــد والمســـتعيد
ســـأغنى لكـــم عـــلى وتـــر القلـــ ـــب وألقـــى لكـــم بحبـــل الوريـــد
سأســـاقيكم كـــؤوس القـــوافى مـــن شروب منـــادم عربيـــد
وســـتأتوننى بعـــزم جديـــد وســـآتيكم بلحـــن جديـــد

أنـــتم فكرتـــى ومـــنكم نشـــيدى
وبكـــم يســـتقيم لحنـــى وعـــودى

***

يا دجلة الخير

• نظمت شتاء عام ١٩٦٢ ، وكان الشاعر يمر بأزمة نفسية حادة ، أثر اضطراره إلى مغادرة العراق هو وعائلته ، والإقامة فى مغتربه فى جيكوسلوفاكيا ، وكان ذلك صيف عام ١٩٦١ .

• نشر قسم منها لأول مرة فى جريدة «المستقبل» يوم السبت الثانى من شباط ١٩٦٣ بعنوان :

رائعة جديدة للجواهرى

يا دجلة الخير

على يد اتحاد الأدباء

إلى كل أديب فى العراق

وقالت الجريدة :

«رائعة الجواهرى الجديدة جاءت كمعظم روائعه الشعرية فريدة ممتازة شامخة شموخ الذرى ، تلمس فيها الطبيعة الإنسانية فى ثورتها وهدوئها ، فى آلامها وأفراحها ، فى تحرقها وحنينها إلى ما تصبو وإلى ما حرمت منه بسبب من الأسباب» .

«أنك تلمس فى هذه الابيات المتلاحمة شوق الجواهرى إلى وطنه ، إلى دجلته ، وإلى ضفافها واصطفاف أمواجها ، وتحس خلال استعراضك للقصيدة كيف يتصل الجواهرى بألف سبب وسبب بها فى هذا الشعب العظيم وبحاضره ومستقبله».

- نشرت فى «بريد الغربة» ، وط٦٧ج١و٢، وط٦٨ج١ ،و «بريد العودة».

حييت سفحك عن بعد فحييني ... يا دجلة الخير ، يا أم البستاتين

حييت سفحك ظمآنا ألوذ به ... لوذ الحمائم بين الماء والطين

يا دجلة الخير يا نبعا أفارقه ... على الكراهة بين الحين والحين

إنى وردت عيون الماء صافية ... نبعا فنبعا فما كانت لترويني

وأنت يا قاربا تلوى الرياح به ... لى النسائم أطراف الأفانين

وددت ذاك الشراع الرخص لو كفنى ... يحاك منه غداة البين يطوينى

يا دجلة الخير: قد هانت مطامحنا ... حتى لأدنى طماح غير مضمون

أتظمنين مقيلا لى سواسية ... بين الحشائش أو بين الرياحين
خلوا من الهم إلا هم خافقة ... بين الجوانح أعنيها وتعنينى
تهزنى فأجاريها فتدفعنى ... كالريح تعجل فى دفع الطواحين
يا دجلة الخير: يا أطياف ساحرة ... يا خمر خابية فى ظل عرجون
يا سكتة الموت ، يا إعصار زوبعة ... يا خنجر الغدر ، يا أغصان زيتون
يا أم بغداد ، من ظرف ، ومن غنج ... مشى التبغدد حتى فى الدهاقين
يا أم تلك التى من «ألف ليلتها» ... للآن يعبق عطر فى التلاحين
يا مستجم «النواسى» الذى لبست ... به الحضارة ثوبا وشى «هارون»
الغاسل الهم فى ثغر ، وفى حبب ... والملبس العقل أزياء المجانين
والساحب يأباه الزق ويكرهه ... والمنفق اليوم يفدى بالثلاثين
والراهن السابرى الخزفى قدح ... والملهم الفن من لهو أفانين
والمسمع الدهر ، والدنيا ، وساكنها ... قرع النواقيس فى عيد الشعانين
يا دجلة الخير : ما يغليك من حنق ... يغلى فؤادى ، وما يشجيك يشجينى
ما إن تزال سياط البغى ناقعة ... فى مائك الطهر بين الحين والحين
ووالغات خيول البغى مصبحة ... على القرى آمنات والدهاقين
يا دجلة الخير : أدرى بالذى طفحت ... به مجاريك من فوق إلى دون
أدرى على أى قيثار قد انفجرت ... أنغامك السمر عن أنات محزون
أدرى بأنك من ألف مضت هدرا ... للآن تهزين من حكم السلاطين
تهزين إن لم تزل فى الشرق شاردة ... من النواويس أرواح الفراعين
تهزين من خصب جنات منشرة ... على ضفاف ، ومن بؤس الملايين

تهزين من عتقاء يوم ملحمة ... أضفوا دروع مطاعيم مطاعين
الضارعين لأقدار تحل بهم ... كما تلوى ببطن الحوت ذو النون
يرون سود الرزايا فى حقيقتها ... ويفزعون إلى حدس وتخمين
والخائفين اجتداع الفقر ما لهم ... والمفضلين عليه جدع عرنين
واللائذين بدعوى الصبر مجبنة ... مستعصمين بحبل منه موهون
والصبر ما انفك مرادة لمحترب ... ومستميت ، ومنجاة لمسكين

يا دجلة الخير: والدنيا مفارقة ... وأى شر بخير غير مقرون
وأى خير بلا شر يلقحه ... طهر الملائك من رجس الشياطين
يا دجلة الخير: كم من كنز موهبة ... لديك فى «القمقم» المسحور مخزون
لعل تلك العفاريت التى احتجزت ... محملات على أكتاف «دلفين»
لعل يوما عصوفا جارفا عرما ... آت فترضيك عقباه وترضينى
يادجلة الخير : إن الشعر هدهدة ... للسمع ما بين ترخيم وتنوين
عفوا يردد فى رفه وفى علل ... لحن الحياة رخيا غير ملحون

يا دجلة الخير: كان الشعر مذ رسمت ... كف الطبيعة لوحا ، «سفرتكوين»
«مزمار داود» أقوى من نبوته ... فحوى ، وأبلغ منها فى التضامين
يا دجلة الخير: لم نصحب لمسكنة ... لكن لنلمس أوجاع المساكين
هذى الخلائق أسفار مجسدة ... الملهمون عليها كالعناوين
إذا دجا الخطب شعت فى ضمائرهم ... أضواء حرف بليل البؤس مرهون
دين لزام ، ومحسود بنعمته ... من راح منهم خليصا غير مديون

يا دجلة الخير : ما أبقيت جازية — لم أقض عندى منها دين مديون
ما كنت فى مشهد يعنيك متهما — خبا ، وما كنت فى غيب بظنين
وكان جرحك إلهامى مشاركة — وكان يأخذ من جرحى ويعطينى
وكان ساحك من ساحى إذا نزلت — به الشدائد ، أقربه ويقرينى
حتى الضفادع فى سفحيك سارية — عاطيتها فاتنات حب مفتون
غازلتهن خليعات وإن لبست — من الطحالب مزهو الفساتين
يا دجلة الخير : هلا بعض عارفة — تسدى إلى على بعد فتجزينى
يا دجلة الخير: منينى بعاطفة — وألهمينى سلوانا بسلينى
يا دجلة الخير : من كل الالى خبروا — بلواى لم ألف حتى من يواسينى
يا دجلة الخير :خلي الموج مرتفقا — طيفا يمر وإن بعض الاحايين
وحمليه بحيث الثلج يغمرنى — دفء الكوانين ، أو عطر «التشارين»

يا دجلة الخير : يا من ظل طائفها — عن كل ما جلت الأحلام يلهينى
لو تعلمين بأطيافى ووحشتها — وددت مثلى لو أن النوم يجفونى
أجس يقظان أطرافى أعالجها — مما تحرقت فى نومى بأتون
وأستريح إلى كوب يطمئننى — أن ليس ما فيه من ماء بغسلين
وألمس الجدر الدكناء تخبرنى — أن لست فى مهمة بالغيل مسكون
يا دجلة الخير : خلينى وما قسمت — لى المقادير من لدغ الثعابين
الطالحات فما يبعثن صالحة — ولا يبعثرن إلا كل مأفون
والراهنات بجسمى ينتبشن به — نبش الهوام ضريحا كل مدفون

واها لنفسي من جمع النقيض بها | نقيضه جمع تحريك وتسكين
جنبا إلى جنب آلام أقطفها | قطف الجياع جنى اللذات يزهوني
وأركب الهول في ريعان مأمنة | حب الحياة بحب الموت يغريني
ما إن أبالي أصابا در أم عسلا | مرى أراه على العلات يرضيني
غولا تسنمت لم أسأل أكارعه | إلى الهوى ، أم على الواحات ترميني
وما البطولات إعجاز وإن قنعت | نفس الجبان عن العلياء بالهون
وإنما هي صفو من ممارسة | للطارئات ، وإمعان ، وتمرين
لا يولد المرء لا هرا ولا سبعا | لكن عصارة تجريب وتلقين

يا دجلة الخير: كم معنى مزجت له | دمي بلحمي في أحلى المواعين
ألفيته فرط ما ألوى اللواة به | يشكو الأمرين من عسف ومن هون
أجره الشوك ألفاظ مرصفة | أجرها الشوك سجع شبه موزون
سهرت ليل «أخي ذبيان» أحضنه | حضن الرواضع بين العت واللين
أعيد من خلقه نحتا وخضخضة | والنجم يعجب من تلك التمارين
حتى إذا آض ريان الصبا غضرا | مهوى قلوب الحسان الخرد العين
أتاح لي سم حيات مرقطة | تدب في حمأ بالحقد مسنون
فهل بحسب الليالي من صدى ألمي | أني مضيغة أنياب السراحين
الآكلين بلحمي سم أغربة | وغصة في حلاقين الشواهين
والساترين بشتمي عري سوأتهم | كخصف حواء دوح التوت والتين
والعائشين على الأهواء منزلة | على بيان بلا هدى وتبيين
والميتين وقد هيضت ضمائرهم | بواخز معهم في القبر مدفون

صناجة الأدب الغالى ، وكم حقب ... بها المواهب سيمت سوم مغبون
ومنزل السور البتراء لاعنة ... من لم يكن قبلها يوما بملعون
جوزيت عنها بما أنت الصلى به ... هذا لعمرى عطاء غير ممنون
ماذا سوى مثل ما لاقيت تأمله ... شم العرانين من جدع العرانين
حامى الظعائن لا حمد ولا مقة ... وقد يكون عزاء حمد مظعون
لمن؟ وفيم ؟ وعمن أنت محتمل ... ثقل الديات من الأبكار والعون

ويا زعيما بأن لم يأته خبر ... عما ينشر من تلك الدواوين
لك العمى ومتى احتجت بأن قعدت ... عن الموازين أرباب الموازين
بل قد مشت لك كالأصباح عابقة ... وأنت تحذرها حذر الطواعين
كفرت بالعلم صفر القلب تحمله ... للبيع فى السوق أشباه البراذين
كانت عباقرة الدنيا وقادتها ... تأتى المورق فى أقصى الدكاكين
تلم ما قد عسى أن فات شاردة ... عنها ، ولو كان فى غيابة الصين
لهفى على أمة غاض الضمير بها ... من مدعى العلم ، والآداب والدين
موتى الضمائر تعطى الميت دمعتها ... وتستعين على حى بسكين
لا بد معجلة كف الخراب به ... بيت يقوم على هذى الأساطين

جب أربع النقد ، واسأل عن ملاحمها ... فهل ترى من نبيغ غير مطعون
وقف بحيث ذوو النزع الأخير بها ... وزر قبور الضحايا والقرابين
تر الفطاحل فى قتل على عمد ... هم الفطاحل فى صوغ التآبين
من ناكر علما تهدى الغواة به ... حتى كأن لم يكن فى الكاف والنون

أو قــارن باســمه خبثــا وملأمــة ... مــن لـيس يومـا بضـبعيه بمقـرون

تشــفيا : إن لمــح الفكــر منطلقــا ... قــذى بعــين دعــى الفكــر مــأفون

عــادى المعــاجم وغــد يسـتهين بهــا ... يحصي بهــا «أبجــديات» ويعــدونى

شـلت يـداك وخاسـت ريشـة غفلـت ... عــن البلابــل فى رســم السـعادين

يــا دجلـة الخـير: ردتنـى صـنيعتها ... خــوالج هــن مــن صـنعى وتكـوينى

إن المصــائب طوعــا أو كراهيــة ... أعــدن نحتــى ، كـما أبـدعن تلـوينى

أريننــى أن عنــدى مــن شــوافعها ... إذا تبــاهى زكــى مــا يزكينــى

وجـب شـتى مقـاييس أخـذت بهـا ... مقيــاس صــبر عــلى صر وتــوطين

وراح فضـل الـذى يبغـى مبـاهلتى ... نعمــى تعنيــه ، مــن بؤســى تعنينــى

يا دجلة الخير: شكوى أمرها عجب ... إن الذى جئت أشكو منه يشكونى

ماذا صنعت بنفسـى قـد أحقـت بهـا ... ما لم يحقه بـ«روما» عسف «نيرون»

ألزمتهــا الجـد حيـث النـاس هـازل ... والهــزل فى موقــف بالجـد مقــرون

وسمتها الخسف أعدى ما يكون لـه ... وأمنـع الخسـف حتـى مـن يعـادينى

ورحـت أظمـى وأسقى دمـى زمـرا ... راحــت تسـقى أخــا لــؤم وتظمينــى

وقلــت بالزهــد أدرى أنــه عنــت ... لا الزهد دأبى ولا الإمساك من دينى

خــرط القتــاد أمنيهــا وقــد خلقــت ... كــيما تنــام عــلى ورد ونسريــن

حراجــة لــو يــرى حمــد يرافقهــا ... هانـت وقـد يـدرى خطـب بتهـوين

لكــن رأيــت سـمات الخـير ضـائعة ... فى الشر كـاللثغ بـين السـين والشـين

مـا أضيع المـاس مصـنوعا ومنطبعـا ... حتــى لــدى أهــل تمييــز وتثمــين

يا دجلة الخير: هل أبصرت بارقة ... ألقت بلمح على شطيك مظنون
تلكم هى العمر ومض من سنى عدم ... ينصب فى عدم فى الغيب مكنون
يا دجلة الخير: هل فى الشك منجليا ... حقيقة دون تلميح وتخمين؟
أم خولطت فيه أوهام وأخيلة ... كما تخالطت الألوان فى الجون
أكاد أخرج من جلدى إذا اضطربت ... هواجس بين إيقان وتظنين
أقول لو كنز قارون وقد علمت ... كفاى أن ليس يجدى كنز قارون
أقول : ما كنز قارون ، فيدمغنى ... أن الخصاصة من بعض السراطين
أقول: ليت كفافا والكفاف به ... رحب الحياة ، وأقوات المساجين
أقولهن وعندى علم ذى ثقة ... أن ليس يؤخذ علم بالأظانين
وإنما هى نفس هم صاحبها ... أن لا تصدق مدحوض البراهين
لم يوهب الفكر قانونا يحصنه ... من الظنون ، ومن سخف القوانين

يا نازح الدار ناغ العود ثانية ... وجس أوتاره بالرفق واللين
لعل نجوى تداوى حر أفئدة ... فيها الحزازات تغلى كالبراكين
وعل عقبى مناغاة مخففة ... حمى عناتر «صفين» و «حطين»
ويا صدى ذكريات يستثرن دمى ... بهزة جمة الألوان تعرونى
أشكو المرارة من إعنات جامحة ... منها إلى سمحة بسر فتشكينى
مثل الضرائر هذى لا تطاوعنى ... فأستريح إلى هذى فتؤوينى

ويا مقيلا على غربيها أبدا ... ذكراه تعطف من عودى وتلوينى
عش الأهازيج من سجعى يرددها ... سجع الحمام وترجيع الطواحين

وسـدرة نبعهـا خضـد، وسـاقية وباسـق النخـل معقـوف العـراجين

ومسـتدق صـخور مـن مآبرهـا رؤى تظـل عـلى الحـالين تشـجينى

من أنمـل الغيـد فى حسـن تتممـه فـإن تعـرت فمـن أنيـاب تنـين

.

يا مجمع الشمل من صحب فجمعت به وآخـر رحـت أبلـوه ويبلـونى

ويـا نسـائم إصـباح تصـفق لى نـدى الغصـون بلـيلات وتسـقينى

ويـا رؤى أصـل نشـوى تراوحنـى وياسـنا شـفق حلـو يغـادينى

ويـا مداحـة رمـل فى مخاضـتها راحـت أصـيبية تلهـو فتلهينـى

وضـجة مـن عصـافير بهـا فـزع عـلى أكنتهـا بـين الأفـانين

ومنطـق لـيس بالفصـحى فتفهمـه يومـا ومـا هـو مـن حس بملحـون

وأنـت يـا دجلـة الخـيرات سـعلية قرعـاء نافجـة الحضـنين تعلـونى

لا ضـير كـل أخـى عـش مفارقـة وأى عـش مـن البـازى بمـأمون

ويـا ضـجيعى كـرى أعمـى يلفهـا لـف الحبيبـين فى مطمـورة دون

حسـبى وحسـبكما من فرقـة وجـوى بلاعـج ضرم كـالجمر يكـوينى

لم أعـد أبـواب سـتين ، وأحسـبنى همـا وقفـت عـلى أبـواب تسـعين

يـا صـاحبى إذا أبصرت طـيفكما يمشـى إلى عـلى مهـل يحيينـى

أطبقـت جفنـا عـلى جفـن لأبصره حتـى كـأن بريـق المـوت يعشـينى

إنـى شـممت ثـرى عفنـا يضـمكما وفى لهـاثى منـه عطـر «داريـن»

بنـوة وإخـاء حلـف ذى ولـع بتربـة فى الغـد الـدانى تغطينـى

لقـد وددت وأسراب المنـى خـدع لـو تسـلمان وأن المـوت يطـوينى

قـدمت سـبعين موتـا بعـد يـومكما ... يـا ذل مـن يشـترى مواتـا بسـبعين
لم أقـو صـبراً عـلى شـجو يرمضـنى ... حـران فى قفـص الأضـلاع مسـجون
تصـعدت آه مـن تلقـاء فطرتهـا ... وأردفـت آهـة أخـرى بـآمين
ودب فى القلـب مـن تـاموره ضرم ... ما انفك يثلج صدرى حين يصلينى

***

أيها الأرق

• «أيها الأرق» .. نداء حى ، واستدعاء صارخ ، مشوبان بترحيب تلمس فى كل حرف منه حرارة الصدق ، وقوة الإيمان ، بمثل ما تنطوى عليه من حرارة الألم ، وبمستوى قوة البواعث التى ابتعثته ، حتى لكأنى – وأنا أخط هذه الكلمات – أنتقل معها من جديد ، وعلى رؤية الواقع الشاخص ، وليس بجناح الذكريات إلى تلك «الغريفة» المطلة على بساط أخضر ، طرزته الأزاهير اليانعة ، من فندق «أنترناشنال» الشهير فى براغ ، حيث يشغل من معى من عائلتى ، الغرفة الثانية ، من الشقة المخصصة لنا ، وحيث كانت أشباح الغربة تحوم علينا ، عارية مكشوفة ، بكل بشاعاتها ... وبكل رهبتها ... وبكل الأحاسيس ، والانفعالات المسحوبة عليها ومعها .. وحيث كان هذا «الأرق» يبدو معها ، لشدة انسجامه ، وروعة تكامله ، وكأنه الإطار الذى لا يوجد بديل عنه ، للصورة أبدا ، وكأنه اللمسة التى لا تتم إلا بها .. حتى ليبدو أمرا تافها .. وشيئا نابيا أن يحل النوم محله ، أو أن يزحزحه الرقاد عن موضعه.

وبعد : فلا بد أن تكون هذه الصورة نفسها ، التى استلزمت هذا الإطار – هذا الأرق – هى التى فرضت عليّ هذا التعبير الناضح صدقا ، وحبا ، وترحيبا .. ومن

وجهة ثانية لابد أنها هى نفسها التى فرضت على أن أقف بهذا التعبير ، من حيث أراد هو ، نفسه أن يقف بى .. وأن انتهى منه – على قصره – لمحض أن المضى فيه أكثر فأكثر كان فضولا فى القول ، وإقحاما فى الأداء.

وإذا أردت الأمانة الكاملة .. والدقة المفترضة ، فى استكمال الأسباب المحتملة لهذا الحيز الضيق والمساحة المحدودة اللتين قسمتا لهذا الطارق الحبيب – الأرق – فلابد لى أن أعود لأتذكر أن لـ «يا دجلة الخير» يدا قوية ، وأثرا بالغا فى ذلك .. فلقد تشابكت – وهذه القطع المعدودة – فى آن واحد فشبكتها ، واقتحمت ميدانها فزحزحتها عنه ، وجاءت (يا دجلة الخير) لتقول شيئا جديدا ليس الأرق وحده ، ولكن جوهر الغربة نفسها ، فيها من موحيات .. وبواعث .. وأحاسيس .. وكوابيس ، أيضا .

وهدأت العاصفة الكاسحة .. وقرت الأحاسيس الموحشة فى أعماق الضمير ، وأصبحت «الغربة» ، وكأنها هى القياس ، وعدمها هو الاستثناء ، ولم يعد .

- ليلى يفر من يد الظلم .

- ولا يتخطانى ولم أنم .

- وعادت «السرج» تخفق على بألطف مما كانت ، بظلال أرق ، وبموحيات أكثر طلاقة وانبعاثا .. ولم ينتقص من لطفها ، ولا من قوة موحياتها «جبل من الأسى» ..كان وما زال وسيظل «يتمشى معى وينتقل» ..والعكس هوالصحيح ، فلعل كل طائف من تلك الطيوف ، كان يستريح بظل من هذا الجبل ، وكان يحتمى به وكان يجد نفسه الضائعة فى شخصه الشاخص .

وسارت الأيام والليالى بعقد من السنين ، على أكثر من وتيرة واحدة .. ودارت قواعدها على أكثر من محور واحد .. ولقحت بأكثر من عبرة .. وأكثر من تجربة . وأكثر من فكرة .. وألفيت لى «نديما» جديدا غير «الأرق» . اصطلحت معه واصطلح معى طيلة هذه الفسحة من الزمن ، بخير ما يكون عليه الزمان من حال وبأشد ما يكون مراعاة لقواعد الألفة ..

ولأعراف الصحبة .. كنت لا أثقل عليه فى المناجاة .. ولا فى المساقات .. ولا فى مطارحة الهموم .. ولا فى بث لواعج النفس .. ولا في تقاسم الأفراح والأتراح .. ولا فى ابتعاث الذكريات .. ولا فى تبادل الصور .. ولا التسابق فى التقاطها .. لقد كنت أطرق عليه الباب الفينة بعد الفينة قد تطول إلى حد العتاب ، وقد تقصر إلى حد الإلحاح ، لأهمس فى أذنه فكرة عنت .. أو هما طرق .. أو ذكرى سنحت .. أو بارقة أمل لاحت .. أو سويعة أنس وارتياح وانبساط حانت ..

ومن كل هذا وذاك ، تكونت هذه الإضمامة الصغيرة المتعددة الألوان والظلال ، أضعها بين يدى القارئ ملتمسا منه أن يمسها برفق .. وأم يتملاها بتجرد .. وأن يتعاطف معها ، فإن فيها - كما أعتقد - من المشاركة فى خلجات نفسه ، وفى مضطرب أحاسيسه ، وفى مسارب ذكرياته خير شفيع لها .. وخير مبرر لوجودها .

والسلام

فر ليلى من يد الظلم   وتخطانى ولم أنم
كلما أوغلت فى حلمى   خلتنى أهوى على صنم

يستمد الوحي من ألمي ويبث الروح في قلمي

آه يا أحبولة الفكر
كم هفا طير ولم يطر

خفقت من حولي السرج في الربى والسوح تختلج
ومشى في الظلمة البلج وقطار راح يعتلج
بضرام صدره الحرج فهو في القضبان ينزلج

وكأنغام على وتر
سعلات ذبن في السحر

مرحبا : يا أيها الأرق فرشت أنا الحدق
لك من عيني منطلق إذ عيون الناس تنطبق
لك زاد عندي القلق واليراع النضو والورق

ورؤى في حانة القدر
عتقت خمرا لمعتصر

مرحبا : يا أيها الأرق فحمة الديجور تحترق
والنجوم الزهر تفترق فيجر السابح الغرق
شف ثوب للدجى خلق وخلا من لؤلؤ طبق

وحشــــى صـــبح عـــلى خـــدر
كغريـــــب آب مــــن ســـــفر

أنــا عنــدى مــن الأســى جبــل يتمشــــى معــــى وينتقـــــل
أنـــا عنـــدى وإن خبــا أمـــل جـــذوة فى الفـــؤاد تشـــتعل
إنـــما الفكـــر ، عارعـــا ، بطـــل أبـــــد الآبـــــدين يقتتـــــل

قائـــــد ملهـــــم بــــــلا نفـــــر
حسرت عنـــــه رايــــة الظفــــر

مرحبــــا : يـــا أيهـــا الأرق كـــم يـــد أســـديت لى كرمـــا
أنــــت فى عينـــى مـــنى ألـــق أجتليــــــه بمســــمعى نغـــما
مرحبـــا : يـــا أيـــا القلـــق وجـــــد الضــــليل فانســـجما

مرحبــــا يـــا صــــفوة الزمـــــر
يـــــا مطـــــلا فســـحة العمــــر

مرحبــــا : يـــا أيهــــا الأرق عــــاطنى مــــن خمــــرة الســــهر
إن هــــذا العمـــــر يخــــترق كــــاختراق الثـــوب بــــالإبر
وهـــو بالأوهــــام يســـــترق كاســــتراق الغــــيم للمطـــــر

فأزرنيهــــــــا ولا تـــــــــذر
كـــم غـــد ألـــوى فلـــم يـــزر

مرحبـــا: يـــا أيهـــا الســـهد — كـــم وكـــم أنجـــزت مـــا تعـــد
خـــل حراســـا لمـــن رقـــدوا — فلنفســـى مـــن نفســـها رصـــد
مرحبـــا : يـــا جمـــرة تقـــد — بـــين مـــوتى ، كلهـــم جمـــد

مرحبـــا يـــا منقـــذ الفكـــر
مـــن نيـــوب الخمـــول والخـــدر

مرحبـــا : يـــا أيهـــا الأرق — أنـــا بالطارئـــات أنـــتعش
لى فـــؤاد بـــالأمن يحـــترق — وجفـــون بـــالنوم تنخـــدش
أحســـب الـــنفس هزهـــا القلـــق — كنفـــيس الكنـــوز تنتـــبش

أكـــره البـــدر دهـــره نســـق
وأحـــب النجـــوم تـــرتعش

***

يا نديمى

يا نـديمى : نفسـى جـذاذات طرس — عريـت فوقهـا بطهـر ورجـس
مـن مراقـى نعمـى وهـوات بـؤس — مـن أشـم ومـن أخـس أخـس
كـذب البحـترى إذ قـال أمـس — «صـنت نفسـى عـما يـدنس نفسـى»
دنـس الـنفس حلـة مـن دمقـس — لـن تغطـى – ولـو بمليـون عـرس

سـألتنى : وقلبهـا يجـب — أمـدى الـدهر أنـت مغـترب

أملـــول أم أنــــت مجتنــــب أم هـــو الـــدهر أمـــره عجـــب
قلـــت : مـــالى بـــذى وذا نســـب أنـــا لى مـــن جبلتـــى عصـــب

قـــد صـــوانه مـــن الحجـــر
فهـــو لا يســـتلذ بـــالسرر

يـــا نـــديمى : إن الـــدجى وضـــحا والهـــزار الغـــافى هنـــاك ..صـــحا
يـــا نـــديمى : وصـــب لى قـــدحا ألمـــس الحـــزن فيـــه والفرحـــا
وأرى : مـــن خلالـــه شـــبحا مـــن نثـــار الهـــم الـــذى طفحـــا

فى شـــباب مضـــيع هـــدر
مثـــل عـــود خـــاو بـــلا وتـــر

يـــا نـــديمى : شـــاطرنى القـــدحا ثـــم هـــب لى صـــبابة القـــدح
إن فـــيما تعـــاف منتـــدحا مـــن غبـــوق بـــه ومصـــطبح
رب صـــدر برشـــفة نضـــحا وعصى ألـــوى فلـــم يـــبح

فـــأرح قلـــب ملهـــم مـــرح
مـــن غثـــاء عليـــه مطـــرح

يـــا نـــديمى : وصـــب لى قـــدحا وأعرنـــى حـــديثك المرحـــا
يـــا نـــديمى : وأمـــس رأد ضـــحى قلـــت لى قـــول مشـــفق نصـــحا
مـــا علينـــا أبـــارح ســـنحا أم ســـنيح بقفـــرة برحـــا

أفـــنحن الحـــداة للـــبشر
أم رعـــاة الأغنـــام والبقـــر

يـــا نـــديمى : ورقـــة الســـحر   وتهـــاوى النجـــوم فى الأثـــر
وخفـــوت الأضـــواء كالخـــدر   دب فى جســـم مـــارد أشر
لموحـــة فـــوق طاقـــة الـــبشر   لتـــداعى الأفكـــار والصـــور

يـــا نـــديمى : وعـــد مـــن خـــبرى
فى ســـمو منهـــا ومنحـــدر

يـــا نـــديمى : وكـــم يـــد ويـــد   للنـــدامى مـــدت فلـــم تعـــد
غفلـــت عـــن خبيئـــة رصـــد   واســـتنامت رخيـــة لغـــد
يـــا نـــديمى : فســـقنى وزد   فيـــدى مـــا تـــزال فى عضـــدى

وغـــدى إن يغـــب وإن يـــزر
واجـــد فى صـــبر منتظـــر

يـــا نـــديمى : ونـــور الســـحر   فـــالربى والســـفوح تنـــتشر
والنجـــوم الخرســـاء تنحـــدر   وكـــأن الصـــباح ينفطـــر
غـــادة بالحيـــاء تـــأتزر   فهـــى تبـــدو طـــورا وتســـتتر

ثـــم تمشـــى خجـــلى عـــلى حـــذر

مشـــى عـــذراء دونـــها أزر

يـا نـديمى : وكـم مضى سـحر وكـم اسـتن نهجـه وتـر
وطـر جـد إذ مضى وطـر وكـأن لم يكـن لـه خـبر
يـا نـديمى : أحجيـة بشر يبعـث الميـت حـين يفتكـر

ثـم يلقـى بـه إلى الحفـر
لنضـيد الـتراب والحجـر

يـا نـديمى : وأمـس كنـت أرود ملعبـا أسرجتـه «غيـد» و «رود»
شـال فيـه نهـد .. وأتلـع جيـد وتـدلت عـلى النهـود عقـود
ثـم هبـت للـرقص فيـه قـدود كـل أملـودة لهـا أملـود

يـا نـديمى : وهمـت بالشـجر
وسـواى اسـتبد بـالثمر

يـا نـديمى : وجـس عـود فرنـا وطـروب أصـغى لـه فتغنـى
ونـديم أدار كأسـا وثنـى وشروب لـو شـاء أفـرغ دنـا
يـا نـديمى : ومنيتـى أن أعنـى - لـو تسـنى لمشـته مـا تمنـى -

بسـعير الـدلال والخفـر
وخريـر الأنغـام والـوتر

يـا نـديمى : ورقـق الـنغم ... بـرنين الأقـداح ينسـجم
هـب مـن كـل «قبلـة» نسـم ... وبحلـو الشـفاه غـاص فـم
والحميـا كأنهـا ضرم ... فى مصـب العـروق تحتـدم

تنتشـى مـن دبيبهـا العطـر
فهـى بـين الوثـوب والخـدر

يـا نـديمى : سـبحان بـار براهـا ... عرضـت مـرة فكـذبت عينـى
وتحاملـت جاهـدا أن أراهـا ... فمشـت بينهـا السـنون وبينـى
غـير أن الـذى عـراني عراهـا ... وكـأنى بـه تحينـت حينـى

يـا نـديمى : وخائـب كـ«حنـين»
مستضـل يبغـى نسـيئا بعـين

كقراضـات عسـجد فى لجـين ... ذبـن فى خـدها بـماء الشـباب
و«أنيـف» مفـض إلى شـفتين ... رحمـة صـيغتا وسـوطى عـذاب
و«نهيـدان» رفرفـا بـين بـين ... فى سـفوح منسـابة وهضـاب

يـا نـديمى : وحفنـة مـن تـراب
كللـت رأس مـزمن متصـابى

يـا نـديمى : ومـا تـزال نجـوم ... لاقطـات أنفاسـهن احتضـارا
طافيـات يعيـا بهـن السـديم ... يترقـبن بـالطلوع النهـارا

قلقـــات كـــأنهن همـــوم   فى فـؤاد جـم الهمـوم ، حيـارى

أيـــواكبن مـــا ألفـــن اضـــطرارا
أم يـــولين مـــا اســـتطعن فـــرارا

وعصـــافير يـــدرجن الهوينـــا   فى هبـــوط أعقابهـــا وصـــعود
مـن رنيـق النعـاس يمسـحن جفنـا   ويعـــاودن خطـــوة مـــن جديـــد
وتعـــاطين زقزقـــات دوينـــا   تســـبق الهمهـــات بالتغريـــد

وتعالـــت هلاهـــل مـــن بعيـــد
وتوالـــت أسراب طـــير ســـعيد

وبعيـــدا : لحـــن غريـــد   هـــب مـــن نشـــوان عربيـــد
وأغـــانى خـــرد غيـــد   خلتهـــا مـــن حســـن ترديـــد
خشخشـــات العقـــود فى الجيـــد   وهفـــا مـــن بعـــد تصـــعيد

رمـــق بـــاق مـــن العمـــر
فى شـــعاع منـــه محـــتضر

وتـدلت عـلى المـروج خيـوط   مـن نسـيج الصـباح لونـا فلونـا
وتغشـى السـماء حسـن خلـيط   مـــثلما شـــابت الملاحـــة حزنـــا
شـغل الـنفس عـن سـواه محـيط   كـــاد عجبـــا بنفســـه أن يجنـــا

وهنـــاكم في المـــرج «نـــاي» تغنـــي
كفـــؤاد بـــالحزن فـــاض فأنـــا

يـا نـديمي : وهـب حقـل وحقـل — نافضـا عنـه مـن خمـول دثـارا
وتنحـى عنـه مـن الليـل ظـل — فهـو يشـتد روعـة واخضرارا
كـل غصـن بـه تعلـق طـل — دب فيـه دفء الحيـاة فغـارا

إن كونـا في حسـنه لا يبـارى
سـل مـن ربقـة الظـلام إسـارا

يـا نـديمي : كـم سـجعة لمغنـي — ذكرتنـي الصـبا وسـجع الـديوك
وانثنـت بـي منهـا لقضـبان سـجن — ثـم منهـا إلى مصـير ملـوك
ورمتنـي بمثـل رمشـة جفـن — لمهـاوي وسـاوس وشـكوك

في نظـام مهلهـل وحبيـك
وصـفيق مـن سـتره وهتيـك

يـا نـديمي : إن الشـباب تـولى — ملقيـا خلفـه عـلى الـنفس ظـلا
يمنـع العمـر بعـده أن يمـلا — يـا نـديمي : وعفـت إلا الأقـلا
ذكريـات مثـل السراب تعـلى — موهمـا فـرط غلـة أن تـبلا

يـا نـديمي : وسرت بـالأثر
وتخفـى السراب عـن بصري

يـــا نــديمى : هــلى الحيــاة خيــال　　أم نســـيج يعـــده منـــوال
يــا نــديمى: ستون ، مــرت ، ثقــال　　رازحـــات . كـــأنهن جمـــال
مـــثقلات .. أو مـــثلما تنهـــال　　صـــوارا فى روايـــة ، أبطـــال

يـــا نـــديمى وتـــنهض الأطـــلال
مـــن جديـــد .. إذ نحـــن غيـــب زوال

يـــا نـــديمى : ومـــا هـــى القيـــم　　غـــير مـــا زخرفـــت بـــه نظـــم
شـــاءهن الخصـــيم والحكـــم　　وحمـــاهن صـــارم خـــذم
مـــن رعـــاهن فهـــو محتشـــم　　أو جفـــاهن فهـــو مـــتهم

يـــا نـــديمى : ومـــن لظـــى ســـقر
صـــيغ هـــذا اللجـــام للـــبشر

يـــا نـــديمى : وقـــد تحـــير ظـــن　　فى اشـــتراع الشـــارات فى الأديـــان
فســـيبقى مـــا قـــارع الســـن ســـن　　بشر أدرد بـــــلا أســـــنان
وزنـــــود بمـــــثلهن تطـــــن　　أن تبـــاع الزنـــود بالأطنـــان

يـــا نـــديمى : ألـــيس ثمـــة ثـــانى
لاخـــتلاف الإنســـان والإنســـان

لا يهـــين النجـــوم غـــزو الفضـــاء　　نحـــن نـــدرى بأنهـــا أجـــرام

سوف يبقين قدوة الشعراء ريث يحلو لهم بأرض مقام
سد أبصارنا بهير الضياء أنه كان في النفوس الظلام

سوف تعلو بالملهم الأحلام
ما تردت شريعة ونظام

يا حفيظا على الكرى أن يطوفا بقباح كالوحش مزدريات
كن بمكبوتة تخفى لطيفا وترفق بميت الذكريات
لا تزرني أشباحها والطيوفا من شخوص صدق ومفتريات

جئنني من عوالم أخريات
- كالزواني- فواحشا مغريات

يا نديمي : ورانت العقد واشتكى ثقل روحه الجسد
شاب صفو المطامح الحسد وهوى بالتجلد الجلد
وانطوت أنفس بما تجد فعليها من نفسها رصد

وتدنت علاقة البشر
خضيض الشكوك والحذر

وبكى الزهر أن يرى تيجانا لرؤوس محشوة بفساد
وشكا الشعر ذلة والهوانا لـ«حبيب» و «أحمد» و «زياد»
وشجا الحرف أن هوجا هجانا تهتك الستر عن بنات الضاد

كـــم دعـــى دعـــى فلـــم يحـــر
مثـــل بغـــل عـــاص فلـــم يـــدر

رب ليـــل قطعتـــه إربـــا	أرقـــب الـــنجم كيـــف يـــرتكس
وغـــدير الصـــبح الـــذى اقتربـــا	مـــن خـــلال الغيـــوم ينـــبجس
وغيومـــا بنـــت لهـــا طنبـــا	بمهـــب النســـيم ينـــتكس

صـــور كـــالخيوط تلتـــبس
الـــدجى.. والصـــباح.. والغلـــس

قيـل لى: مـات أمـس.. عفـواً فـلان	قلـــت : كبـــا عـــلى يـــد وفـــم
كـــان قفـــرا زمانـــه والمكـــان	فازدهتـــه توافـــه الـــنعم
فاتـــه مـــن شـــبابها العنفـــوان	فتكفـــى بفضـــله الهـــرم

قـــل لمســـتنكف مـــن العـــدم
مهـــد عيســـى حظـــيرة الغـــنم

يـــا نـــديمى : ولـــو خلقـــت نبيـــا	لتطبعـــت مـــنهم بهنـــاة
هبنـــى الزهـــر عـــاش غضـــا جنيـــا	ثـــم عاشـــت بـــه أكـــف الجنـــاة
مـــا ترانـــى وقـــد بلغـــت العتيـــا	فاســـتنامت عـــلى الجنـــو قنـــاتى

أتمـــلى فى النـــور شـــيا فشـــيا

عـــبرا كـــن أمـــس ظـــلا وفيـــا

يـــا نـــديمى : إن الحيـــاة منـــى فـــإذا زلـــن فهـــى كالعـــدم
ومنـــى كـــن يقتـــدحن ســـنى فى دروب تعـــج بـــالظلم
عفـــت ممـــا حملنـــى ثمنـــا هـــو أغـــلى مـــن عيشـــة الســـأم

إن عيشـــى.. أمســـى.. عـــلى حـــذر
صـــنو يـــومى يعـــاش فى خـــدر

يـــا نـــديمى : ووقنـــى بلـــدا عقـــم الخـــير فيـــه أن يلـــدا
هـــو جوعـــان.. مـــتخم حـــردا وهـــو عريـــان.. مكـــبتس عقـــدا
وهـــو إذا صـــيغ أهلـــه بـــددا يكـــره الخلـــق أينـــما وجـــدا

يـــا نـــديمى:وأقـــص عـــن بصرى
بشرا حاقـــــدا عـــــلى الـــــبشر

يـــا نـــديمى : ولم أجـــد نصـــفا أعـــوز النـــاس كلهـــم نصـــف
مـــن جســـا مـــتهم ومـــن لطفـــا ومـــن التـــاث باســـمه الشرف
وقـــوانين شرعـــت هـــدفا مـــا بهـــا رميـــة لمـــن هـــدفوا

يـــا نـــديمى : ورغـــم مـــا وصـــفوا
ظـــل شـــح بجنبـــه سرف

يـــا نـــديمى : ومســـنى صـــمم وتبنـــى النصـــيح مـــتهم

يــا نــديمى : ولــو زكــا نــدم لاســـترد الشــبيبة الهــرم
لــو وعــى الوجـد مـا جنـى العـدم لتمشـــت بمقعـــد قـــدم

غـــير أن الخفـــيض لم يطـــر
ورداء الشـــباب لم يعـــر

قـــد سـئمت الحيــاة لا جزعــا مـــا تسـنى منهـــا فلـــن أدعـــا
بــــل لأنـــى لم أنهـــز المتعـــا قـــاب قوســـين نـــبعها شرعـــا
ولأن الهيابــــــة اللكعـــــا نـــال منهـــا مـــا اسـطاع وافترعـــا

ولأن ابــــن منبـــت قـــذر
لم يـــدع فى الحيـــاة مـــن وطـــر

يــا نــديمى: ومــا هــى المثــل إذ يســاط الإيمــان والــدجل
والرســالات أيـــن والرســـل حـــين يلـــوى بهـــن منتحـــل
يــا نــديمى أصــح مــا نقلــوا أم هـــو الـــنجح كـــان والفشـــل

فلـــذياك باقـــة الزهـــر
ولهـــذا الشـــواظ مـــن ســـقر

يــا نــديمى وشــفنى حــزن أن تســاوى القبـــيح والحســـن
والغبــــى الســـفيه والفطـــن وطهـــور وجيفـــة عفـــن
يــا نــديمى وضــاع مــؤتمن فى خـــؤون وأفـــوه لســـن

في حصـــور.. ومحكـــم الســـور
في خضـــم مـــن تافـــه الهـــذر

يـــا نـــديمي كـــم أكـــره الملقـــا   والكـــذوب المنـــافق الخرقـــا
يـــا نـــديمي وعـــز مـــن صـــدقا   إن بـــي مـــن كلـــيهما فرقـــا
غـــير أنـــي ألفـــت مـــا اتفقـــا   حـــين لم آلـــف غـــيره طرقـــا

يـــا نـــديمي : وصـــنع منتحـــر
أن تـــرى رهـــن مجمـــع أشر

يـــا نـــديمي والـــنفس كنـــز نفـــيس   والكنـــوز المبعثـــرات كثـــار
ومـــدى الـــدهر تشـــقى نفـــوس   داجيـــات بـــألف نجـــم تنـــار
ونفـــوس طابـــت فهـــن شـــموس   مشرقـــات لم تـــدر كيـــف النهـــار

يـــا نـــديمي وأيـــن أيـــن الفـــرار ؟
ألنـــا غـــير هـــذه الـــدار دار

يـــا نـــديمي لم يبـــق لي مـــا أرجـــي   غـــير ليـــت.. وليـــت زرع بصـــخر
ليـــت أنـــي لبربـــر أو لـــزنج   أتغنـــي شـــجونهم طـــول عمـــري
نصـــف قـــرن مـــا بـــين دف وصـــنج   أتراني كنـــت انتبـــذت بقفـــر

وتجوهلـــت مثـــل واو لعمـــرو
لســـت أدري ولا المـــنجم يـــدري

يـــا نـــديمى وأنـــت لى وطـــر وأنــــا فى الحيـــاة لى أوطـــــار
ضـــل مـــن ظـــن أننـــى حجـــر يبتنـــى منـــه للجمـــوع جـــدار
وبـــأنى دم لهـــم هـــدر مـــن ثـــرى ســال فيـه تشـوى جـرار

أنــــا لى مــــن طبيعـــى قيثـــار
بالـــذى شـــئت تنطـــق الأوتـــار

يـا نـديمى وقـد رجعـت لرشـدى فوجــدت الرشــد المبــين ضــلالا
وسرابـا مـا خلـت أعـذب ورد وجنوبـا مـا قـد حسـبت شـمالا
مـا ترانـى وقـد تبينـت لحـدى أتمنـــى عـــلى الزمـــان المحـــالا

أن تـرى الـنفس مـن جديـد مجـالا
يوســع الفكــر والحيـــاة انتقـــالا

يا نـديمى : شـاهت نفـوس ضعـاف تتقـــاوى كـــذبا فتـــزداد ضـــعفا
تستدر العطـف الشـياه العجـاف فـــإذا تهـــن زدن عجفـــا وســـخفا
ومـدى العـذر أنهـن خـراف كـــن لحـــما وكـــن صـــوفا وظلفـــا

كـــم مقـــل بـــما يكـــاثر أصـــفى
ومســـف عـــالى فكـــان الأســـفا

يـــا نـــديمى ورهبـــة العـــدم شـــأن حـــب الحيـــاة مـــلء دمـــى

وشباب حصيلة الألم ظل ذكرى تشاب بالندم
غير أني وجدت في الهرم طعمه الحلو عالقا بفمي

يا نديمي وأرذل العمر
ما يعيد التلوين في الصغر

يا نديمي وأمس كان أجير وأجير منهم تعرت صدور
حلقات بها استبد الجبور حول كأسي كؤوسهم تستدير
يا نديمي وفار في شعور أن نبع الحياة منهم يفور

إن عجبي لهذه الزمر
هو عجب الحجول بالغرر

يا نديمي وكان ليل فجالا فارس يبهر العيون اختيالا
شمت فيها من عرفت خيالا هو أبهى شكلاً وأرفه حالا
كان يزهي فتوة وجمالا كان شيها للكادحين مثالا

كان رمزا لسادة أخر
غير أولاء سادة البطر

يا نديمي وهذه الزمر هي أغلى ما خلف البشر
هي أمارة وتأتمر وهي كل الغنى وتفتقر
وهي إن عاث فاتك أشر قوة للشعوب تدخر

يا نديمي وخير مدخر
بشر عاطف على البشر

أنا بين الطغاة والطغم   شامخ فوق قمة الهرم
فإذا حان موعد الأزم   وارتطام الجموع بالنظم
خلتني عند سيلها العرم   قطرة لامست شفاه ظمى

يخضد المد شوكة الجزر
إذ تصب البحار فى الغدر

يا نديمي ولى حشى يخز   لجموع عن واحد عجزوا
هم كماة الوغى إذا ارتجزوا   ويطيحون إن هم لكزوا
فهم من تناقض لغز   وهم فى يمينه خرز

يتلهى بها عن الضجر
ويدك الأوضاح بالغرر

يا نديمى أمس اقتنصت طريداً   شاعرا كان يستضيف البيدا
كان همّاً صلباً حديداً   يملأ القفر.. موحشا.. تغريدا
قلت من ؟ قال : شرط أن لا تزيدا   أنا أدعى: مسافرا ويزيدا

من بلاد أعدت على القرودا
ونفتني وكنت فيها نشيدا

وتـولى عنـي .. فظلـت مليـا   في قـرود مفكـرا ونشـيد
وعـلى أنـه أجـاد الرويـا   لم أجـد في رويـه مـن جديـد
كـان قلبـا غضـا وفكـرا طريـا   شـاءه الحـظ في مزاحـف دود

كـل طـير مسـافر بـن يزيـد
حـين يغـدو فريسـة لقـرود

يـا نـديمي وكـان أمـس يكنـي   لفـلان عـن محنـة لفـلان
وهـو ممـن بفضـله يتغنـي   بـين فـرضى صـلاته والأذان
فـإذا بـ « المجـن » يضـحي مسـنا   ومقصـا لأكـل لحـم فـلان

عائـدا مـن خرافـة المتفـاني
بحـديث عـما جنتـه اليـدان

وجنتـه اليـدان سـقط متـاع   عـن سـفاح وفاسـق الـنظم
وهـو سـم مـروق في العـراق   مـن فـم يبصـقونه لفـم
وهـو حلـو المسـاغ عـذب المـذاق   لصـعاليك في حمـى الـنعم

يسـتحلونه مـع الحـرم
لازدراء الوفـاء في الأزم

يـا نـديمي إن النضـال مريـر   بـدؤه الفقـر.. والـردى منتهـاه

ونضـــالٌ ، ونعمـــة ، وقصـــور　　لـــيس يـــدري معنـــاه حتَّـــى الله
يـــا نـــديمي، كـــم ادعـــى مُســـتجيرُ　　بجُمـــوع: إنَّ الجمـــوعَ شـــياه

غـــير أنَّ التـــاريخَ حـــين طـــواهُ
لم يجـــد فيـــه عِـــبرةً مـــنْ ســـواهُ

يـــا نـــديمي وفي خضـــمٍّ نضـــالِ　　ينـــزوي تـــارةً وطـــورًا يـــوالي
وجـــدَ العائشـــون في الأدغـــالِ　　فُرصـــةً لانتهـــاب كَـــرم الـــدَّوالي
يـــا نـــديمي، وبـــين قيـــل وقـــال　　كسرَ اللـــصُّ مُصـــمت الأقفـــال

غـــير ســـاه في وهجـــة الـــدرر
عـــن نصـــيب الحـــراس والخفـــر

يـــا نـــديمى وثـــم ألـــف زعـــيم　　لحفـــاه مضـــللين عـــراة
ألـــف نجـــم كـــاب بليـــل بهـــيم　　لم يـــر الصـــبح مـــن جبـــاه السراة
ألـــف وجـــه مرقـــرق بنعـــيم　　صـــاعر بـــين أوجـــه مـــزدراة

يتعـــاطى بـــأحرفٍ مفـــتراة
مزدهـــاة.. مبيعـــة.. مشـــتراة

والشراة المبغـــددون كثـــار　　ألـــف دار لهـــم هنـــاك ودار
كـــم كـــؤوس بـــما تشـــهوا تـــدار　　ونعـــوتٍ ليســـت لهـــم تســـتعار
كـــل بـــين للمترفـــين مـــزار　　بـــدم الخلـــق لا بزيـــت ينـــار

كـــم – بـــها يبتـــدعن مـــن صـــور
فى حـــروف الهجـــاء مـــن عـــبر

يـــا نـــديمى وإن أولاء عـــار — وإن اشـــتط مـــزعم وفخـــار
أمـــس خـــلى نجـــارهم دينـــار — كـــالعروس اســـتخفها زنـــار
وهـــم اليـــوم ســـادة أبـــرار — يعـــزف المجـــد حـــولهم قيثـــار

يصـــفون العـــوراء بـــالحور
ويناغونهـــا عـــلى السرر

يـــا نـــديمى وســـال ألـــف شـــهيد — وشـــهيد دمـــا بعـــود السراة
مـــا تـــرى فى مـــوردات الخـــدود — بقعـــا مـــن دم الحفـــاة العـــراة
وقـــديما مـــن ألـــف ألـــف وريـــد — ســـلن مـــا بـــين دجلـــة والفـــرات

أنهـــر كـــن فى يـــد التـــتر
خـــير إرث مـــن زاهـــر الـــعصر

أفتـــدرى مـــا قـــال قـــوم سراة — لجماهـــير أصـــبحت أجـــراءً
لقـــى الضـــيم باعـــة وشراة — عطـــل الشـــعب بـــيعهم والشراء
إى وعينيـــك قـــال ذاك عـــراة — حســـبوا الكـــذب والريـــاء كســـاءً

إى وعينيـــك أودعـــوه نـــداء

وأذاعـــــوه بكـــــرة وعشــــاءً

يـــا نـــديمى ومـــر يـــوم وشـــهر وإذا القـــــوم زينـــة البرلـــــان
وإذا فى مــــلاءة العهـــر طهـــر وإذا المحصـــنات هـــن الزوانـــى
وإذا تلكـــم النيابـــات أجـــر عـــن مبيـــع الشـــهيد فى دكـــان

يـــا نـــديمى ومـــر عـــام وثـــانى
ثـــم جفـــت خواضـــب الأكفـــان

يـا نـديمى وسـوف يبقـى عثـارا فى مصـير الجمـوع هـذا الركـام
ريـثما تـبصر الطريـق حيـارى لأتعـــى أيـــن توضـــع الأقـــدام
وكـــما تـدرى شخوصـا صـغارا فى ظـلام الـدجى فهـن ضـخام

هـــم عماليـــق مـــا تـــدلى نظـــام
فـــإذا مـــا ازدهـــى فهـــم أقـــزام

يـا نـديمى أمـس استبدت طغـاة ســلطت أربعـــين عامـــا وعامـــا
لويـــت بـــالجموع مـــنهم قنـــاة بعـــدها عنـــت الحيـــاة لمامـــا
حلـــما ثـــم بددتـــه عتـــاة ســنت البغــى مــن جديــد نظامــا

فتمنـــــت خلائـــــق أن تســـــاما
بغـــى ماضـــين هـــم أخـــف انتقامـــا

يا نديمي لك النصيحة مني ليس لي في نصيحتي ما أغل

خذ بعرس القرود دفا وغني وقل الأهل أنتم والمحل

صيد إنس أنتم وأقيال جن جنة الخلد دون قرد تمل

لا نبالي من يجتوي أو يبل

ما تمشي منكم على الأرض ظل

يا نديمي أشد وأنت الأريب بالذي قاله الغداة الرئيس

قال: إني لكل شاك طبيب ولمن يبتغي عروسا عروس

يا نديمي وقل عدتك الخطوب هكذا هكذا تكون الرؤوس

لا كمن ساس أمس شعبا تبوس

لم يغادر ركز لهم أو حسيس

يا نديمي وقل لطاغ عتي اقض ما شئت لا تشل يداكا

وزع الموت بين هي وبي جعل الله من عداك فداكا

يا نديمي وسر بهذا الروي ترق في سلم المنى أفلاكا

تجد الناس كلهم ما عداكا

لا يساوون من نعال شراكا

يا نديمي ولا يعقك الحياء فابتذال يشيع ينفي الحياء

وإذا الحكمة امتطاها الهراء ساق.. فيمن يسوقه.. الحكماء

يـــا نـــديمى إن الـــذكاء غنـــاء   فى محـــيط يـــدلل الأغبيـــاء

وإذا شـــئت فاســـأل الأنبيـــاء
تجـــدنهم أضـــاحيا أبريـــاء

يـــا نـــديمى ورب نجـــوى سرار   لى كانـــت مـــع النجـــوم السوارى
لا لشـــىء إلا لفـــرط حـــذار   مـــن نفـــوس ديفـــت بحـــب مـــوارى
لا لليـــل داج ولا لنهـــار   بـــث شـــكواك صـــاحبى لجـــدار

فهـــو أولى مـــن خـــدع نكـــر
لـــيس فـــيهم بـــراءة الجـــدر

يـــا نـــديمى وكـــان يـــوم مطـــير   ونـــديم وعـــازف ومغنـــى
وكـــؤوس كـــادت شـــعاعا تطـــير   فى أكـــف السقاة مـــن فـــرط حسـن
وكـــأن الرعـــود بـــم وزيـــر   وكـــأن الـــرذاذ إيقـــاع لحـــن

وإذا نحـــن نحتمـــى بمجـــن
مـــن صروف الزمـــان فى يـــوم دجـــن

وتـــقضى لهـــو وغاضـــت مـــدام   وتجاســـى عـــود ومـــات النـــديم
فـــإذا بـــالرذاذ وهـــو ســـهام   وإذا بـــالغيوم مـــوتى تحـــوم
وإذا هـــذه الحيـــاة انســـجام   أشـــقاء أتاحهـــا أم نعـــيم

وإذا نحـــن إذ تــــرق نســـيم
هــب منهــا وحــين تقســو ســموم

يـا نـديمى والعلـم أضـحى حسـابا زاد جــذرا أو راح يــنقص كعبــا
والخفـى المجهـول شـق الحجابـا لم يـداهن عبـداً.. ولا خــاف ربــا
غــيرأن النفــوس ظلــت كتابـاً مغلفـاً.. مـوحش الصـحائف صعبا

قــل لمــن شــارف النجــوم وأربــى
هــل تلمســـت فى مطاويـــك دربــا

يـا نـديمى وقـد بشـمت احتقـارا لضـــجيج الهتـــاف والتصـــفيق
عشـــت أشـــقى لـــيلا بـــه ونهـــارا عـــاش فـــيهن مـــن دمـــى وعروقـــى
ثـــم لم ألـــف إذ لقيـــت العثـــارا فى الملايـــين مـــن صـــديق صـــدوق

غـــير دعـــوى كفـــارغ الهـــذر
كصــــفير الريـــــاح فى الشــــجر

يـا نـديمى كـم مـن شـعار كـذوب مـــن مضـــامينه تهـــزأ الحـــروف
كـل مـا فيـه مـن هنـاء وطيـب عـــن معـــان أضـــدادها تحريـــف
كـان فـيهن شـبه مرعـى جـديب أخطـأت قصـدها إليـه ضـيوف

يانـــديمى كـــل الحـــروف تخيـــف
فى دســـاتير شرعتهـــا الســـيوف

يانـــــديمى وأمـــــة تشـــــب ثـــم تغفـــو لقصـــة عجـــب
عجبـــا كيـــف ينخـــر السـغب فى عظـــام كأنهـــا قصـــب
نهـــزة للريـــاح تنتحـــب فـــإذا هـــز عودهـــا غضـــب

آذنـــــت للعيـــــون بـــــالشرر
ثـــم تغفـــو فلـــيس مـــن خـــبر

يـــا نـــديمى ونعـــم مـــا صـــنعا حـــين ألفـــى مرعـــى بـــه فرعـــى
أطلـــس منـــه حـــالف الســـبعا رث حبـــل القطعـــان فانقطعـــا
فهـــما يأكلانـــــه قطعـــــا وهـــو يخشـــى كلـــيهما فزعـــا

يـــا نـــديمى وحـــب مـــن وطـــر
مـــا يحـــث الجـــزار فى الجـــزر

يـــا نـــديمى وبـــين أخـــذ ورد ضـــاع حـــد مـــا بـــين ضـــد وضـــد
كـــم منيـــف هـــوى ركيســا لوهـــد وركـــيس ســـما لقمـــة مجـــد
يـــا نـــديمى ورب عبـــد لعبـــد تـــاه فى بـــرد ســـيد مـــن معـــد

كـــان مـــن صـــنع أمـــة شـــذر
لا لبـــــدو كانـــــت ولا حضر

يـــا نـــديمى لم يـــبرح الفلـــك كيـــف شـــاء الغبـــاء والخـــرق

مـن غنـوا تحتـه ومـن فلكـوا عنـدهم مـن خصاصـة فـرق
كـل شـىء لـدرهم شرك كثـرت نحـو مكـة الطـرق

قبـل صـب السـبيك والـورق
وأتـى النبـل بعـد والخلـق

يا نـديمى أمس استمتعت جـدالا بـين عقلـين منـتج وعقـيم
قـال هـذا : سـاءت رؤى ومثـالا كتـل مـن مشـاكل وهمـوم
ومشـى ذاك يضرب الأمثـالا بكـديح ومسـتغل زنـيم

واجـدا فى النظـام والتنظـيم
هـوة بـين رافهـين وهـيم

يـا نـديمى وكـم خفـى شـعور هاجـه فى خفـق رعـد وبـرق
وارتجـاف الأضـواء فـوق النمـير لمصـابيح كـالزمرد زرق
كـم تـرى بـين مصـمتات الضـمير مـن تـلاق.. وبـين خفـق وخفـق

يـا نـديمى : وبـين فـرق وفـرق
لحـم لسـن بـين شـق وشـق

يـا نـديمى أمـس استمعت هتافـا مـن بعيـد .. مـن غـابرات القـرون
أن كـن المـرء لا يهـاب مطافـا لنجـاء مشـى بـه أو كمـين
إن سـقراط ذاق سـما زعافـا لـيرى الفكـر فـوق ريـب الظنـون

يـــا نــديمى ورغــم كـــر الســـنين
ظــل ســقراط فــوق ريــب المنــون

يــا نــديمى والفقــر عــار مهــين | والنـــواميس عارهـــا الفقـــراء
درجـــت أعصر ومـــرت قـــرون | وأنـــاس لغــــيرهم أجـــراء
وأنـــاس كـــما تريـــد تكـــون | وأنـــاس كـــما يريـــد الشـــقاء

يـــا نـــديمى وكـــل دعـــوى هـــراء
مـــا تبقـــى محســـن ومســـاء

يـــا نـــديمى : وعشــت بــين غــلاة | أفرغــوا فــوق خنجــر بــرد عيســى
لا لحضر كــــانوا ولا لبــــداة | إن عنــد البــداة نعمــى وبوســى
هــم مــن الشرق شر مــا فى الفــلاة | ومــن الغــرب مــا اســتجد لبوســا

عـــاف بـــوذا تجارهـــا المأيوســـا
وأبــى «أحمــد » و«عيســى» و«موســى»

يـا نـديمى أمـس احتملـت كتابـا | وكـــأنى احتملـــت فكـــرا بـــنعش
إن رأســـا أوحـــاه أمســـى ترابـــا | وهــو مــا انفـك فيـه يـوحى وينشى
يـــا نـــديمى وقـــد لقيـــت عجابـــاً | مـن عقـول شـتى عـلى الأرض تمشى

أبـــت المـــوت بـــين أنيـــاب وحـــش

فاغرات ما بين لحد ورفش

يا نديمي وللنجوم انحدار | وصعد .. وللشعوب ارتكاس
ووثوب .. حال بحال مني تغار | غير أن الشعوب حين تساس
بالعصا طول عمرها تنهار | ويروح الشذوذ وهو قياس

كم شعوب لها النعاس مراس
وشعوب لم تدر كيف النعاس

يا نديمي ورب ديوان شعر | سلت فيه دماً.. وفكراً .. وروحا
وتمازجت مثل كأس وخمر | أتبني جماله والقبيحا
كنت منه وكان مني كشطر | لصق شطر فيا يناجي ويوحي

أتملاه خاسرا وربيحا
وأعاني جروحه والقروحا

يا نديمي إن الحياة طيوف | يتحدى اللطيف فيها العنيف
وهي إن تقس أو ترق ظروف | تبهج النفس تارة وتخيف
ليت شعري والمرء طيف سخيف | رصدته غير المطاف الحتوف

من تراه يجيء بالخبر
كيف تبدو الدنيا لمحتضر

يـا نـديمى زفـت لعـرس غـراب أمـس مليـون باقـة مـن زهـور
ورثـوه فعـاد محـض النعـاب نغـما يسـترق سـمع العصـور
وتغنـوا بكـل عـار وعـاب فأحالوهمـا لمجـد وخـير

وأقـاموا لفحمـة فى حفـير
مأتمـا لم يقـم لبـدر البـدور

يـا نـديمى وألـف صـنج ودف ضـعن مـا بـين «أطلس»و«الخليج»
وقـواف عـلى شـفاه المقفـى عشـن ثـم انـدثرن بـالتهريج
يـا نـديمى لا تعـل فـوق المسـف وتـلاءم خيطـا لكـل نسـيج

وتحجـج مـا دمـت بـين الحجـيج
أو فمـت مـوت ضـفدع فى خلـيج

يـا نـديمى كـم جـائعين طعامـا أطعمـوهم قنـابرا.. وحريقـا
خـيروا بـين إن يشـبوا ضرامـا لعتـاة.. أوإن يسـاقوا رقيقـا
يـا نـديمى وكـان ذاك نظامـا حـاز عونـا.. ونـاصرا.. ورفيقـا

يـا نـديمى ولـن تحـس العقوقـا
لحقـوق الشـعوب حتـى تـذوقا

يـا نـديمى وشـاه مجتمـع نخـرت فى عظامـه البـدع
منـذ ألـف وأهلـه شـيع مـن غـزاهم فهـم لـه تبـع

يتهــــزأ بالجــــائع الشــــبع ويســـب العفيــــف والــــورع

فهـــو عبــــد لكــــل محتقـــر
وخـــؤون.. ومـــدع.. وثـــرى

يـــا نـــديمى وواخـــز النـــدم هـــو أنـدى جرحـاً وأقـوى لجاجـا
تلـــج الـــنفس منـــه بـــالألم أى بـــاب للحـــزن يـــأبى رتاجـــا
أبـــــدا فى متاهـــــة الظلـــــم تطفــئ الــذكريات منهــا سراجــا

أبـــدا فى صـــميمها النخـــر
يرتمـــى ســـم حيـــة ذكـــر

يــا نــديمى وجبــت شــتى بقــاع فــإذا الخلــق كلــه عبــد وضــع
وإذا كـــل نأمـــة فى الطبـــاع هــى ملــزوزة بمخلــوق صــنع
وإذا كـــل عبقـــرى صـــناع هــو فى المبــدعين أفضــع بــدع

يـــا نـــديمى هـــوت كمنخورجـــذع
حكـــم عـــن دعـــائم.. لحـــن.. ســـبع

يــا نــديمى والحــب محـض نفــاق مـــا تخـــلى عـــن حرمـــة وذمـــام
كـــم ظنـــين حتـــى يرقيـــه راق راح يعطيـــك روحـــه فى الكـــلام
لــك منــه الأشــواق يــوم التلاقــى وعنـــاق مـــا بـــين عـــام وعـــام

ثـــم يعلـــو بـــبرج بـــدر تمـــام
ويخليـــــك تائهـــــا فى ظـــــلام

يـا نـديمى ونغـص العـيش علـم
أنـــه رهـــن رقبـــة الرقبـــاء

ألـــف مغروســـة بلـــؤم تلـــم
رمشـــة الجفـــن أوخيـــوط القبـــاء

ليـست عينـا تعمـى وأذنـا تصـم
عـــن ظهـــار..وعـــن سرار ســـواء

إن عيشـــا نهبـــى ســـميع ورائـــى
كجـــــواء مهـــــدد بوبـــــاء

يـــا نـــديمى لا يخـــدعنك ســـكون
فى نفـــوس يغـــلى بهـــن اضـــطراب

أى بـــؤس بـــه تـــنم العيـــون
وهمـــوم بهـــن يعيـــا الإهـــاب

رب صـــبر عـــلى بـــلاء يكـــون
فيـــه مـــن نفســـه عليـــه ثـــواب

يـــا نـــديمى وإذ يثـــاب المثـــاب
تتســـــاوى جريمـــــة وعقـــــاب

يـا نـديمى زاد النفـوس اضـطرابا
كونهـــا بـــين شـــدة ورخـــاء

يستسـيغ العـاقى السـموم شرابـا
ومعـــافى خلـــو يغـــص بـــماء

ويـــرى المـــوت راكبـــون صـــعابا
خـــير مـــا اختـــير مـــن دواء لـــداء

فـــإذا مـــا ابتلـــو بـــداء الرخـــاء
فهـــم عنـــه أجـــبن الجبنـــاء

يـــا نـــديمي ومجمـــع خـــرق نحـــن وهـــن في نفســـه علـــق
نحـــن شـــئنا أو لم نشـــأ فـــرق مـــزق طـــوع أمـــره خـــرق
نحـــن وهـــو الريـــاح والـــورق ونجيـــع الـــدماء والعلـــق

نحـــن صلصـــالة مـــن الحفـــر
آســـنات عريقـــة الجـــذر

يـــا نـــديمي إن الوجـــود طبيعـــة حســـنا كـــان أم هنـــاة شـــنيعة
إن كونـــا للعاطفـــات صـــنيعه واجـــد فيـــه كـــل إثـــم شـــفيعه
يســـبق الطبـــع حكمـــة وشريعـــة مـــثلما يســـبق المجـــلي تبيعـــه

ثـــم تـــأتي روادع الزجـــر
كلجـــام يقـــى مـــن الخطـــر

غـــير أن اللجـــام كـــان اصـــطناعا وعصـــوف الريـــاح عفـــوا طباعـــا
فـــإذا صـــادفت خيـــول يفاعـــا أو تدهـــدت إلى الحضـــيض سراعـــا
كسرت شـــوكة اللجـــام انـــدفاعا وكـــذاك الطبـــاع تـــأبى انصـــياعا

حـــين تهـــوى لمزلـــق خطـــر
لنـــواهي نهـــى ومزدجـــر

يـــا نـــديمي إن الجـــمال متـــاع وحيـــاة بـــلا متـــاع جحـــيم

ليت هـذا النصف اللطيف اقتراع — لا كظــيظ منــه ولا محــروم
ظلــم الشرق عنــد شرق جيــاع — كضــباع وعنــد غــرب حــريم

يــا نــديمى وهكــذا ســيدوم
فى صراع مــع الشــقاء النعــيم

يـا نـديمى وأمـس خمـس كعـاب — كاشــفات الصــدور واللبــات
حــول فــرد جمعــن كالأنصــاب — لصــق خمــس كــالهيم فى الفلــوات
كعطــاش إلى عتيــق شراب — ألزمــوا بالصــيام والصــلوات

فهــم يلعقــون فى الخلــوات
مــا لــدى غــيرهم مــن الصــبوات

يــا نــديمى وأمــس غــب كــرى — عــانق النفــع خصــمه الضررا
والتقــى نــاحر ومــن نحــرا — فأجــدا مآســيا أخــرا
رب دمــع مــن مقلتــين جــرى — كــان فيــه الــربيح مــن خسرا

والــربيح الجــزار فى خسر
ديــة الــنصر دمــع منــتصر

يــا نــديمى وأمــس فى الحلــم — لاح لى طيــف غــامس بــدم
عاريــا غــير حلــة النــدم — وقمــيص الســقام والألم
قذفتــه إلى مــن أمــم — غابــة مكتظــة الأجــم

يتحـــدى بالنـــاب والظفـــر
شرعـــة الثـــاوين فى الحفـــر

كـان مسـخا.. ممـا اصطلى وجنى — وبـــها ســـام غـــيره الحزنـــا
كـــان بؤســـا ومأتمـــا قرنـــا — فهمنـــا يبغيانـــه ثمنـــا
كـــان يلقـــى ضـــميره العفنـــا — يأكـــل الـــروح منـــه والبـــدنا

يـــا نـــديمى وهـــان ذو خطـــر
وتســـاوى والـــدود فى الحفـــر

يـا نـديمى عـوت ذئـاب الكـلام — حـين شـمت قتـارة مـن ثريـد
حللـت مـا عـلى خـوان اللئـام — شرط أن يشـتوى بفـرن جديـد
طلبـت مـن طهـاة أشـقى نظـام — أن يعـدوا خـوان عهـد سـعيد

طمعـــا باقتطـــاع لحـــم الزنـــود
أســـوة مـــنهم بكـــل العهـــود

***

أبا زيدون

أبـــا زيـــدون مـــا أحـــلى — معانيـــك ومـــا أطـــرى
لقـــد أوحشـــنا بعـــدك — لـــولا نعمـــة الـــذكرى
أبـــا زيـــدون والـــدنيا — يـــمازج حلوهـــا المـــرا

سنبقى طول أعوام ... جفاف نستقي شهرا
ألا يا ليت أفراس الصبا ... المشبوب لا تعرى
عمرنا بعدك الكأس ... وكانت آية كبرى
ونصبنا لها الويسكي ... والفستق والقشرا
ومحشو دجاج حف ... بالدلمة كالطغرا
أفانين.. أفانين ... بها نستعجل السكرا
وكانت كأسك الأولى ... وكأس لقائنا الأخرى
ودارت بعدها الكؤوس ... من كبرى ومن صغرى
ومالت عندها صعرا ... رؤوس تأنف الصعرا
وأسرينا وما ندري ... فسبحان الذي أسرى
بإخوان إذا الدُنيا ... دَجَتْ كانوا لها الفجرا
صفوا كالنبع إعلانا ... وطابُوا كالندى سرا

ألا أبلغ «أبا القاسم» ... أنّا نعصرُ الخمرا
وأنا نقرأ الغيب ... وأنا ننفُثُ السحرا
وأنا نمسخُ الإيمان ... حتى يغتدي كُفرا
وأن العرقَ المحْضَ ... إذا شئنا اغتدى تمرا
وأنا نحنُ لا الدنيا ... نسنُّ الخير والشرا
وأن الأحمق المغرورِ ... من راح بنا يُغرى
فشكرًا يُعقبُ السُكرا ... وسكرًا يُعقِبُ الشُكرا
وشوقًا يلذعُ الأضلُـ ... ـعَ حتَّى خِلْتُهُ جَمْرا

وميثاقًا بأن نبقى «كإخوان الصفا» دَهْر

***

حييتهن بعيدهن

حييتهن بعيد هنه من بيضهن وسودهنه
وحمدت شعرى إن يروح قلائدا لعقودهنه
نغم القصيد قبسته من نغمة لوليد هنه
كم بسمة لى لم تكن لولا افترار نضيدهنه
ويتيمة لى صغتها من دمعة بخدودهنه
إنا وكل جهودنا للخير رهن جهودهنه
وحدود طاقات الرجال لصيقة بحدود هنه
وصمودُنا في النائباتَ مَرَدُّه لصمود هنّه
بنُحوسِهِنَّ نحوسُنا وسَعودُنا بسعودهنّه
التضحياتُ الغرُّ صنعُ شُموخهن وجُهودهنّه

قالوا« الشهيدُ » فقلت : ويحَ ثواكلٍ بوحيدهنّه
حُملّنه تِسعًا وخِطنَ عليهِ سُمرَ جلودهنّه
حتى إذا ما ردّت الآمالُ بعضَ شُرودهنّه
أوجذْنَه وفدَينَه خوفَ الردى بوُجودهنّه
واليومَ جِيرةُ لَحْده يحفِرنَ سُودَ لُحودِهنّه

قالوا : أمَا شيءٌ لديكَ لِرَودهنّ وخَودِهنَه

فأجبتُهم إني أخافُ ... علىَّ بعضَ شُهودَهنّه

للهِ آيَّةُ رِقةٍ ... وقساوةٍ في عُودهنّه

عمَّرننا بجَهودهنه ... وهدمننا بصُدودهنّه

خوفَ التناقض لا أُلِّحُ ... عن سَراب وعُودهنّه

أنا أختشي منهُنّ ... فالسلطانُ عبدُ عبيدهنّه

زِنَّ الحياةَ بوعدهنّ ... وشِنَّها بوعيدهنّه

إني وإن سامرتهنّه ... وغَمَزتُ من أُملودهنّه

فلرُبَّما ليلٍ سهرتُ ... مؤرَّقا لبريدهنّه

كم فتنةٍ لقديمهنّ ... ورثنها بجديدهنّه

الموت لِصقُ جُلودهنه ... والنارُ تحت جَليدهنّه

ومصارعُ الأبطال في التا ... ريخِ خدُن مهودهنّه

حسبي بنابليونَ إن ... أخشى مصير جُنودهنّه

عِظةٌ من الفولاذ كيـ ... ـفَ أذبْنَه بحديدهنّه

حبيبتُهن بعيدهن ... ولممتُ شملَ عديدهنّه

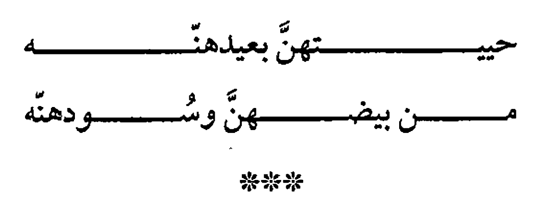
وحشدتُ أحسنَ ما استطعـ ... ـتُ أزُفُّهُ لحُشودهنّه

وفجرتُ أشربُ من دمي ... ظمأ عُروقَ وَريدهنّه

منهنَّ مَحْضُ العاطفات ... فهنَّ مَحْضُ قصيدهنّه

وقبستُ من سجعِ الحمامِ ... الرجعَ من تغريدهنّه

السيداتُ الآنساتُ ... فقلْ بحالِ مسودهنّه



حييتهنَّ بعيدهنّه

من بيضهنَّ وسُودهنّه

***

أطفالي وأطفال العالم

لي طفلتان أقنصُ الخيالا

عَبْرَيهما وَالعِطرَ والظِلالا

أسوءُ حالا كي يُسرَّا حالا

وكي يُراحا استلِذُّ التَعَبا

لي ناشئان يُرقصان المَلعبا

قد أوشكا من رقةٍ أن يُشرَبا

لم يَعرِفا غيرَ الصفاء مَذهبا

وغيرَ حُبِّ الناسِ أُمّا وأَبا

إني وبالفطرةِ أهوَى النغَما

إن حدَّثا سمعتُ ظبيًّا بغمّا

ويبسمُ المرجَ إذا ما ابتسما

طفلان .. سلني تعرف الأطفالا

أحمِلُ منِ أجلهما أثقالا

لم تستطِعْ قبلَهما احتمالا

تَعَودًّا أن يَسرَحا ويمرَحا

وأن يصُبا في النفوس الفَرَحا

لم يبْرحــــا لا يعرفـــانِ البَرَحــــا

وعنـــدنا ، نحـــنَ الكبـــارَ ، الـــبرَحُ
تُســــمِّمُ العَــــدَوى بـــــه وتُجـــرَح

نحـــن الكبـــارَ ليتنـــا أطفـــالا
ولم نُزِلـــزل بعضَـــنَا زِلـــزالا
ومنـــذُ دهـــرٍ وهُمـــا قـــد حـــالا
وبُـــدِّلا عـــن حالـــةٍ أحـــوالا
قـــد هـــاجَ في نفســيهَما البلبـــالا
صـــحيفةٌ قـــد حمَّلـــت أثقـــالا

مـــن وزر بـــاغٍ دكَّ « هيروشـــيما »
بالـــذرِّ حتـــى ردهـــا هشـــيما

بـــين الســـطورِ طَالَعـــا تمثـــالا
لطفلـــــة مـــثلِهما جمـــالا
قـــد مزِّقـــتْ أوصـــالهُا أوصـــالا

مِـــن حَولهـــا ينـــتشِرُ الغَـــمامُ
قـــد خُـــولِط المَـــوتُ بـــه الـــزُّوءم
وهـــي كـــما شـــاء لهـــا الطَغـــام
نائمـــةٌ وفوقهـــا الحَـــمَام
يـــرِفُّ في رفيفـــه السَّـــلام

وإِن تهـــاوى جســـمهُ هـــزالا

والقادمــــانِ ارتميـــا إنســـالا وارتَعــــدا فقلـــتُ لا تُراعـــا

إنّ الغـــمام يـــنجلي شُـــواعا

وَالخـــيرُ ريـــحٌ تكـــنُسُ الأطماعـــا

حـــطَّ الطغـــاةُ عنـــه الآمـــال وكـــمْ وكـــمْ قـــد مزَّقـــت شراعـــا

ثـــم التَّـــوَى بثقلـــهِ ومـــالا

وانـــتعَشَ القلبـــانِ ثـــم قـــالا

هـــبْ مـــثلَما قلـــتَ الغـــمامُ يـــذهبُ

لِمَ الحـــمامُ ســـاكنٌ لا يلعـــب

لابـــدَّ أنَ قـــد ليـــث منـــه مَشرب

فهـــو ـ وهـــذي أختُنـــا ـ استـحالا

رمـــزًا لمـــوتٍ يمـــنح الجـــمالا

وانتَهضـــا يســـتطلِعان الأُفْقـــا

ويرمُقـــان مغربـــا وَمشرقـــا

ويلعنَـــان مـــن غـــمامٍ مِزَقَـــا

تلعَـــقُ مـــن دمٍ يعطّـــي الشـــفَقَا

وانتفضـــا كـــالطيرِ يـــترو فَرَقـــا

وفي العيـــون حلـــوةٌ تَـــلالا

ومـــيضُ بَـــرقٍ خلتُـــه سُـــؤالا

لـــو أفســـحَ الـــذُّعرُ لـــه مجـــالا

واســـتبقَتْ عيناهمـــا الأبعـــادا

ثَمَّـــة جـــالا جولـــةً وعـــادا

والهـــمُّ قـــد أضـــناهما أو كـــادا
إن فـــداءَ البغـــي في « نيفـــادا »
تلـــك التـــي قـــد وُسِّـــدتْ وســـادا
عاثَـــتْ يـــدُ المـــوتِ بـــه فَســـادا
أيُصـــبحان مثلَهـــا رمـــادا
أيرقُبـــانِ مثلَهـــا مِيعـــادا

عـــلى جنـــاحِ غيمـــةٍ تعـــالى
غُـــولا تُزجِّـــي مثلَهـــا أغـــوالا
ثـــم تـــدنى تســـحب الأذيـــالا
وتشُرُ الـــدُخان والـــزَوالا

مـــن قَبـــل أن تُرعِـــدَ أو أن تُبرِقـــا
في كـــلِّ مـــا أينـــع أو مـــا أوْرَقـــا
وكـــلِّ نـــورٍ عبقـــرِيٍ أشرقـــا

وكـــلَّ مـــا قـــد أتعـــب الأجيـــالا
حتـــى احتـــذوا أمثالـــه مثـــالا

واحتضـــن الطفلـــين صـــمتٌ غَيْهَـــبُ
هُنَيْهـــةً .. ثـــم تمشَّي كوكـــب
وكوكـــبٌ .. وموكـــبٌ وموكـــب
وسِربُ أطيـــاف عـــذابٍ تغـــربُ
عَـــبر عُيـــونٍ أربـــع وتســـكُب

في كـــلِّ مـــوق سِـــحرَها الحـــلالا

وفـتِّح الشفَاه دهرٌ قُلَّبُ

يا طالَما قد فَتَّح الأقفالا

وفي الصَحارَى زَرَعَ الآمالا

إنهما والغيمُ رمزٌ مُكرِبُ

وَبنتُ « هيروشيم » طيفٌ مرعَب

يُتاه في بيدائها ضلالا   وفي السكون حالةٌ لا تعجب

وتسترق الفكرَ والخيالا

إنهما والجوُّ قفرٌ مجدب

لم ييأسا وبعثرا الرمالا

واكتشفا اليَنْبوع والسَلسالا

إنهما وقد أُزيحَ الغيهبُ

قد أبصرا أنَّ الحَمامَ يلعب

جناحُه عند الأصيل مُذهب

يجيء من غمامةٍ ويذهب

أهلٌ لأطيافِ المنى ومرحب

***

الذكرى الباقية

« أطالبُ » إننا أسرَى حياةٍ   تَحُطُّ لها المصيرَ الزمانُ

تقرِّبُنا ، وتُبعِدُنا ليومٍ   به تُذرى هباءً كالدُخانَ

ولن يبقَى سِوى الذكرى بديلٌ   وهل يُغني السَماعُ عن العِيان

أطالبُ : إنْ تُفرِّقْنا الليالي   كما انفرطَ الجُمان عن الجُمان

« فكــــلُّ أخٍ مفارِقُــــه أخــــوه ... لعَمــــرُ أبيــــك إلاَّ الفرقَــــدان
وتَرجيعــــا لأحَــــلى ذكريــــاتٍ ... كأصــــداءِ المثالِــــثِ والمثــــاني

***

أحرام؟!

أحــــرامٌ عــــليَّ « مــــونخ » أن أشــــ ... ــــربَ كأسًــــا وأن أُغنِّــــي حياتــــا
دون أن أُبــــتَلَى بوغــــدٍ ، وأن أخــــ ... ــــشَى رقيبًــــا ، وأن أخــــافَ وُشــــاتا

***

من دفتر الغربة

مــــن بعيــــد لكُــــم يحِــــنَّ حنينــــي ... وبــــذكراكمُ تُثــــار شــــجوني
وإذا مــــا خَطَــــرتُمُ خَطَــــر اليــــأسُ ... وســــاوي تَيَقُّنــــي بظُنــــوني
يــــا أحبــــاي .. والليــــالي عجيبــــاتٌ ... عِجَــــافٌ يــــأكُلْنَ كــــلَّ سَــــمين
وبنــــو الــــدهر يمخــــرون عــــلى أثــــ ... ــــباجِ غَيــــبٍ مُحمَّــــل بالسَــــفين
أعــــلى العَهــــد أنــــتمُ أم تَنــــائي الــــدار ... يُــــنسي الخــــدينَ ذكــــرَ الخــــدين
أكــــرَهُ الحــــزنَ غــــير أنَّ فــــؤادي ... بادِّكَــــار الأحبــــاب جــــدُّ حَــــزين
أنــــا عبــــدُ الوفــــاء والحــــبُّ دُنيــــاي ... همــــا دون مــــن عَبَــــدتُ وديني
والرجــــولاتُ دونَ ذَيــــنِ هبــــاءٌ ... وإن استعصَــــمتْ بــــرُكنٍ رَكــــين
يــــا مطــــافَ الأحــــلام في الســــتين ... جِــــدِّدي الــــذكريات مــــن عشريــــن
ألهمــــتِ الســــامرينَ نَشْنَشَــــةُ الكَــــأسِ ... وعصــــفُ الهــــوى .. وســــحرُ العُيــــون
والأمــــاسيَ راقصــــات .. وأســــارٌ ... لــــذاذ وغُــــنجُ حُــــورٍ وعــــين

والنشاوي يخطِرن بين سَموحٍ سَلْسَةِ المُشتَهى وبينَ حرونِ
كلما خِيلَ أفلتتْ من كمينٍ لغواةٍ .. تعرضت لكمين
ومجرُ الذيولِ ذاتَ شمالٍ ساحب عطسرَهُ .. وذاتَ يمين
يَعبقُ الليلُ من لُهاثِ العذارى ونَدى الفجرِ من شذا الياسمين
وتفردتُ ساهمًا أنا .. والكأس وحزني .. وسارحاتُ الظنون
رُحتُ من فرطِ ما انقلَّ عيني من حوَاليَّ نُهزةً للعيون
وتخيلتُني وقد شَفَّني الوجـ ـد طريدًا من عالم محزون
ويدًا برّةَ المجّس عطوفًا تمسحُ الحزنَ ناضحًا عن جبيني

يا ربايا شعبٍ .. وحراسَ أجيالٍ ويا أصفياءَ حقٍ مُبين
أيها المكثرونَ من نعمِ الدهـ ـرِ جزيل العطاء غيرَ ضنين
جمراتٍ تُشَبُّ في عذبات تحتها للطغاة ألفُ طعين
هنَّ .. هُنَّ الدنيا وهنَّ حياةٌ لُمهانٍ .. وهنَّ حتفُ مَهين
ما تَهاوَى العروش إلاّ وكانت خلفَها قضتا أديب مكين
يَسْبق الموتَ عاصفٌ ثم تعوي من ثنايا السطور ريحُ المنون
خُلِقَ الكونُ من حروف عليهنّ الحضاراتُ شُيِّدتْ من قرون
حضنتهُنَّ مثلما تَتَبَنَّى روعةَ الشعرِ روعةُ التلحين
غنَّتِ الخَلْقَ سادرًا عبقريَّاتٌ تنزّلْنَ عن كتابٍ مبين

حلْيةٌ نحن من طرازٍ فريدٍ وبقايا عطر خفيٍّ ثمين
وَرِحمتْ ألفُ أنفِ حُبلى وحُبلى تتشهاهُ من بطون السنين
نحنُ من نطفةٍ سوى نُطفِ الناس وطين من غيرِ ذاكَ الطين

نحــن مــن غُــرةِ الليــالي رُواءٌ … مـن شباب والنـاسُ مثلُ الغضـون

تُتْعِـبُ الشـارحينَ منـا حيـاةٌ … نحـن في سِـفْرها نصـوصُ مُتـون

نحـن ممـن لا يسـترْقُهُمُ العمـ … ـرُ بِحُلـو المُنـى ومُـر المنـون

نحـن لا نزدهـي ببارقـةِ العيـ … ـشِ ولا نعمـةٍ مـن المنجنـون

بحفـوقٍ مـن نجمـةِ مسـتردٍ … وعطـاء مـن شمسـهِ ممنـون

نحـن صرعـى الهمومِ في كـلِّ وادٍ … وضـحايا الجـلاّدِ في كـل حـين

نحـن مـن في سبيلِهِم أُبـرِمَ السـوطُ … وشـيدت لهـم جِبَـابُ السـجون

نحـن نحـن الـذي نسـتبِقُ الغيـ … ـبَ بعقبـى غـدٍ مخيضٍ جنـين

يتعـادي البـاغون إلاَ علينـا … من « أمين » منهم .. ومن « مأمون »

صـلةُ الأمـر عنـدهمْ أنَّ ذهنّـا … يستشـفُ الغيـوبَ غـيرُ أمـين

كَـمْ اطحنـاهُمُ بضَربِ الـوَتينِ … وفُـدِينا مـنهم بعجـلٍ سـمين

نحـن مـن لَقَّطـوا لهـم من حثالات … الـدُّنى كـلَ فـاجِرٍ مـأفون

واسـتعانوا للجـمِ كـلِ أصـيلٍ … يتحَاشَـوْنَه بـألفِ هجـين

يـا أحبـايَ والمصـيبةُ أنّـا … إذْ رَكِبْنـا مسـتوعراتِ الحـزُون

لَم نَجِـدْ مـن يُـنفَضُ الرمـلَ والوعـ … ـثاء عنّـا مـن صـاحبٍ وخـدين

كَـمْ دمـوعٍ جَفَّـتْ علـى بسـماتٍ … وخُطـوب هانَـتْ علـيَّ تهـوين

وبمـيلاد كـلِ جيـل يـوفي … حـقَ جيـلٍ مـن دئـن ومـدين

خِلقـةٌ شِـبْهُ خلقَـةٍ .. غـيرَ جيـلٍ … طالمـا امتـدّ مُـثَّقلاً بالـديون

حـاش لله .. والمـروءات إنّـا … شركـةُ النـاسِ في عـذاب وهـون

لم نكـنْ وَحَـدنا .. فقـدْ وَحـدَّتنا … بـالملايين حشرجـاتُ المِئـين

يا غريب الدار

مـن لهَـمٍ لا يُجـاري ... ولآهـاتٍ حَيـارى
ولمطـوي عـلى الجمـ ... ـر سِرارًا وجهـارا
طالبًـا ثـأرًا لـدى الدهـ ... ـرِ الـذي يطلُـبُ ثـارا
مَـنْ لنـاء عـاف أهـلاً ... وصِـحابًا ، وديـارا
تَخِـذَ الغربـة دارا ... إذ رأى الـذُّلَّ إسـارا
إذ رأى العـيشَ مـداراةَ ... زنـيمٍ لا يُـداري
مـن لِسـتينَ انْطـوتْ مثـ ... ـلُ دمِ العبـد جُبـارا
سُـوقِطت رجمًـا كـما يـر ... مـي الَملبّـون الجِـمارا

يـا غريـبَ الـدار لم يُخْـ ... ـلِ مـن البهجـةِ دارا
لم يـدعْ طيفًـا يـواسي ... مقلـةً إلاّ أزارا
يمـنح الشـجوَ الثكـالي ... وشـذا الحـب العـذارى
يـا نـديما يـعصر الخمـ ... ـرةَ لـيلاً ونهـارا
ويُسـاقي مـن دمِ القلـ ... ـبِ أخـا الهـمِ عُقـارا
تأخـذ النشـوةَ منـه ... ثـم تنسـاهُ السُـكارى

يـا أخـا الفطـرةِ مجـ ... ـبولا عـلى الخـيرِ انفطـارا
وأخـا البسـمة ضـاهتْ ... بسـمةَ الفجـر افـترارا
مسـحت عـن أوجـه عـاث ... بهـا البـؤس اغـبرار
تحتهـا مـن غُصـصٍ مـا ... يوسـعُ القلـبَ انفجـارا

يــــا جـــوادًا شـــابَ كهـــلاً فَـــرْطَ مـــا خـــاضَ المغـــارا
يـــا سَـــبوحًا عـــانق المـــو جـــــةَ مـــدًّا وانحســـارا
لم يُغـــازلْ ســـاحلاً مـــ ـــنها ولا خـــافَ القـــرارا
يـــا دجـــةَّ العـــيش إن يَخْـــ ـــبُ دجـــى النـــاسِ أنـــارا
يـــا وديعًـــا يـــنفض المـــوت بنعليـــــه غبـــــارا
يـــا بـــنّ « ســـتِّينَ » يعـــدُّ الـــ ـــعمر للـــروح إطـــارا
غمـــرةُ خُضْـــها كـــما خُضـــتَ ابـــن « عشريـــنَ » غِـــمارا
يـــا غريـــبَ الـــدارِ نـــاغِ الشـــ ـــعرَ يَمحَضْـــكَ الحِـــوارا
النـــديمُ السَـــمحُ إنْ راوغَ نـــــدَمانٌ وجـــــارا
أحـــرفٌ عِشـــتَ وإيـــا هـــن عُسْرًا ويَســـارا

أنـــتَ والهـــمُ اعتســـا فـــا وطِماحًـــا تتبـــارى
أبـــدًا تقـــدَحُها قـــد حَـــكَ في الزَنـــدِ الشرارا
يـــا غريـــبَ الـــدارِ كـــم نبـــع تطـــامى ثُـــمَّ غـــارا
غـــيرَ نبـــعٍ كلَّـــما فجّرتـــه دارَ فـــداري
يـــا غريـــب الـــدّار لا تـــأْس وإن ضِـــقْتَ اصـــطبارا
خُلِقـــتْ عينـــاك كـــي تعـــ ـــترفا النـــوم غِـــرارا
وضـــميرٌ راح مـــن جســـ ـــمك يمـــتصُ اعتصـــارا
كنـــت منـــه مـــثلما المِعـــ ـــصمُ إذْ يشـــكو السـوارا
كـــان مـــن خلقـــك خلقـــا فهـــو لا يقـــوى فـــرارا
كـــان كـــالمِحوَرِ مـــا طابقـــتِ الـــدروة دارا

يــــا غريــــبَ الــــدار والأيــــامُ   كالنــــــــاسِ تُــــــــداري
وبنـــــــاتُ الـــــــدهر يغلبـــــــ   ـــن بنـــي الـــدهرِ ابتكـــارا
خـــــيرُ مـــــا عنـــدَك مـــــا   تحسَـــــــبُ شرّاً مســـــتطارا
أنْ تـــــــذوَّبتَ انســـــجاماً   في الرزايـــــا وانصـــــهارا
ثمنـــــا تـــــدفعِ عـــــن معـــــ   ـــركةٍ خُضـــتَ انتصـــارا
ديـــــــةُ الثـــــــائرِ أن   يحتمـــــلَ النقّـــعَ المُثـــارا

يــــا غريــــبَ الــــدارِ مــــا فخـــ   ـــرُ المنيبيـــنَ اضـــطرارا
مـــــا افتخـــــارُ العُـــــود أنْ   تَلـــوي بـــه الـــريح انكســـارا
والهَشـــــيمِ اليَـــــبْسِ أنْ   شـــبَّتْ بـــه النـــارُ أُوارا
الرجـــــولات اعتـــــزازٌ   يتحـــــدَّى الاغـــــترارا
والمغــــاويرُ يجِّــــدونَ   مـــدى الـــدهرِ مَغـــارا

يــــا غريــــبَ الــــدارِ وجهـــا   ولســـــانًا ، واقتـــــدارا
ومُزيـــــرَ النـــــاسِ أطيـــــا   فـــا وإنْ شَـــطَّ مـــزارا
قَـــرَّ في ضحضـــاحةِ كالســـ   ـــيلِ ينصـــبُّ انحـــدارا
لا تُشِـــعُ في الـــنفس خُـــذلانا   وحَوِّلـــــهُ انتصـــــارا
لـــو تشـــاءُ الحـــقَ لأســـتو   في بـــك الـــريحُ الخَســـارا
أحْـــصِ مـــا ســـاقَطتَ مـــن   مُثمـــرةٍ تَـــرض الـــثُمارا
أنـــتَ شِـــئتَ البـــؤس نُعـــ   ـــميً ورُبـــى الجنّـــاتِ نـــارا
كنـــتَ حربـــا والليـــالي   واللـــذاذات الكِثـــارا

شــــئت أن تحــــرم مــــن ... دنيـــا ترضـــتك مــــرارا
شــئتَ أنْ تهــوىَ الــذي غَيْـــ ... ـــرُك سَـــمّاهُ انتحـــارا

شــئت كــيما تمــنحَ الثــورةَ ... روحـــا أن تُثـــارا
اختيــارًا شــئت مــا النــاسُ ... يشـــاؤون اضـــطرارا
كنـــتَ ، لـــولا ذمـــةٌ ، تمــــ ... ـــلِكُ في الأمــــرِ الخِيـــارا
عبَّــــدوا دربَـــك نَهْجًـــا ... فتعمَّـــــدْتَ العِثـــارا
وتصــــورَّت الرجـــولاتِ ... عــــلى الضُرِّ اقتصـــارا
لم تكـــن فـــذًا ولا كـــانَ ... لــــك البـــؤسُ احتكـــارا
أنـــت مـــن بـــؤسِ الملاييــــ ... ـــنِ تُخِـــيِّرتَ اختيـــارا
منـــت للمقـــرورِ نـــارًا ... ولِضـــلِّيلٍ صُـــوارا
كنـــت عـــن جيـــلٍ تبنتْــــ ... ـــكَ رزايـــاه شِـــعارا
لـــو خـــلا مِـــن صـــورةٍ أنــــ ... ـــتَ عليهـــا لاســـتعارا
يـــا غريـــبَ الـــدار مَنــــ ... ـــسيًا وقـــد شـــعَّ ادّكـــارا

عـــاش والنـــاس كـــما عـــاشَ ... غـــــريمانِ ضِرارا
ذنبُـــه أنْ كـــان لا يُلـــ ... ـــقي عـــلى الـــنفس سِـــتارا
إنَّـــه عـــاش ابتكـــارا ... ويعيشـــون اجـــترارا
زمنًـــا حتـــى إذا المـــوتُ ... طـــواه فتـــوارى
واســـتبدَّتْ ظُلمـــةُ القـــبرِ ... بـــه .. عـــاد منَـــارا
أسرجـــوا « الأكليـــلَ » غـــارا ... يســـتجدُّون فَخـــارا
ويُضـــيفونَ إلى عـــارِ ... مـــن الخِسَّـــةِ عـــارا

يـــا غريـــبَ الـــدارِ لم تكْـــ ـــفَلْ لـــه الأوطـــانُ دارا

يـــا « لبغـــدادَ » مـــن التـــا ريـــخِ هُـــزءًا واحتقـــارا

عنـــدما يرفـــع عـــن ضيـــ ـــمٍ أنالتـــهُ الســـتارا

حلأَّتْـــهُ ومَـــرَت للـــ ـــوغدِ أخلافـــا غِـــزارا

واصـــطفت بُوقـــا وأجْلَـــتْ عـــن ضِـــفافِيها كنـــارا

وأقامـــتْ مـــن دمٍ كلّلـــهُ الحقـــدُ، جـــدارا

وأجالـــت أعينًـــا حُـــولًا مـــن الغـــيظِ ازورارا

وأرتـــهُ الضـــحكةَ الصفـــ ـــراءَ عـــن خُبـــثٍ تـــوارى

فهـــي كالشـــهواء ألقـــتْ تســـتر القـــبحَ، الخِـــمارا

واستجاشـــت زمـــر البغـــى نُفايـــاتٍ خُشـــارا

شَرَهُ الأحقـــادِ كـــالجو عـــانِ يشـــتمُّ القُتـــارا

كـــلُّ مهتـــوكٍ يـــرى في هتكِـــهِ ســـترًا دثـــارا

يـــا لأجنـــادِ الســـفالاتِ انحطاطًـــا وانحـــدارا

وجـــدت فرصـــتَها في ضَـــيْعَةِ القَـــوم الغيـــارى

يـــا غريـــبَ الـــدارِ يـــا مـــن ضَربَ البيـــدَ قِـــمارا

لـــيس عـــارًا أنْ تَـــوَلّي مـــن مســـفّينَ فِـــرارا

دَعْ مَبـــاءاتٍ وأجلافـــا وبيئـــينَ تِجـــارا

جـــافِهِمْ كـــالنَسرِ إذ يـــأنَفُ ديـــدانًا صِـــغارا

خلقـــةٌ صـــبَّتْ عـــلى الفَجـــ ـــرةِ دعهـــا والفِجـــارا

ونفـــوس جُبلـــت طينتُهـــا خِزيًـــا وعـــارا

خَلِّهـــا يســـتلُ منهـــا الـــ ـــحقدُ صُـــلْبًا وفَقـــارا

خَلٍّ مسعورًا وما استكـ ـلب .. لا تَشْفِ السُعارا
وذبيح الإِحَن السوداء دعه والشفارا
أنت لا تقدر أن تزرعَ رعَ في العُور احوارا
وقَتادُ الشَوك لا يحـ ـصده الجاني عَمارا
وجَنَى حَنظَلِهِ لا يمنعُ الشُهْدَ اشتيارا

يا صليب العود يأبى حين يُلوى الانكسارا
تُطمع العاصف فيه رقّة النبع اخضرارا
يا غريب الدار ما سِيّانِ دعوَى وافتخارا
كاشف نفسًا كما يلـ ـتمعَ النجمُ ازدهارا
ومداجون ، يَضِبون وجارًا فوجارا
بعد الدربانَ غاياً وطموحًا ، واختبارا
ولقد أحسنتَ إذ شئـ ـت الأَشق الاختيارا

يا غريبَ الدارِ في قافلةٍ سارت وسارا
لمصيرٍ واحدٍ ثم تناست أين صارا
سامحِ القومَ انتصافًا واختلِق منك اعتذارا
علّهم مِثلَكَ في مُفـ ـترَقِ الدربِ حَيارى
سِرْ وإياهم على درب المشقاتِ سِفارا
فإذا ما عاصفُ الدهر بكَم ألوَى وجارا
فكن الأوثقَ عهدًا وكُن الأوفى ذِمارا
قل لهم إنّك قد طِحْـ ـتَ وإياهم نشارا

مــــــثلَما الزهـــــرُ إطارتـــــ ـــــهُ عصـــوفٌ فَاســـــتطارا

أو فـــــلا لـــــومٌ، ولا عـــــذرٌ ولا قـــــــولٌ يُـــــمارى

سِرْ عـــلى نهجِـــكَ كالخَربـــتِ بـــــالنجمِ اســــــتنارا

***

سلامًا عيد النضال

ســـلامًا : وفي يقظتـــي والمنَـــامِ وفي كـــلِّ ســـاعٍ وفي كـــلِّ عـــامِ

تهـــادَى طيـــوفُ الهُـــداة الضِـــخام

تَطـــايَحُ هامًـــا عـــلى إثَـــرِ هـــام

ســـلامًا ومـــا انفـــكَّ وقَـــدُ الضِرام

ـــن الـــدم يشـــخَصُ حيًّـــاً أمـــامي

ســـلامًا وفي كـــلِّ مـــا أســـتعيد مـــن الـــذكريات ومـــا أســـتفيدُ

مـــن العِـــبرِ المُوحيـــات الـــدَّوامي

أُحـــسُّ دبيبًـــا لهـــا في عظـــامي

ســـلامًا ومنـــذ العُصـــور الخـــوالي مُـــذِ اخضرَّ حقـــلٌ بسُـــمر الغِـــلالِ

ومُـــذ حُكِّمـــتْ ســـادةٌ في المـــوالي

تنسَّـــمَتِ الأرضُ ريـــحَ النضـــال

زَهَـــتْ بالشريـــد رؤوس الجبـــال

وتـــاهَ الثَـــرَى بالـــدماء الغَـــوالي

ودقَّــتْ مســاميرُ خجْــلى عَطاشَــى بكــفِّ المســيحِ فطــارتْ رَشاشــا

بقايـــــا دمٍ للعُصــــــور التـــــوالي
تُخضِّـــب بالمجـــد هـــامَ الرجـــال

ســلامًا وراحــت رُكامًــا رُكامــا تُمــدُّ البطــولاتِ هامًــا فهامــا

وتُلقـــي عـــلى كـــل دَربٍ إمامـــا
تُحـــاذر منهـــا الطُغـــاةُ انتقامـــا
وتَرْهَـــب مـــن طيفـــه مـــا أقامـــا
نظامًـــا يبـــدِّلُ منهـــا النظامـــا

ســلامًا وراحــت تثــور العظــامُ ويعصِــفُ بالعصــفات الرُكــامُ

ويشـــمَخُ في كـــلِّ جيـــل إمـــام
يُمِـــدُّ البطـــولات هامًـــا فهامـــا
ويـــنفَخُ في كـــل رُوح ضِرامـــا

ســلامًا وراحــت شُــعوبٌ تَثــوبُ ويزحَــفُ غضــبان حــقٌ ســليبُ

ســـلامًا وبالـــدَّم ضَـــوَّتْ دُروبُ
بهـــا راحَ يتلـــو صـــليبًا صـــليب

سلامًا وما انفكَّ نوءٌ يَصوُب
من الدّم يُخصِبُ منه الجَديب

سلامًا ولم تألُ تنمو زُروعُ عليهِنَّ يتلو الصريعَ الصريعٌ

سلامًا ونعمَ الحَصادُ الوُثوبُ
ونعم المُثاب ، ونعم المُثيب

سلامًا ودَوَّى صِراعٌ عنيدُ به السادةُ استبْسَلتْ والعبيدُ

سلامًا : وراحَتْ تُصَبُّ القيودُ
ويحمرُّ فرطَ الحياءِ الحديدُ
وتُفْرَى لتَغدو سِياطًا جَلود
ويُطرِقُ في الغاب خزيانَ عود

تحُثُّ المشانقَ منها اعتِسافًا تَدَلّى عليهنَّ هِيفًا لِطافًا

من الصيد في كل صبح قُدود
بهنَّ من الفجرِ يَخْزَى عَمود

سلامًا وألقى النضالُ الرِحالا بأرضٍ بها الدَّمُ يسقي الرمالا

بَحيث تجِدُّ الرياح انتقالا
تهُزُّ الجَنوبَ وتُزكي الشَمالا

وحيــــث تُحِــــبُّ الحيـــاةُ الجـــدالا
يصـــارِعُ فيهـــا الحقيـــقُ الخيـــالا

ســـلامًا وفي دجلــــةٍ والفــــراتِ   مَخـاضُ الصـعاليكِ ، مَهْـوَى الشُراةِ

أنـــاخَ النضــــالُ يُجـــرُّ النضــــالا
ويُبْـــدِلُ مـــا اســـطاع بالحـــال حـــالا

ســـلامًا ومـــن دجلــةٍ والفــراتِ   ومـــن حُفَـــرٍ لِصْـــق دُور الشرَاةِ

ومـــــن رَجِـــم الأزَمِ المُــــعسرّات
ومـــــن جُبـــكَ العُقَـــد المـــوغِرات
تَحَــــدَّرُ في حِقَـــــبٍ خـــيِّرات
مغـــــاويرُ في مشـــــيةٍ مُـــــزدارة

كُـــماةٌ يُخيفيـــون مَوتًـــا يُخيـــف   وراحَــتْ علــيهم تَلاقِــي الصُــفوف

وعــــادت تَنَصَّـــــبُ كـــــالنيِّرات
شُـــموخًا جِبـــاهُ الحُفـــاةِ العُـــراة

ســـلامًا مصـــابيحَ تلـــك الغـــلاةِ   وجمـــرةَ رملتهـــا المُصــــطلاة

ســـلامًا عــــلى الفكـــرة المُجــــتلاة

عـــلى صَـــفوةِ الزُمـــرِ المُبـــتَلاة
وُلاةِ النضـــال ، حتـــوف الـــوُلاة
ســـلامًا عـــلى المـــؤمنين الغُـــلاة

ســـلامًا عـــلى صـــامدٍ ولا يُطـــالُ   تعلَّـــمَ كيـــف تمـــوتُ الرجـــال

ســـلامًا عـــلى الميتـــة المُفـــتلاة
عـــلى صـــهوة الخطـــر المُعـــتلاة

ســـلامًا ومـــا ظـــلَّ نجـــمٌ يلـــوحُ   ومـــا ســـاقَطَتْ وَرَقَ الـــدَّوحِ ريـــحُ

ســـتبقَى رُؤوسٌ ضِـــخامٌ تَطـــيح
ويبقـــى يَجُـــرُّ الجَـــريحَ الجَـــريحُ
وســـوف يَظَـــلَّ يُـــدوي طُمـــوح
لفجـــرٍ يلـــوحُ وديـــكٍ يَصـــيح

ســـلامًا ومـــا ضـــج قَصْـــفُ الرُعـــودِ   فســـوف تَظَـــلُّ دمـــاءُ الشـــهيدِ

تضِـــجُّ ، وســـوف يُـــرَجُّ الضريـــحُ
ليـــومٍ يُبـــاحُ بـــه المســـتبيحُ

حُمـــاةَ النضـــال وجيـــلٌ يفـــورُ   عـــلى مِحـــوَرٍ مـــن شُـــموسٍ يَـــدور

يســـيرُ ويعـــرفُ أيـــنَ المَصـــير

لــــه ألــــفُ نجـــمٍ بـــنجمٍ يَغــــور
ســـــيُملي إرادتـــــه إذْ يثـــــور
وتُجتَـــــثُّ يـــــوم يثُـــورُ الجُـــذور

سـيُحرث أرضًـا أباديـدَ بُـورا ويُطِلـعُ رَوضًـا عليهـا نضـيرا

عــلى مثلهـــا لـــن تعـــيشَ الشُرور
ولكــــن يعــــيشُ القمـــينُ الجـــديرُ

ســلامًا وفي كـل جيـلٍ وجيـلِ ســتُلقي قِـداحُ بَكـفَّ المُجيـل

ســـلامًا وفـــيها تُـــذيع العُصـــورُ
ســـتُنعِشُ منهـــا الشِـــفاهَ العطـــور

***

فرصوفيا

«فرصـــوفيا» : يـــا نجمـــةً تـــلالا
تُغـــازلُ السُـــهوبَ والـــتلالا
وتســـكُب الرقَّـــةَ والـــدلالا

فـوقَ الشـفاه الضـامئات الحاميـات الحانيـة
وبـينَ أهـدابَ الجُفـونِ الغافيـاتِ ألوانيـه

« فرصوفيا» الحَلوة يا ذات القُطوفِ الدانية

مــن ذا يــوفّي ســحرَك الحــلالا

وحُســـنَكِ المــدمِّرَ القتّــالا

يُجشِّــمُ اللــذّةَ والأهــوالا

حــالان ، الأحــلى أمــرُّ حــالا

إذا أجلــتُ فكــري الجــوَالا

في كيــفَ صــيغَ حسنُكِ ارتجــالا

أتعسَــتِ الأســطورةُ الخيــالا

«فرصوفيا» : إنَّ الصبا فيكِ ارتغى فعْربدا

ففي به عند الخَفافَين - فقد جاز المدى

كالأُقْحوانِ انسابَ في الرَملة كيما يَبرُدا

تطلّبتْ عيونُ حسناواتِك الخضْرُ الفِدى

وكالأقاحي إذ تَعُبُّ سَحرةً قطْرَ الندى

تذوّبتْ خمرُكِ في الخدِّ الذي توردًا

وانفرَجَ البُرعُم في النَهد الذي تَنهدًا

«فرصوفيا» : يا روعةَ اليَومِ الذي يُنسِي غدا

غــدٌ سرابٌ لا أُحِــبُّ الآلا

مــا دمــتُ أرعــى روضــةً مِحــلالا

بهــا الظــلالُ تَــزحَمُ الظِــلالا

مُخلِفــةً بكوزُهــا الآصــالا

«فرصوفيا» : واليوم طَوعُ اليد أنتِ الراهنة

والروضــةُ المحــلالُ أنــت المُزدهــاةُ الفاتنــة
أنــت الــرؤومُ بالغريــب المســتظِلِّ الحاضــنه

إذا اشــــتكى مــــن رهــــقٍ كــــلالا
أوردتــــه يَنْبُوعَــــكِ السَلســــالا
فهــــوَ وقــــد أوســــعتِه أفضــــالا
يســحَبُ مــن عُجْــبٍ بــك الأذيــالا

«فرصــوفيا» : والحسرةُ الحرّى تــريح الكَبِــدا
واحسرتــا أنّي وُلــدتُ تحــتَ أطــلال الــردى
جئتــكِ في «الستّينَ» مــا أشــقى وأدنــى عــددا
إذ مَيْعتــي تهــرّت اللُحمــةُ منهــا والسَــدى
«فرصــــوفيا» : آهٍ عـــلى شَرْخِ صِـــبًا تبـــدّدا
آه عــلى صــادحٍ أيــك لم يجــد عنــدي صــدى
غــرَّدت إذ نــاحَ وأمســى نُحــتُ لمــا غــرَّدا
لم أغــترف غيــدَك إذ كنــت الفتــيَّ الأغَيــدا
كنــت الجهــول المُشــتهى والأمــرَد المبلَّــدا
«فرصــوفيا» : وشَرُّ مــا يُحزنني قــولٌ سُــدى

قلــت لــه لا تَبْعُــدَنْ عنــيِّ لمــا بَعُــدا

«فرصوفيا» : والدم يَستبقى مدى الدهر دَمــا
والمــــوت بـــــالعزة يبـــــي لحيـــــاة سُــــلَّما
«فرصــوفيا» أمــس رأيــتُ الحَجَــر المكوّمــا

كــان جنينًــا ، وفــؤادا ، ويــدًا ، ومعِصَــما

جيــل تــأبّى أن يُطــاطي فرَمــوه فرَمــى

لــولا الرجــولاتُ أراح نفسَــه واستســلامًا

«فرصـــوفيا» مـــا أبـــدَع الأمثـــالا

يســـتنهضُ الجيـــلُ بهـــا أجيـــالا

حتـــى إذا غـــدٌ تمطّـــى فجـــره وابتَســـما

وأبـــدل الإيـــمان بالنهـــار لـــيلاً مظلـــما

حتـى إذا البلطيـق هـدّى موجَـهِ المحتـدما!

عـــاد الـــدمُ المطـــولُ خَـــدّا نـــاعمًا ومَبْســـمْ

وصـــيغتِ الدمعـــةُ عِقـــدَ لُؤلـــؤ فـــانتظَما

وعـــادت الضِـــحكةُ في ســـمعِ حـــزين نَغَـــما

ألـــفُ فـــمِ حلـــو قضي لتُـــنعش الكـــأس فـــما

***

لا تذعه

لا تُذْعِـــه عـــلى أعـــزِّ صـــديق

وعـــلى الطِـــرس لا تخـــطَّ الحروفـــا

وبرمـــل الغـــاب النـــدى الرقيـــق

إذ ســـنا الشـــمس يســـتطير رفيفًـــا

وينـــاغي أدواحَـــه والحفيفـــا

لا تخطَّطْـــه ثُـــمَّ عَـــبْرَ الطريـــق

لا تُذِعَــــه حتــــى لـــبُرعمِ وَرْدِ
بثَنِّيـــــات شَـــــعرها يَتخفَّـــــى
يـــتمَلَّى منـــه أريجـــا ولطفـــا
لا تِذُعْـــه حتـــى إذا الجفـــنُ رَفَّـــا
بِنُعـــاسٍ عـــلى السُـــبات العميـــقِ
وإذا مُـــــتَّ في فـــــراش الفـــــراقِ
بانتظـــارٍ مُـــرٍّ ليـــوم التلاقـــي
فاحترمـــه والـــروح عنـــد التراقـــي
لا تُذِعـــه حتـــى لقَـــبْرٍ عميـــق
إنّ عهـــدَ الصـــديق غـــيرُ وثيـــقِ
وســـطوراً تُخَـــطُّ عـــبرَ الرُقـــوق
هـــنّ نَهـــبٌ لأعـــينِ الرُقبَـــاءِ
وتـــرى الغـــاب في مَـــدِبِّ الشـــتاء
والتقـــاء السُـــيول بالأنـــداء
عرضـــةٌ لأَمحـــاء مـــا خُـــطَّ فيـــهِ
وشـــذا الـــورد بـــين غُـــنْجٍ وتيـــه
في ثَنايـــا جَـــداثل لفَّـــاء
قـــد يغنَّـــى بســـحرها للهـــواء
ومتـــاهُ القـــبر العميـــق الســـحيقِ
حيثُ يَلقَى الغُروبُ عُبءَ الشِروق

طالمـــا بَـــثَّ سرَّه للعَـــزاءِ

لا تـــذع سرَّ كـــل بُـــرءٍ وداء

رمـــزَ معنـــى هَنـــاءة وشَـــقاء

لا تُذِعـــه حتـــى لَصـــبٍّ مشـــوقِ

***

يا خيالي

يـا « خيـالي» لـك الشـفاء السريـع والغـــد المشرق الأنـــيس البـــديع

أن في البيـــت وحشـــة لمحيـــاك وشـــوقاً تطـــوي عليـــه الضـــلوع

لك مني.. عند النجوم.. ابتهالات ومـــن أمـــك الحنـــون دمـــوع

يـــا «خيـــالي » إن الصـــبا ينبـــوع وغضـــير الشـــباب زهـــر يضـــوع

لـك مـن ذا وذاك ألطـف مـا أضـفت ســـماء ومـــا أفـــاض ربيـــع

يـــا« خيـــالي» وأن حبـــاً عصـــوفاً بتهاليـــــل والـــــدين شـــــفيع

يـــا« خيـــالي» لا زعـــزع الزهـــر والغـــض ولا روع الحـــمام الوديـــع

***

يا أبا ناظم

يـــا أبـــا نـــاظم وســـجنك ســـجني وأنـــا منـــك مـــثلما أنـــت منـــي

وأنـــــا منـــــك في المـــــودة جيـث المـرء سـيان علمـه والتظنـي

أنـا عـرق في جسـمك النـابض الحي ولمـــح مِـــن علقـــك المستضـــن

يا بن صيد الرجال كل مضحٍ بشباب كالروض لف أغن
سننوا شرعة التذوب في الناس وماتوا على محك المسن
يا بن صيد الرجال دربك درب الصيد مستوحش الثنيات مضني
من بقايا دم الضحايا عليه ألق النجم في ظلام دجن
كمصب التيار يدفع فيه الموج موجاً ويسحق المتأني
سرته لا تخاف إذ كل شبر فيه من وحشة نحيف ويثني

يا ربيب السجون لا المتبني عق من ربه.. ولا المتبني
يا لطيفاً إذ يسقي وكريماً إذ يساقي ومبدعاً إذ يغني
يا سخياً بالعمر يعرف أن المجد كالدهر لا يحد بسن
يا مذيب الستين أي الليالي عدت تبقي.. وأيها رحت تفني
أي كنزٍ غالٍ.. وأي عطاء كسنا الشمس لم يكدر بمن
يا بن جلد ضاوٍ.. وعظم خوي كشبا السيف في رثاثات جفن
يفخر الفخر إن مضغة لحم غلفت قلب واثق مطمئن
يا قريع البلوى تطابق والغمرة منها انطباق سن وسن
يزرع الخير في النفوس فيجني ويجازى بالشر عنه فيجني
يا أبا ناظم وشوط الرجولات سباق فبادئ ومثني
ورثتك الآباء ما ورثته عن جدود إرث الفروع لغصن
خوض بؤسي شنت لنصرة حق وارتقاباً لمبتئس لم يشن
واصطباراً على جحيم الرزايا والتذاذاً منها بجنة عدن
وحياة دون الكفاف غناء النفس فيها رغيبة المتمني

هــو ذا المجـد خالـداً لا الــدعاوي ... بنــت يــوم عجـلان يفنـي ويفنـي

يـــابن واعـــين إذ وعـــاة قليـــل ... فصـــحاء يـــوم التخـــارس لســـن

طلعـــوا في دجنـــة نـــور فجـــر ... وهمـــوا في جديبـــة صـــوب مـــزن

يا بـن صـيد الرجـال دربـك لا درب ... الخـــؤورين مـــن كـــلال ووهـــن

يحملـــون الأثقـــال كرهـــاً تلـــوي ... أعـــرج في دجـــي يســـير بحـــزن

يـابن صـد الرجـال بوركـت مـن ... عـــود أبي عـــلى المغـــامز خشـــن

تغـرم العاصـفات بالشـجر الصـلب ... وتـــغضي عـــلى أماليـــد لـــدن

ديـــة الـــوادعين جبنـــاً وذُلاً ... مـــا تقاســـيه مـــن عـــذاب وســـجن

يولـــد الضر حيـــث يولـــد حـــر ... وعـــلي أنـــوك مظلـــو أمـــن

لـن يضـيع الحسـاب مـا بـين قـبح ... وجمـــال وبـــين حمـــد ولعـــن

ترصـد الشـهب والرجـوم ويحصي ... نســب الخيـــل مـــن جيـــاد وهجـــن

يـــا أنـــا نـــاظم ســلاماً عـــلى البعـــد ... وصرف الخطـــوب يـــقصي ويـــدني

وســلاما عـــلى رفاقـــك فى الشـــوط ... المجـــلي مـــن كـــل نـــد وقـــرن

يـــا أبـــا نـــاظم ونحـــن حـــداة الجيـــل ... نهديـــــه دربـــــه ونغنـــــي

شركـــاء في غايـــة نبتـــدي الرحلـــة ... نـــــدري أهوالهـــــا ونثنـــــي

يـــا أبـــا نـــاظم ونحـــن مجـــن ... يـــوم يبغـــي درع وأي مجـــن

فوقـــه مـــن ثقـــوب رمـــح ورمـــح ... بـــالغ الجـــرح مـــن ضراب وطعـــن

نحـــن إذ تشـــتري اللـــذاذات سومـــاً ... بـــدم القلـــب نشـــتري مـــا يعنـــي

نهـــدم الهـــر مـــا ابتنـــاه طغـــاة ... ونعـــاني مـــا يهـــدمون فنبنـــي

نحـــن إن غمـــت الخطـــوب أشـــعنا ... في دجـــي مـــؤيس شـــموع التمنـــي

يـا أبـا نـاظم ونحـن أرق النـاس ... طبعـاً ونحـن عُبّـادُ فـن
نحـن ممـا نسـيل في كـل نفـس ... كمـدب النعـاس مـن كـل جفـن
عجـب أن نسـام خسـفاً.. ... وأن نجفـي.. وأن نبـاع بغـبن
عجـب أن نطيـق حكـم التجنـي ... ونعـاني تحكـم المتجنـي

يـا أبـا نـاظم وربـة رهـن ... فيـه لـو يفتـدي فكـاك لـرهن
حرمتنـا الحيـاة جـذوة وعـي ... وتلظـي قلـب.. وإيـماض ذهـن
هـن هـن الحيـاة لـولا نظـام ... لسـوي الغـاب موحشـا لم يسـن
غايـة الجهـد أن يكلـف حـر ... بعبوديـة تسـن لقـن
يـا أبـا نـاظم وكـم فكـرة ... عنـت فجـاءت بفكـرة لم تعـن
أنـا ذا مـن عهـدت حـر صريـح ... القـول.. ألقـي بـما لـدي وأعنـي
لا مـداج.. ولا مسر بحسـو ... في ارتغـاء ولا أحـب التكنـي
لا أبـالي مـا حـاك نـول عليـه ... أو بـما طـرزت.. شروح لمـتن
يـا أبـا نـاظم وشـفع تـدني ... كـل عـال برفعـة المتبـدني
نضـب الصـبر يـابن بحـر علـوم ... صـخب المـوج بالفخـار مـرن
أشـداة مشردون بـلا وكـن ... وخـرس الطيـور تـأوي لـو كـن
أفـنحن المزعزعـون عـن التربـة ... تسـقي دماؤنـا كـل قـرن
بضـحايا تطـيح في كـل درب ... وقبـور تصـيح في كـل ركـن
أفـنحن المظعنـون عـن الربـع ... ونحـن الحـماة فيـه لظعـن
أفـنحن الـذين يرتفـع السـوط ... علـيهم بظنـة المتظنـي
سوط من ؟ سوط كل علج عليف ... دنـس الأصـل والمنابـت عفـن

أبنــو أمســك 'لقــري يطيحــون ... بصـــبابة الفخـــار المســـن

لم تلـدهم خـير البطـون.. ولا مثلـك ... شـــبوا بخـــير حجـــر وحضـــن

يا أخا الشعب في الرخاء وفي الشدة ... منــــه.. وفي سرور وحــــزن

طيلة العمر ما انفككت على فقرك ... تعطيـــه مـــا يـــرب ويغنـــي

كـرم الشـعب غـير فـرط لصـوق ... بالرزيــا لصـــوق خمـــر بـــدن

كلـــما أن خـــدروه وقـــد يثقـــل ... داء المـــريض مــــا لم يـــئن

أفمنـــه المجنـــدون.. ومــــنهم ... كـــل درء يـــوم الحفـــاظ وحصـــن

ومــدي الــدهر وهـــو نهـــزة تـــاج ... لعقيــد غـــاو.. ونجمـــة ركـــن

يــا أبــا نــاظم وســجنك ســجني ... وضـــني بي للوعـــة بـــك تضـــني

يحـــز الـــنفس أنـــني غـــير كـــفء ... لأرد الخطـــوب عنـــك وعنـــي

يا بن ودي وما بعيد رهين السجن ... عـــن رهـــن غربـــة مســـتمن

غـــير أن الظـــروف يبـــدين فرقـــا ... رب قـــبح يعـــود مـــرآة حســـن

يـــا أبـــا نـــاظم وإن تنـــب عنـــي ... فبنعمـــي خصـــمي.. وغمـــة خـــدني

ضـــحكة مـــرة تـــكشر ســـني ... ومســـيح مـــن دمعـــة فـــوق ردني

يـعصر القلـب تحـت ضـغط هموم ... ضـــاريات عقـــف المخالـــب حجـــن

يـــا أبـــا نـــاظم:ورب شـــجاع ... أوردتـــه الحتـــوف وصـــمة جـــبن

أنـــا ذا أطلـــب الحـــمام بـــنفس ... لم أخنهـــا.. وعزمـــة لم تخنـــي

لا لشيء إلا لأن المنايـــــــــا ... في مصـــك الرجـــال أعرضـــن عنـــي

حطمــت آهـــة عـــلى حـــد أخـــري ... وعـــلى حـــدها تحطـــم لحنـــي

فـــإذا مـــا اســـتعدته فـــلأني واجـــد فيـــك باعثـــا للتغنـــي

يـــا أبـــا نـــاظم وســـجنك ســـجني
وأنـــا منـــك مـــثلما أنـــت منـــي

***

بريد الغربة

لقـــد أسري بـــى الأجـــل وطـــول مســـيرة ملـــل
وطـــول مسيرة مـــن دون غـــاي مطمـــع خجـــل
عـــلي أني لأن ينهـــي غـــد طـــول السري وجـــل
تماهـــــل خشـــــية ووني وعقبـــي مهلـــه عجـــل
وقطـــع خطـــوه جنفـــاً كـــما يتقـــاصر الحجـــل
أشـــاع اليـــأس بي عمـــر وكنـــت وكلـــه أمـــل
وعمـــر المـــرء فضـــل مني بهـــا مـــا شـــق يحتمـــل
فـــإن ولـــت فـــلا ثقـــة ولا حـــول ولا قبـــل

أقـــول وربـــما قـــول يـــدل بـــه ويبتهـــل
ألا هـــل ترجـــع الأحـــلام مـــا كحلـــت بـــه المقـــل
وهـــل ينجـــاب عـــن عيني ليـــل مطبـــق أزل
كـــأن نجومـــه الأحجـــار في الشـــطرنج تنتقـــل
يلاحـــق بعضـــها بعضـــاً فـــما تنفـــك تقتتـــل

ألا هــل قــاطع يصــل ... لمــا عيــت بــه الرســل
ويــا أحبــابي الأغلــين ... مــن قطعــوا ومــن وصــلوا
ومــن هــم نخبــة اللــذات ... عنــدي حــين تنتخــل
هــم إذ كــل مــن صــافيت ... مــدخول ومنتحــل
ســلاماً كلــه قبــل ... كــأن صــميمها شــعل
وشــوقاً مــن غريــب الــدار ... أعيــت دونــه الســبل
مقــيم حيــث يضــطرب المنــي ... والســعي والفشــل
وحيــث يعــارك البلــوي ... فتلويــه ويعتــدل
وحيــث أديمــه يــبس ... وحيــث جنانــه خضــل
وإذ نضــبت أفــاويق الصــبا ... فهباتهــا وشــل

ســلاماً مــن أخــي دنــف ... تناهــت عنــده العلــل
وحيــد غــير مــا شــجن ... بلــوح الصــدر يعتمــل
وذكــرى مــرة حليــت ... بهــا أيامــه الأول
تعــاوده كفــيء الظــل ... رؤياهــا وتنتقــل
وحيــد بالــذي غنــي ... وســاقي يضرب المثــل
وفــيها قــال مــن حســن ... وســيئ يكثــر الجــدل

ســلاماً أيهــا الثــاوون ... إني مزمــع عجــل
ســلاماً أيهــا الخــالون ... إن هــواكم شــغل
ســلاماً أيهــا النــدمان ... إني شــارب ثمــل

سـلاماً أيهـا الأحبـاب إن محبـة أمـل
سـلاماً كلـه قبـل كـأن صـميمها شـغل

***

حببت الناس

حببـتُ النـاسَ والأجنـاس

والـدنيا التـي يسـمو عـلى لـذاتها
الحب للناس

حببـتُ النـاسَ والأجنـاس

في الطفـل الـذي لا ينسـب النـاس
لأعراق وأجناس

حببـتُ النـاسَ والأجنـاس

في المـرآة كـالأنموذج الحلـو
لحب الناس للناس

حببـتُ النـاسَ والأجنـاس

في الخمـرة تختـال عـلى أنخـابهم
إذ تقرع الكاس

حببـتُ النـاسَ والأجنـاس

في« الزنجيـة» الحلـوة مـن لفـت
وأهلوها بأكياس

حببـتُ النـاسَ والأجنـاس

منذ شاركنا الأحباش، والبربر، الزنج
بأحزان.. وأعراس

حبيـــتُ النـــاسَ والأجنـــاس

مـــذ علمـــت أن النـــاس أشـــباه
وأن النيل مقياس

حبيـــتُ النـــاسَ والأجنـــاس

مَـــن شـــبَّ ، ومـــن شـــاب
ومن أظلم كالفحم
ومن أشرق كالماس

حبيـــتُ النـــاسَ والأجنـــاس

حـــــب الأرض للفـــــاس
أو القفرة للآس
أو الليل لنبراس

حبيـــتُ النـــاسَ والأجنـــاس

حبيـــــــت النـــــــاس
كل الناس
حبيت الناس

براغ ١٢/ ١١/ ١٩٦٥

***

بائعة السمك في براغ

وذات غـداة وقـد أوجفـت ... بنـا شـهوة الجـائع الحـائر

دلفنـا لـ « حـانوت» سـماكة ... نـزود بالسـمك « الكـابري»

فلاحـت لنـا حلـوة المجـتلى ... تلفـت كالرشـا النـافر

تشـد الحـزام عـلى بانـة ... وتفـتر عـن قمـر زاهـر

من « الجيـك » حسبك مـن فتنة ... تضـيق بهـا رقيـة السـاحر

فقلنـا:علينـا جعلنـا فـداك ... بـما اخـترت مـن صيدك النـادر

فجـاءت بممكـورة بضـة ... لعـوب كـذي خـبرة مـاكر

تـنفض بالـذيل عطـر الصبا ... وترمـق بـالنظر الخـازر

تكـاد تقـول:أمـثلي تمـوت...؟ ... لعنـت ابـن آدم مـن جـائر

أمـا في الصـبا لي مـن شـافع ..؟ ... أمـا لابنـة « الجيـك» مـن زاجـر ؟

أمـالي مـن عـودة ترتجـي ... لمسـبح أتـرابي الزاخـر ؟

ألا رجعـة لحبيـب جـو ... حـزين عـلى غيبتـي سـاهر ؟

ودب القنـوط عـلى وجههـا ... وسـال عـلى فمهـا الفـاغر

وأهـوت عليهـا بسـاطورها ... فيـا لـك مـن جـؤذر حـازر

وثـنت.. فشـبت عـروس البحـار ... وقـرت عـلى الجانـب الآخـر

فقلنـا لهـا: يـا ابنـة الأجملـين ... مـن كـل بـاد ومـن حـاضر

ويـا خـير مـن لفـن الملحـدين ... دلـيلا عـلى قـدرة القـادر

جمالـك.. والرقـة المزدهـاة ... خصـمان للـذابح النـاحر

وكفك صيغت للثم الشفاه وليست لهذا الدم الخائر
فقالت: أجل أنا ما تنظران وإن شق ذاك على الناظر
تعلمت من جفوة الهاجر ومن قسوة الرجل الغادر

***

يا أم سعد

يا أم سعد والليالي قلب عجيبة وما تخبي أعجب
تجمعنا كما تلاقي سارباً إلي الغدير ربرب وربرب
فهي تذرينا كأننا لم يكن لنا مراح عندها وملعب

يا أم سعد والليالي فلك لكل ما يشرق فيه مغرب
في أمس كاليوم حوانا منزل منك لنا أهل به ومرحب
راق به منك الصفاء والندي والسمر الحلو الشهي الطيب
فهل ترينه غداً يجمعنا أم نحن من دون تلاق نذهب
يا أم سعد إن تناءت دارنا فالذكريات بيننا تقرب

***

الخطوب الخلافة

دع الطوارق كالأتون تحتدم وخلها كجبيك النسج تلتحم
وخذ مكانك منها غير مكترث دهدي بك الموج أو علت بك القمم
كفاك والخطب فخراً أن تصارعه إن المصارع أني صبار محترم

ومثل بلواك في غمي تدافعها … تكون عقباك إذ تستكشف الغمم
تعسر الصبح واستعصت ولادته … حتي تشابكت الأنوار والظلم
تبارك الخطب تبلوه وتحصده … إن الخطوب إذا ما استثمرت نعم
عود الرجال بكف الخطب يعجمه … كالمندل الرطب يذكو حين يضطرم
خض الكوارث لا نكساً ولا جزعاً … واترك إلى الغيب ما يجريه القلم
لو كان يضمن نصر قبل موعده … لكان أرخص ما في الأنفس الهمم
إني وجدت الليالي في تصرفها … تأوي إلى حكم عدل.. وتحتكم
تدس في الشر خيراً يستضاء به … وترتع الخير من شر ويلتئم
إن الشدائد تستصفي النفوس بها … مثل الحظوظ على أصحابها قسم
يلقين ظلا على وجه فيلتطم … ويزدحمن على وجه ويبتسم
يا جمرة الخطب ساقينا على ظمأ … للمصليات فأنت البارد الشبم
قالوا أتت أزمة جلي فقلت لهم … أهلا وسهلا فنعم الطارق الأزم
ياجارتا من يضق ذرعا بمنزلة … فليس منا وإن متت به رحم
سلي بنا الأزمات السود كم غنيت … إذ كان عند سوانا الفقر والعدم
ما شئت فامتحني نزدد ندى وقرى … هل كان إلا ليوم المحنة الكرم
ياجارتا : أنت سر في ضمائرنا … وأنت بين العروق الثائرات دم
عشنا وإياك أحقاباً مناوبة … ننسل منك على رفق وننسجم
حلي بنا تجدي من أزمة قدماً … عفى على رسمها أزمة قدم

ويا « أبا خالد» إن يلتهب بفمي … قول.. فإني لكل الثائرين فم
يا ناصر الأمة الكبري وحاضنها … لا العجب يملأ برديه.. ولا البرم

ويـا شريكـاً بـما يزهـي الشريـك بـه | يلـم نعمـي عـلى بـؤسي ويقتسـم
ويــا فتاهــا.. ويــا حــامي فتوتهــا | لا نـال منـك ولا مـن مجـدها الهـرم
ناشدتك العـروة الـوثقي بـما انتفضـت | به الشعوب.. وما رضيت به الأمـم
أنقــذ فلســطين مــردوداً بهــا حــرم | عـلى ذويـه.. ومركـوزاً بهـا علـم
ولــب في جنبــات القــدس صــارخة | مـن قبـل أدركهـا في الـروم معتصـم
وطهــر البيــت مــن رجــس يلوثــه | ولــــن يطهـــــره إلا دم .. ودم
ولــــن يطهـــــره إلا مخـــــايرة | أن يعبـد الله .. أو أن يعبـد الصـنم
رب «لصهيون» عجل صيغ من ذهـب | ورب «مـوسي» كـألواح لـه رمـم

يـا منـتج الضربـات البكـر ينزلهـا | عـلى دهاقنـة عـن مثلهـا عقمـوا
أكــل يــوم جديــد أنــت مبدعــه | حتى كـأن لـيس في قاموسـك القـدم
جمعـت تسـعين مليونـاً كـما جمعـت | لبـد الليـوث عـلى أشـبالها أجـم
وصـغت مـن أنهـر شـتى وأخلجـة | بحـراً بمصـطخب الأمـواج يلـتطم
وصـنت بـالقوة الحـق الـذي دلفـت | تسـعون عامـاً عليـه وهـو يهتضـم
وذاك أن الحديــد الضــخم قارعــة | في مسـمع الـدهر عـما غيرهـا صـمم
أدر حبالــة رأي أنــت فاتلهــا | عـلى الخطـيرة تجمـع أمرهـا غـنم
وذوب الشـحم مـن كـبش الفـداء لهـا | ومـدعي الـنطح عنهـا يظهـر الـورم
يريـد صـد الحتـوف الحائقـات بهـم | وإن يكـن ثـم مـن حتـف لـه فهـم
وحـش تنمـر إذ طالـت أظـافره | واليوم يشـخص مشـحوذاً لهـا الجلـم
محمـق.. وبـأوج الفطنـة الأمـم | وشـائخ.. وشـباب حولـه نظـم
أجهـز عليـه يعنـك الشرق ينـتقم | والغـرب يـرزح.. والأهـواء تـرتطم

واستنفر اللعنات العاصفات به ... فإنهن جيوش ليس تنهزم
هناك في المشرق الأقصي له عنق ... تكاد بالقبضات الصفر تخترم
وفي يد المشرق الأدنى له ذنب ... يلوي وفي غده المحتوم يصطلم
وبين هذين أوساط مرجفة ... كما ترجف خوف الغارة اللجم
ذئب الحضارة ماذا أنت محتقب ... في يوم تمتحص الأوزار والتهم
أكل عار يعاف الكلب جيفته ... تلفى به ما يلذ الجائع النهم
أقوى من الموت في «صاروخك» الرجم ... للصارخين ومن أسطولك الحمم
« تيمور » قبلك في « بغداد » كان له ... من الجماجم في أسوارها هرم
هبك التبيع له فيما اصطلي وجنى ... فهل سوى أن يواري رجسك العدم

حلفاً « جمال » بقول رحت فاعله ... وقد يبر بفعل المقسم القسم
لو شئت صغت شواظ النار قافية ... تأتي على كل ما تلقي وتلتهم
لكن وجدتك كالفولاذ ضرمه ... طبع.. فلا يتمشى فوقه ضرم
فسرت نهجك تطغي عندي الكلم ... فأدريها فيثني سيلها العرم
نهنهتها عن دم تسقاه فالتظمت ... كالطفل عن صدر أم حين يفتطم

ويا « دمشق » سلام كلما سجعت ... في « الغوطتين » هتوف شفها نغم
منى على الربوات الخضر باكرها ... سقط الندي فحواشي نبتها عمم
على السفوح على الوديان ناعسة ... مشي بها من طيوف جمة حلم
على المصابيح من «غسان» أخلصها ... إلى العروبة ما نقت لها الشيم
أوفى النفوس مروءات فإن جرحوا ... ففي الأنوف على ذي غرة شمم

يا جبهة المجد.. يا قلبا.. ويا رئة ... في صدر كل عريب ما به سقم

لا تبرحن خيول الله زاحفة ... على عدوك تغشاه وينهزم

ولا تزل أريحيات منشرة ... يهب منها بيوم عابس نسم

ولا عدتك اليدان الثرتان ندى ... ومنعة.. نهجك الوضاح والديم

لا بد يومك آت يوم تردفه ... في عالم غير هذا العالم القيم

في يوم ما ثم موتور فينتقم ... في يوم تندثر الأحقاد والنقم

في يوم توزن أقدار لقيمتها ... لا الصلب يلغي ولا السفساف يغتنم

لابد يومك آت عن غد خضل ... وإن موعد يوم من وغد أمم

وأنت يا بن « زعين » أيها العلم ... يا من تحضنك « النيلان » والهرم

إني لأطريك عن علم.. وعن ثقة ... ولست ممن تماري عنده الكلم

سر في نضالك لا زلت بك القدم ... ولن تزل وبالإيمان تعتصم

صن «الثغور» فما انفكت أسنتها ... من قبل ألف بقلب « الشام » تلتدم

وذد عن الحق إن الحق منطقه ... حمي يفيء إليه العرب والعجم

بئس الدم المر حكما غير أن دماً ... يسعي إليك هو المحكوم والحكم

مشوا بباطلهم يبغون مصرعهم ... فإن سلمت على حق فلا سلموا

لك « النسور » فأطلقها غير شرف ... وخل تنحدر العقبان والرخم

وقل مقالة صدق غير مصطنع ... وطالما صانع الجهال من علموا

في « يثرب » حرم لله كعبته ... وفي « دمشق » لشرق زاحف حرم

***

أبا الفرسان

أبــا الفرســان إنــك في ضــميرى وذاك أعـــــز دار للحبيـــــب

وبي شـــوق إليـــك يهــز قلبـــي ويـــعصره فيخفـــق بالوجيـــب

وذكـــرك في فمـــي نغـــم مصــفي يرتـــل في الشروق وفي الغـــروب

ســــلام الله يعبـــق بـــالطيوب عـــلي ربـــع تحـــل بـــه خصـــيب

ثــــري بالمفـــاخر والمزايـــا تورثهـــا نجيـــب عـــن نجيـــب

أبـــا الفرســـان إن عقـــت ديـــار عقـــدت بهـــا شـــبابي بالمشـــيب

وذوبـــت الضـــلوع عـــلى ثراهـــا ولم أطلـــب بهـــا أجـــر المـــذيب

فـلا عجـب فقلبـي ضـقن ذرعـاً بخـــير النـــاس أحمـــد والحبيـــب

فـــذياك اســـتبيح دمـــا وعرضـــا وذاك قضي بهـــا نحـــب الغريـــب

وســـيم البحـــتري الهـــون فيهـــا وغـــص بـــحسرة الـــترب الحريـــب

عـــلى حـــين اســـتباح الغـــر فيهـــا بقايـــا الســـيف والســـلب الجليـــب

أبـــا الفرســـان لاعجـــب فإنـــا نـــؤدي فديـــة البلـــد العجيـــب

***

إيه بيروت

مــن جديــد شــممت عطــرك ينــدى وتحينـــت مـــن لقائـــك وعـــدا

وترامــيت فــوق صـــدرك ظمآنـــاً لـــورد منيتـــه ظـــل يصـــدي

مـــا تســـني.. فـــرد عنـــه حســـيراً وتســـني نبـــع ســـواه فـــردا

مـــن جديـــد وكـــل حـــب دفـــين ينكـــئ القـــرح منـــه أن يســـتجدا

مـن جديـد يقـر منـي خفـوق ... يتنـزى بـين الأضـالع وجـدا
عـاثر الجـد لا تبلغـه النـزوة ... أطماحـه ولا حـه ولا هـو يهـدا
ظـل عشرين حجـة عـاري الـروح ... بـما تخلعينـه.. يـتردى
الليـالي تـنسي.. ومـا انفـك يقظـان ... الليـالي مـن ذكريـات تـؤدي
سـمة الواجـد المدلـه حبـاً ... يقـرب الشـوق منـه مـا ازداد بعـدا
عقلـه للجنـون نـد.. تعـالى الحـب ... شـأنا عـن أن يـرى العقـل نـدا

يـا ابنـة الـدهر لم يعبهـا شـبابا ... إن مشـت بالعصـور جـداً فجـدا
مرحبـا بـالطيوف تزجـي ... وبالأشـباح تـتري وبـاللواعج تهـدا
إي ومـوج مـن سـاحليك مثـير ... كاشـف لبـة وصـدراً ونهـدا
قلبلة الشمس فوقه تنطف الـدفء ... ولمـح النجـوم يرجـف بـردا
وشراع حنـا عليـه مسـيح ... يمسـح الـيم ريـث يهـدي ويهـدي
صـدقيني إني أفجـر وحيـا ... حجـرا مـن جبالـك الخضر صـلدا
وأهـز الألـواح ألقـط همسـاً ... مـن شـفاه النـدى وأحضـن قـدا

إيـه بـيروت والقصـيد عـروق ... يتفجـرن بالأحاسـيس فصـدا
تسحق الدمع بسمة.. ويهز الجرح ... جـرح ويسـمح الحـزن خـدا
يتساقي بالضوء عطر..ويندلح على ... الغيمـة ظـل ويفسـح العمـق بعـدا
ثـم ينسـبن لا يـبن مـن الرقـة ... حتـي لشـبه الضـد ضـدا
كـرم الحـرف آهـة تتلظـي ... فـوق طـرس ودمعـة تتبـدى
كـم تصـدي لنازفـات جـراح ... فتبنـي لهـا الضـماد فشـدا

يا ابنة الدهر نحن مهما اصطنعنا ... وشم حرية فنحن العبدى

نحن ألعوبة بكف الليالي ... وكرات برجل طفل تدهدي
إيه بيروت ما الشكاة بعيب ... إذ تكون الشكاة عتبا وودا
أنا قيثارة تغنيك لا تطلب ... أن ترهفي السمع حمدا
وإليك الخيار أن يتناسي ... وتر لم يشد أو أن يشدا
أنا بيروت قطعة من أديم ... عربي دماً ولحماً وجلدا

أولد الضاد ضيغماً.. ودعي ... ابن تسعين يمسخ القاف قردا
لي ما بين دجلة وفرات ... ألف بيت ملحم ومسدي
ألف قبر كما انتظمت بحوراً ... أو نسجت الموشي بردا فبردا
منذ خمسين والقوافي تشق ... الدرب وعرا.. تهدي المضلين نجدا
كل قطر في العرس منه وفى المأتم ... شعر به بناح ويشدي
صامد.. والمنيف يهوو ... وذو الإيمان يرتد.. والمقاييس تردى
والموازين شلن ما هو أجدى ... وترجحن بالذي هو أكدى
تزرع الخير راحتاي وأجني الشوك ... والوخز والحزازات حصدا
وشرورا نشرت عفوا هباء ... وجنى الزهر ناثر الشوك قصدا
أنا مذ سد ذو القرابة في وجهي ... بابا لم آلف عنه مسدا
رحت ضيفا لأمة لم تلدني ... كنت فيها الأعز أهلا وولدا

علمتني أن المروءات والنخوة ... والمكرمات تعدى وتعدى
تتمي الكريم خالاً وجداً ... وتعد اللئيم خصماً ألدا

وتــرى المــرء مــا يكــون نبـيلاً ... بربًّــرا كــان نجــره أو معــدا

علمتنـــي ألا أرى أمـــس غـــنماً ... أو أعــد اللحــد الــتراث المفــدي

وهــدتني أن أصــطفى بعــد قــبلاً ... ونهتنـــي أن أرتضي قبـــل بعـــدا

قلـــت للآثـــم المعقـــد عرقـــاً ... يتحـــرى العـــروق شـــتما ونقــدا

أرج الخلـــق عطـــره وشـــذاه ... أيهـــا المســـخ لا تشـــوهه عمــدا

كم تسوم الأصلاب جمعا وطرحاً ... وتضــم الأجنــاس عكســاً وطــردا

كــبُرَ الكــونُ أن يُجــارى ولكــن ... صــغر الكــون وحــدة أن يحــدا

مــا أقــل المســاف أن تنـزع الرقـة ... عنفـــا.. ويـــزرع الحقـــد ودا

أيهـا الصـادح المضارح في الروضـة ... عشـــا.. لـــه مـــراح ومغـــدى

لــك منــي بــث المبــارح وكــرا ... يســـأ مـــن ظلالـــه أن تمـــدا

لـــيس يـــدري أليلـــه يـــتعشي ... لحمـــه أم غـــدٌ بـــه يتغـــذى

صوحت أيكتي.. وهبت أعاصير ... عليهـــا.. تلـــوي أفـــانين ملـــدا

وتعـــرت أغصـــانها غـــير بقيـــا ... ورق عـــد بالأصـــابع عـــدا

إيـــه بـــيروت والمشـــاعر نســـج ... تقتضـــيني الخـــيط الأرق الأشـــدا

لســـت بالصـــائغ الـــذي يتنقـــي ... مـــا يـــوازي رواء جيـــدك عقـــدا

وكفـى الشـعر مفخـراً حـين يعيـا ... بالأســـاليب.. أن يحـــاز المـــؤدى

أنـــا بـــيروت إن طلبـــت محطـــاً ... عنـد أهـلي ،فلسـت أطلـب رفـدا

غـــيرك الشـــالمون منـــي فرنـــدا ... فلتكـــوني غمـــدا يضـــم الفرنـــدا

طاف بي أمس من رؤي الغيب طيف ... يتصـــدي .. كشـــامت يتحـــدى

قـــال لي والصـــدي يوشـــوش في سمعي كصوت النعي لم يلق ردا

لم تخـير مهـدا فهــل أنــت حــر يــا ابــن ســبعين أن تخـير لحـدا

يــا رعــي الله أربعــاً جلــت فيهــا أنــبش الــذكريات عهــدا فعهــدا

نكرتنــي والشــيب يــثلج رأسي برهــا هــن جمــرة العــيش مــردا

ونفوســاً مــن نطفــة المــزن أصــفي ووجوهــاً مــن دمعــة الفجــر أنــدى

الميــــامين يمحضــــونك ودا لا مشـــوبا نـــزراً.. ولا مســـتردا

ليــت مــا ظــل مــن سـني يــوفي حمــد مــا لا أطيــق شــكراً وحمــدا

***

من بريد الغربة

أطياف وأشباح

ســهرت وطــال شــوقي للعــراق وهـــل يـــدنو بعيـــد باشـــتياق

وهـــل يـدنيك أنـــك غـــير ســـال هـــواك وأن جفنـــك غـــير راقـــي

ومـــا لـــيلي هنـــا أرق لـــديغ ولا لـــيلي هنـــاك بســـحر راقـــي

ولكــــن تربــــة تجفــــو وتحلــــو كــــما حلــــت المعــــاطن للنيــــاق

بكيـت عـلى الشـباب وقـد تـولى كمـــن يبكـــي عـــلى قـــدح مـــراق

وعاتبــت الصــبا فمشــت طيــوف أعـــــارتني إليــــه عـــــلى وفــــاق

وليــل مــوحش الجنبــات داج شــتيم الوجــه مســود الــرواق

أشــد إلى النجــوم بــه كــأني وإيـــاهن نرســـف في وثـــاق

كــأن بروجهــا حبــك دلاص مــزردة تعــز عــلى اخــتراق

كــأن مخــارق الأجــواء فيــه ... حفيـف البـوم يـؤذن بالزعــاق

كــأن مطارقــا خفقــات دوح ... ولحــن جنــائز رجــع الســواقي

تمنطــق بــالنجوم وراح يهــوي ... بحضــن الفجــر محلــول النطــاق

وغطــت جنبتــه فضــاق ذرعــاً ... خــروق يمتــنعن عــلى رتــاق

ألقــط منــه أصــداء كــأني ... ألــص السـمع فيهــا باســتراق

أفلــق صــخرة فتضــعن أخــرى ... مصــلدة تشــق عــلى انفــلاق

وتغشــو الــذكريات كــما تغشــت ... ضــبابات الــرؤى نــزع السـياق

تطــاردني وألحقهــا دراكــا ... وتســبقني فــأطمع باللحــاق

ورحــت أعــبهن فــلا أبــالي ... أعــن شــبم أصــادي أم ذعــاق

أحبتــي الــذين بــما أمنــي ... بلقيــاهم أهــون مــا ألاقــي

أري الــدنيا بهــم فــإذا تخلــوا ... فهــم دنيــاي تــؤذن بــافتراق

ســلاما كالمدامــة في اصــطفاق ... ودغدغــة النســيم عــلى ارتفــاق

وشــوقاً يســتطار إلى ازديــار ... وعــذار يســتماح عــن اعتيــاق

وإني والشــجاعة في طبــع ... جبــان في منازلــة الفــراق

ولي نفســان طــائرة شــعاعا ... وأخــري تســتهين بــما تلاقــي

أقــول لهــا خــدرت ولانــت ... تحــدي مــن يريــدك أن تُعــاقي

وشــدي مــن حنانــك للرزايــا ... وســوقيه لهــن.. ولاتســاقي

فــلا مــن خاضــها كرهــا بنــاج ... ولامــن خافهــا جبنــاً بــباقى

بنـي الربـع المضيء وعلي الـدياجي ... ومحتضــن الشــدائد بالعنــاق

أبــــثكم شـــــكاة أتقيهــــا فتصرعنــي وتمسـك مــن خنــاقي
أغمـــزا في قنـــاتي مـــن عـــداة تناهشـــني وصـــمتاً مـــن رفــاقي
ولهـــواً في التنـــدر مـــن جراحـــي تلهـــي الطفـــل بـــالكسر الـــدقاق
ومـــا قـــدر الـــيراع إذا تمـــادي يحـــاشي في المـــآزق.. أو يتـــاقي
وكنـــت الخـــل لا أســـتام خـــلا ولا لي في التقـــايض مـــن خـــلاق
أصـــون لـــواعجي عمـــن أســـاقي وأكـــرع مـــن لـــواعج مـــن يســـاقي

حلفـــت بمـــن أســـال الشـــعر نبعـــاً لرقتـــــه.. ولحنــــاً في الســـــواقي
ومـــن ســـواه زغـــردة هتوفـــا عـــلى شـــفة.. ودمعـــاً في المـــآقي
لاصـــطبحن مـــن عســـل وخمـــر همـــا فضـــح المنـــافق والنفـــاق
واغتـــبقن مـــن ثقـــة بـــنفسي ومـــن طهـــر اصـــطباحي واغتبـــاقي
صـــببت عـــلى العتـــاة شـــواظ نـــار تعـــود بهـــا الصـــفاة إلى احـــتراق
ونفضـــت الســـواد عـــلى وجـــوه مصـــبغة اللحـــى بـــدم مـــراق
مشـــهرة بأســـلاف مـــواض ومخزيـــة لأخـــلاف بـــواقي
وكـــان المـــوت في أجـــل متـــاح وكـــن المـــوت في أجـــل معـــاق

ومنغـــول مـــن « التاتـــار » وغـــد تراضـــع والوغـــادة مـــن فـــواق
إلى « يمـــن » إلى « حلـــب » تســـمى إلى « مصر » إلى درب الزقـــــاق
وكـــل ضـــاق بالملصـــوق ذرعـــاً وأي فيـــه مـــدعاة التصـــاق؟
أوجـــه القـــرد.. أم خلـــق البغايـــا أم النعـــرات . أم نـــذر الشـــقاق ؟
أم النســـب المؤثـــل بالمخـــازي أم الحســـب المسلســـل في ربـــاق

ولما حمت الأقدار ألقت ... به جيف البطون إلى العراق
يطلق من مذاهبه.. ويعفي ... مواهبه.. ويعبث بالصداق
ويجمع حوله سفلا تلاقي ... كما التقت الخفاف على الطراق
غزاة من بني «عثمان» ألقت ... لها أرحام ود واعتلاق
عبدي لا يريدون انعتاقا ... وأطماح العبيد إلى انعتاق
فهم يتمازجون وكل سبى ... لقاح من سباياهم لفاق
وهم يتذوقون بما طهوه ... فضالة فجرة عفن المذاق
زنامى يعطفون على زنيم ... كما عطف الجناس على الطباق
كلاب الصيد يطلقها دني ... على الأشراف تنهش من تلاقي
لعنت « شيوخ لندن » من غواة ... صناع في محايلة حذاق

يسوقون الرذيلة في دروب ... معماة على جنف المساق
وما برح العراق محك صبر ... يطاف بأرضه غير المطاق
كأن غرائب الدنيا تنادت ... علي وعد لديه بالتلاقي
تحضن شطه سم الأفاعي ... على ما فيه من عذب عذاق
ولم يعدم صقيق فيه ظلا ... يفيء من الوجوه به الصفاق
ولا سوق « البضائع » من شراة ... ولا سوء الرفاقة من رفاق
وكم لمت ببغداد ضروب ... شتائت لم تجمع في نطاق
وكم حنيت على لفق عجاب ... غلاظ عبر أنسجة رقاق
تنافر في طبائعهن خلقاً ... وهن المرغمات على اتفاق
فمن متفرجين على الضحايا ... كأنهم هواة في سباق

يهـون عـلى مسـامعهم لهـاث | لمحتربـين في نـزع السـياق
ومنتفخـين أوداجـاً غـروراً | يكـاد بهـم يـؤول إلى اختنـاق
يسـومون الجمـوع كـما تعـاطى | صـيارفة بمتجـر الـوراق
وبيـنهم يشـق الـدرب جيـلٌ | كضـوء الفجـر يـؤذن بانبثـاق
كفـوراً بالرواسـب والنفايـا | حفـي بانبعـاث وانطـلاق

تشـكي الضـاد لكنـة أعجمـي | كـما الـتكن الغـراب بغـاق غـاق
يخـور إذا تـراطن مثـل ثـور | غلاصـمة تشـد عـلى التراقـي
إلى الفصـحى يـدب بترجمـان | ويحكـم في مشـاكلها الـدقاق
وضـج المنكـرون عـداد بغـل | نفـي العـرق في الخيـل العتـاق

بجـيش الأجنبـي سـبي أبـوه | بـ« صـنعاء » الأرامـل في وثـاق
ولم يفلـت عـلى « الفيجـاء » حيـا | أخـوه ولا وقـاه المـوت واقـى
أفـالآن العروبـة في يديـه | زجـاج سـلافة وكـؤوس سـاقي
فـلا شـلت يـد جـذت عروقـاً | مجذمـة الأوازم والعـراق
يـد العـربي حقـا لا هِجانـاً | مخيسـة وتعـرض في حقـاق
ولا جلـت المغاسـل منـه وجهـاً | ولا حـوت المقـابر عظـم سـاق

وتمثـال لمـرذول خسـيس | بـه وجـه الفضـيلة في محـاق
أتكـريم لمنغلـة ورجـس | وتفرقـة.. وكـذب.. واخـتلاق؟
أم اهتضـمت مقـاييس فسـفت | أم انـزوت المصـاعد والمراقـي ؟
أتطـرد المحاسـن والمسـاوي | سواسـية.. وتـدرج في سـياق؟

***

إليك أخي جعفر

دبت عليك زواحف الأعوام وبرئت من جرح.. وجرحي دامي

وبرئت من هزء الحياة ببعضها وتضاحك الأيام بالأيام

عشرون !! طالت حيث مرت قبلها خمسون وهي قصيرة الأرقام

شوهاء غصت بالفظائع كأسها وأمرهن فظاعة الأوهام

وتناثرت كسراً على أعتابها ما صاغت الأحلام من أصنام

من ذا يصدق إن يومي عندها شهر وشهري قيدهن بعام

أمدمراً عيشي.. وواهب عزتي لأذلة.. وكرامتي للئام

ومحيل أطيافي ذئاباً ترتعي لحمي وتشبع من صميم عظامي

ومذيل أطماح النسور مهاويا وشموخهن لعفرة ورغام

أدعو عليك دعاء معذر نفسه بسواه فيما استن من آثام

أدعو عليك بأن تعود فتستقي من طعم كأسي ما يعاف الظامى

لاهم هبني ما يروي قصتي للطفل يرضع أو بعيد فطام

***

براغ أو حواء

أطلت الشوط من عمري أطال الله من عمرك

ولا بلغت بالشر ولا بالسوء من خبرك

حسوت الخمر من نهرك وذقت الحلو من ثمرك

وغنتني صوادحك النشاوي   من ندي سحرك

ولم يبرح على الظل   بعد الظل من شجرك

كلا حاليك عشتهما   قرير العين في سررك

ففي الإمساء من خفرك   وفي الإصباح من خدرك

كأن تنابز القبلات   خفق من صدي سمرك

وأحلاماً مهومة   غلالات لمؤتزرك

وأعين أنجم حيرى   بها عوز إلى حورك

ألا يا مزهر الخلد   تغني الدهر في وترك

ويا أمثولة اللطف   مشت دنيا على أثرك

ذكا في تربك العطر   ودب السحر في حجرك

فلو صيغت دنا أخرى   لما كانت سوى كسرك

ولو إن المنى خمر   لكانت سؤر معتصرك

ولو صورت كان الخلق   والإبداع من أطرك

وقائلة: لقد غالت   دعاة السوء في ضجرك

وأنك تنشد الدنيا   منزلة على فكرك

وأطباع الورى حللا   موشاة على قدرك

ملول النفس.. في سمعك   رجات .. وفي بصرك

وأنك في التطامن تنقض   المأثور عن خطرك

تخاف «النار» من شررك   وتنبو العين عن خورك

وتعيـــي الفكـــر مرقاتـــك — إن قيســـت بمنحـــدرك
جـــري مثـــل بمصـــطبرك — وآخـــر ســـار في بطـــرك
وهـــذا أنـــت منســـجم — مـــع الألـــوان في صـــورك
رضي البـــال في حلـــك — حلـــو السـجع في ســـفرك
تغنـــي الخلـــد مرتفقـــاً — وأنـــت تخـــال في ســـقرك
وتهـــدي «الخـــز» مـــن وبـــرك — وتســـقي الشـــهد مـــن إبـــرك
أحـــر مـــن الصـــبا وهجـــا — ثلـــيج الشـــيب في شـــعرك
وألطـــف مـــن ســـنا صـــفو — شـــفيف الغـــيم مـــن كـــدرك
فســـبحان الـــذي ســـوى — حجولـــك ملتقـــى غـــررك

أقـــول لهـــا : وهـــل وطـــري — فـــديت ينـــال مـــن وطـــرك
أوردك كـــان عـــن صـــدري — أوردي كـــان عـــن صـــدرك
أنفعـــك كـــان مـــن ضرري — أنفعـــي كـــان مـــن ضررك
أإمـــا كنـــت مـــن نظـــرى — أإمـــا كنـــت مـــن نظـــرك
ألم تـــك صـــورة أخـــري — مواســـطة بمقتـــدرك
هبيـــك البحـــر .. تيـــارك — مشـــدود بمـــنحسرك
ألـــيس لـــه « كواســـجه » — ألـــيس بـــه ســـوي دررك
فـــديتك إننـــي فـــيما — أبـــدل غـــير منتظـــرك
مشـــيت عـــلى خطـــي عـــبري — فظـــلي أنـــت في عـــبرك
أذنبـــي أن تختـــبري — هـــداني غـــير مختـــبرك
وأني عشـــت مجتمعـــاً — آمنـــت بـــه .. عـــلى حـــذرك

لقد نقلت من نظري فجاء بغير ما نظرك
هلمي خالطي بشري تفري أنست من بشرك

***

الفداء والدم

جل الفداء وجل الخلد صاحبه ضاق الفضاء وما ضاقت مذاهبه
لون من الخلق والإبداع يحسنه خلق تصاغ جديدات رغائبه
وذروة من سماح لأكفاء لها إلا مطامح من عزت مطالبه
في الفدى من جبروت الليل رهبته وعنده من ضحاياه كواكبه
يتلوه رأد الضحي شفعاً وتقدمه من روعة الفجر زحافاً مواكبه
جل الفداء وإن ضجت مآتمه على الشهيد وإن رنت نوادبه
إن الزمازم في الدنيا لمصرعه صدي الزمازم صبتها كتائبه
جل الفداء فما ينفك مأربة لكل مستبسل أعيت مآربه
وبورك الدرب مسحوراً بتيهٍ به نكس، ويحتضن الصنديد لاحبة
درب الخلود بليلات لوافحه على الفداة وجنات سباسبه

حوي النضال فسيحاً ما به غلق ولا بمائعة رخواً رحائبه
على حفافيه من شعب مصايره وبين جنبيه من أمر عواقبه
من عهد آدم والدنيا تلوذ به تعلى مرافهها الجلي متاعبه
يمشي الكمي على إثر الكمي به للخلد سيان ناجيه وعاطبه
ويستجد البناة الصيد تلهمهم غرائب الفكر.. خلاقا.. غرائبه

مـدي الأبيـد وأبـدان تنادمـه — نضـح الـدماء.. وأذهـان تسـاكبه
ينـيره بشـعاع الفكـر مسرجـه — ويهتـدي بسراج منـه خاضـبه
ومـا يـزال الغـد المنشـود في يـده — يقـاس بالحـاضر المشـهود غائبـه

غادي ثـراك ابـن «ياسين» وراوحـه — مـن الغـمام ملـث القطـر صـائبه
صنع السماء وعند الأرض صنعتها — دم الشـباب ملثـات سـحائبه
يسـقي ضريحـك لا ينفـك دائبـه — عـن الضـجيج.. ولا يصـطك ذائبـه
سـبحان مـن بـدل الـدنيا وسـاكنها — لقـد مشـت خببـا فينـا عجائبـه
كـان الكـريم يـوفي النـذر منتحيـا — قـبر الكـريم عقـيرات نجائبـه
تصـاعدت همـم للفـدي واستبقت — مراتـب النفـر الفـادي مراتبـه
وفي لأمتـه نـذرا.. مفجـرة — نحـوره.. وخضـيبات ترائبـه
ويا صحابة «صبحي» جهزوا زمراً — مـنكم إلى المـلأ الأعـلى تصـاحبه
غن الفراديس ملقي كل ذي شرف — طهـر الملائـك أرحـام تناسـبه
غـر الجبـاه عـلى الغـبراء تسرجهـا — مـرج المـروءات ضـوته حباحبـه
تسربلـوا رملـة الـوادي يحـنطهم — نسـيمه وتـواريهم مسـاحبه
وأسـلموا حشرجـات جـد هائنـة — إن الـذي وهبـوه الجـرح عاصـبه
ذابـوا عـلى شـفة منـه مصـارعهم — فيـه بحيـث أظلـتهم ملاعبـه
ومسـهم حلـم غـاف وعـانقهم — طيـف بآرامـه تحكـي كواعبـه
ونفض الرعـب عـن أجفـان محتضر — ظـل لواحـة زيتـون يداعبـه
ولمـح «بيـارة» لم يـدن رائعـه — حتـى انثنـي كرفيـف المـوت شـاحبه
يا روعـة البحـر قـد جاشـت غواربـه — مـن بعـد مـا لان وانـداحت جوانبـه

تفجرت جنبات الليل عن نغم ... حلو كرجع صدى الأحلام ثائبه

ناغي «بفتح» و«تحرير» وعاصفة ... كما تناغي أخا وجد حبائبه

وخلتني مرهفا سمعا لأنجية ... في المشرقين.. مرنات.. تجاوبه

مرحى شباب فلسطين به مرح ... مع الردى فهو ساقيه وشاربه

مرحي لمستبقين الدهر أزعجهم ... مطاله وأملته ركائبه

يلوي ظنونهم شهر وقابله ... ويمتري صبرهم عام وعاقبه

مسمرين على وعد بلا كنف ... من ضامنيه.. ولا حول يصاقبه

مالت بهم صهوات اليأس عن أمل ... جب السنام به واجتث غاربه

كانت حلول وها أنتم فرائسها ... وكان « حلم » وها أنتم ضرائبه

ويا شباباً كطهر الفجر سيرته ... وكالسحاب نقيات نقائبه

ممن تبناه « غسان » وسامره ... وذو النعيمين «نعمان» وحاجبه

لا تخذلوا «فتح» عن ضيق وعن سعة ... فيما يراضيه أو فيما يغاضبه

ولا يعل بكم وهم فثم غد ... يحصي الحساب وتاريخ يحاسبه

ولا يزحزحكم خلف ولا جنف ... عن موقف أعين الدنيا تراقبه

فليس بين طواعين وأوبئة ... مثل الشقاق إذا دبت عقاربه

ويا فتي الحي مازج تربه بدم ... كما يمازج صرف الراح قاطبه

ولا تثق بوعود ما استجيش بها ... جيش لقوم ولا نصر يواكبه

ولا بسرب دعاوات يخال بها ... سرب اللقالق مزجاة صواخبه

ملت من النغم الواهي مثالثه ... وعافت الوتر الجافي مضاربه

وهان خطب لو اختصت صوادحه ... بما تغني.. ولم تنعب نواعبه

فمـدعي شـاءه جهـلا صـوادقه غـير الـذي شـاءه علـما كواذبـه
أبـا الحوار يـود الغـم غانمـه أو يرجـع البلـد المغصـوب غاصبه
أم أنـت تطمـع أن يكفيـك مذأبـة غشـيانك الـذئب بالحسـني تعاتبـه
أو أن يزحـزح وحـش عـن فريسته بـأن تمسـح بـالزلفي مخالبـه
أم يستوي منجـز وعـداً وزاعمـه وغاسـل بـدم عـارا وشـاجبه
قـد آن للحـق أن تشـتد غضـبته حتـى يخـر عـلى الأعتـاب سـالبه
وحـان للـوطن اجتيحـت سـلامته أن يصـفع السـلم رعديـداً محاربـه
دع مشرق الشـمس للـدنيا يغازلهـا فقـد دجـت عربيـات مغاربـه
سـني الصـباح جبـين أنـت عـافره ومطلـع الشـمس درب أنـت راكبـه
لم يبـق إلا الـدم الوهـاج تنضـحه عـلى ظلامـك كـي تجـلي غياهبـه
أقـول للقعـدد المهـزول أضـمره هوانـه وهـوى للـذل جانبـه
ذق من «خوان» الردي تسمنك عزته وأقحمـه تعصـمك مـن ذل أطايبـه
ولا تـروع بسـيماه فـإن بـه غيظـا عـلى ناشـد حقـا يجانبـه
يغـري الشـجاع بإصـحار تيقنـه أن الجبـان خبيئـات معاطبـه
يحيا مع الموت عند الموت مرتغب فيـه.. ويحيـاه طـول الـدهر راهبـه

أقسـمت بالـدم عملاقـاً فـلا زيـغ في مشـيتيه ولا عـوج مناكبـه
تحمـل الـوزر ألـوي عنـه وازره وعافـه خذنـه.. وانسـل صـاحبه
لخـير يوميـك يـوم تسـترد بـه مـن كـف أمسـك مجـداً فـات ذاهبـه
يوم دحضـت بـه عـاراً.. وصـنت بـه غـدا، وأدركـت ثـأراً عـز طالبـه
سل الطواغيت هـل مـن غالـب أشر إلا وهـذا الـدم المغلـوب غالبـه

يزعــزع الثقــة العميــاء ســاربه ... كـما يزعــزع جـذر الـدوح ضـاربه
ومــا المفـــاداة سر إنهـــا خطـــر ... هانـــت عــلى يــد مقــدام مصــاعبه
إن المشـــيع مدتــــه عزائمـــــه ... مثـــل المحنـــك أغنتــــه تجاربــــه
يا صادق الفجر زعزع أعيناً غفيت ... فقــد تقــرحن ممــا طــال كاذبــه
وأنت يا جمرة الحرف التي نضجت ... أم الكتــاب بــها تــوحي وكاتبــه
كــوني لي العــون في خطـب أكابـده ... ونجــدة الغــوث في خلــق أخاطبــه
فقـد تكتمـت حتـى لـج منفجـراً ... بي الضــمير وحتــى ضـج صــاخبه
خمســون عاشــت فلســطيناً ومحنتهــا ... كــما يعــيش قتــاد الشــوك حاطبــه
نضــوى عــلى قــدر مــا نغشــى مآدبهــا ... إن اللئيمــة تضــوي مــن تــؤاد بــه
مــن وعــد بلفــور « زقومــا » نطاعمــه ... حتــى حزيــران « غســلينا » نشــاربه

وتــائهين تهــين الشــمس عــريتهم ... ويحســـد الليـــل إذ ترخـــي ذوائبـــه
صرعـــى الخيـــام ملايـــين ممزقـــة ... كنســـجنهن الـــذي راحـــت تجاذبـــه
تجبــي لهــا الصــدقات المــر مطعمهــا ... مــرأى ومســمع مــن راقــت مشــاربه
وحـــــولهن ملايـــــين مكدســـــة ... كــالإثم ضــوعف لايحصــيه حاســبه
ما أوقح الورق الدينار كم شمخت ... عـــلى مناصـــب حاويـــه مناصـــبه
هــذا الأديــم ســيخزي منــه وادعــه ... حتــى يصــب عليــه اللعــن غاضــبه
يــا ويــح مــا ســوف تلقــاه مخنثــة ... مـــن القصـــور إذا ثـــارت زرائبـــه
لســوف يحقــب مــن عــار ومــن ضعــة ... مـــن راح أمـــس مليئـــات حقائبـــه
يــا قائــد « الفــتح » يســتذري بنبعتــه ... نبـــع الفـــداء وترعـــاه مواهبـــه
نــد مــع المــوت غضــبانا ينــاجزه ... وجهـــاً لوجهـــة كجـــلاد يناصـــبه

يلقي الحديد بأضلاع يفجرها حقد يذيب شبا الفولاذ لاهبه

يهتز الجرح تلو الجرح يحمله كالسيف يعتز إن فلت مضاربه

يا واهب المجد أعراقاً يفصدها أغلي من المجد كنز أنت واهبه

وجالب النصر عن صبر وعن ثقة والنصر من هو إلا النصر جالبه

أثني عليك بما يثني على بطل نبع البطولات أشباه مساربه

وماعسى يبلغ المنطيق من رجل اسمي وأبلغ من نطق مناقبه

بل لو نثرت النجوم الزهر أعوزني نجم يوفيك حق القول ثاقبه

يا قائد « الفتح » إن النفس مرسلة كالطير تترى مراسيلاً عصائبه

وأصدق الشعر ما هبت نسائمه من الضمير وما شبت لواهبه

وخير من قيض للنجوي أخو ألم ندب أراح عليه الهم عازبه

أفرغت روحي في الأرواح أمحضها بثاً صراحاً.. وشر البث رائبه

أشكو إليك تضاعيفاً بمجتمع على محاسنه أربت معايبه

ما إن تزال به الأعباء جاثمة على القليل إذا نابت نوائبه

شط المساف أقاد نفسه كرماً ومفتداة بأهليه مكاسبه

وصاهر في جحيم الناس مهجته طاوي المصير على الضراء ساغبه

وإمعات فلا زرع وزارعه هم لديهم ولا ضرع وحالبه

تباعد الموت إشفاقاً وبدمغها شر من الموت إذلال تقاربه

وناسجون من الأحلام أردية كل تجلبب منها ما يناسبه

ومنطوون:علاليهم صوامعهم ليت البديل بهم دير وراهبه

نعم الرهان اصطلي بالعار خاسره ... وانصاع معتمراً بالغار كاسبه
يا قائد « الفتح » لم أهدف إلى شعب ... وأنت عندك من هم شواعبه
لكنها نفثات يستراح بها ... وقد تعينك في هم جوالبه

يا قائد « الفتح » ما فتح بلا تعب ... مهر الطماح إلى العليا متاعبه
مالذة الدرب معموراً تسايره ... وقيمة الأمر مسوراً تطالبه
يا قائد « الفتح » والدنيا إلى صعد ... والفكر يستبق الغايات دائبه
وربما ازدهرت غناء وارفة ... غدا من القمر النائي خرائبه
تمايز الكون عن كون طبائعه ... وتفرق الجيل من جيل ضرائبه
سيدرك ابن غد عزما ومقدرة ... ما نحن عن خور فينا نجانبه
فطالما جب عهد وزر سابقه ... كما نفي الغلط المفضوح شاطبه
وقد تؤنب أسلافاً خلائفها ... كما تؤنب طفلاً أو تعاقبه
سيسفر الغد خلته شوائبه ... مثل الجمام انتفت عنه شوائبه
سيحفز الجيل أجيال تسابقه ... كما تطاعن قرناً أو تضاربه
لسوف تحدوه للمغني نواشطه ... وإن ترامت طليحات لواغبه
وسوف ينجاب كالإصباح مقتبل ... هذي الضحايا عزيزات جوائبه
ما أبعد اليوم عن غر يجانبه ... وأقرب الغد من واع يواثبه

***

أرح ركابك

أرح ركابك من أين ومن عثر ... كفاك جيلان محمولاً على خطر
كفاك موحش درب رحت تقطعه ... كأن مغبره ليل بلا سحر

ويا أخا الطير في ورد وفي صدر ... في كل يوم له عش على شجر
عريان يحمل منقاراً وأجنحة ... أخف ما لم من زاد أخو سفر
بحسب نفسك ما تعيا النفوس به ... من فرط منطلق أو فرط منحدر
أناشد أنت حتفاً صنع منتحر ... أم شابك.. أنت مغتراً يد القدر
أم راكب متن نكباء مطوحة ... تري بديلا بها عن ناعم السرر
خفض جناجيك لا تهزأ بعاصفة ... طوى لها النسر كشحيه فلم يطر
ألفي له عبرة في جؤجؤ خضب ... من غيره.. وجناح منه منكسر

يا صورة الوطن المهديك معرضه ... أشجى وأبهج ما فيه من الصور
غيومه وانبلاج الشمس والقمر ... وقيظه وانثلاج الليل والسحر
وما يثير الدم الغافي بتربته ... من صحوة الحقد أو من غفوة الحذر
والعبقريات لم تنهض ولم تثر ... والتضحيات توالي عن دم هدر
والناذرين نفوسا كلها ثمر ... والناهزين لما يجني من الثمر
والزندقات وإيمان التُقاة وما ... أجلت مذاهبه عن زحمة الفكر
يا صورة الوطن انصبت معالمها ... على معالم ما أبقت يد العصر
تلاحم الضوء في عطر وفي نغم ... منها أصيل.. فلم تنسخ ولم تعر
أعطيت أنفس كنز من نقائضها ... فكن رقيباً عليها غاية العمر
طِر ماااستطعت مطاراً عن نقائصها ... وعن مرافعها الجلي فزد وطر
وكن فخوراً بما أعطيت من دمه ... على الحجول وفي الأوضاح والغرر
فإن تحداك من عليائه ملك ... يزهو عليك.. فقل إني من البشر

يا سامر الحي بي شوق يرمضني ... إلى اللدات إلى النجوى.. إلى السمر

يا سامر الحي بي داء من الضجر | عاصاه حتى رنين الكأس والوتر
لا أدعي سهر العشاق يشبعهم | يا سامر الحي بي جوع إلى السهر
يا سامر الحي حتى الهم من دأب | عليه آب إلى ضرب من الخدر
خلاف ماابتدعت للخمر من صور | وجدتها وزاد عجلان ومنتظر
كأن في الحبب المرتج مفترقا | من الطريق على ساه ومدكر
يا سامر الحي إن الدهر ذو عجب | أعيت مذاهبه الجلي على الفكر
كأن نعماءه حبلي بأبؤسه | من ساعة الصفو تأتي ساعة الكدر
تندس في النشوات الخمس عائذة | هذي فتدركها الأخري على الأثر
ينغص العيش أن الموت يدركه | فنحن نم ذين بين الناب والظفر
والعمر كالليل نحييه مغالطة | يشكى من الطول أو يشكى من القصر
ويا صحابي وللفصحي حلاوتها | لا تنكروا ناقلاً تمراً إلى هجر
أني ثوي ذو طماح فهو مغترب | في دارة الشمس.. أو في هالة القمر
سبع توهمتها سبعين لا كدراً | لكن لحاجتها القصوى إلى الكدر
ناشدتكم بعيون الشعر لا رمداً | شكت.. ولم تكتحل يوماً سوى الحور
هل عندكم خبر عن قرب ملتحم | أو وشك معترك أو قرب مشتجر
فذاك والله عندي أصدق الخبر | إني أقايض فيه النفع بالضرر
كم أرصد الموت أدرى أنه رصد | إن كان في الموت من فخر لمفتخر
سبحان ربك رب المرء يخلقه | صلصالة وهو من نار ومن شرر
أذنبه أنه لو قيد محتفظا | إلى النعيم تخطاه إلى سقر

ويا ملاعب أترابي بمنعطف | من الفرات.. إلى كوفان فالجزر

فالجسر عن جانبيه خفق أشرعة رفافة في أعالي الجو كالطرر

إلى «الخورنق» باق في مساحبه من ابن ماء السما ما جر من أزر

تلكم «شقائقه» لم تأل ناشرة نوافج المسك فضتها يد المطر

بيضاء.. حمراً أسرابا يموج بها ريش الطواويس.. موشية الحبر

لالآن يطرب سمعي في شواطئه صدح الحمام.. وثغي الشاء والبقر

والرملة الدمث في ضوء من القمر والمدرج السمح بين السوح والحجر

ومستدق الحصي منها وما جمعت مناخة النوق من بدو ومن حضر

تعالت الذكوات البيض عن نجف عال كما ازدهت الألواح بالأطر

واشتفت الوابل الوسمي وانحدرت إلي الطفوف بسيل منه منحدر

مستشرفات صبا نجد يبل بها غليل رمل يوقد الشمس مستعر

يا أهنا الساع في دنياي أجمعها إذا عددت الهنيء الحلو من عمري

تصوبي من عل حتى إذا انحدرت بي الحتوف لذاك الرمل فانحدري

تمحي الغضارات في الدنيا سوى شفق من الطفولة عذب مثلها غضر

وتستطار طيوف الذكريات سوي شفق طيف من المهد حتى اللحد مدكر

في «جنة الخلد» طافت بي على الكبر رؤيا شباب وأحلام من الصغر

بجنحات أحاسيس وأخيلة مثل الفراشات في حقل الصبا النضر

اصطادهن بزعمي وهي لي شرك يصطادني بالسنا واللطف والخفر

أقتادهن إلى حرب على الضجر فيصطلحن على حربي مع الضجر

وأنت يا مأردا يلقي بهامته هوج الرياح.. ورجلاه لظى سقر

يا ساحر النفس كالشيطان يا وطناً يهوي ويصفي على الويلات والغير

ويا حفيظا على الزلات يرصدها وبالذي يتجنى جد مغتفر

ما إن تزال علـى مـا ذقـت مـن غصـص ... لديك من صلب حاجاتي ومن وطري

حملـــت همـــك في جنبـــي أصـــهره ... في لاعـــج بوقيـد الشـوق منصـــهر

وكنـــت نـــوري في لـــيلي وغربتـــه ... حتـــى كـأن النجـوم الـزرق لم تنـر

عـــود إليـــك عـــلى بـــدء وقـــد قربـــت ... مسافة البـدء مـن عـود إلى الحفـر

عـــــود إليـــــك بأقـــــدام موطـــــأة ... على دروب.. جراحي فوقها أثرى

تنبـت الـدم مـن روحـي ومـن بـدني ... واستلت الضوء من ليلى ومن قمري

يـا دجلـة الخـير مـا هانـت مطامحنـا ... كـما وهمنـا.. ولم نصـدقك في الخـبر

هـا قـد أقلنـا عـلى سـفحيك يؤنسـنا ... لـوذ الحمائـم بـين الطـين والنهـر

وعانقتنـا حسـان النخـل واصـطفقت ... جـدائل السـعف المزهـاة لا الشـعر

وأثلـج الـنفس مـن ولهـان مسـتعرَ ... وجداً سقيط الندي من ريقك الخصر

يـا دجلـة الخـير والأيـام تسـحقنا ... بـين البشـائر نرجـوهن والنـذر

نخـادع الـنفس بينـا نحـن في يـدها ... وبـين أرجلهـا مـدحوة الأكـر

تمـازج الخـير في شر مموهـة ... مـا كـان منتظـراً في غـير منتظـر

كـان الـذي لم نخلـه كائنـاً أبـدا ... حتـى كـأن مصـيراً حـم لم يصر

حتـى كأنـا مـع الأطيـار لم نطـر ... إلي رُبـاك.. وطيفـاً منـك لم يسر

ولا حلمنـا بنـار منـك تحرقنـا ... في شـاهق بنـديف الـثلج معتمـر

ولا ابتعثـت لنـا الأطيـاف عاويـة ... مثـل الـذئاب.. ولم نفـزع إلى جـدر

يـا «دجلـة الخـير» إن الغمـة انـدثرت ... جنبـاً إلى جنـب عهـد فـات.. منـدثر

يا «دجلة الخير» إنا بعض من عصرت ... كـف لـوي معصـميها أي معتصر

قذف الحصاة رمتنا عنك جائحة ... نقيض جريك في مد وفي جزر
تلوي وتحسر إذ تطغين مدتها ... وتستقيم بموج منك منحسر
عفنا لها ناطحات الجو فارعة ... ونازعتنا على ضحيان مؤتجر
أغرت بي السبعة الأعوام تحسبها ... هوج العواصف تستعدى على الشجر
لم تدرِ أن جذوري غير خائسة ... كالجذر منها ولاعودي بذي خور
وشردتني كأن لم يجر منقلب ... بالناس والفلك الدوار لم يدر
ليست بكفو أفراحي مصائبهم ... يأبى الشماتة كفواً موكب الظفر
يا جازعين بأن غامت سماؤهم ... وما يزالون في فينان مزدهر
رأيتم كيف هان الصبر عندكم ... وكيف كان على اللأواء مصطبري
وكيف زرت على الإيمان مدرعتي ... وكيف تاه على ديباجكم وبري
يا « دجلة الخير » نحن الممتلين غني ... بنا انعطاف على ملآن مفتقر
والله لو أوهب الدنيا بأجمعها ... مابعت عزى ببذل المترف البطر
قالوا يظنون بي شيئاً من الصغر ... فقلت فيهم وبي شيء من الصعر
رثيت للعقرب اللدغي جبلتها ... لفرط ما حملت سما على الإبر
لولا مغبة ما تجني ذنابتها ... لقلت رفقاً بهذا الزاحف القذر

وياسُقاة الندي من كل منسجم ... والأربحيات.. ومعسول النثا عطر
يا صفوة البلد الزاهي بصفوته ... ويا أسارير وعي فيه منتشر
ضممتم المجد من أطرافه زمراً ... تضفي على سناها صفوة الزمر
من كل لون كريم مشرق خضل ... كما تلون حسنا باقة الزهر
معتقين سلاف الحرف ناضجة ... نضج ابنة الكرم فيه ابنة الغرر

عذراً لأكؤسكم كأسي بها وشل خجلان من مترع الحافات مزدخر

ما كنت بالعي لجلاجاً بمجتمع ولا بهيابة في منطق حصر

ولم يدع لي كر الدهر من وطر ولا المحاذير قد مارست من حذر

لكن وجدت جميل الصنع مبتكراً ما إن يوفي بقول غير مبتكر

وقد يضيق بشكر المفضلين فم حتى يغطي عليه عذر معتذر

ويا قوى الخير كوني خير صارية يوقي الغريق بها دوامة الخطر

نجوى خليص هوى ما انفك بينكم خمسين عاماً ملاء السمع والبصر

لم يمش يوماً إلى تجر بمعترك ولاتدرب في حانوت متجر

لكن بصدر لنزف الجرح محتمل وصلب مئتن لحمل الغرم مدخر

عقد من التضحيات الغر منتظم جرم المفرط فيه غير مغتفر

لمي صفوفك يشمخ في تلاحمها مجد يضاف إلى أمجادك الأخر

واستأصلي البؤر السوداء واقتلعي منها الجذور.. ولا تبقي ولا تذري

أخزى وأقذر من مستعمر عصب راحت غطاء على مستعمر قذر

تكاد تعطيه من أضلاعها نفساً به تمدد من أنفاس محتضر

وشبه منتهز أيتام نعمته ومثل مؤتمر أفراح مؤتمر

ويا براعم مجد في كمائمها مدي جباهك نحو النور وازدهري

تعاطفي كخيوط الفجر وانبلجي في جنح ليل بعيد الغور معتكر

إن الدياجير لا تجلي غياهبها إلا إذا التم شمل الأنجم الزهر

ويا جموعاً يهاب الموت زحفتها سُدى الطريق على الردات واختصري

أنتم ركائز حق بعدما ذهبت درج الرياح أطانيب من الشعر

ونخبة لقوم يستهدي بأوجهها ... شعب تخبط في عمرو وفي عمر
تشاجري والبلايا السود تنتصري ... فقد تعاطيت منها كل مشتجر
وقد تمرست حتى كل نازلة ... لها وإياك ميعاد على قدر
كفر بسفر نضال أن يميل به ... عن روعة المحتوى خلف على الصور
بالضحايا تلوب الحشرجات بها ... أن يغتدي دمها خمراً لمعتصر

***

رسالة مملحة

وفي لها نذراً فوافى ... وسعى بها سبعا وطافا
ورمي لها الجمرات من ... قلب تعلقها شغافا
عاد الحجيج وقد سعي ... وسعي ويأبى الانصرافا
يستلمس الحجرات يعرفهن ... قربي وازدلافا
ويري بكل ثنية ... بعثاً لذكرى واكتشافا

ألوى بها والثلج يحتضن ... المشارف والحفافا
السمحة المعطاء حملت ... الخصاصة والشظافا
سيمت عن المرح الخواء ... وعن رغادتها الكفافا
عريت فراحت بالنديف ... البض تدثر التحافا
حتى المسارج في الكوى ... الخفرات يخفقن ارتجافا
وشتا بها وكأنه ... لم يشت قبل.. ولا أصافا
متنظراً عرس الربيع ... لعله يرعي الزفافا

آه عـــلى « ابـــن العبـــد» إذ يتـــبرض اللهـــو اشـــتفافا

يهـــوى « الطـــراف » و« بكهنـــا » بضـــاً.. وأن يحمـــي المضـــافا

لـــو عـــاد لاختـــصر المســـافات لـــدنا وحيـــا.. واستضـــافا

لـــرأي لـــه وســـط الجبـــال الخضر مـــن ثلـــج طرافـــا

لاعتـــاض عـــن حلـــب العصـــير مشي بـــه علـــج ودافـــا

حلبـــا تقطـــر مـــن شـــفاه الغيـــد يعـــتصر انتزافـــا

وعـــن « البهـــاكن » كـــل رود تسرج الليـــل الغـــدافا

« أأبـــا هـــدي » شـــوق يلـــح ولاعـــج يـــذكي الشـــعافا

شـــوق المبـــارح لم يغـــيره البعـــاد.. ولا تجـــافى

وهـــوي يضـــج كعاصـــف يتوعـــد الشـــجر انتصـــافا

يصـــفيك محـــض وداده حـــر يصـــافي إذ يصـــافي

يهـــب الحشاشـــة لا ذمـــاً منهـــا يعـــاف.. ولا ســـجافا

حلـــو السريـــرة.. ينطـــف العســـل المصـــفى والســـلافا

فـــإذا اســـتثير فقـــل بصـــل ينفـــث الســـم الزعافـــا

يـــا منـــتج الـــدرر الحســـان معانيـــاً غُـــراً ظرافـــا

يقطـــرن إبـــداعاً.. وإيثـــاراً وحبّـــا.. وانتصـــافا

نبئـــت أنـــك توســـع الأزيـــاء عتـــاً.. واعتســـافا

تقفـــو خطـــى المتأنقـــات كســـالك الأثـــر اقتيافـــا

وتقـــيس بالأفتـــار أرديـــة بحجـــة أن تنـــافى

مـــاذا تنـــافى؟ بـــل ومـــاذا ثـــم مـــن خلـــق ينـــافى؟

حوشـــيت.. أنـــت أرق حاشـــية ... ولطفـــــــاً.. وانعطافـــــــا

وأشـــــد لصـــــقا بـــــالحجى ... وألـــــد بالعـــــدل اتصـــــافا

أتـــرى العفـــاف مقـــاس أقمشـــة ؟ ... ظلمـــــــت إذن عفافـــــــا

هــــو في الضـــمائر لا تخـــاضُ ... ولا تقـــــص.. ولا تكـــــافى

مـــن لم يخـــف عقبـــى الضـــمير ... فمـــــن ســـــواه لـــــن يخافـــــا

يـــا قائـــد الجـــيش اقتحامـــا ... والتحامًـــــا ، والتفافـــــا

طـــوق جهـــالات الحمـــى ... والعنعـــــات بـــــه الجزافـــــا

وتقـــص كـــل جـــذورهن ... فـــلا القـــوي ، ولا الضـــعافا

أشـــع الحيـــاة ولطفهـــا ... في مـــوطن يشـــكو الجفافـــا

أقـــوى فـــلا المـــرح اســـتجد ... ولا الصُـــداح، ولا الهتافـــا

وخـــلا كـــا تخلـــو الفيـــافي ... غـــير أتربـــة تســـافى

وســـوى العـــروق الناشـــفات ... كأنهـــا تشـــكو الرعافـــا

أن لم تســـل نهـــر الحيـــاة ... فخلـــه يـــرد الضـــفافا

فلقـــد أشـــاع الخـــوف فيـــ ... ـــه ، وذل شـــعب أن يخافـــا

وحـــش مـــن الحرمـــان لا يعفـــى ... الســـمان ولا العجافـــا

عصر الـــدماء مـــن الوجـــوه ... وردهـــا صـــفرًا، نحافـــا

وأشـــاع فيهـــا وحشـــة ... كالليـــل تـــأبى الانكشـــافا

هـــوت المحـــاجرُ بـــالعيون ... كـــأن فـــيهن انخســـافا

وتضرت الرغبـــات منـــ ... ـــع العـــاطش العـــذب النطافـــا

قســـمًا بـــودك وهـــو حلـــ ... ـــفة مـــؤمن يـــأبى انحرافـــا

إن لم تـــدن بـــالانطلاق ولم نُصـــف الارتســـافا

فلألـــف عـــام ســـوف نبـــقى مثـــل مردفـــة خلافـــا

متقهقـــرين إذ العـــوا لم تســـبق الـــزمن اســـتلافا

ســـتدور في القمـــر المـــلاحـــم توســـع الفلـــك انجرافـــا

كســـبًا لأي الغازيـــــن يحـــل دارتـــه ادلافـــا

ونظـــل نحـــن نطيـــل ، فيـــها لا خـــلاف بـــه، خلافـــا

زحفًـــا كبيـــت في قصيـــد عـــامر يشـــكو الزحافـــا

يـــا مـــن رأى فلـــكَ النجـــوم مشـــى بـــأكواب وطافـــا

هـــذي الصـــحاف مـــن الزبـــرجـــد رحـــن يحملـــن الصـــحافا

ســـاعًا عـــلى ســـاعٍ وقـــوفًـــا وانتشـــارًا ، واصـــطفافا

يـــنعمن بالكـــدح الشريـــف يـــوفر العـــيش الكفافـــا

الســـاحرات فمـــن يـــردك أن يطـــرن بـــك اختطافـــا

والناعســـات فـــما تحـــس الطـــرف أغفـــى ، أم تغـــافى

والناهـــدات يكـــاد مـــا في الصـــدر يختطـــف اقتطافـــا

والخـــيرات النـــاذرات الـــنفس للطيـــب اعتكافـــا

هـــدى المســـيح إلى الســـلام عـــلى العيـــون طفـــا وطافـــا

ودم الصـــليب عـــلى الخـــدود يكـــاد يرتشـــف ارتشـــافا

علقـــن في أوســـاطهن مـــآزرًا بيضًـــا ، خفافـــا

قـــدر المســـاف مظنـــة أو لا فمـــن يـــدري المســـافا

ورددنهـــن إلى الظهـــور فكـــن أردفـــة ردافـــا

ســـــاءلت نـــــفسي لا أريـــــ ـــــد لهـــا عـــن «النحـــو» انصرافـــا
أتـــرى «المضـــاف إليـــه» أحـــ ـــــلى أم علاقتـــــه المضـــــافا
أحكمـــــن جارحــــة فجــــا رحــــة رســـــوخًا وانعطافـــــا
مـــا يعـــل يعـــلُ الكائنـــات ومـــا يحـــط فقـــد أنافـــا
«أأبـــا هـــدى» إن كنـــت مـــتهمًا، فخـــذ منـــي اعترافـــا
إني ورب صـــــاغهن كـــما اشـــتهي، هيفًـــا لطافـــا
وأدقهـــــن ومـــــاوني وأجلهـــــن، ومـــــا أحافـــــا
لأرى الجنـــــان إذا خلـــــت مـــــنهن أولى أن تعافـــــا
لـــو قيـــل مـــا ســـفر الحيـــاة لقلـــت: مـــا كـــن الغلافـــا
لـــو قيـــل: كيـــف الحـــب قلـــ ـــت بـــأن تـــداء فـــما تشـــافى

وفى لهــــا نــــذرًا فــــوافى وتجرمــــوا فيــــه اقترافــــا
ظنـــوا الظنـــون بـــه وقـــا لـــوا عـــقَّ موطنـــه وعافـــا
كـــذبوا، وإن كـــانوا أصـــا بـــوا مـــن حـــروف «الصـــدق» قافـــا
مـــا عـــاف.. لكـــن خـــاف مـــن خلـــق الفـــوارك أن يعافـــا
مـــا انفـــك يـــؤثر حـــرة مـــن طـــين دجلـــة أن تســـافا
لكنـــه عـــاف ابتعـــادًا في المنـــازع واختلافـــا
هـــو بحســـب الـــدنيا مطـــا فًـــا كـــان حـــتمًا أن يطافـــا
أو عـــاره وســـهوله يتمازجـــان بـــه ائتلافـــا
قفـــرٌ تقاذفنـــا كـــما تتســـاقط الـــرجم انقـــذافا
لـــك موعـــد والمـــوت مـــن عطـــش يـــوافي، أو يـــوافى

وبــــه مـــن «الواحـــات» مـــا	يــــدني لمقتطــــف قطافـــا
ووراءه لحــــــــدٌ ودودٌ	ينهيــــان بــــه المطافـــا
فــــإذا بــــدا نبــــع لعيـــ	ـــنك فيــه فــاغترف اغترافـــا
وهــــم يغـــذون المطــــاف	ويفســـــدون بـــــه الطوافـــا
يجدونــــه جــــدلاً ، ومتجــــرًا	ونبتـــــا ، واعتلافـــــا
ويــــرى الحيــــاة إذا خلـــت	مـــن بهجـــة موتًـــا ذعافـــا
ويرونهـــا في الهـــزل إســـ	ـــفافا وفي الجـــد احترافـــا
وتصـــنعا للجـــاه يســـ	ـــتهوي بـــه الكـــبشُ الخرافـــا

***

مهلاً

وفَّ لـــــه نــــذرا فـــوافى	بخريــــدة كرمـــت قطافـــا
مهـــلا أبـــا المهـــدى مهـــلا	إن فى الحــــق انتصــــافا

وها هي ذى القصيدة التى أجاب فيها السيد عماش عن الرسالة المملحة.. نسبنا إيرادها هنا كاملةً لما في ذلك من إتمام صورة واضحة للحوار وهي :

لاح ســـــقانيها ســـــلافا	ورمـــى بهـــا غيـــداً لطافـــا
طابــــت مملحــــة بهـــا	الأبيــــات تقتطــــف اقتطافـــا
نبئــــت أنــــى أوســـع	الأزيــــاء عتــــا واعتســـافا
أقفــــو خطــــى المتأنقـــات	كســـالك الأثـــر اقتيافـــا
وأقـــيس بالإفتـــار أرديـــة	بحجـــــة أن تنـــــافى
ودعــــوتى للمكرمــــات	لعـــون شـــعب أن يخافـــا

وَرويت عن فلك النجوم ... مشى بأكواب وطافا
الساحرات فمن يردك ... أن يطرن بك اختطافا
ونسيت أني لا أخاف الموت ... بله غراب نازلة غدافا
أدمى إله الحرب طعنا ... واقتحاماً والتفافا
من يدم خاصرة الليوث ... إذا انثنت فينا زرافا
لا يخش خاصرة الغواني ... والمآزر والردافا
والناهدات يكاد ماقى الصدر ... يختطف اقتطافا
من يخطف الثمرات في ... صدر تجلى أو تعافى
ألا على بابا بزوراء ... العراق مشى وطافا
ودم الصليب على الخدود ... يكاد يرتشف ارتشافا
علقهن في أوساطهن ... مآزراً بيضاً خفافا
ورددنهن إلى الظهور ... فكن أردفة ردافا
إن تثقل الأزر الظهور ... فتلك مسألة تلافى
ساءلت نفسك لا تريد لها ... عن النحو انصرافا
أترى المضاف إليه أحلى ... أم علاقته المضافا
إني أرى أن المضاف ... به السعادة أن يضافا
بئس المنبئ لم يسرم ... في الكذب للحق انتصافا
عوذاً بكم أهل الحجى ... أن تقبلوا الخطأ الجزافا
ما كان عماش يغيظ ... الغيد بل خطأ تلافى
أوسعته للاجئات ... ففي غد تلقى مطافا
من يدر قد نلجأ غدا ... ونلف نرتجف ارتجافا

لـــــو طفـــــت فى الأردن … أكـــبرت العروبـــة والطوافـــا

ورأيـــت ملتاعـــا يمـــزق … جرحـــه منـــك الشـــغافا

فعـــلام نمـــرح والســـويس … تـــدك بالنـــار انقـــذافا

للاجئـــات المقـــيلات الطـــول … أولى أن يضـــــــــــافا

راشـــيل تضربنـــا رصاصـــاً … دمـــدماً غـــدراً بيافـــا

والموشـــى يعـــترف الـــدماء … القانيـــات بهـــا اعترافـــا

وشـــــبابنا يتخنثـــــون … خنافســـاً هوجـــاً عجافـــا

إنــــا نريــــد مــــآثراً … لا قصر أرديـــة كفافـــــا

نبغـــى مـــن النســـوان تربيـــة … الـــــبراعم والعفافـــــا

ســـلها أيعجبهـــا المخـــنفس … أن يـــزف لهـــا زفافـــا

أم تعشـــق الأســـد الهصـــور … الكـــفء.. والبطـــل المعـــافى

سلوفينسكى مرتـاد السـلافيين … أولى أن يعافـــــــــــــا

وطباعنـــا فى بعـــض مـــا … يجـــدون مـــن طبـــع تنـــافى

أخشـــى عـــلى فتياننـــا منـــه … انســـــياقا وانجرافـــــا

أخشـــى عـــلى الجيـــل انهيـــارا … وابـــــتلالا وانعطافـــــا

وذكـــرت عـــن صـــنع الإلـــه … كـــما اشـــتهى هيفـــاً لطافـــا

وتـــرى الجنـــان إذا خلـــت … مـــــنهن أولى أن تعافـــــا

إنـــى أبيـــت اللعـــن … أطلقهـــا اعترافـــا واعترافـــا

أهـــوى خيـــال الفاتنـــات … وإن حـــوى ســـما زعافـــا

أرنـــو لهـــن بلهفـــة … وأكـــاد أتـــرك مـــا تجـــافى

أفـــدى المضـــاف إليـــه إن … تـــرك العلاقـــة والمضـــافا

لكـن مـا يـرضي الفضيلة ذاك أحـرى أن يضـافا

وأحـب حسـن الغانيـات يـزين بـالطهر العفافـا

مهـلاً فـإن مفـاخر النظـراء أنصـبة تكـافى

خمسـون حـين الكهـل طفـل كـان يقطعهـا ارتسـافا

وإذ العروبـة لفظـة جوفـاء مرسـلة جزافـا

فجـرت فى جنباتهـا جسـدا وروحهـا وانعطافـا

أذكـت قـوافى الجريحـة مـن فلسـطين الشـغافا

ولقبـل جيـل حـين كـان الحـرف أتربـة تسـاقى

طوقـت بـالأردن والجرحـى وأحسـنت الطوافـا

ولقطـت منهـا الحشرجـات وصـغتها دمعـا ذرافـا

شـعراً كـأن عليـه نيرانـاً وصـافية سـلافا

كـان الصـداح أهـز أجيـالا بـه كـان الهتافـا

ومشـى إلى دم الشـهيد يكـاد يرتشـف ارتشـافا

ناغيـت بالـدم والهـوى وبـتلكم النفثـات يافـا

أنسـيت إذ حـط الركابـا فيهـا وإذ لـثم الضـفافا

إذ راوحـت غـرف الجنـان لـه عـلى اللُدِّ السـجافا

وإذا الجـراح عـلى قوافيـه تقطـرت انتزافـا

أُنسـيت أُغنيـة الفـداء ومـن تناسـاها أحافـا

إذ كـل حـرف عنـدها يشـكو مـن الألم الرعافـا

مهـلا أخـى عـاش قـد أوجفـت فى الـدرب اعتسـافا

لا يصــنع الجـيش اللهــام وإن أنـــاف وإن أخافـــا

فى الحــزب مــا أنــا صــانع إذ أوســع الــرجم انقــذافا

أنـــا رب حطـــين ويافــا أنــا صــاحب القلــب المعــافى

مهـــلاً أخـــى عـــماش وقيـــت التنـــازع والخلافـــا

أنــا لســت أبــرح أحســب الــدنيا انطلاقــا وانكشـــافا

وأرى النضـــال وملعـــب الخفـــرات أقرانـــا ردافـــا

مــن خــاف مــن حــب الحيــاة تخـــوف المـــوت الـــذعافا

***

يا ابن الفراتين

يا ابن الفراتين قد أصغى لـك البلـد زعـمـاً بأنــك فيــه الصــادح الغــرد

زعم بحبك منه الفخر إن صدقوا أو لا فواجــد هــم بــث مــا يجــد

ولــن يهـون بــث مــا تجيش بــه وقــد تهـون عــلى النفاثــة العقــد

مــا بـين جنبيـك نبـع لا قــرار لــه مــن المطــامح يستســقى ويرتفــد

إذا تخلصــت مــن هــم أطحــت بــه شــبت همــوم عــلى أنقاضــه جُــدُد

كـأن نفسـك بقيـا أنفـس شـقيت وكــل ذنــب ذويهــا أنهــم وجــدوا

وأنهـــم حلبـــوا الأيــام أضرعهــا حتــى إذا محضــتهم درهــا زهــدوا

فاضت على الكرة الجوفاء وانطلقت تـــوفى عـــلى عـــالم أوفى وتقتعـــد

مشعشــعات وليــل حولهــا طبــق وطـــاهرات ورجــس دونهــا نضــد

يرتــاد فى ســوحها كــون بأجمعــه وماهـــا ســبد فيــه ولا لبــد

ويســتقى دمهــا جيــل وينكرهــا ويغتــدى روحهــا خلــق وتعتفــد

وأنهم خرجوا منها بأفئدة ... من الأذى والأسى والحب تفتأد
وأنهم وقد التاثت عقائدهم ... زيفا ومحضا أدانوا كل ما اعتقدوا

يا ابن الفراتين لا تحزن لنازلة ... أغلى من النازلات الحزن والكمد
دوح الرجولة لا تلوى الرياح به ... لكن تنفض أوراقا وتختضد
ولا تلذ بتعلات مسوفة ... ولا يكتفك صبر حبله مسد
فما التأسى إذا لم ينف عنك أسى ... وما التجلد إن لم ينفع الجلد
لم يبق أمسك من عقبى يلذ بها ... يوماك إن شقيق الطارف التلد
وخل نفسك تجرر من أعنتها ... رسلا تراوح أو تشتد أو تخد
فإن أفظع ما فى الكون مضطهدا ... خوالج فى حنايا الصدر تضطهد
وما ضمانة قول لا شفيع له ... من الضمير ولا من ذمة سند
ولا تحاور بما استصفيت معتقدا ... ولا بكيف وماذا رحت تعتقد
ولا تغالط فقد أغناك زخرفة ... من قبل ألفين فيما صاغه لبد
لا تقترح جنس مولود وصورته ... وخلها حرة تأتى بما تلد
وقل مقالة صدق أنت صاحبها ... لا تستمن ولا تخشى ولا تعد
وما تخاف وما ترجو وقد دلفت ... سبعون مثل خيول السبق تطرد
لا ترهق الدهر عتبا أو مخاصمة ... ففى دمائك خصم كله لدد
ركبت أثباج بحر جُنّ عاصفه ... ليلاً فنوتيه بالنجم يعتضد
فى ذروة الموج لا يصبيك منحدر ... ولا يروقك منه ساحل نجد

أمس استضافت عيونى فى الكرى شبحا ... به تلاحم أمس مشرق وغد

ناشدته وعلى أثوابه علق ... من الدماء ومن حباتها زرد
ووجهه كشعاع الفجر منطلق ... وعينه كوميض الجمر تتقد
وفيه تأليفة من هيكل عجب ... فيه الحمامة جنب النسر تتحد
أنا ابن كوفتك الحمراء لى طنب ... بها وإن طاح من أركانه عمد
جوار كوخك لا ماء ولا شجر ... ولصق روحك لا مال ولا صفد
ولا شكاة أيشكو السيف منجردا؟ ... لا يخلق السيف إلا وهو منجرد
خبت بنا فارعات الجو نوسعها ... ذرعا وخبت بك الزيافة الأجد

فكن أبا الطيب الجبار لى مدداً ... ولى بما صغت من جبارة مدد
يا شاغل الدهر أجيالاً وأحقبة ... ومتعب الناس من ذموا ومن حمدوا
ويا معرى أطباع وما خبأت ... ويا محطم أصنام ومن عبدوا
على الوجوه مشت أكذوبة عرض ... وقر تحت الجلود الجوهر النكد
الغائصون إلى الأذقان فى وحل ... ويزعمون رياء أنهم سعدوا
أقسمت أنك عملاق به غلق ... لا الأرض عن سره تنبى ولا اللحد
بد لفاتك كانت آلة رفعت ... وراءها خبئت من آخرين يد
تبطنتها لتخفى من ذكاوتها ... أسطورة لم ترق حتى لمن بلدوا
أبا محسد دنيا رحت تمخضها ... فما تلقف إلا ما نفى الزبد
أشرف عليها تجدها مثلما تركت ... كأنها من رسوخ مثقل أحد
أحكمة أم وقارا أم مكابرة ... لم يدر ذلك إلا الواحد الصمد
تبنى وتهدم ما تبنى كما انتقضت ... خرقاء يعكس ما حاكت ويطرد
مشت بها جاهليات وعنجهة ... ولاث منها النفوس الثأر والقود

ألف مضت وابن عباد بها أحد ... واليوم ألف ابن عباد ولا أحد

وكان إن لم تهبه مدحة حردا ... واليوم من تغتلي في مدحه حرد

وكان كافور فردا تستقيم له ... واليوم شتى كوافير ونفرد

على الهوامش أصفار مجمدة ... كما تراكم حول الحافة الجمد

فذو العقيدة مشتوم ومتهم ... وذو المواهب محروم ومضطهد

إن يسكتوا تخطف الخفاش نورهم ... ويسمعون بذاءات إذا انتقدوا

نحن الغريران في دنيا بها صبب ... في المعطيات بنا عن مثله صعد

رغادة وادقاع قسمة ضنك ... ضيزى لمن زرعوا فيها ومن حصدوا

حتى انبرينا فجئناها بثالثة ... إن الشقاء إذ استعلى هو الرغد

وقائل لو أرحت الشعر قافية ... بها عروقك راحت وهي تفتصد

غطت جبينك أعراق مغضنة ... وطاف في وجنتيك الجهد والسهد

ولو تخلصت من دال وإخواتها ... وراءها راحت الدالات تحتشد

أريته أن بي من أمرها عجبا ... فلا صدود ولا بعد ولا صدد

غرائب ورحاب الأرض مطرح ... وشرد وقلوب الخلق متسد

تدنو وتبعد من تلقاء فطرتها ... خلاف ما عودته الأنس الخرد

توقد النفس إذ تشتف طلعتها ... وتستحيل رماداً حين تفتقد

ويرقص القلب في أضلاعه طرباً ... بها وتمشي على مهل وتتئد

حرفا تراها مشي في طيه نغم ... وفكرة بخيال ملهم تقد

بينا أراها محاريباً مقدسة ... بها تجسد إيمان ومعتقد

عمر النجوم مسافات وأقيسة ... وعمرها وهي في ريعانها أبد

لم يجز غر القوافي من لها نذروا ... نفوسهم وإن اشتطوا.. وإن جهدوا

فكـل مـا وهبوهـا أنهـا عمـرت ... وبعـض مـا وهبتهم أنهـم خلـدوا
خـبرت للنثـر فى بغـداد مـؤتمر ... يزهـى وأن نـدى الشـعر محتشـد
وأن مـن مشرق الفصـحى ومغربهـا ... زهـر النجـوم عـلى الشـطين تنتضـد
فقلـت ليـت نـدى الحـب يجمعنـا ... سـيان مقـترب منـه ومبتعـد
وليـت يلـتم شـمل كلـه كسر ... وليـت يـنظم قصـد كلـه قصـد
يـا قـادة الفكـر.. لـو لـو صـفوفهم ... وذادة الشـعر لـو لم يكثـر العـدد
وصـاغة الحـرف لـو لم يغش رونقه ... زيـف ولم تمـش فى مخضره عقـد
تضـاءلوا فى مـلاءات تخـاط لهـم ... ولـو يشـاؤون فى سـم لهـا نفـدوا
وعقـدتهم حـزازات ولـو خلصـوا ... أملـوا عـلى الـدهر ماحلوا ومـا عقـدوا
أكـل عـامين يمسـى شـملنا بـددا ... ويخـتـمان بأسـبوع وينعقـد
ونسـتدير إلى عـامين بعـدهما ... والشـمل منـا.. وممـا نرتـأى بـدد
مـا إن نبـالى بـأن نـرضى بـه أحـداً ... ولا يبـالى بـأن نـرضى بـه أحـد

ويـا جـديرين بالحسـنى مطارحـة ... فى كـل مـا انتقـدوا منهـا ومـا انتقـدوا
لا تغضـبوا إن فى عتـب محـاورة ... وإن فى القـول إصـدارا لمـن يـرد
سـبع رمتنـا ولم نجـرم بقارعـة ... كأننـا مـن رعيـل مجـرم طـرد
وخلفتنـا مـن أحاسـيس وأفئـدة ... عطشـى ملايـين لا تسـقى ولا تـرد
تـدعوكم أن تـذبوا عـنهم جنفـا ... يـا مسرفـين وإن بـالحرف يقتصـد
فـما اسـتدار فـم مـنكم ولا قلـم ... ولا تقطـر مـن بحـر النـدى ثمـد
سبع عجاف..وقد كن السمان لكـم ... فيها اللهـا واللهـى..والجاه..والرغـد
عـلى الموائـد أكوابـا وأطعمـة ... مـن شـاء يجـتر أو مـن شـاء يبـتر

وصاحب لي لم أبخسه موهبة ... وإن مشت بعتاب بيننا برد
نفى عن الشعر أشياخا وأكهلة ... يزجي بذاك يراعا حبره الحرد
كأنما هو في تصنيفهم حكم ... وقوله الفصل ميثاق ومستند
وما أراد سوى شيخ بمفرده ... لكنه خاف منه حين ينفرد
مهلا رويدك لا تبعدك موجدة ... عن السبيل سواه نهجها جدد
بيني وبينك أجيال محكمة ... على ضمائرها في الحكم يعتمد

قالوا أتتك حريفات بملأمة ... فقلت : ألف كريم قبلها يفد
أسلمتها لعيون الناس تخزرها ... خزر الصقور فتستثني وترتعد
تطاول القاع حتى استقعرت قمم ... واستأسد الغي حتى استنوق الرشد
واستنفر البائعون الروح شاريها ... فهم لكل يد مجذومة عضد
في الشعر من فرط ما احتكوا به دبر ... كما تأكل عظم الناقة القتد
تشكت الضاد مما ينزلون بها ... كما اشتكى الجسم مما تفرز الغدد
في لفظه طرباء من تقيحه ... وفي معانيه من أنفاسهم قرد
نجوا بزعيمهم من أسر قافية ... والشعر لولا إسار نثرة قدد
إن الجمال إسار عز مطلبا ... هل يحزن الغيد أن قد أسرف الغيد
أم يفرح الظبي أن لا يزدهي حور ... في مقلتيه ولا في جيده جيد
وحاشدين خشار القول بعتهم ... بخساً وأبخس منهم كان ما حشدوا
الخاملون إذا استنهضتهم غضبوا ... والضالعون إذا قومتهم حقدوا
والمستطيرون غربانا مفزعة ... حتى إذا عن صداح فهم حشد
والمطعمون سعير الحقد لحمهم ... لا بارح العظم ذاك الحقد والحسد

والمجهزون على الجرحى كأنهم ... ربد الذئاب اشتفت إن جرح الأسد
يغيظهم أن في يافوخه شمما ... وأن تناثر عن أكتافه اللبد
وأنه وهموم الغاب تثقله ... لا كاهل خان متنيه ولا كتد

ياشاتمي وفي كفي غلاصمهم ... كموسع الليث شتما وهو يزدرد
وعاضضي وفي أفواههم شلل ... أرخى الشفاه وفي أسنانهم درد
أتلطمون جبين الشمس إن قذيت ... عيونكم فبها من ضوئها رمدُ
أم تفرغون مياه البحر إن نضبت ... حياضكم فهي نزر.. موحل.. صرد
يا بن الركائك والأيام هازئة ... بميتين على ماستفرغوا جمدوا
ما ضر من آمنت دنيا بفكرته ... أن ضيف صفر إلى أصفار من جحدوا

ويا فتى المغرب الأقصى به نذر ... للشرق لا زيغ فيها ولا أود
سمعت صرختك الغضبى فخلت بها ... ما يبعث الغاب إذ يستزأر الأسد
تنعى علينا بأنا في عواطفنا ... على الأظانين والتشكيك نعتمد
وأن أحكامنا فيما نشط بها ... بتراء لا تنصف فيها.. ولا سدد
هون عليك ففيما بيننا أبدا ... نحن المشارق نستضري ونجتلد
يا ابن المغارب في أعماقنا بشر ... أسيان..غرثان..خب.. ناهز.. حرد
عن كل مؤودة لون.. كأن بنا ... مستنقعاً عفناً من فرط ما نئد
يا ابن المغارب مثل النجم متقداً ... يرى مشعون أنى استوطنوا اتقدوا
لا يبعد النأي عن حب أجبته ... ضوء العيون لضيق وهو يبتعد
دعوا إلى الوحدة الكبرى فقلت لهم ... نذر لذلك مني الروح والجسد
خمسين ظلت أناغيها كما نغمت ... أم الوليد يناغي عندها الولد

ولا مباهاة.. أهلي كلهم رضعوا … منها اللبان.. وفي أحشائها لحدوا
فإن سألت فعن شوق لموعدها … كعاطش يبتغي وردا فلا يجد
هاتوا بها علَّ أن يستصلح الجسد … فقد تقطع عن أنياطه الكبد
ففي فلسطين خيل الرجس محكمة … رباطها.. وبييت المقدس الوتد
وقد أطالت سياط البغي جلدتها … يشوى بها جلد أحرار وتعتبد
وفي الخليج أساطيل مداخنها … طلع الشياطين على ريث يحتصد
تقيء حقداً وعلى واعين تحذرهم … يحدون صرخة أيقاظ بمن رقدوا
ما أتعس الجار لا يعطى بضائقة … حسن الكفاف إذا لم يحسن الرفد

هاتوا بها عل دوحا جف يرتعد … وعل شوكة ذل فيه تختضد
وعل عار حزيران ووحشته … ترفض عنها الليالي الحلك الربد
في كل دار بما يستام ساكنها … على الجباه غبار الموت منعقد
يستوحشون من الأرض التي نزلوا … ويخجلون من الماء الذي وردوا
تلمس الأصعد الشماخ عن أنف … عرنينه ونبا بالأصيد الصيد
فليس للعربي اليوم من وطن … ما ظل فادون عن أوطانهم طردوا
هاتوا بها عل في فدى مشاركة … لا يفتدي غيب عنه بمن شهدوا
وعل فيض الدم الخلاق مكتسحا … يلف من رغبوا فيه بمن زهدوا
ذم التسرف إلا في دم سرب … يحمي الحمى.. مستذم فيه مقتصد

هاتوا بها علها تحدى بأنظمة … على المسودين.. لا السادات تعتمد
فما يزال على الأحرار في بلد … وآخر.. وعلى أنفاسهم رصد
على الحدود أضابير لمن صلحوا … من ثائرين على ظلم.. ومن فسدوا

نذاد عن وطن عشنا مصايره ... كما تذاد عن المزروعة النقد

أقول للقوم غالوا في رغائبهم ... حتى تخالط جد منهم ودد

نصح لكم محضة حلو – وخالصة ... لي المرارة – منه العذل والفند

لا تقبسوا جمرة العجلان واتئدوا ... فطالما سبق العجلان متئد

ولا تملوا فما اليوم العتيد لكم ... بوعد صدق إذا لم يصدق العتد

بالأمس إذ أجهضت سقطا ولادته ... والأمس كالغد مرهون بما يلد

جربتموها فأجلى الشوك عن زهر ... نتاجها وأجر الحنظل الشهد

وذاك إن لم يكن فيما يراد بها ... على الجماهير من أمر فم ويد

بل وازدرى المؤمنون الوعد منتجزاً ... صدوقه فرط ما غروا بما وعدوا

جيل تمدد مهزوما وقد وعدت ... بالنصر خمسا عشرينا به المدد

جيل يمطط بالبلوى فأصبية ... به شباب وكهلان به قعد

قبل التوحد قد يلوى به الأمد ... دعوا الجيوش بخيل الله تتحد

من كل بيت خذوا مستبسلا بطلا ... وجندوه يته زهواً به العدد

وأركبوهم طريق النصر خافقة ... أعلامه وفسيحات بها النجد

***

زوربا

وارتمت من شفق دام

على الأرض جراح ..

وجراح

وتهاوت فوقه..

من مزق الغيم

صبيات ملاح

والكراكى عصب دكن

تشابكن جناجاً..

وجناح

وبعيداً :

فى ذرى الشرق

نجيمات.. مراض

وصحاح

ثم راحت تتترى

من جديد

نجمة..

فى إثر نجمة

يتضرين.. ويهزأن من

الكون..

ويستصغرن حجمه

لم تفه حرفا..

وطرنا بجناح الصمت خوفا

كل آنٍ كان هذا الشرق

يزداد اشتعالا

وحريق فيه يمتد

ويشتط انتقالا

فتضوى «أجمة» كانت..

ظلاما..

إثر أجمة

سكن البحر..

وفوق الأرض قد أغفت

على ضوء النجوم

ساد صمت..

أى صمتٍ

خطر فيه وسحر

وأحاسيس..وشعر

كان صمتاً أبدياً

يتحدى كل صمت

صنعته من هوى أعماقنا

شتى ألوف الصرخات

لم تمزق سحره..

رنة طير

لا ولا نبحة كلب

غير ما خفق جناحين..

مروعين ..

يرفان بقلبي

كنت مخمورا بكأس الليل

لكنى أحس

بهدير الدم فى..

أعراق صدغى

كاد من عنف يجس

قلت فى نفسى..

وهزت رعدة صماء

صدرى:

أهى «ترنيمة نمر»؟

ثم فى «الهند»

إذا أرخى دجى الليل

سدوله

يتغنون بلحنٍ:

يرجف الرعب..

هديله

-٢-

أغنية وحشية

كتثاؤب «النمر» الجريح

تنداح عن بعد..

وفى بطء.. وإيقاع

على الأمد الفسيح

ويعود يملؤ قلب سامعها

وجيف الانتظار

وتصلبت أذناى..

وامتلأ الفراغ

فى صدرى الخاوى..

وعاد الصمت يستعوى

صراخاً

ويذيع سر الانشطار

-٣-

وطفقت أبرد فى مياه البحر..

صدغى

حران..

من ألم..

ولدغ

لكن صدرى ..

ظل مثل الغاب

يزأر فيه «نمر»

وزعازع سود..

تمر

فى هيكلى «نمر»

وفى شجرى تفجر..

ألف نسغ

متوحش كالبحر.. يرغى

وكخفقة «الوحي» الوحي

سمعت بوذا وهو يعزف:

فى لحن الاصطبار

***

طيف تحدر

يوم الشمال يوم السلام

طيف تحدر من وراء حجاب ... غضير الترائب مثقل الأهداب

متفجر الينبوع يزخر بالسنا ... ويرش وجه الفجر بالأطياب

وكأن ساحرة ترقص حوله ... أعطاف أودية وهام روابى

وكأنه ما يتيه بنفسه ... تيه الحياة بزهوها المنساب

طيف تحدر سلسلا ومظنتى ... أن الطيوف تعن لمح سراب

حلمت به سود الليالى حقبة ... هى شر ما زرعت يد الأحقاب

ثقل الرصاص وئيدها ووجيفها ... بشواظ نار.. أو بسوط عذاب

حلمت به.. وأبى عليها مثلما ... حلم المشيب برجعة لشباب

حتى إذا بلغ المدى أشواطه ... ملآن من رهق ومن أوصاب

وتسابقت فيه المنايا ركضا ... كتراكض الأفراس يوم غلاب

وتساقت الدم والدموع أخوة ... ألفتهما نخباً من الأنخاب

وتراجفت زهر النجوم لهولة ... قانى الصفائر.. أسود الجلباب
انس كأن الوحش ألقى نحوه ... ما شاء من ظفر لديه وناب
متمزق بيديه يأكل لحمه ... ويعاف فضلة زاده للغاب
حتى إذا اليأس استشاط مطوحا ... برجاء خمس مؤمنين غضاب
شدوا إلى قدر هزول لاعب ... كتلاعب الصبيان بالدولاب
وتوجسوا من كل صدق خيفة ... من فرط ما صلبوا على كذاب

حتى إذا غزت العيون كآبة ... من مزحف كدر.. وجو كابى
وترصدت خلل الغيوم زواحفا ... نسرا يمزق من جناح غراب
أسرى إلى الشك اليقين يهزه ... كالفجر يزحف من شقوق الباب
ثم استفاض يصك سمع مشكك ... فيه.. ويدمغ ريبة المرتاب
وتلقفته ليلة مذخورة ... لأوانها محصية بكتاب
محسودة حسد الفصول ربيعها ... أو حرقة الشوهاء بين كعاب

يا أيها الشيخ الرئيس تحية ... هى فى صميم الود والإعجاب
لك عن جميل الصنع قد أسديته ... كفو لكل كريمة وثواب
وعلى جسيم الأمر قد أنجزته ... لا بالنكول به ولا الهياب
كنت المهيب بأن تقرب ساعة ... ما اسطعت من يوم أغر مهاب
أفرغت أطماح العراق وأهله ... جسداً أفضت عليه خير إهاب
ونفخت فى أمل حياة حلوة ... ووضعت شاخصها بخير نصاب
وأحلت عن بؤس نعيماً رفرفاً ... ونتجت روضا عن دم وتراب
ودعوت حزبك أن يبادر مغنما ... هو من طلاب الخمسة الأحزاب

وأقل حبوة مانح قول الفتى　　سلمت يمين المانح الوهاب
رمت العسير فكنت أصدق شاهد　　أن ليس من عسر على طلاب
هم الرجال قريبة من بعضها　　أني تكون.. لصيقة الأنساب
وتجاوب الرغبات في ذرواتها　　أمضى وأسرع من سنى جواب
ولقد يجاء من الضمير لصنوه　　في رمشة برسالة وجواب

مرحى ليوم الظافرين ومرحبا　　بمخاصمين أعزة أحباب
متجانفين برغمهم فقلوبهم　　كشف ضواحك والوجوه نوابي
ألغى مسافة بينهم ما أشربوا　　من حب هذى التربة المخصار
خلطت عظامهم بها.. وتعاطفت　　فيها صدورهم على الأعقاب
وتناثرت فيها القبور فعندهم　　في كل دار قبلة المحراب

ما أفظع الإنسان لم يدفع به　　زخم الحياة بموجها الصخاب
ما انفك رغم حضارة مشبوهة　　مغرى بذبح.. مولعا بخراب
خزيان يمسخ بقعة مخضرة　　بقع الدماء على الرماد الكابي

لعنت عهود آثمات خلفها　　من لعنة الأجيال شر عقاب
قد كاد ينفلت الزمام ويدحى　　ركب العراق لهلكة وتباب
غامت به الأجواء إلا زبرجا　　زيفا.. كصبغة لسة بخضاب
ومشى بها الإجداب حتى استعذبت　　سنة تطوف بها من الإخصاب
واستوحشت حتى تناست جنة　　كانت تظللها.. لفرط يباب
ودجا غد.. وهوت معالم رؤية　　سمحاء.. إلا من خلال ضباب

ومشت سموم ضغائن فى أنفس ... ومجالس.. ورسالة.. وكتاب
قد كاد يرضعها الوليد براءة ... ويقيئها حقدا على الأتراب
وتصارخ التاريخ مما شوهت ... منه يراعة مارق نصاب
لو قيل ما غش عقوبة ربه ... موت.. لقلت غشاشة الكتاب
ولطالما لعنت ذويها أحرف ... قامت لعورتهم مقام ثياب

ناديت شيطانى فأحسن جابة ... وهو المعاصى سيد الأرباب
ياخالب اللباب جيء بيتيمة ... هى من ولائد سحرك الخلاب
حلق ولا ترحم هناك محلقا ... حتى تجرره على الأعتاب
كن أيها النور المضيء بنفسه ... فى مهرجان الحق فصل خطاب
غن العراق بخير ما لقنته ... من موصلييه ...ومن زرياب
كن أيها النور المضيء مجرة ... أبداً تمور بألف ألف شهاب
وأنر دروب الشعر..إن دروبه ... إن أنت لم تنهض بهن كوابى
وكن الدليل على الضمائر تهدها ... سبل اللغى ومحجة الأعراب
واجعل فراديس الخيال هوايتى ... وهوى عرائسهن من آرابى
وضع الحروف عجائبا وتناسها ... حتى كأنك لم تجيء بعجاب
سبعون عاماً والليالى.. مخضا ... طلقا.. يلدنك بعد طول عذاب
حشدت لإرضائى فتونك كلها ... وكأنها حشدت على إغضابى
نهب الزعازع .. شاردا .. متحرقا ... لبناء بيت محكم الأطناب
وتكاد تنطف من رباط حروفه ... بقيا جراح ينتزفن رغاب
ما أفسد الأوتار فى فم شاعر ... حتى يشد بها على الأعصاب

يوم الشمال وأنت من تطلابي | وإليك من عشرين كأن خطابي
لم تزو عن عيني رؤاك ولا خلت | شفتاي من نغم ومن تطراب
قد كنت منك ولست أبرح قطعة | وهواك ظل على المدى من دابي
ناغيت أعشاش النسور كأنها | فوق القباب نماذج لقباب
وعلوت أسنمة الجبال وخلتني | منهن ممتطيا متون سحاب
وسمعت همهمة الرياح مبينة | عما بها ، وكأنه عما بي
ولممت من آداب أهلك باقة | نثرت براعمها على آدابي
وجنت يداي قطوفها وترنحت | قدماي في سوح له وشعاب
وخطفت همسا من نجاوى صبوة | رفل كأنداء الصباح عذاب
حلجات أحلام كأن رفيفها | همس الربيع لروضة معشاب
ورؤى تمازج لا تبين كصحوة | في غفوة أو حضرة بغياب

يوم الشمال وفي ضخامة باعث | عذر يقوم بتهمة الإطناب
أنا في ركاب الشعر ما لم أحده | فإذا حدوت فإنه بركابي
صغت القوافي فيك أنت مثارها | وإليك حسن مردة ومثاب
من حر بأسك وقدها ونسيجها | من نسج درع المستميت الآبي
ووفيت حتى إذ كفاني موهنا | بؤس التغرب ذلة الإرهاب
واليوم ألقى للفداة بحصتي | وعلى ثواب الواهبين ثوابي

يوم الشمال وليس يومك وحده | هو يوم كل محلة وجناب
هو يوم رهط الشعر والآداب | وتلاحم الأقطاب والأقطاب

هو يوم أعراس العراق بها انجلت ... من غمرة كالعثير المنجاب
هو يوم بغداد يصافق دجلة ... فيها الفرات بمترع الكواب
كانت شريكك فى بلائك كله ... وحليف روحك فى الأذى المنتاب
حرانة فى ليلة ونهارها ... غصانة فى مطعم وشراب
وكأنها كانت يقض وسادها ... ما فى وسادك من رؤوس حراب
كانت ترى الإرث المقسم بينها ... نهب الخطوب السود كالأسلاب
وشعاف تاريخ لباب نابض ... قطعا يحز بها كحز رقاب
ولشركة الأفراح أهون منفذا ... فى ألفة من شركة بمصاب

إيه سراة الدار لا أعنى بهم ... إلا حساة الدار يوم ضراب
الحاسبين الشعب خير قضاتهم ... والخائفين لديه يوم حساب
والنازعين الحق من أسد الشرى ... والخائضين إليه أى صعاب
وأجل من تعب بعابر لذة ... عند المكافح لذة الأتعاب
لا بد من إحدى اثنتين مبرة ... فيها عناء، أو معرة عاب
من أجل ذلك قيل: حسبك من غنى ... كسر الرغيف، وطاهر الأثواب

لموا صفوفكم، وخافوا غدرة ... رقطاء من مستعمر وثاب
وتحرزوا منه ومن خرزاته ... إن العقارب لدغ بذناب
وتسابقوا للمجد إن فخاره ... نصف على الأشباه والأضراب
يثنى على المغلوب فيه ويعتلى ... إكليل غار مفرق الغلاب
وقفوا خلافات أطال عناءها ... إغذاذها فى جيئة وذهاب

لم يلف من سبب لكل بلية ... نكراء مثل تقاطع الأسباب
يعيا الجحيم بأن يسعر أمة ... فإذا هي اختلفت فعود ثقاب

هي فرصة مر السحاب فلا تفت ... أولا فمت يستطيع رد سحاب

اليوم أخلد في غلاف خنجر ... خجل ، وفر مهند بقراب
وخبأ أزير الطائرات كأنه ... تنعاب بوم ، أو عواء ذئاب
ومشى السلام مرفرفاً بجناحه ... بذرى حمامات له أسراب
أضوى الهزال لحومها وأكنها ... رعب بأقبية لها وجباب
واليوم تسمن بالأمان حواصلا ... وترب منه حواصلا لزغاب
وسلمت يا وطناً كفل جيئتي ... وأعد زاكي تربه لإيابي
أغلى أماني التحام صفوفه ... ونقاء وحدته أعز طلابي

***

وصرفت عيني

وصرفت عيني وهي عالقة ... صرف الرضيع برغمه فطما
عن كل ما جرت الدماء به ... ما دق من شيء وما عظما
عن دورة الوجه التي انسجمت ... وجمال هيكلها الذي انسجما
نطقت به شفتان زودتا ... بألذ ما وعت الشفاه فما
جمع الشتات يمج مرشفه ... عبق الربيع وينفخ الضرما
عن روعة النهدين خلتهما ... متوزعين إذا هما التأما
عن كل ما فيها وأحسبها ... خلقت معاني لم تجد كلما

حتـــى لأخجـــل إن تمـــد يـــدى ... لتجنـــد القرطـــاس والقلـــما

عريتهـــا خلســـا ومـــا أثمـــت ... ووجـــدت لـــذة مشـــته أثـــما

وصرفـــت عينـــى أدرى ألمـــا ... مـــن حيـــث رحـــت أضـــاعف الألمـــا

كـــان الوجـــود أريـــده عـــدما ... ويريـــدنى إن أوجـــد العـــدما

***

لجاجك في الحب لا يجمل

لجاجـــك فى الحـــب لا يجمـــل ... وأنـــت ابـــن ســـبعين لـــو تعقـــل

تـــقضى الشـــباب وودعتـــه ... ورحـــت عـــلى إثـــره ترقـــل

مضى منـــك فيـــه ربيـــع الحيـــاة ... ومـــات بـــه نصـــفك الأفضـــل

بكفيـــك واريتـــه لحـــده ... وظلـــت عـــلى لحـــده تعـــول

وهـــا أنـــت تســـتقبل الماضـــيات ... لـــو أن الـــذى فـــات يســـتقبل

تعلـــل نفســـاً بأطيافهـــا ... وموعظـــة لـــك مـــن عللـــوا

كـــأعمى أضـــل ســـواء الســـبيل ... وحيـــدا.. وقـــد فاتـــه المنـــزل

تـــدير بعينيـــك حيـــث الشـــباب ... يعـــل بـــه الـــوارد المنهـــل

وحيـــث يهـــب نســـيم الحيـــاة ... يثـــير بـــه المفصـــل المفصـــل

وإذ كـــل ناعمـــة بضـــة ... بـــأنعم تـــردف أو تحمـــل

وإذ أنـــت لا مـــنهم فى الســـلاح ... ولا أنـــت منجـــرد أعـــزل

***

أيها الفارس

أيها الفارس الذى غادر الحومة عزلاء بعده والرجالا
عظم الخطب فيك غالب غلاب يعيى لكل خطب نزالا
يعجز الفكر موغلاً أن يواتى ما تواتى بداهة وارتجالا
أنشد الناس إذ رأوك على الأعناق تختال هيبة وجلالا
ذى المعالى فليعلون من تعالى هكذا هكذا وإلا فلا لا
شرف ينطح النجوم بروقيه وعز يقلقل الجبالا

***

يا غادة الجيك ويا سحرهم

ياغادة الجيك ويا سحرهم أين اقتنصت كل هذا الجمال
من خضرة المروج ؟ من حمرة الورود؟ من نبع بسفح الجبال
ياغادة الجيك يا سحرهم ويا مهاة فى كناس الغزال
شاء نداك السمح أن يلتقى ضربان شتى من ضروب المحال
رفيف صدغيك المنى يافعاً باليأس من رفيف شيب القذال
ران على صدر كسقط الندى من رقة ثقل السنين الطوال
غُنجان قتالان.. غنج الهوى يعتصر القلب وغنج الدلال
أدار من رأسك خبث الصبا وأجهزت كأس عليه فمال
وادورت كى تقطف الوجنتان كالثمر الغض ادلى كى ينال
كأن ما بين انعطافيها لؤلؤة تندس بين الرمال

ياغـــادة الجيـــك ومـــا إن يـــزال	أبعـــد مما قيـــل مـــا لا يقـــال
علمنـــي كونـــك فى جـــانبى	أن لـــيس شيء معجـــز لا ينـــال
ياغـــادة الجيـــك كعنـــف الصـــبا	ولينـــه عنـــدك لـــين الصـــلال
ســـوف تظـــل الفكـــر الموحشـــات	تجتـــز مـــن لطـــف وعنـــف الوصـــال
خمـــس ليـــال ألفـــت بيننـــا	عاشـــت بـــذكراهن شـــتى ليـــال
إذ شـــعرك الجعـــد ادلى فـــادنى	وأنفـــك الحلـــو تعـــالى فشـــال
وإذ مشـــت عينـــاك فى ومضـــة	عجـــلى كخفـــق أخريـــات الـــذبال
وإذ ســـؤال مـــبهم لم يجـــب	وإذ جـــواب لم يشـــأه ســـؤال
وإذ رؤى الكـــون وأحلامـــه	حقيقـــة وإذ حقيـــق خيـــال
والنـــد إذ يســـطع مـــن مجمـــر	مـــا كـــل مـــا يعـــرف عنـــه يقـــال

يـــا غـــادة الجيـــك ولا تنكـــرى	عقبـــى الهـــوى فالحـــب داء عضـــال
يعـــتصر القلـــب بأوجاعـــه	حتـــى إذا اشـــتد بهـــا واســـتطال
تحينـــت مـــن روحـــه فرصـــة	كعنـــزة ناشـــطة مـــن عقـــال

يـــا غـــادة الجيـــك وأعجوبـــة	قـــرب المواتـــاة وبعـــد المنـــال
طـــوع يـــدى كنـــت وكـــان الهـــوى	طـــوع يـــد العقبـــى ورهـــن المـــآل
ياغـــادة الجيـــك ومهـــر الصـــبا	ألفـــى لـــه فيـــك مجـــالا فجـــال
رهـــواً طليقـــاً كنســـيم الصـــبا	يختـــال مـــا شـــاء لـــه الاختيـــال
لى ثقـــة بـــالنفس أنعشـــتها	كقـــاب قوســـين مـــن الانحـــلال

ياغـــادة الجيـــك وســـاوى بنـــا	أنـــا كلينـــا عرضـــة للـــزوال

تعزيـــة للـــنفس فى طيهـــا ... لمـن يريـد الصـدق قـولاً.. مقـال

يـا غـادتى.. إن الـدنى جنـةٌ ... نغَّـص منهـا سرعـة الانتقـال

حشـد مـن الخلـق بهـذا المجاز ... يمـر كالأطيـاف سرعـى عجـال

ياغـادتى ..إن الغبـار الـذى ... تـرين بقيـا ذكريـات تـدال

لوشـاء ذا الهبـاء قـولا لقـال ... مـا لم يكـن يخطـر يومـا ببـال

لقـال : إن الـدهر طاحونـة ... نحـن ومـن أسـلف منهـا ثفـال

لقـال : إنـى هبـة مـن هـوى ... يـذكو.. وسـؤر مـن دموع تـذال

إنـى لهـاث القبلات الطـوال ... وميلـة عـلى فـم يسـتمال

ذكـرى يمـين علقـت بالشـمال ... ووشوشـات مثـل همـس النمال

ذكـرى قلـوب عالجـت بعضـها ... ثـم انجـلى النفـع وزال القتـال

ياغـادة الجيـك وكـم لطفـت ... مـرارة الـذكرى بحلـو الخيـال

ياغـادة الجيـك وكـم خـاطر ... أهـون منـه شـفرات النصـال

ياغـادتى : وسـالف الـذكريات ... مثـل الهشـيم اليـبس فى الاشـتعال

تقدحـه الخـواطر الملهبـات ... قـدح الزنـاد الصـلد عـود الشمال

مـا أتفـه العمـر سـوى برهـة ... كـل ليالينـا عليهـا عيـال

نحـن ممـا اقتطعـت عنـوة ... حنـين نيـب لاقتطـاع الفصـال

تصـعد الزفـرة عـن زفـرة ... مـا دب فى الأرض فصـيل مثـال

ياغـادتى وقـد أرتنـى الحيـاة ... أن المخـيلات سراب وآل

يصـطنع المخـدوع أكذوبـة ... كـيما يقـال إنـه فى الرجـال

أريـد لى أن أستشـف الهـوى ... والعمـر فى بحبوحـة الاقتبـال

إذ الشــباب شــافعى فى الهــوى يقتــنص الــنجم البعيــد المنــال
وإذ يــدى تزهــى بحــب النــوال وإذ فمــى يحشــى بســحر حــلال
إذ النــدى رجولــة.. والهــوى شــهامة ولطــف روح جمــال
ياغــادتى : وعــت مــا لا يعــاف وابتعــت مغــروراً رخيصــاً بغــال
واعتضـت عـن معركـة العاطفـات جياشــة.. معركــة مــن جــدال
أزعــم أنــى مغــرم بالنضــال كــأنَّ حبــاً ينتفــى والقتــال
كــأن حبــاً لم يكــن علــة لكــل معلــول بــه لأبطــال
وفى دمــى ممــا ارتمــى حولــه مــن الأحاســيس مــدب النمال
ياغــادة الجيــك ومــات الصبــا غرثــان صــديان بــداء الهــزال
ألقــت بــه الأقــدار فى مهمــه يخــادع العــين بــه كــذب آل
وحولــــه فى أيـــما مطعـــم أيـــتما فاكهـــة فى ســـلال
ألقيــت رحــلا مــثقلا بــالونى فى مهمــه عنــه تشــد الرحــال
ياغــادتى : إنــى وســحر الحيــاة ولطفهــا وخافقــات الظــلال
ومرهــف الحــس كــما ضــايقت شــول لقــاح درب عــود حيــال
وكالضــليل يرتعــى النــيرات ومغــرز الرجــل بكــوم الرمــال

ياغــادة الجيــك ولم يجتمــع كحســن أهليــك لأهــل وآل
بوهيميــا والنــاس فى خطــة وأنــت فى أخــرى كحــرب ســجال
علمــت دنيــا زمتــت أنــه يقتــنص اللــذات مــن لم يبــال
علمتهــا كيــف يكــون المحــال وكيــف لــو أمكنــه لاســتحال
ياغــادة الجيــك وكــم خولطــت شــاكلة الــزى بــزى الشــكال

تجسـد الحسـن بـما جلبيـت ... فتونـه ولـو تعـرى لسـال

فـن بـه صـنت الهـوى فـازدهى ... لـو كـان مـن غـيرك كـان ابتـذال

بوهيميـا يـا قطـة فى الجبـال ... وحشـية تخـاف منهـا الوعـال

تلـون الغـاب بأظلالـه ... تلونـت مـا بـين حـال وحـال

***

ذكرى عبد الناصر

أكـبرت يومـك أن يكـون رثـاء ... الخالـدون عهـدتهم أحيـاء

أو يرزقـون؟ أجـل.. وهـذا رزقهـم ... صـنو الخلـود وجاهـة وعطـاء

قـالوا: الحيـاة.. فقلـت:ديـن يقتضي ... والمـوت قيـل: فقلـت: كـان وفـاء

يـا قائـد الجيش الشـهيد أمضـه ... شـوق فـزار جنـوده الشـهداء

أكـبرت يومـك أن يكـون رثـاء ... أجعلـت منـه موعـدا ولقـاء ؟

أبرفـرف الخلـد اسـتفزك طـائف ... لتسـامر الخلصـان والخلطـاء؟

أم رمـت جمع الشـمل بعـد تفرق ؟ ... أم أن تثـير كعهـدك الشـعراء ؟

يا أيهـا النسر المحلـق يتقـى ... فـيما يميـل عواصـفا هوجـاء

يـنقض عجلانـا فيفلـت صـيده ... ويصـيده إذ يحسـن الإبطـاء

أثنـى عليـك ومـا الثنـاء عبـادة ... كـم أفسـد المتعبـدون ثنـاء

ديـة الرجـال إسـاءتان.. مقلـل ... وأسـاء.. جنـب مكثـر وأسـاء

لا يعصـم المجـد الرجـال وإنـما ... كـان العظـيم المجـد والأخطـاء

وإذا النفـوس ترفعـت لم تفتكـر ... لا الانتقـاص بهـا ولا الإطـراء

لا يأبه البحر الخضم روافدا ... يلقى ولا زبدا يطير غثاء
لم يخل غاب لم يحاسب عنده ... أسد.. بها يأتى صباح مساء
تحصي عليه العاثرات وحسبه ... ما فات من وثباته الإحصاء
قد كنت شاخص أمة نسماتها ... وهجيرها والصبح والإمساء
ألقت عليك غياضها ومروجها ... واستودعتك الرمل والصحراء
كنت ابن أرضك من صميم ترابها ... تعطى الشماء ولم تكن عنقاء
تتحضن السراء من أطباعها ... وتلم رغم طباعك الضراء

قالوا: أب بر فكانت أمة ... ألفا ووحدك كنت فيها الباء
خبطت كعشواء عصورا وانثنت ... مهزومة فأثرتها شعواء
وأنرت درب الجيل شاءت دربه ... حيل الطغاة عمية تيهاء
وعرفت إيماناً بشائر وعيه ... إذ كان يعرف قبلها إغواء
وانصعت فى سود الخطوب لئيمة ... تسدى طلائعه يدا بيضاء
وبرمت بالطبقات يحلب بعضها ... بعضا.. كما حلب الرعاة الشاء
ووددت.. لو لم تعترف شريها ... لا الأغنياء بها ولا الفقراء
وجهدك أن تمضى قضاءك فيها ... لتشيد مجتمعا يفيض هناء
أسفا على ك فلا الفقير كفتيه ... بؤسا.. ولا طلت الغنى كفاء
قد كان حولك ألف جار يبتغى ... هدما.. ووحدك من يريد بناء

لله صدرك.. ما أشد ضلوعه ... فى شدة.. وأرقهن رخاء
تلج السياسة فى تناقض حالها ... فتطابق العزمات والآراء
كراً.. وإحجاماً.. ورقة جانب ... وصلابة.. وسلاسة ودهاء

ورأيـت فى أسـوان قـدرة سـاحر ... يسـعى ليوسـع ميتـا أحيـاء
وبعثتـه حيـا ودسـت مشـككا ... وصـفعت همـازا بـه مشـاء
وقمـرت شر مقـامر وكسـبته ... وسـلبته أوراقـه السـوداء
ورددت كيـد مكايـد فى نحـره ... واصـطدته بشـباكه إغـراء
ولففـت رأس الأفعـون بذيلـه ... وقطعتـه.. وخطبتهـا بـتراء
وصـنعت معجـزة القنـاة ورعـتهم ... وسـقيتهم حمـم الجحـيم المـاء

وعصرت طاقـات الجمـوع ورزتهـا ... فوجـدتها ولادة عشراء
وجسسـت أوتـار النفـوس فوقعـت ... لـك طوعـا أنغامهـا السـمراء
ألقـت إليـك قلوبهـا وعروقهـا ... سـمحاء مـا شـاء النـدى معطـاء
فـإذا نطقـت ملكـت مهجـة سـامع ... وخشـوعها.. والسـمع والإصـغاء
وإذا سـكت أشـاع صـمتك رهبـة ... حتـى يخـال كتيبـة خرسـاء

أثنـى عليـك عـلى الجمـوع يصـوغها ... الـزعماء.. إذ هـى تخلـق الـزعماء
ورؤى حزيـران وحسـبك أنـه ... يحيـى لنـا بـرؤاه عاشـوراء
ناهضـت فانتهضـت تجـر وراءهـا ... شـم الجبـال عزيمـة ومضـاء
واقتـدتها فمشـت يسـدد خطوهـا ... إن كنـت أنـت دليلهـا الحـداء
ونكسـت فانتكسـت وكنـت لواءهـا ... يهـوى فـما رضـيت سـواك لـواء
ثقـة.. يحـار بهـا النهـى.. ومعـزة ... تاهـت عليهـام السـها خـيلاء
قـالوا:عمـى فى العاطفـات.. ونـدرة ... بعـث الـزعيم عواطفـا عميـاء
كـانوا وعـاه يأخـذون طـريقهم ... للمـوت.. لا غفـلا ولا أجـراء
خـار الضـعاف دروبهـم وتخـيرت ... هـم الرجـال مشـقة وعنـاء

ما كان ذنب أن يطول على السرى ... ليل يطيل صباحه الظلماء

يطوى عليه الناكصون جناحهم ... ويضم تحت جناحه العملاء

كلا.. ولا ذنب الجموع بريئة ... عذراء من غصب العفاف براء

ما كان ذنبك كليكما عدد الحصى ... أمم نهين بوطئها الحصباء

يا مصر نحن الحالمون كما ادعوا ... حاشا.. وبئست نزعة تتراءى

إنا رئات فى حنايا أمة ... راحت بنا تتنفس الصعداء

لم نأت بدعا فى البيان وإنما ... كنا لما حلمت به أصداء

لسنا ملائكة.. ولكن حسبنا ... إغراؤها لنقاوم الإغراء

نلفى بها وهبت لنا من وحيها ... عن كل ما تهب الحياة عزاء

لا هم عفوك.. إننا من قلة ... خلقت لتعطى حقها الأشياء

خلقت لتدرك ما يخامر نملة ... فى زحفها وحمامة ورقاء

لتعيش مأساة الخليقة كلها ... ولتستبين دواءها والداء

وارحمتا للمبصرين تكلفوا ... أن يسدلوا عما يرون غشاء

دوت حماسات الرجال.. وأرزمت ... حتى لتستبق الجمال رغاء

ما أشجع الآساد تعجز كلها ... عن أن تنازل حية رقطاء

خمس مئون ملة وعروبة ... تعطى الصغار ثلاثة لقطاء

تلهو وثانى القبلتين مباحة ... وتعيد المعراج والإسراء

وتزخرف الحلقات كل عشية ... لتقيم زارا أو تشن دعاء

وتكدس الذهب الحرام كأهله ... تجد الحياة مذلة وثراء

وتطارد الفكر الشريف كأنها ... منه تطارد « هيصة» ووباءَ

ويشـارك الدسـتورُ وعـيَ مناضـلٍ بــالمجرمين عقوبـــة وجــزاء
وتُفلسـفُ الجْـور العسـوفَ وتجلـد الـدينَ الحنيـفَ ليسـتحيل عطــاءَ
مــن فــوقِ أعنــاق المشــانقِ تــدّلى خــيُر الــرؤوس شـهامةً ووفــاءَ
وتكــاد أقُبيــة الُّسـجون غضاضـةً وأسّــى تَصـيح لـترحم السـجناءَ
وتعـود تَعْجَـبُ كيـف كَـان مكانُهـا مــن حيــث تنطلــق الحيــاةُ وراءَ
فـيم التعجّـبُ؟ لا نحمِّـل وزرنـا قَـدَرا.. ولا مـا نحـنُ فيـه قضـاءَ
رُحنـا نقـصُّ مـن الجَنـاح قوادمـاً وخوافيـــاً قـــصَّ الغريـــر رداءَ
ونـزف لا الأرض الوطيئـة نـرتضي وكــراً ولا يرقــى الجنــاح سـماءَ

ســاءلتُ نفســى لا أريـد جوابَهـا أنـــا أمقـــتُ الضراع والبكّـــاء
أتـرى « صـلاح الـدين » كـان محمَّقـا إذ يستشـــيط حميـــة وإبـــاءَ
أم عـادت القـدس الهـوانَ بعينـه؟ أم عـــاد ديـــن المســلمين ريــاءَ؟

يـا ابـن «الكنانـةِ»وابـنَ كـلّ عظيمـةٍ دهيــاءَ تُحســن فى الــبلاء بــلاءَ
أعــززْ عــلى نــا أن تسـاء منبَّئـاً مـــا كنـــت تكـــره مثلهـــا أنبـــاءَ
ذُبح « الفـداةُ»روحـت أنـت ضـحيةً عــنهم.. ومــا أغنــى الفِـداء فـداءَ
ذُبـح « الفـداة»وليـت ألفـى ذابـح عـــن إصـبَع مــنهم يــروح وقــاء
واخزيــة « الأرْدُنّ» صُــبّغ مــاؤهُ مـــن خـــير أعـــراق لديـــه دمـــاءِ
لا طالعـتْ شـمس النهـار ضـفافَهُ وتســـاقطت رجمـــاً عليـــه مســاءَ
نـــذورا لأشـــلاء الغـــزاة بغَربـــهِ فتســـاقطوا« شرقّيــة» أشـــلاءِ
تلـك العظـامُ سيسـتطير غُبارُهـا يُعمــى الملــوكَ.. ويَطُمُـرُ الأمــراءَ
وإذا عجبــت فــأَنْ يلــمّ رميهــا مــن حولــه « الفرقــاء» والفرقـاء

لجأوا لأدبار « الحلول» فسمَّيت ... وسَطاً.. وسمَّى أهلها وسطاءَ

يا مصرُ يا حُلم المشارق كلّها ... مذ عانت الأحلام والأهواء

يا بنتَ « نيلك» من عذوبة جرسِهِ ... نغماتُ جرسك رقّةٌ وصفاء

حَضَنَ الحياةَ صبيةً فمشت به ... ومشى بها يتباريان سواء

يقظى ليقظان يَهُزُّ سريرها ... لم تقو فى شُطئانهِ إغفاءَ

وربيبة «الهرمين» شاخا إذ هما ... يتبنيانك صَبْوَةُ وفَتاء

تلقين فى السرّاء سحرَك كلَّه ... وتموّعين بصبرك الضراءَ

وتموِّنين الدهر سبعاً خصبةُ ... يُكفَى بها سبعاً له جدباءَ

مشت القرونُ.. وخلّفت أسحارها ... ترمى عليك الطلَّ والأنداءَ

والصبحُ يصبغُ وجنةً مشبوبةً ... والليلُ يكحُلُ مقلةُ وطفاءَ

والشمس تلفحُ سُمرةُ عربية ... والنجمُ يُرقِص قامةً هيفاء

ودَرَجتِ فى حقل« الحضارة» غضّةُ ... وبدأتِه تفّاحةُ خضراءَ

ولمتِ عن جنبيهِ أزهار الربى ... وجلوتِهنَّ جنائناً غنّاء

أسكنتِهُنَّ الشعر والشعراء ... والعلم.. والعلماء.. والحكماء

شِعّى برغم الداجيات.. وزحزحى ... منها.. وزيدى بهجة وُرواءَ

وتماسكى.. فلقد صمدت لمثلها ... وأمرَّ.. ثم أطرتهنَّ هباء

شِعّى.. فقارات ثلاثَ تجتلى ... عَبرالعُصور سِراجَكِ الوضاءَ

يا مصُر.. أحرفُك الثلاثة كنَّ لى ... لولا الغلّو.. الوجدَ والإغماءَ

عشرين عاماً لم أزرك وساعة ... منهنّ كانت منية ورجاء

لِمْ؟ لست أدرى غير إن قصائداً ... عشرين لم تشفعْ لديكِ لقاءَ

ناغيتُ فيها شعبَ مصرَ وهِجتُهُ ورجوتُه أن يركبَ الهيجاءَ
وشجبتُ «فرعوناً» يتيه بزهوه ينهى ويأمر سادراً ما شاء
وظللتُ أحْسُدُ زائريك.. وخلتني رتعاءَ تحسد أختها العجفاءَ
من كلِّ حذْبٍ ينسِلون، ولم أكنْ - وهواكِ - فيهم نسلة نكراءَ
وهبي ثقيلَ الظلِّ كنتُ فلم أُطَقْ أفما أطَقْتِ - فديتكِ - الثقلاءَ
دلّلتُ فيك أبوّةُ عهدي بها علمَ اليقين.. تدلّل الأبناءَ

يا مصرُ.. لي وطن أُجِلُّ عطاءَه ويُحَبُّ فيَّ سماحةً وعطاءَ
يغشى الدروب على حتى أنني لأكاد أفقد في الزحام رداء
سِرنا على درب الكفاح مُذ انجلى فخر الكفاحِ بجوِّه وأضاءَ
مُتجاوِبَيْن مدى الأبيد.. أهُزه إيثارةً.. ويهزّني إيحاءَ
للموتَ أَحدو والشهادة أهلَه أترى وجُدت لأَذبح الشهداءَ؟!
وبمصرَ لي وطن أطارَ بجوِّه ما لا أطار بغيره أجواءَ
أجدُ العوالمَ كلَّها في سَفحه سبحانَ خالقِ كونه أجزاءَ

يا سِدرةً في المنتهى لم تعترف إلاّ الظلالَ الخضر والأفياءَ
عاطي ظلالَكَ «ناصراً» فلطالما عاطى الجموع ظلالَه وأفاءَ
وعليكَ يا فخر الكفاح تحية في مثل روحك طيبةً ونقاءَ
إن تقضِ في سُوحِ الجُهاد فبعدَما سَعَّرت فيها الرمل والرمضاءَ
ولقد حمَلتَ من الأمانة ثِقْلَها لم تُلقِها برماً ولا إعياءَ
نَمْ آمناً.. ستُمدُّ روحُك حرةً وسْطَ الكفاحِ رفاقَك الأمناءَ

***

هلُمَّ أصلح

هلُمّ أصلِحْ.. رعاك الله.. ما فسَدا ... ما أنت أفسدت من أمر بدا فعدا
الْغادةُ استوحشت من بعد أُلْفَتِها ... وأَدبرت بعد إقبال لها صددا
أريتها «الألفَ» فاستضْرَتْ شهيتُها ... تخالُها ألفَ ألفِ ضوعفَت عددا
وأنّ لى كنز قارون وأنّ لها ... من إرثه ما يُصيب الأهلَ والولدا
من بعد ما كانتِ العشرونَ تبهَرُها ... تكاد تخطَفُ منها الروح والجسدا

أَفسدْتَ ميكى وميكى وردة قُطِفَتْ ... من جنة الخُلْد إذ رضوانُها هجدا
كأنّ عُرْيَتَها فى جُنْح داجيةٍ ... عُرْىُ الصباح على خُضْر الحقول بدا
كأنَّ رَوْحَ نسيمٍ فى تنفسها ... يَهُبُّ من ليلِ داريّا على بردى

هلُم أَصْلِحْ رعاكَ الله ما فسدا ... وخلّها تنجز الوعدَ الذى وُعدا
لَقّقْ من كذوبِ القولِ أعذَبه ... تَجِدْ له فى قلوب الغانيات صدى
أَقْسمْ لها إنها عَشْر أَضفَتَ لها ... صِفْرين تبغى بذاك المزح والفَنَدا
أو أنها وَرق لَوَّنْتهُ فغدا ... كأنّه الوَرِقُ النَّقْدُ الذى أُتقِدا
أو أنها راودت فى يقظة حُلُماً ... حتى إذا مَسَّحت أجفانَها طُردا
أقسم لها أنه لو كان يملكها ... لمات من فَرَح أو جُنَّ فارتعدا
لا يعرف «الأَلْفَ» إلا فى مصائبه ... أوالخصوم..أو المرّ الذى حصدا
لكنه يملك الدنيا بعاطفة ... جيّاشةٍ وفؤاد يُلْهبُ الجَمَدا
وإن حظَّكِ من هذا وذا نَصَف ... فى بعضه ما يُثيرُ الحِقْدَ والحسدا

ظلي – سلمتِ – له ظلاً يلوذُ به ... ينسى بيومكِ أمساً غابراً وغدا

وأَسلميه كنوزاً منكِ عامرةً ... فإن في الحب كنزاً عامراً أبدا

ولا تخالي فروقَ العُمْر حائلةً ... فكم شأى في «الفتون» الوالدُ الولدا

سبع وعشر وسبعون إذا اجتمعا ... كنَّ الصبّا والنُّهى واللُّطْفَ والرَّشدا

إن تَسْلما يَنْمُ غرسُ الفنِّ بينكما ... ومن يمت منكما يوماً فقد خَلَدا

قطّر لها ما يُذيبُ النحلُ من شَهَدٍ ... فإن في الحرف زهراً يجمع الشَهَدا

أولا فحتفُكَ في كفي وطوع فمي ... فإن في الحرف سماً يقتُل الأسَدا

***

سلمت ثورة .. وبورك عيد

عيد نيسان

سَلِمَتْ ثورة وبُورك عيدُ ... وتعالت جُموعُكم والحشودُ

وزكت ساحة من المجدِ تُعْلِي ... جانِبَيْها معاصم وزُنودُ

أيُّها المبدعونَ يُحيون نيساناً ... جديداً تَرفُّ فيه الوُرود

ويعود الربيعُ غضّاً بما تضفي ... عليه وجوهُكم والجُهود

بوركت هذه السواعدُ ما تبني ... وما تبتغي وما تستزيد

يأكُلُ الحَر جِلْدَها ثم تُنشأ ... بالذي ضمت القلوب جلود

بُقَعُ الشمس للنِّضال شعارات ... وخفقُ الأرواح فيها بنود

شمَخَتْ بالذي تُقلُ بُناة ... وزها بالذي يُقِلّ الصعيد

جِدَّةُ الدهر سوف تَبْلَى وتبقى ... نخوة مُرّة وعزم عنيد

كُلُّ شيء لَه حدود وليست ... للذى تُبدِعُ الشعوبُ حدود

وعلى ما يشيد ذهن مَريد ... تتهاوى حواجز وسدود

وسلاماً للعاملين يشقون ... دروباً يمشى عليها الخلود

عطرات رباعُها يتهادى ... فوقها يَسْبقُ الجدودَ الحفيد

كذِبَ الجودُ مرتجى وتِجاراً ... عَرَقُ الكادحين فضل وجود

سلِمَتْ ثورة.. إذا مرّ عيد ... جَدَّ عيد منها رضيٌّ سعيدُ

ينفع الناس.. لا المباهجُ غُفْى ... مُبْهَمات ولا العطاءُ وعود

للجماهير لا كما أوقفتْها ... لكروشِ تلك العهودُ السود

لا لبعثٍ ولا نشورٍ تُرَجّى ... قُبِرَتْ وانطوتْ عليها اللّحود

أزف الوعدُ وانجلى الصبّح واستشرف ... للعين فجُره الموعود

وأرى التضحياتِ يَقبِسُ جيل ... بعد جيلٍ من ضوئها ويَزيد

يومَ «نيسانَ» أنت للبعث عيد ... والتفافُ الصفوف حولك عيدُ

جبهة مثلُ جبهةِ اللّيثِ.. بأس ... واعتزاز يمشى بها وصُمود

غايةُ المجدِ أن يلَمَّ شتات ... كلُّهُ حين يُسْتجاشُ جنود

حبةً حبةً تُضَمُّ اللئالى ... ريثما يستقيمُ عِقْد فَريد

وقِوامُ الشعوب جهد وصبر ... وعطاء عَبْرَيهما مردود

وعلى قدر ما تُمَهَّد أرض ... ويُنَمَّى زرع يكون الحصيد

يا حُماةَ الحِمى وعبء الأمانات ... ثقيل وحملُهُنَّ يؤود

ولقد تَنْصُرُ الجدودُ جباناً ... ولقد تَخْذُل الشّجاعَ الجدود

ولقد يخجل القُعُودَ قيام ... ولقد يخجل القيامَ قعود

رهــن أُيــديكُمُ مصــاير شــعْب … في يديــه للتضــحيات رصــيد

مُغْــرمَ بالوفــاء يُســدى إلــيكم … ضــعفَ مــا قــد تُسْــدوَنه ويزيــد

ولديــه مــن مضــمراتِ النّوايــا … بَصَر يكِشــفُ الغيــوبَ حديــد

شُوِّشَــتْ عنــده المواهــبُ حتــى … ليعَمّـــى ذكُّيهـــا والبليـــد

فجِّروهـــا يُفَجّـــر الشرق منهـــا … ضَرَم يُسْرِج الظـــلام.. وقيـــدُ

وأضــيفوا شــوطاً لشــوط كــما تعــلى … جيـــاد طرادهـــا وتُجيـــد

وأمِـــدّوا بـــالمنجَزاتِ وزيـــدوا … واســـتميتوا مـــن دونهـــن وذُودوا

يــا حــداةَ التــاريخ طابــت شــداة … وســمت غايــة وجــلّ النشــيدُ

ســعِّروا جمــرة الكفــاح ومُــدّوا … نارَهـــا يَنْبَثِـــقْ لنـــور عمـــود

لا يَهُنْ دربُكُم على كُمْ ولا يُسلِسْ … نظامـــاً مشـــى عليـــه وئيـــد

ظنّـــه أن مـــا تـــيسّر منـــه … حِصَـــص لـــيس بعـــدهنّ مزيـــد

وانخـــداعاً أن قـــد أفـــاء عليـــه … سَجْسَـــج وارفُ الظـــلال مديـــد

طُـــرُقُ المجـــدِ مُـــوعرات عليهـــا … كـــلّ يـــوم في كـــل شـــبر شـــهيد

نَعْتــذى مــا طهــا الطهــاةُ وننســى … أنهـــم ملـــح مـــا طهـــوا والوقـــود

والحضـــارات مـــا تفجـــر صـــدر … وســـقى معصـــم ودرَّ وريـــد

والكيانـــات بـــالجماجم مـــا صـــفّق … كـــأس منهـــا ومـــا رنّ عـــود

سلِمُ الدهرُ في صُعود ومن يدرى … إلى أيـــن ســـوف يـــمضى الصـــعود

والليـــالى مـــذ كـــان ليـــل بـــزاةِ … وشـــباك وقـــانص وطريـــد

وصراع دامٍ ليـــوم مريـــرِ … يســـتوى فيـــه ســـيد ومســـود

ومهيباً يمشى الزمانُ فلا تطرف … عـــين ولا يُلَفَّـــتُ جيـــد

فجديـد ينشـا ويُنسـى ويَمْشـى فوقَـه دون أن يُحَـسّ.. جديـدُ
يـا ربايـا غـدٍ يُلَـوِّحُ منهـا مشرئبـاً غـد مكـين وطيـد
لا خبا نـوؤكم ولا غـاب عـنكم مـن نجـوم تلـوح فيـه سـعود
ورعـتكم مـن المـواطن عـين لـيس تـدرى أجفانهـا مـا الهجـود
سـاهرات مـا إن يُغَيَّـبُ عنهـا حـين يُحصى المـذمومُ والمحمـود
وكتـاب للشـعْب فى دَفّتيـه كـلّ خـير بضـعْفِهِ مـردود

وسـلاماً للقائـد الأصيد البكـرِ تلاقـت عـلى خطـاه الصـيدُ
واسـتجابت لـدعوة منـه أشـتات يضـم القريـبَ منهـا البعيـد
جبهـة مثـلُ جبهـة الليـث.. بـأس واعتـزاز يمشـى بهـا وصـمود

سَـلِمَتْ ثـورةْ وبـورك عيـد
وتَعالـت جمـوعكم والحشـودُ

***

فى يوم التأميم

وافى كفجـرٍ يُولَـدُ يـوم أَغـرُّ محسَّـدُ
فى كـل سـاع مَخبَرَ منـه يعِـنُّ ومولـد
عطـرُ الشـذاة كـما تفـوحُ جميلـة تَتَنَهّـد
وافى يُرفْـرِف فُوقـهُ شَـفَق يَطُـوْفُ مُـوَرَّد
حُلْـم لـه قَـدَر مـع السَّـحَر النَّـدى وموعـد

ومنىّ كأزهار الربيع … على المَدى تتجدَّد
يوم لأيام حسانٍ … يُرتقَبْن يُمَهِّد
وعلى ملامحهِ طلائعُ … ما سيطلُعه الغدُ

قل للشباب وهم عروقٌ … حميمةٍ تَتَقَصَّد
ومسارجٌ في كلٍّ … داجيةٍ تُضاء وتُوقد
يا خيرَ من تُثْنى عليه … عُرى الرجاء وتُعْقد
وأحقَّ من يُدعى إذا … دُعيت «نَزال» ويُقصَد
لُمّوا الصُّفوف وحشِّدوا … وخذوا الطريق وأبعِدوا
واستهدفوا المرمى البعيدَ … وشَخِّصُوهُ وسَدِّدوا
طُرُقُ الكفاح مذلَّلات … بالدماء تعبَّدُ
يحيا النضال بجمرها … وعلى حصاها يولد
وتوَّحدوا فلطالما … غَنَّيْت أن تتوحدوا
ولطالما راح القصيد … ومن دمي يَتَفَصَّد
ولطالما عِلقتْ بكم … منه العُيونُ الشُّرَّد
فتكاتفوا تُزْنَد بكم … كتف البلاد وتُعضَد
إنِ الطوارق لا تفرق … بينكم فتَوَحَّدوا
وَهَبَ البُحورَ مناعة … نهر بنهر يُرْفَدُ
ما جبهةُ الأسدِ الشّموخِ … بها يَصُولُ ويَنْهُد
يُزهى على ضوء الصباحِ … بغُرة تتوقَّد
يوماً بأمنعَ من جباهِ … حُرّة تَتَوَحَّد

لا تصــبِروا.. إن الصــبور عـــلى الأذى يَتبَلَّـــدُ
فــإذا تعــذرت الحيــاضُ عــلى الــوُرود..فــأَوْردوا
وإذا بَــرِمْتُمْ بــالعَتيق مــن العُقــول فجــدِّدوا
وإذا تمــردت الخُطــوبُ عــلى كــمُ فتمــردوا

وتحضــنوا عهــداً يــربُّ طِماحَكــم.. وتعهــدوا
حمــداً لمســعى الجْاهــدينَ بكــل مســعىّ يُحْمَــد
الحــاملينَ مــن الأمانــةِ مــا يُقــيمُ ويُقعِــدُ
والناهضــين .. وقــد تقــاعسَ قاعــد أو مُقْعِــد
يتســابقون مــع الزمــان فيصــعَدون ويصــعَد
يجــدون طــوعَ يــد الرجولــةِ كــلَّ مــا لا يوجــد
يُغــريهم أن يصــطلوا جمــر الكفــاح .. ويصــمُدوا
ويَــرَوْنَ أكفــاء الرجــال شــدائداً تتحشــدُ
فكــأنما المحــن الصــعابُ لأهلهــا تَتَــورد
إن لم تجــئ طــوعَ الجــرىءَ فإنهــا تتعمــد
بعثــت بهــم حرانــة مــن حيــثُ كانــت ترقــد
روح تعاوُرهــا الريــاح حزينــةً تــتشرد
لم تُلــف مــن جســد وهــا هــي عنــدهم تتجسَّــد
حقّــا يشــابكُ بــاطلاً ويــدًا .. وتعلوهــا يــد
وســيجهدون ونَجْهــد وســيُبْرقون ونُرْعِــد
شرف المعــارك أن يخــوضَ غمارهــا المتحــد

يقظــــان ذا ثقـــــة بـــــها ... وعـــــدت .. ومـــــا تتوعـــــد
يلـــــوي ويعـــــرك عودهـــــا ... مـــــن أي نبـــــع يُخضـــــد
مـــــا إن يهـــــاب مصـــــايرًا ... إلا الجبـــــانُ القُعْـــــدُد

خمســـــون عامًـــــا والعـــــراق ... عـــــلى الـــــبلاء مُصـــــفَّد
ذهبًـــــا يســـــيل وفي مصـــــارف ... «لنـــــدن» يتجمـــــد
صـــــهب الســـــبال يهزهـــــا ... طفـــــل جميـــــل «أســـــود»
يتخطفـــــون نظـــــيره ... مـــــن أي حضـــــن يولـــــد
خمســـــون عامًـــــا والدخيـــــ ... ـــــلُ «التـــــيمسيُّ» الســـــيد
الجـــــدَّ كـــــان .. وللمُـــــزاح ... متـــــوَّج .. ومســـــود
ومجـــــالس كـــــذبًا يقـــــام ... بهـــــا وزورًا يقعـــــد
كثـــــر «البـــــزاة» الصـــــائدونَ ... بهـــــا.. وغـــــاب الأصـــــيد
تســـــقيهم لعـــــق الـــــدماء ... يـــــد بهـــــم تتصـــــيد
وشرائـــــع تضـــــني بـــــها ... يـــــوصي الســـــفير وتوجـــــد
يـــــروي ويظمـــــئ مصـــــدر ... في راحتيـــــه .. ومـــــورد
أبـــــدًا ينـــــزل مـــــن عصى ... ولمـــــن أطـــــاع يصـــــعد
وصـــــنائع مـــــن كـــــل لـــــون ... خـــــادع يتعـــــدد
يتناســـــخون .. فصـــــبغة ... عـــــن صـــــبغةٍ تتولـــــد
مثـــــل الفســـــائل في الـــــتراب ... عرقُهـــــا تتمـــــدد
تعطـــــي الصـــــغار لـــــه يـــــد ... لتخـــــونَ موطْنهـــــا يـــــد

لُـــــموا الصـــــفوف وحشـــــدوا ... وزنـــــوا الكفـــــاح.. وصـــــعِّدوا

عـــدُّوا عـــلى المتربِّصيـــ ـــن خطـــاهم وترصَّـــدوا
وخـــذوهم مـــن كـــل حـــدْبٍ ينســـلونَ وشـــدّدوا
فســـيجمع الـــرهط الأجيـــ ـــرُ فلولـــه ويُجَنِّـــد
وســـينغظون .. رءوســـهم طلـــع الرجـــوم وأنكـــد
زعـــم «المرجِّـــفُ» أن ستُخـــ ـــبط أزمـــة وتعقـــد
ولســـوف يفســـد مصـــلح ولســـوف يصـــلُح مفســـد
ولســـوف يـــنهضُ مـــنهمُ زرع هنالـــك يحصـــد
وتنـــاذروا أن ســـوف يطـــ ـــمُع «فرقـــدان» و«فرقـــدُ»
بغيّـــا تـــراود أنفسًـــا أنفاســـها تـــتردّدُ
مـــا أطيـــبَ الأحـــلام لـــولا أنهـــا تتبَّـــدد
تـــأتي الهشـــيم فتوقـــدُ وتطـــيرُ عنـــه فيخمـــد
أولاء قـــوم فـــاتهم ركـــبُ الحيـــاة فأخلـــدوا
لا يحفلـــونَ بيـــومهم في أيٍّ وجـــهٍ ينفـــد
وتجـــاهلوا لغـــة الشـــعوب وقـــد وعاهـــا «الهدهـــد»
وتســـخروا الطمـــع الرخيـــ ـــص فأجهـــدوه.. وأجهـــدوا
يتصـــيدون ويرقبـــون متـــى يـــلاث المـــورد
أي المصـــاعدِ كـــان مـــا يُرقـــى إليـــه ويصـــعد
حتـــى عـــلى جُثـــث مـــن الشهـــ ـــداءِ .. نِعَـــمَ المصـــعد

لُمـــوُّ الصـــفوف وأقحموهـــا كـــلَّ بـــاب يُوصـــد
فبحســـبكم عـــبر تمـــدُّ خطـــى الضـــليل وترشِـــد

أيـــن الــــذين تصـــالحوا ... والموبقـــــاتُ فأفســــدوا
وتحلَّبـــوا مُتــــع الحيـــاة ... فكـــل شـــدق مزبـــد
وتسـلقوا قِمــم النُســورِ ... وهـــم خُطـــام أجـــرد
مـن كـل «طـاووس» يُلاعِـبُ ... ريشـــه ويُمسِّـــد
شَـحْم ولَحـم يُكنـزانِ ... ووجنـــة تتـــورد
يجـدون أطيـاف النعيــ ... ــم وسـائدًا تتوسـد
واليـوم يمسـخ بومـة ... متصـعِلك متقـرِّد
لم يبـقَ حتـى الرسـم منـ ... ـه ورُبَّ رسـم ينشـد
يخِـزُ العظـام ضـميره ... وبــه يســاطُ ويُجلـد
الصـبح وهـو مزعـزع ... والليـل وهـو مُسـهَّد
لُمّـوا الصـفوف وحشِّـدوا ... فسـينهضُ المتبلِّـد
سـيهُزُّ أمواتًـا غـدُ ... وتثـورُ أرض ترقـد
سـتموت «قنبلـة» ويُقـ ... ـبرُ «خِنْجَـر» و«مُهنَّـد»
إذ ذاك لا مسـتعبِد ... طـاغٍ .. ولا مُسـتَعبَد
عاهـدتُ نـفسي وهـي حِلْـ ... ـفة مـؤمن يتعهَّـدُ
أن لا أُجـج خدعـة ... فـيها يُـذمُّ .. ويُحمـد
كالسـيفِ اقطـعُ صـارمًا ... وكـذلك المتجـرِّد
ولـذاك تبتـر القصيـ ... ـدُ عـلى الشـفاه ويُنشـد
أو مـا تـراني إذ يُريـ ... ـبُ مقـرِّظ .. ومفنِّـد
أبـدًا أنـوحُ مـن الضميـ ... ـر .. وبالضـمير أُغـرِّد

وإذا تصـــافقتِ السُـــقاةُ بمُـــثْلج يُتَـــبرِّد

صـــفقت زغـــردة الصـــداح بآهـــنـــةٍ تتصـــعد

يـــا شـــعرُ يـــا دفـــع الهمـــومِ مـــن العـــروق تفصَّـــدُ

يـــا أنـــتَ .. يـــا «حرفًـــا» يُحِـــثُّ كـــما يُحُـــثُّ المِـــبرَد

كـــم مـــأزق بـــكَ خُضْـــتُه كـــالبحر حـــينَ يُعربـــد

يـــترددُ «التِمســـاح» يخشـــاهُ .. ولا أردَّد

حُييـــتَ يـــا وطنـــا عـــلى أعتابـــه تتعبَّـــد

طُـــلْ مـــا شـــاءُ ولا يطُـــل صرح عليـــك ممـــرَّد

وتخـــطَّ أســـوار الحـــدودِ برغمنـــا تتحـــدَّد

يـــا «تُربـــةً» نهفـــو إليهـــا كالإلـــه ونســـجُد

غُفْـــلاً نعفـــرُ كالـــذبائح فوقهـــا .. ونُمهَّـــد

حســـدًا نُجـــلُّ شـــهيدها أرأيـــتَ موتًـــا يُحســـد

ونحبُّهـــا حتـــى ونحـــن مُطـــارد .. ومُشرَّد

ســـأقولُ فيـــكَ ولم أكـــنْ ممـــن يزيـــغُ .. ويجحـــد

أنـــتَ الـــذي يُثنـــى عَليـــه في الكـــرُوبِ ويُحمَـــدُ

***

أقول : مللتها .. وأعود

أقـــول مللتهـــا.. وأعـــود شـــوقاً كـــأني مـــا عشـــقت.. ولا مللـــت

بـــلي وكـــأنني لم أثـــن منهـــا أماليـــد الغصـــون...ولا أملـــت

ولا سـالت بأكؤسـها دهاقـاً … معطـرة الحفـاف.. ولا أسـلت

ولم أعكـف عـلى مـرضي جفـون … ولم أبـرأ بهـن.. ولا اعتللـت

مضـت عشر وعامـان استقلا … ومـا استعفيتهن .. ولا استقلت

تقـول مـا يشـاء خبيـث طبـع … بلـوت طباعـه حتـى كللـت

بـأني حـول ...إن أعـوزتني … عـلى الملات أعـذار .. أحلـت

وأني مـا طلعـت عـلى صـحاب … أسر بقـربهم.. إلا أفلـت

معـاذ الله .. والخلـق المصـفي … وحـرة طينـة منهـا جبلـت

ولكنـي وجـدت الـود سـوقاً … يـراد بهـا تجـار فاعتزلـت

فمـن ختـل رميـت ومـا ختلـت … وعـن جبن خـذلت.. ومـا خـذلت

خـبرت النـاس والأيـام حتـى … يـداي كليلتـان بـما نخلـت

تسرهـم هنـاتي لم أسـائل … بهـم « عـر الهنـات » ولا حفلـت

ولم أخـبط معـاجنهم فحسـبي … بهـا الشـعرات منهـا قـد سـللت

ولم أسـال مغـازلهم خيوطـا … غنـى عـنهن بي فـيما نسـلت

كـذاك خلقـت مـا سـاومت خـدني … عـلى العـورات منـه.. ولا اهتبلـت

ولا خودعـت بالأمجـاد يومـا … ولم أهتـف بهـن ولا ابتهلـت

ولكـن بالسـجية وهـي صـفو … وبـالنفس الرضـية وهـي صـلت

وجـدت الحسـن يكمـل بانتقـاص … فلـو قـيض الكـمال لمـا كملـت

وتنعـدم الفـروق بـلا عيـوب … فلـو قـيض الكـمال لمـا كملـت

أبي ملـل.. ولـو قويضـت كونـا … بمـن أهـوي.. ومـا أهـوى..عـدلت

وتفجــؤني طيــوفهم كــأني إلــيهم مــن جديــد قــد حملــت
لمغنــي عشــته معهــم ســعيداً بهــم .. وخريبــة معهــم نزلــت
ولا والله مــا أوذيــت فــيهم ولا تقلــوا عــلى .. ولا ثقلــت

ولــو بي ملــة لمللــت طبعــا يجشــمني وعــن شــيمي عــدلت
ولا استنهزت مـن فـرص وأخـرى ومثــل الزئبــق السرع انتقلــت
ولكنــي أجــر الــذيل تيهــا بشــوب قبــل خمســين اشــتملت
ويزهــوني عــلى القصــب المــوشي حصـيلة مـا خسرت ومـا حصـلت
ولــو حملتــه كذويــه غــلا لكنــت بــه كــما حملــوا حملــت
ولكنــي شــجعت ...فــما أبــالي أجــلي .. أم كبــا قــدح أجلــت
سألت الصبر كيف جملت عندي؟ فقــال بــما تصــبرني! جملــت

تنســيني بنــات الــدهر نــفسي ولم أنــس اللــدات ولا غفلــت
وأوعــر مــاأكون.. فــإن تــراءت حقــوق أخ صــدوق لي.. ســهلت
وإني والمذلــة مــن عــداتي يهــون لعــزه.. أني ذللــت
وهــا أنــا مــا أقــالتني الليــالي عــن الإلــف الخــدين.. ولا أقلــت
وعنـدي صـفوة لـو فاضـلوني بهـم غــرف الجنــان لمــا فصــلت
ولــو حملــت كــل أذى وســوء كفـاء الـذب عـنهم.. لا حتملـت

أبي ملــل .. ولم أبــرح أمينــا لقــول قلــت.. أو فعــل فعلــت
ومقهــى أصــطفيه نصــف قــرن بــذكراه ورفقتــه احتفلــت
ودنيــا ذكريــات عــن همــوم قصرت بهــن همــا أو أطلــت

مـدى عمـرى تطـالعني وجـوه | بهـن كطلعـة الفجـر اكتحلـت
أصـعد آهـة مـن بعـد أخـري | عـلى مـن قـد فقـدت ومـن ثكلـت
أقـول مللتهـا.. وكـأن تربـا | عـلى قـبر عزيـز قـد أهلـت
وعـن شـغف أعـود أشـم منهـا | أريـج ثـرى عليـه قـد دللـت
تـرى.. كـم بسـمةٌ فيـه ابتـذلت | وكـم مـن دمعـة حـري أذلـت
وقلـتُ لصـاحبيُ والكـأسُ تثْنـي | يـدِي.. وكـأنني بـدمي غُللـت
وملهمـة بـما تُلقـي دلالا | بكـأسي مـن ثمالتهـا ثَمِلْـت
وقد ثمِلتْ.. فمالت وهـي تُرخِـي | عـلى كِتِفـي ذوائبهـا.. فَمِلـت
وأصـدء مـن الـنَّغَمِ المزجّـي | بـهِ خِلـتُ الـذي مـا كنـت خِلْـت
كـأني بالمعـارج مـن صـداه | عَرَجـت إلى السـماء.. ومـا نزلـت
لعمُـر أبيـكِ ولا يُثْقِلـكِ قـولي | وكـم مـن قولـة ثَقُلـت فقلـت
أري السـبعين في رشـدى دهـوراً | وسـبعاً.. وإن سـدرت وإن ضـللت

***

لّمي لهاتيكِ لّما

لـمـي لَهَاتَيْـكِ لَّمـا | وقـرّبي الشَّـفتين

لُمـا عـلى جمـرتين

بـالموت ملمـومتين

يـا حلـوة المشربـينِ

مـن أيـن كـان ... وأيـنِ

مــن صنع كــذب ومــينِ
سَّـــموْهُما زهـــرتَّين

لّـــي هاتيـــك لمـــا وقـــرّبي الجمـــرتينِ

وباعـــدي الخَصـــلتينِ
إمّـــا نظـــرتُ بعينـــي

فـــالموتُ أقـــربُ ممّـــا بـــين الجـــديلِ وبينـــي
يـــا حلـــوةَ المشربـــينِ مـــن أيـــنَ كـــانَ وأيـــنِ

أتثـــأرين بـــدَيْن ؟
أم أنـــت حتفـــي .. وحينـــي

لّـــي هاتيـــك لمـــا وقـــرّبي الزهـــرتين

جمـــراً يُقَطّـــر سَـــمّا
يـــا ثالـــثَ الكـــوثرين
مـــا أطيـــبَ السَّـــمَ طعـــما
شَرِبْتُـــــه مـــرّتين
فـــزادني« أُقّتـــين»
دماً... ولحـــماً .. وعظـــما

لّـــي هاتيـــك لّمـــا وقـــرّبي « المعبـــدين»

«ربـــيّن مُسْـــتَعبدَين
يُجــــدّفان عليـــكَ
فـــيما تجنيـــتِ إثـــما
ممـــا.. ومـــا ..ومـــا

يـــا حلـــوةَ المشربـــينِ مـــن أيـــن كـــان.. وأيـــنِ

لا تحـــذري اللّعنتـــين
فَـــثمَ طـــوعُ يـــديك
مـــن يُوسِـــعُ الإثْـــمَ لـــثما
والجمـــر َضـــمّا. ولّمـــا
ويَســـــتنيبُ إليـــك

يـــا نبـــت هـــذا البُـــدَيْنِ يَتيـــــه بالأَغيـــــدَين

فُوَيقـــهِ.. والـــدوَيْن
أتـــؤمنين بـــذَيْن
أم تثـــأرين بـــذَيْن
أم أنـــت حتفـــي وحينـــي

لـــي هاتيـــك لمّـــا وقـــرّبي الشّـــفتين

بـــابينِ للجنتـــين
والمـــوت مـــا بـــين بـــينِ

يـــا حلـــوةَ المشربـــينِ ... مـــن أيـــن كـــان وأيـــنِ

بُـــلّي بـــذاك «اللُّســـيْن»
فـــما تغشـــته حمـــى
كســـنٍّ رمـــح رديـنـــي
لم يـــرو إلا لـــيظما

يـــا أعـــذب الميتتـــين ... إن تبـــد وهنـــا لعينـــي

أســـطورة المـــوت وهـــما
فـــالسر في الخُـــدعتين

إني حببتُـــك جمـــا ... حُـــبَّ الثـــرى للمـــزين

فـــما أبـــالي بحـــين
مـــا لا مســـت إصـــبعين
منـــك اليـــدان اليـــدين

أقســـمتُ بالشـــمعتين ... مـــن عســـجدٍ .. ولجـــين

بتينـــكِ الـــوجنتين
نجـــم يضـــاحك نجـــمًا

أقســــمت بــــالقبلتين بتينـــــكِ الإصـــــبعين

زمــــا شـــــفاهي زمــــا
أن تلفـــــظ «الـــــدُّرتين»
إني أحبـــــك .. علـــــما
بهجنـــــة «الكلمتـــــين»

أقســـمتُ بـــالكون طُـــرّا صـــدرًا.. ونهـــدًا.. ونحـــرا

ومرتقـــــى .. ومجـــــرا
دنيـــا تُعـــاش .. وأخـــرى

إني عـــن الكـــون أعمـــى وأنـــت لي ألـــفُ عـــين

***

سائلي عما يؤرقني

ســـــائلي عـــــما يـــــؤرقني لا تســـل عنـــي.. ولا تلـــم
حـال ريعـان الشـموس ضحى وتمشي الـــــــثلج في الضرم
وانطـــوت دنيـــاي في كفنـــي وتـــقضى العمـــر كـــالحلم
وتمطـــي «الغـــول» محتقنـــا مـــن دم يمـــتصُّ وهـــو ظمـــى
ألـــف أظفـــور بـــألف يـــدٍ ألـــف نـــاب بـــين ألـــف فـــم
ورؤى الأطيـــاف تجرُفنـــي قشـــةً في ســـيلها العـــرم

فأنــــا كـــالموج منصرمًـــا ... في عبـــاب غـــير مـــنصرم
وأنــــا كـــالبرق منطلقًـــا ... فـــات حتـــى خيـــل لم يشـــم
وأنــــا كـــالعود يقضـــمه ... ســـارب مـــن ســـارح الـــنعم

ســـائلي عـــما يـــؤرقني ... أنـــا مـــن ديمومـــة الظلـــم
أنـــا مـــن أعـــماق وحشـــتها ... أنـــا مـــن ديجورهـــا الهـــرم
أنـــا أعمـــى في متاهتهـــا ... كـــيفما حطـــت بهـــا قـــدمي
ظلـــماتُ الـــنفس قـــد رسمت ... منـــذ خطـــت ظلمـــة الـــرحم
وعـــلى حافاتهـــا انتصـــبت ... هولـــة، أرجوحـــة العـــدم
وعـــلى طـــول المـــدى غصـــص ... ترقـــب الســـارين مـــن أمـــم

ســـائلي عـــما يـــؤرقني ... أنـــا مـــن دوامـــة الألم
أنـــا ينبـــوع مـــن الـــبرم ... أنـــا تعبـــير عـــن الســـأم
أنـــا مـــن إعصـــار جاحمـــة ... طويـــت قسرًا عـــلى الحمـــم
فـــإذا مـــا هزهـــا غضـــب ... يتحـــدى الصـــبر في الإزم
راح يمحـــو صـــدق جاحمهـــا ... عـــن ريـــاء كـــاذب النســـم
أنـــا لي جفنـــان مـــن حجـــر ... إن يصـــبه الليـــل ينقســـم
فـــإذا مـــا أطبقـــا أخـــذا ... تحـــت ظـــل الصـــارم الخـــذم
لـــوبيء، مـــوحش، دنـــس ... بالأفـــاعي الـــرقط مـــزدحم
وانـــبرت تلتـــف حـــولهما ... غابـــة مكتظـــة الأجـــم
أنـــا غـــير المـــرء تقـــرؤه ... مـــن خـــلال الوجـــه والكلـــم

بسمات فجة حجبت ... في قلبنا غير مبتسم
تأكل الحاجات ضارية ... أكلة الجوعان من شممي
ويد الأعراف خائسة ... تمسخ المرضى من شيمي
من دمي تمشي الحروف دما ... وسدى تهفو على قلمي
يتهاوى الفكر منسجمًا ... عبر حرف غير منسجم
والعذارى من سوانحه ... ترتمي مهتوكة الحرم
لم أجد في العود من وتر ... واحد يقوى على نغمي
شاء هم الناس أحمله ... فوق همي أن يلاث دمي
وأحاسيس أنبشها ... كانتباش الدود في الرمم
كل شوهاء كأن بها ... كل قبح الكون من قدم
من طيوفي ترتعي مزقا ... كارتعاء الذئب في الغنم

أنا يا من رحت تجهلني ... عبد مكذوب من الهمم
أسحق النيران يغمرني ... نورها القدسي بالقدم
وأصب الجرح منغرا ... فوق جرح غير ملتئم
وأحط الروح رافضة ... كبرياء قمة الهرم
لمسفات موزعة ... كمشاش العظم في الوضم
تتحداني زواحفها ... تفضح المنفوش من ورمي
ندم في إثره ندم ... عظمت كفارة الندم
يا حبيبي والمنى قسم ... بين مرجو ومغتنم
حاجة ريمت فما امتنعت ... عشت منها أتفه القسم

وحويجـــات هتفـــت بهـــا فســـددن الســـمع بالصـــمم
وانـــزوت في الـــنفس ثالثـــة بعـــدت شـــأوا فلـــم تـــرم
قتـــل الطـــماح مـــن ثمـــل بجـــدار الـــوهم مـــرتطم

ســـائلي عـــما يـــؤرقني أنـــا مـــن عبـــادة الصـــنم
أنـــا مـــن أســـلاب معـــترك حـــرد كـــالوحش مغـــتلم
أنـــا مـــن أشـــلاء مجتمـــع يجلـــد العقبـــان بـــالرخم
يضرب الشـــاكي «ببلطتـــه» ثـــم يضـــفي بـــزة الحكـــم
ويقـــاضي غـــير مـــتهم ويزكـــــي شر مـــــتهم
تســـحق الـــواعين نقمتـــه ويســـمى ســـيد الـــنعم
ويـــريش الســـهم .. شرعتـــه كـــل مـــن لم يـــرم عنـــه رمـــي
ولهـــاث الجـــوع يخنقـــه بنفايـــات مـــن الحكـــم
ويغطيهـــا بمصـــطخب عـــارم الأمـــواج ملـــتطم
ثـــم تخفـــي قـــبح هيكلـــه نخـــرا موشـــية الـــنظم

ســـائلي عـــما يـــؤرقني قـــع عـــلى البلـــوى .. ولا تحـــم
أنـــا مهـــما اشـــتط متهمـــي لســـت مـــن فحـــش ولا لمـــم
أنـــا جئـــت الصـــبح مخترمـــا علـــم أن الليـــل مخترمـــي
خصـــل رفـــت ألـــوذ بهـــا مـــن رفيـــف المـــوت في اللمـــم
وحفيـــف الرعـــب أطـــرده بحفيـــف الكـــأس والـــنغم
وحمـــيم النـــزع أقتلـــه بســـواد سلســـل شـــبم

سائلي عما يؤرقني
لا تكن خصمي .. ولا حكمي

***

يومان على فارنا

ما لهدي الطبيعة البكر غضبي ... ألها أن تثور نذر يوفي
أبرقت.. ثم أرعدت.. ثم ألقت ... حملها توسع البسيطة قصفا
زحمت كل ثغرة.. واستباحت ... شرفات البيوت صفا فصفا
غبش ناعم السنا وشفيف ... من سديم راص الدجي أن يشفا
وكأن الغيوم فوق الجبال الخضر ... فوق الأدواح يرفعن سقفا
وعجاج من الرذاذ تنث العطر ... والدفء سمحة منه وطفا
وكأن الأمواج يرهفن سمعا ... ويطارحنها الأناشيد عزفا
صعدت ما تشاء ...ثم ألاحت ... بجناحين أوشكا أن يزفا
طبق تلو آخر ثم يجلي ... وخروق ما بينها ثم ترفا
وخلت باحة السما غير رسم ... لم يلح للعيون حتى تعفي
ثمة ازينت بأبدع ما وشي ... حسنا.. وقد تخير لطفا
حلم لم توفه العين رؤيا ... كذب الحرف أن يوفيه وصفا
خلت فى الجو ساحراً يبعث الخلق ... جديداً صوغاً.. ونشراً.. ولفا
تتعرى له الطبيعة عجباً ... ويلمح من ظله تتخفي
ثم يلقى خضر الشفوف عليها ... ثم يرمي بهن شفاً فشفا
وحنايا جن كأن عليها ... من حفيف الرؤي غدائر وحفا

بـــدل الكـــون خلقـــة فالعتـــل ... الضخم يبدو فيه الأشف.. الأشفا
وكـــأن الحيـــاة تـــوحش نصـــفاً ... مـــن سماواتها.. وتـــؤنس نصـــفا
وكـــأن السـفوح ينسبن ذعـراً ... وكـــأن الجبـــال يـــزحفن زحفـــا
وكـــأن الحجـوم ضـوعفن ألفـاً ... مـــن مقاييســـها.. وصـــغرن ألفـــا
كتـــل تنـــبض الحيـــاة لمامـــاً ... في تضاريســـها.. ويحســـبن غلفـــا

أشرق الفجر فوق «فرنا» فأضفت ... فوقـــه ســـحرها الخفـــي وأضـــفى
واســـتطاب الرمـل الندي بساطاً ... فـــمشي نـــاعم الخطـــي يتكفـــا
معجبا يمسح الدجي منه عطفاً ... ويهـــز الصـــبح المنـــور عطفـــا
وتوارى عات من « الزنج » صفي ... مـــا لديـــه مـــن النجـــوم فأصـــفي
وارتمـــي البحـــر عاصـــفاً يلطـــم ... الســاحل حتـــى حســبته يتحفـــي

ونـــديمي وجـــه صـــبوح وكـــأس ... غـــودرت في مزاجهـا الصرف صرفا
أحتسيها مـن لاعـج الوجـد عبـاً ... وعـــلى رفـــة الشـــفاه فرشـــفا
ثـــم دبـــت بنـــا تثقـــل جفنـــاً ... وتصـــفي نفســـاً.. وتـــرعش كفـــا
يـا مزيجـاً مـن ألـف كـون ترفـق ... إن كونـــاً عـــلى ذراعيـــك أغفـــى
قتـل الحسـن مـا أشـد عـلى العين ... وضـــوحاً.. ومـــا أدق وأخفـــى
يـذهل النفس سحره .. مـا تخطي ... مـــن معـــاييره .. ومـــا تتقفـــى
أنت « إكليك » يا طفيفاً من اللحم ... عـلى العظـم كـاد أن يستشـفا
ألف « الفـن » صـورة منك تناهت ... في الحســـن لطفـــاً وعنفـــا
دفع الصدر دفعةً أعجب النهدين ... منـــه طيـــب المقـــام فرفـــا

الشـــهيان لملـــما فاســـتدارا فاســتثارا.. فاســتضريا.. فاسـتخفا

وثنـــي طيـــة فضـــمر كشـــحاً ورأى فســـحة فـــدور خلفـــا

يـــا نـــديمي ولا يخفـــك نـــديم أثقلتـــه ســـود الليـــالي فخفـــا

حـــرم العـــيش ممتعـــاً.. فهـــو يلفـــى متعـــة منـــه نعمـــة حيـــث تلفـــي

يخطـف النبـع بـين ثغريـك يخشـى وعـد صـدق مـن نبعـه أن يجفـا

وعـد صـدق.. وكـل وعـد صـدوق غـيره .. طالمـا تحـين خلفـا

في دمـي ثـورة عـلى المـوت تكفـي أن تعفـى عليـه لـو كـان يكفـي

مـا ألـذ الحيـاة لـولا نهايـات مطـاف مـلآن رعبـاً وسـخفا

ينفـد العمـر شـد مـا كـان حوجـاً كسراج في فحمـة الليـل يطفـا

ليـت أن الحـمام.. إذ لم يكـن بـد مـن المـوت.. علـة ثـم تشـفي

يجـد المـرء بعـدها العـيش أحـلى وهبـات الـدنيا ألـذ وأصـفي

أفحـتم .. وإن ثـوي المـرء ألفـا أن يـذري ذرو الـتراب ويعفـي

فلـم الزهـر.. والربيـع.. وشـدو مثـل سـجع الحـمام حلـو مقفـي

ولم الـثلج.. والشـتاء وشـم مـن نهـود بجمرهـا يتـدفي

ولم الصـيف عاريـاً يتقـاضي واجبـات النفـوس عريـاً وكشـفا

ليت شعري والموت مثل عقاب الجـو يـدمي بنـا مخالـب عقفـا

أقـرابين نحـن شـوهاء تزجـي للإلـه الغضـبان قـربي وزلفـي

أم عقـول صـنائع سـيطر الـوهم عليهـا فـرحن يـرقبن حتفـا

أم ألاعيـب مـن دمـي صـنع فـذ طـوع كفيـه مـا يخـط وينفـي

أم على الكوكب العجيب من الغيب رصـود يمـتعن إلفـا وإلفـا

أن يعيشا عمر النجوم وأن يستكفيا ... في الحياة ما ليس يكفي

يا نديمي .. وما غد .. والليالي ... ثمر يُشتهَى فيُخطَف خَطْفا
يسخر اليوم من غد خائر الهمة ... من كل ما يُعنيه يُعفي
يترجي ويختشي ليس يدري ... يُولَدُ الصبُح منه.. أم يُتوفَّي
أنت « إكلك » هاهنا .. تملأين ... السمعَ والعينَ والأحاسيس لُطْفا
أتملي عينيك عرقا فعرقا ... وحديثاً سَجَعتِ حَرفاً فحرفا
ووشاحا أضفيت ما اللون منه ... وجَديلاً صَفَفته كيف صُفّا
ولكم صانت الهوى ذكريات ... هنَّ أبقَي ذكراً.. وأغني.. وأوفي

***

على الرصيف

لم يعد عامين وكانت له ... من ثقة بالنفس أعوام
يمشي الهويني يستشف الرؤى ... كما أتي المرسم رسام
على « الرصيف» لم يعق سيره ... خلف.. ولم يزحمه قدام
وأمه ترعاه قوامة ... وهو غدا راع وقوام
بينا ابن ستين وفي زعمه ... من عبقر يأتيه إلهام
يختبط « الشارع » من حوله ... تنهال للأخطار أكوام

حييته فردها لي فم ... مثل فم البلبل تمتام
وافتر وجه ما به غيمة ... ويشجب البدر ويغتام

لم يعد عامين.. وفي عينه | مليون عام لمها عام
يا بن الحضارات أبا عن أب | شدتك أخوال وأعمام
باق على الأنطاف من لطفها | وشم.. وفي الأصلاب أختام
في كل حقل من ميادينها | عطر من التاريخ نمام
غذتك أم ثديها نعمة | ودره فهم وإفهام
حنت على وجهك أنفاسها | فهو كلوح الزهر بسام
وراوحته بسمات الصبا | وداعبت روحك أنسام
وغنت الحب وأنغامه | فأرهفت سمعك أنغام

يا بن الحضارات وكم قسمة | ضيزي.. وكم أجحف قسام
أوسوسات هن ؟ أم حكمة ؟ | أم هن أقداح.. وأزلام ؟
كم لك في هذي الدني من أخ | حلو بسوق الذل يستام
وهامة مثلك جبارة | تحني لها لو سلمت هام
خلاقة كانت ومن خلقها | قد كان «خلاق» وعلام
أقعده إن لم يكن عنده | أهل كأهليك.. وأقوام
هزته في المهد يد هزها | جوع.. وإذلال.. وأسقام
ديفت أغانيها بها وارتمت | سوداء أطياف وأحلام
وامتص ضرعاً سممت لحمه | وأدغلت فى الدم آلام
رعي محيطاً مجدباً فانضوي | كما انضوت في القفر أغنام

يا بن الحضارات وأسطورة | المثل العليا.. وأوهام

يخدر الجوعي بها.. والرؤي ... سود.. ولمح النور إيهام
والجهل كفران بما في النوري ... من روعة.. والعدم إعدام

يا بن الحضارات وهل بدلت ... بؤسا.. دساتير وأحكام
خداعة الوجه وفي جوفها ... أسوأ ما ضمته أرحام
يضحك المبكي بها لا تري ... كيف يماز الحمد والذام
كواكب ديست.. سوى كوكب ... لم يكتشفه بعد مقدام
فيه أعاجيب.. ومن تربه ... صيغت عماليق.. وأقزام
يسحق بعضاً هارساً لحمه ... بعض.. ولا تسال أقدام
ويسرق الناس .. وأوطانهم ... لص.. ولا يقطع إبهام
وشرعة ذبح الفتي جاره ... وأن يجاد الذبيح إلزام
وتعبد الأعراف فيه كما ... تعبد أحجار.. وأصنام
لكل عرف قدره..مثلما ... توزن أقدار.. وأحجام
ويلكز الفكر وأربابه ... ما شاء سراج.. ولجام
جرم بحجم الكف.. في عالم ... عد الحصى غطته أجرام
نزت ملايين قروح به ... كانت بعهد الغاب تلتام
والأرض غاب فيه من خيرها ... وشرها .. نور وإظلام
ويخلف الوحش بها مثله ... ذئب.. وثعبان.. وضرغام
ومن دم بها سارب ... تفتحت للزهر أكمام
قد يأكل المحكوم من لحمه ... فيه.. وقد تؤكل حكام
أيعمر المريخ من همة ... في الأرض أن تزرع ألغام

مناجاة !

يـــا لخـــديك نـــاعمين يضـــجان بالســـنا
ولجفنيـــك ناعســـين مشي فـــيهما الـــوني
يـــا شـــفائي.. ويـــا ضـــني حبـــذا أنـــت منـــي حبـــذا
حبـــذا أنـــت في الهـــوي مـــن عقابيـــل تقتنـــي

بـــأبي أنـــت لا أبي لـــك كفـــو.. ولا أنـــا
مـــن مميـــت إذا نـــأي ومخيـــف إذا دنـــا
أخـــتشي فقـــده هنـــاك وهجرانـــه هنـــا
أرقـــب الصـــبح موهنـــاً ودجـــي الليـــل موهنـــا
لا صـــدي هـــاتف يـــرن ولا الجـــرس مؤذنـــا
وأصـــالي عـــلى الطريـــق وجوهـــا .. وأعينـــا
ظنـــة أن تكـــون أنـــت وحســـبي تظننـــا
إنـــما الحـــب جنـــة كفوهـــا مـــن تجننـــا
وإذا مـــا انتهـــى الهـــوى فتنـــة كـــان أفتنـــا

أنـــت يـــا مـــرة الطبـــاع ويـــا حلـــوة الجنـــي
كـــم تـــودين لـــو خنقـــت صـــدي الحـــب بيننـــا
وتحينـــت قـــبره وهـــو حـــي ليـــدفنا
أنـــت يـــا مـــن تركتنـــي بالجراحـــات مثخنـــا
لا وعينيـــك لم أجـــد فيـــك للطعـــن مطعنـــا

لا جنـــــــاح.. وإن مشي الضر بي منـــك والعنـــا
كـــل شــوك زرعتـــه ثمـــر منـــك يجتنـــي
أنـــا.. مـــا خفــت.. واجــد بـــين نهـــديك مأمنـــا

بالـــذي صـــاغ واعتنـــي وبنـــي منــك مــا بنــي
وتبنـــــاك «مقطعـــــاً» مســـــتعاداً فأحســـنا
والـــذي شـــاء أن يكـــون لـــك القتـــل ديـــدنا
فتفـــــداك بالضــــحايا فـــــرادي.. وبـــالثني
والـــــذي لم يـــــدنك إذ دان كـــلا بـــا جنـــي
حلفـــة الصـــابر ارتضي مـــا يلاقـــي فأذعنـــا
لـــو تتوجـــت بالـــدني لم يكـــن عنـــك لي غنـــى
خلـــق الوجـــد والأسي ليكونـــا كـــا أنـــا

***

آهات..

لا تلـــم أمســـك فـــيها صـــنعا أمــس قــد فــات.. ولــن يســترجعا
أمــس قــد مــات .. ولــن يبعثــه حملـــك الهـــم لـــه.. والهلعـــا
هـــدراً ضـــيعته مثـــل دم الملـــك « الأبـــــرش» لمـــا ضـــيعا
لم تمطــــره فـــلا تســـأل بـــه أشــــباباً.. أم ســـحاباً أقلعـــا
واطرحـــه واســـترح مـــن ثقلـــه لا تضـــع أمســـك واليـــوم معـــا

آه كــم جرتهــا عــن كبــد ... مــن وقيــد الآه ســالت قطعــا
آه يــا شرخ الصــبا لــو طلــل ... سمع النجــوى ولــو ميــت وعــي
مــا أذل العمــر ممحــوق السنا ... يشــتكي منــه المغيــب المطلعــا
فهــو مــا ارتحــت لــه حتــى امحى ... وهــو مــا ســلم حتــى ودعــا
وأخــس المــرء يشــكو يومــه ... فــإذا ولى بكــاه جزعــا
عاطشــا يــمضي ولمــا يغــترف ... مــن أفــاويق الصــبا مــا رضــعا
تنحــت الآلام مــن أطرافــه ... يأكــل الموضــع منــه الموضــعا

يــا بقايــا ذكريــات كلــما ... جــس عــود مــن صــداها رجعــا
أجمــع المــر بهــا ... وأســقاها ســموما جرعــا
ترتعــي في النــوم مــني حمــلا ... وادعــا يرقــب منهــا الســبعا
حــدثي مــا شــئت عــن أبدوعــة ... ولقــد يــأتي الزمــان البــدعا
عــن فتــى أخصــب في شــتوته ... لاعنــاً فيهــا الربيــع البلقعــا
عــاش في العشريــن شــيخا ورعــي ... بعــد ســتين شــباباً ممرعــا
ورأى مــن ذي وهــذي عــبرة ... ولكــم ضر الفتــى كــي ينفعــا

قف على « براها » وجب أرباضــها ... وســل المصــطاف والمرتبعــا
أعــلى الحســن ازدهــاء وقعــت ... أم عليهــا الحســن زهــواً وقعــا
واســتعر منهــا عيونــا جمــة ... وتمــل النــاس والمجتمعــا
وســل الخــلاق هــل في وســعه ... فــوق مــا أبدعــه أن يبــدعا
قلــت ممــا أفــرط الحســن بهــا ... بئســت الــدنيا لنــا منتجعــا

يحسد المقعد من جوع بها ... متخماً أقعد مما شبعا

يا لصيف ممتع لو لم يكن ... غيره كان الفصول الأربعا
ممطر آناً .. وريان الضحي ... مزهر آناً .. وذاو سرعا
حلم العذراء في يقظتها ... ويناغي حين تغفو المخدعا
تشتهي ما ظل أن لا ينقضي ... فإذا ودعها أن يرجعا
مرت الأسراب تترى .. مقطع ... من نشيد الصيف يتلو المقطعا
وتفتحن على رأد الضحى ... حلما أشهي.. وصحوا أمتعا
وتقاسمن الصبا ميعته ... وشذاه.. والهوى والمتعا
وتخفض فما زدن على ... ما ارتدت «حواء» إلا إصبعا
رحمتا «لابن زريق» لو رأى ... فلك الأزرار ماذا أطلعا
كل مضموم إلى صاحبه ... مشرئبين إلى النور معا
ما أرق الزهر في سيقانه ... وعلى لباتها ما أروعا

يا بديل الخلد لولا أنها ... كانت المرأى.. وكان المسمعا
لا تخطاك الحيا من ممرع ... صابه.. أو لم يصبه أمرعا
وتناغت بك أوتار الصبا ... سا شدا شاد.. وما داع دعا
فلقد رضت جماحات الهوى ... تنحولن الرضى الطيعا
كفيت النفس مما غذيت ... مطمحا لم تغذه.. أو مطمعا
لا أحابيك في حز المدى ... من عقابيل أبت أن تنزعا
وأحاسيس يبقي عضه ... مدرج النمل بها أتى سعى

ومضـــب في رؤي لا تختفـــي فأواريهـــا.. ولا أن تســطعا

أسـدل الســتر عــلى واحــدة فتعــرى مــا ســواها أجمعــا

تتســاقي مصـبحات مـن دمـي وتمـــاسي فـــتقضر المضــجعا

غنيـة أن قــد تلمسـت المـدى مـن مـداها .. ورقيـت الأوجعـا

كلــما أفزعنــي مــن وحشــها طــارق... ألقيـت فيـك المفزعـا

***

خلي ركابك

خــلي ركابــك عالقــا بركــابي قصر الطريـق يطيـل في أتعـابي

سأضـم في قـبري لتـؤنس وحشتي رعـش الشـفاه.. ورجفـة الأهـداب

ما كنت أحسب أن طارقة النوى قصـوى المطـاف.. وغايـة التطلاب

حتـى ابتليـت ببؤسـها ونعيمهـا فـإذا بهــا ســبب مــن الأســباب

قسـماً بعينيـك اللتـين اسـتودعا سر الحيــاة وحــيرة الألبـــاب

نحـن السـبايا « أريـع في غربـة » أنا والهوى.. ويدي.. وكأس شرابي

قد كنت أصعق في حضورك دهشة فتصـوريني منـك رهـن غيـاب

أصغي لجرسك طائفاً في مسمعي وأشــم عطــرك عالقــا بثيــابي

وأزيـر طيفـك نـاظري في يقظـة مـرح الخطـي ثمـلاً عـلى الأهـداب

وأجلـه عـن يـزور عـلى الكـرى فيتيــه مــن ظلماتــه في غـــاب

***

إلى وفود المشرفين تحية

حللـــتم مـــثلما حـــل الســـحاب وطبـــتم مـــثلما طـــاب الشـــباب
وكنـــتم دعـــوة في كـــل صـــدر عراقـــي وهـــا هـــى تســـتجاب
وفـــود المشرقـــين وقـــد تنـــاءت بنـــا دار.. وطـــال بنـــا اغـــتراب
حنـــانيكم فهـــذي الـــدار مـــنكم ونحـــن الأهـــل فـــيكم والصـــحاب
نسر بقـــربكم.. ونســـاء بعـــدا كـــأنكم المثوبـــة والعقـــاب
قفـوا معنـا نقـف معكـم.. ويشـمخ بنـــا في حســـن منطلـــق مـــآب
ونـــنشر كالضـــياء معـــاً ونطـــوى كـــما يطـــوى عـــلى الـــروح الإهـــاب

حللـــتم والربيـــع.. ومنجـــزات بكـــم وبهـــن يجمعنـــا نصـــاب
مضي عهـــد يـــذم بـــه الشـــباب ويحســـد فيـــه مـــن شـــاخوا وشـــابوا
وأبـــدل عنـــه عهـــداً ود فيـــه رفـــاق الشـــيب لـــو عـــاد الشـــباب
وجئـــتم والعـــراق يشـــق دربـــا يحـــال إلى الجنـــان بـــه الـــتراب
ويعلـــوه الغبـــار وأى فخـــر لمســـعي لا تتوجـــه الصـــعاب
أقـــول لخـــيرين وقـــد تلاقـــي علـــيهم مـــن شرور الغـــاب غـــاب
ولفهـــم العجـــاج كـــما تحـــدي رفيـــف الروضـــة القفـــر اليبـــاب
صـــموداً مـــثلما صـــمدت وطالـــت عـــلى الإعصـــار أدواح صـــلاب
وصـــبراً ثـــم تنكشـــف البلايـــا كنـــور الشـــمس يعـــبره الضـــباب
ويفـــتح للمصـــابر ألـــف بـــاب إذا مـــا ســـد في الأزمـــات بـــاب
نضـجتم في الصـميم مـن الـدواهى فـــأنتم مـــن خميرتهـــا لبـــاب

وأنـتم إذ يحـر الخطـب أدرى | بـما يصـفي لـه وبـما يـراب
تضـيق بمتعبـين رؤي المنايـا | وتحضـنن أفئـدة رحـاب
وسـوح المجـد تعمرهـا الضـحايا | وتـزحم فوقهـا الهـام الرقـاب

وفـود الشرق إن الشـعر وجـه | طليـق.. لا يليـق بـه النقـاب
بـه مـن نسـمة الإصباح عطـر | ومـن سـحر.. ومـن شفق خضـاب
عـلى السـجع الرتيـب تـرف دنيـا | مسـجعة أغانيهـا رتـاب
وبـين فواصـل منـه جـراح | وآفـاق.. وأطـماح رغـاب
يخفـق في مقاطعـه ضـمير | جـرىء.. لا يلـين.. ولا يهـاب

وفـود الشرق إن الـداء فينـا | ونحـن الملزمـون بـما نصـاب
غزينـا عنـوة في عقـر دار | عفـاء.. كـل منـا فيهـا يبـاب
وأعـراف مرثـات قبـاح | رزاح فـرط مـا امتطيـت.. لغـاب
تعبـدنا ولم يخفـق علينـا | بهـا وحـي.. ولم ينـزل كتـاب
فنـور الفكـر يحجبـه احتجـاز | ونـور الشـمس يحجـزه حجـاب
ومجتمـع يشـل النصـف منـه | ويعفـي النصـف مجتمـع خـراب
ونصـبنا صـدوراً عاريـات | إلي المسـتعمرين وهـم حـراب
ورحنـا يسـتر العـورات منـا | نسـيج الحـق في دغـل يشـاب
نعـريهم ونسـحب أن كسـينا | بعـريتهم . وضـوعفت الثيـاب
ونحمـل سـم «عقربـة» الـذنابي | ولولاهـا لمـا كـان الـذناب

وفـود المشرقـين وعـن ضـلال | يثـاب وعـن مسـاءات يتـاب

لنــا ظفــر عــلى جــرح دوي ... وللمســتعمرين عليــه نــاب

بــلاء الشرق أصــنام تســمي ... ســيوف الله يحرســها الكتــاب

عفــت شــفراتهن فهــم كهــام ... صــدىء الحــد زخرفــه القــراب

لهــم فصــل الخطاب بحــد سيف ... ولــيس لمبتــل بهــم خطــاب

ويكتنــزون مــن ســحت حــرام ... وحــوطهم ملايــين ســغاب

وكــان التمــر نعبــده إلهــا ... يســاغ بــه طعــام أو شراب

فليــت لنــا بهــم شــعباً وريــاً ... وممــا زاد تمتلــئ العيــاب

لقــد شــبنا وشــب بنــو بنينــا ... ومــا شــب البقيــع ولا السراب

ولا شــلت حلاقــيم رطــاب ... تجــول بهــن ألســنة كــذاب

تســاقط مــا تشــاء ولا تبــالي ... عــلى مــا يعــاب بــها يعــاب

وقــالوا أوثــق الخصــمان ضرعــاً ... وشــدا منــه.. وامــتلأ الوطــاب

وعــاد الــنفط يحلــب مــن جديــد ... ولا «عنــز» تــدر.. ولا احــتلاب

فقلــت أجــل بنــات الــدهر منــا ... ومنهــا نحــن.. والــدنيا عجــاب

تعــالى الصــلح أفئــدة تلاقــي ... بأفئــدة.. ففــيم الاحــتراب

وفــيم الضــير أن يغشــى حــوار ... مناجــاة الأحبــة.. أو عتــاب

وفــيم الحــرب.. والأحقــاد شــؤم ... وتصــطلح الحمامــة والغــراب

وتصــطلح «الضرائــر» مــن قــديم ... كــذلك كــن «زنيــب» و«الربــاب»

وهبنــا نســتدير كــما اســتدارت ... عــلى الأمــات أفرخــة زغــاب

تعــالى الصــلح في «التلمــود» منــه ... أعــد لكــل مســألة جــواب

عــراة في الخيــام لهــم ســماء ... وأرض.. واصــطبار.. وارتقــاب

وهب وطال العذاب فليس شيء ... بباق.. لا النعيم.. ولا العذاب

وما يدعي « فلسطينا » مراح ... متى شئنا.. وشاءت مستطاب

وهل هي غير أرض واستبيحت ... فأرض الله واسعة نهاب

وبيت القدس ليس سوى مزار ... يراد الأجر فيه.. والثواب

وهل « سيناء» غير مهيل رمل ... تعيث به الأفاعي والذئاب

وفي الجولان من دم كل حر ... يباع ويشتري مسك ملاب

وشطئان الخليج « مدورات » ... نقاسمها كما اقتسمت كعاب

كفاها ألف عام أن يدوى ... بها العربي والخيل والعراب

دعوها تنفتح لدم وثان ... فخير دم الشعوب دم ضراب

مساخر لا لأعياد ولكن ... حداد فيه تصطبغ الثياب

وفود الشرق إن غداً رعيباً ... نحن له كما حنت سقاب

ويوما مثل يوم الحشر فيه ... يطول لكل ذي وزر حساب

سيحرث عالما.. ويجد زرعا ... وتستصفي القشور به اللباب

وعن حقب ذليلات ستأتي ... لتمحو عارها حقب غضاب

تزعزع من جذور طالحات ... فلا صم الصخور.. ولا التراب

وتفجر في الدم العربي نبعاً ... كنبع الزيت يعوزه ثقاب

ويا غرف الجنان مشعشعات ... على « الزابين » ترقصها القباب

وتحضنها القوارع شامخات ... يحوم دون ذروتها العقاب

سقي صوب العهاد لديك ربعا ... حرام بالدم الغالي يصاب

قطعنــا شــوطنا خمسـين عامــا | توحــــدنا المسرة والمصــــاب
يــراوح بــين كفينــا عنــان | ويجمــع بــين رجلينــا ركــاب
رضــاع أخــوة عشــنا عليــه | يــمازح دره عســــل وصــاب
يــرن صــدي المناحــة في بطــاح | من « الأهوار » ما ناحت «هضاب»
أفــلآن النكــوص وقــد تــوشي | ربيــع الأرض.. واخضر الجنــاب
ولــــوح فجــــر آذار وجــــلي | بــــه لبيــــان آذار شــــهاب
ولاح غـــد ســـهرناه طيوفــا | تدغــــدغهن أحــــلام عــذاب
نشــدتكم القرابــة والضــحايا | ومــا شــد العــري منــا كتــاب
ومــا غنــت لكــم منــا قــواف | يرقــرق نســجها دمــع مــذاب
ومـــا ضــم الثــري إلا حقنــتم | دمــا يشــجي المصـيب بـه المصـاب
دعونــا نحــتكم بعــض لــبعض | فللجــــرفين يحــــتكم العبــــاب
فـــإن وراءنـــا ذئبـــاً خبيثـــاً | يحــاول أن يكــون لــه الغــلاب
ســينهش مــنكم كتفــا.. ومنــا | ومــــا يبقــــي ستنهشــــه ذئــــاب
ويــا فرســان معــترك وســلم | ورهـــط محبـــة طابـــت وطـــابوا
ســيخلف عــن وداعكــم لقــاء | ويثــأر مــن ذهــابكم الإيــاب
ســيبقي الرافــدان مصــب خمــر | يســـــاقيكم.. و خـــابور وزاب
نســاقيكم وأكؤســـنا قلـــوب | وذوب عواطــــف فيهــــا شراب

حللــتم مــثلما حــل الســحاب
وطبــتم مــثلما طــاب الشــباب

***

تحية.. ونفثة غاضبة

سماحاً إن شكا قلمي كلالا ... وإذ لم يحسن الشعر المقالا
وان راحت تعاصيني القوافي ... بحيث الفضل يرتجل ارتجالا
كبا مهري بشوط لم تغادر ... له غر الجياد به مجالا
حماة الفكر .. والدنيا غرور ... كضوء الفجر لطفاً وانتقالا
أتبغون الفتوة عندهم ... على السبعين يتكل اتكالا
تمشي الثلج في جذوات قلب ... مدي خمسين يشتعل اشتعالا
وما شمس الظهيرة وهي تغلي ... كمثل الشمس قاربت الزوالا
بنات الشعر كنت أبا رؤوما ... أسامرهن نجوى وابتهالا
أغوص على اليتيم الفذ منها ... واحتضن الأوانس والثكالى
وتفجؤني عرائسهن ليلاً ... تقربني وتبعدني دلالا
وكن لدات تصبو ناشطات ... فهن اليوم أنضاء كسالى
وها أنا بعد ميسرة ورفه ... أروح على أرملها عيالا

حماة الفكر والأدب المصفي ... يزينان الشمائل والخصالا
قصدتكم وبي شوق ملح ... كقصد الظامئ الشبم الزلالا
وكنتم حاجة قصوى لنفس ... تضيق بحاجة قربت منالا
وزرت المغرب الأقصى عجولا ... زيارة عاشق حرم الوصالا
وجئت الساحر الفنان منه ... لعلي أقبس السحر الحلالا
أكاد أعب ماء البحر ملحاً ... وانشق في شواطئه الرمالا

وأبسط راحتي خيال شعر ... كأن يدي تحتضن الجبالا
فياويحي من الحب المعني ... برمت به فراغاً وانشغالا
تقنصني الجمال بها وعلمي ... بأني جئت أقتنص الخيالا
لعنت الحسن تورثني رؤاوه ... خبالين:القريحة والخبالا
وتمنحني الشقاوة في النعيم ... وربة نعمة عادت وبالا
ويطلع لي الدم الفوار منه ... جنان الخلد تضطرم اشتعالا
أقول وقد خبرت وذقت طعماً ... جمالات الدنا حالاً فحالا
كذاك.. كذاك فليحرز سوياً ... جمالات المغربية أو فلالا
نزا صدر بنهدين استقلا ... كأنهما يريدان انتقالا
ونط خلاف وجهته رديف ... كأروع ما احتوى قمر هلالا
وضويق فاستدق.. ورق خضر ... كأن عليه أعباءً ثقالا
ورنح كل ذاك غصين دوح ... لوى ثقل الثمار به فمالا

سلام الله يا«طنج» يغادي ... ربوعك موطناً.. وذويك آلا
وحيث ملتقي البحرين كأس ... تصب هناك من كأس ثمالا
بزيح ظلاله وضح فلتقي ... تعاريج السفوح له ظلالا
وتنزع الشموس له جمالا ... فتخترع الغيوم له جمالا
وتصطفق النجوم مشعشعات ... سرجة حفافية تلالا
وترقصه المسابح ناشرات ... على ها الغيد أسراباً عجالا
كعوم البط أجنحة تلاقي ... بأجنحة.. وأعناق تعالى

حماة الفكر .. قيلة مستنيب يجنب نفسه قيلاً وقالا

تنقل رحله شرقاً وغرباً وحط هنا بسوحكم الرحالا

يحرق نفسه فيكم سراجاً ويستبقي له منه الذبالا

يطوحها بوحي من ضمير كبرج الشمس ظهراً واعتدالا

يحاول بعد دنيا من عذاب عن الدنيا وما فيها اعتزالا

فصونوه من العادين ضبحا ووقوه التماحك والجدالا

كفاه ألف نافثةٍ سعيراً فخلوه وخافقة ظلالا

وفي جنبي نفس لو تراءت لكم لرأيتم العجب المحالا

أسل النصل عن جرح نزيف فألفي تحت حفرته نصالا

كأن مشارف الدنيا ضباب مقيم لا يزال ولن يزالا

كأن غدى على عيني منه حجاب راح ينسدل انسدالا

كأني من غد داج وأمس محيل ليس يعرف كيف حالا

مللت الطارئات فما أبالي أتشكو الهجر.. أم تشكو الملالا

ومن حسنات عمرك أن تهزا بما يغري سواك إذا استطالا

تعدد ساعة منه وأخرى فلا سؤلا تعد ولا سؤالا

أحبتي الذين يعون قولي رصينا.. لااغترار ولا اختيالا

لكم عندي حقوق لا توفي ولو صغت النجوم لها مثالا

ولي حق على كم أوجبته قواف رجعت حقباً طوالا

تهز مبرحين على البلايا وتكشف عنهم الداء العضالا

نشدتكم المحبة والتصافي ومنطلق الأخوة والمآلا

وطيـــب جـــواركم إلا شـــددتم   عـــري للـــود تـــأبى الانحـــلالا

وقلـــت لحاقـــدين عـــلى غيظـــاً   لأني لا أحـــــب الاحتيـــــالا

هبـــوا كـــل القوافـــل فى حمـــاكم   فـــلا تهـــزوا بمـــن يحـــدو الجمـــالا

ولا تـــدعوا الخصـــام يجـــوز حـــدا   بحيـــث يعـــود رخصـــاً وابتـــذالا

ومـــا أنـــا طالـــب مـــالاً لأني   هنالـــك تـــارك مـــالا وآلا

ولا جاهـــاً.. فعنـــدي منـــه إرث   تليـــد لا كجـــاههم انتحـــالا

ولا أنـــا مـــن يلـــوك دم الأضـــاحي   يلـــم جلودهـــا للســـحت مـــالا

حـــذار فـــإن في كلمـــي حتوفـــاً   مخبـــأة.. وفي رمـــل صـــلالا

وأن لـــدي أرماحـــاً طـــوالاً   ولكـــن لا أحـــب الاقتتـــالا

تقحمـــت الـــوغى وتقحمتنـــي   وخضـــت عجاجهـــا حربـــاً سجـــالا

فكـــان أجـــل مـــن قارعـــت خصـــمٌ   بنبـــل قراعـــه ربـــح القتـــالا

ولم أر كـــل خصـــومة مـــن محـــك   يبـــين لـــك الرجولـــة والرجـــالا

وأخبـــث نـــاهز مـــن راح عمـــداً   يســـيء حراجـــة الضـــيف اغـــتلالا

ويـــا لحراجـــة القلـــب المعنـــي   يـــراد بمـــن يعنيـــه انشـــغالا

فكـــم مـــن قولـــة عنـــدي تـــأبي   لهـــا حســـن الوفـــادة أن تقـــالا

ســـتضرب فـــيهم الأمثـــال عنهـــا   إذا انطلقـــت وجـــاوزت العقـــالا

وعنـــدى فـــيهم خـــبر ســـيبقى   تغـــامز منـــه أجيـــال تـــوالى

حـــذار فكـــم حفـــرت لحـــود عـــار   لأكـــرم مـــنهم عـــما وخـــالا

ويـــا صـــفو الوفـــاء أبـــا حنـــين   نـــداء يســـتجيب لـــك امتثـــالا

أخـــا الكلـــم النـــوابض بالمعـــاني   فـــلا علـــلا شـــكون ولا هـــزالا

يجسـدها فهـن دم وروح ... وبعـض القـول يغتـال اغتيـالا
ويـنحلهن فكـرك حيـث تـرضي ... بنـات الفكـر تنتحـل انتحـالا
ويـا مـن زاد قـدر المجـد مجـدا ... ومـن جمـع التواضـع والجـلالا
ومـن كسـب الرهـان على المعالي ... وفي أي القـداح بهـا أجـالا
حبتـك حـب مـن يصـفي هـواه ... لمـن يهـوي انفعـالاً لا افتعـالا
عـلى بعـد عرفـت هـواك تحصي ... محـط خطـاي حـلا وارتحـالا
وهـذا أنـت عـن قـرب صـفيا ... يـزين بحبـه القـول الفعـالا

حمـاة الفكـر والأدب المصـفي ... يزينـان الشـمائل والخصـالا
سـماحاً إن شـكا قلمـي كـلالا ... وإن لم يحسـن الشـعر المقـالا

***

الصحراء في فجرها الموعود

صـحراء فجـرك موعـود بـها يلـد ... والمغريبـون أكفـاء بـها وعـدوا
على جبينك من نضح النجوم ندي ... وفي رمالـك مـن حباتهـا نضـد
وأنت.. من وطن يصفيك مهجته ... دم بتـاموره تستصـلح الكبـد
صـحراء يـا حـرة مكمـودة عنتـا ... مهـلا فكـم فرحـة وافي بهـا كمـد
ستحمدين عـلى العقبى حلاوتهـا ... كـما تقطـر بعـد العلقـم الشـهد
لابـد فوقـك يومـا خافقـا علـم ... يضـم شـمل بنيـه أينـما وجـدوا
يحمـون سـارية تعلـيهم شرفـا ... ورفرفـا منـه يـدنيهم إذا بعـدوا
صحراء ،كم رثة ضمت معالمها ... مـا ينفـع النـاس خيلـت أنهـا زبـد

حتى إذا بان لمح من معالمها ... مدت إليها من الست الجهات يد
صحراء، لا يعدل الدنيا وزخرفها ... إلا النقيان منك الروح والجسد

ساءلت نفسي بما يعيا الجواب به ... وما أريد له عذراً فلا أجد
ما بال «مدريد» تشكو العسر معدتها ... وتستزيد بما لا تهضم المعد
أتشرب البحر في حلقومها علق ... وتقضم الصخر في أسنانها درد
ويسخر الخلق منها إذ يرى عجبا ... صحراء مزروعة بالموت تزدرد
فرت بأجنحة شدت بجانحها ... فلتنفرد نحونا إبان ينفرد
لنا غد يتحدي الطامعين بنا ... وعندها ما يسر الطامعين غد
لم يكسنا الزهو أيام بها سلفت ... فهل ستبطرها أيامها الجدد
لنا عليها من «الحمراء» شاهقة ... لم يلف أروع منها زينة وتد
كأنها في ربي «غرناطة» شفق ... مدي الأصائل باق سحره أبد
تزيد عن كل ما أبقي تراثهم ... وإن هم انتقصوا منها ولم يزدوا
يبني الحضارات عجلان يزخرفها ... فتسترد.. ويعليهن متئد
عوذت شعبك يا مدريد من نكد ... لو لم يكن من صنيع الساسة النكد
قد شد ساعدنا المبسوط ساعده ... لو ارتخي عنه حبل مبرم مسد
وخير من مج طعم الاضطهاد فم ... ما انفك يسقيه كأس الذل مضطهد
من مبلغ السادة العميان أرهقهم ... حرمانهم.. وتعاصت فيهم العقد
عموا ومذ بصروا بالدرب مشرعة ... صموا، فما افتقدوا شيئا ولا وجدوا
إن الليالي عجيبات بها حرن ... لمسلسلين.. وإسلاس لمن صمدوا
مشى عليهم فهم في قعره صبب ... ركب من الدهر حث سيره صعد

وما يحول الضحي لونا ولا شية ... ولا السماء ولا الصبح الذي تلد
وإنما هي صفو عند ذي بصر ... صاف.. وربداء في عين بها رمد

يا حارس الوطن الموهوب جانبه ... علىء ه مما يني تاريخه رصد
وراكز الراية «الخضراء» خافقة ... على الصفوف زهاها العد والعدد
فاءت إليك بما ضمت وما تلد ... كما يفيء لظل الوالد الولد
صحراء يوحشها عيُ الذئاب بها ... وتطبي سمعها أن يزأر الأسد
غضبان ردت على اليافوخ عفرته ... وارتج غيظاً على أكتافه اللبد
ينهي لمن كان في سهل وفي جبل ... ألا يحوم حوالى غابه أحد
واستشفعت بك للسقيا مطامحها ... محلات عن الحوض الذي ترد
واستنجدت بك أن تحصي مصايرها ... بذاك عودها آباؤك النجد
تمضي على سنن منهم وعن ثقة ... وملتقي فرقد عن فرقد صدد

شهدت يومك مرنان الصدي عرما ... يحتج من سمعوا عنه بمن شهدوا
غامت كما اسود كانون.. سماوتها ... ولحت فيها كضوء الجمر تتقد
شهماً تنفض عن برديك غبرتها ... وقد توالت بنات الدهر تحتشد
وكان فصل خطاب.. فيه ملحمة ... من البيان.. وفيه الهدي والرشد
ما كان أبرعه مزجاً تصب به ... مر الوعيد على حلو بما تعد
شهرت أمضى سلاح لا يقوم له ... لا المرعدات.. ولا المحمية الزرد
ما أعظم الشعب يرمي عن كواهله ... عبء الخلاف لدى البلوى ويتحد
زففت بالعودة البشري لتربتها ... ومن عليها.. فكل صادح غرد.

أنعشت منها فؤادا ظل محتبساً لدي الدخيل كئيبا فهو يفتأد
صحراء محزونة أن يستبد بها نوى فتفقد من تهوى وتفتقد
وأن تغادر أوصالاً ممزقة وأن يطن لها عن ساعد عضد
غمت عليها رؤى كانت تطوف بها جذلي من الوطن الغالي وتنعقد
تمتد بالعين حتى لا مرد لها ولا مساف.. ولا بعد ولا أمد
وبدلت غبشا أطياف بهجتها كما تبدل بؤساً عيشة رغد
كانت تلم عناقيداً معرشة من النجوم بمرج معشب تقد
وتستريح إلى نجوي الرياح بها تخالها صوب أرض حلوة تفد
واليوم واحاتها قفر، ونسمتها صر، وكل مسيل فوقها جمد
ولم أجد كسليب الأرض حاردة محمومة.. بالدم الحران تبترد
تسقي وتسقي وما تنفك عاطشة وليس ينفك من يسقي ومن يرد
حتى إذا استرجعت عادت بشاشتها وعاد زهو الحياة العابس الحرد

مشي إليك يجد البيعة البلد عليك في الخطب بعد الله يعتمد
يلقي بأثقل حمليه على كتد من عاتقيك إذا ما خانه كتد
واستعصمت بك أحزاب وقادتها يلتف مقترب منهم ومبتعد
عيد الإخاء جلا الباغون بهجته لو جاز حمد بغاة مثلهم حمدوا
عقائد ورسالات تلم بها رسالة يوم لأواء ومعتقد
اليوم ما اجتهدت صماء قارعة وفي غدٍ فلهم فيه وما اجتهدوا
مستأمنون على خير البلاد مشت للمشرقين على أيديهم برد
أيد تلاقت وأضحت في الجهاد يدا تشتد بالحسن الثاني وتعتضد

لهم وللناس والأوطان ما زرعوا على البسيطة من خير وما حصدوا

وبورك الأمر شوري يستقيم به على عثار الليالي نهجه الجدد

وما الكمي على جيش يصول به مثل الكمي غداة الروع ينفرد

أبا محمد سمعاً جرس مالكة سمحاء لا زيغ فيها ولا أود

من واقف في سبيل الناس مهجته في حبهم يستطاب الأين والسهد

لم يعرف الدهر لا حقداً ولا حسداً وإن تشفت به الأحقاد والحسد

أفرغت جهدك في التبليغ ما اتسعت له العلى .. والنهي.. والحلم والجلد

فحسبك اليوم منه ما أبنت به للكون شوكة عز ليس تختضد

واعمد لأخرى بها تنهي مناجزة ليس الخصام بمنهيها ولا اللدد

إن الطغاة إذا لا ينتهم بطروا مثل الصغار إذا دللتهم فسدوا

ومنطق الحق مشلول.. ومصطلح خزيان.. مضطهد عات ومضطهد

لابد من جالة تنجاب غمرتها عن صامدين على حق بها وعدوا

فخل جندك جند الحق يقحمها وخل خيلك خيل الله تضطرد

وفي حماك صناديد يضيق بهم درع الجلاد ويغشاهم إذا اجتلدوا

سمر الوجوه شداد من شكيمتهم ظل على التربة السمراء ينعقد

من كل منفتل الكشحين محترب ينسل كالسيف عرياناً وينحرد

لم تأل خيفة أشباح مغاربة فرائص من بني صهيون ترتعد

فصد دماً مغربياً لا كفاء له بين الدماء زكيات ولا قود

دما يسيل على سوح الندي سرفا وإنه مثل دمع العين يقتصد

فصده تنجد به الصحراء في غدها عرقا بأمس على الجولان يفتصد

يا ناثرين على البلوى نفوسهم طوعاً فهم كسر في سوحها قصد

يهدون للشرق أرواحاً إذا عصفت ... بهم وبالموت ريح قرة صرد
وزارعين على بعد قبورهم ... نوم الغريب على الأحجار يتسد
طخياء ملغومة بالرعب موحشة ... وكل شاهدة نجم بها يقد
نهجتم الدرب سمحاء شريعته ... بالتضحيات لمن يسعى ومن يفد

صحراء فجرك موعود بها يلد ... والمغربيون أكفاء بها وعدوا

***

يا رسول النضال

يا رسول النضال طبت مقاماً ... مثلما طبت عزمة واقتدارا
خالد أنت صنو اسمك ما سامرت ... ليلاً وما أضأت نهارا
حقب سلطت وأنت عنيد ... تقهر الموج مدة وانحسارا
تنجلي عنك غمرة فتوالى ... غمرة بعدها تجر غمارا
تتحدى ظلم الطواغيت لا ترهب ... ما يرغب الشجاع ضرارا
تطلب الموت للخلود اختيارا ... إذ جبان يهوى المهات اضطرارا

يا رسول النضال طبت مقاما ... وتقبل من دار أهليك دارا
وتصفح هذي الوجوه تجدها ... بك تشتد فرحة وازدهارا
باقة من غياض بغداد لمت ... خير ما لمت الورود نثارا
كن رسولاً من العراق إلى الشام ... خدينا يزجي الخدين الحوارا
واشع في ربوع جلق من بغداد ... صوتاً يهدي الجموع الحيارى

هو صوت للعمر والعصر والتاريخ يمــــلي وقائعـــــاً لا تُمــــارى

يـأنف المجـد أن تظـل زروع المجـد نهبــاً رهــن الريــاح اعتصــارا

زيفـــوا دارة وحلـــف رضـــاع وفطـــام مستوحشـــات نفـــارا

والليـــالي تقـــص منهم جناحـــاً والرزايـــا تغتـــال منهم مطـــارا

يـــا رســول النضــال ألــف ســلام لـــك والقـــادة الهـــداة الغيـــارى

***

شكر .. وعذر

مقـــامي بيـــنكم شـــكر ويـــومي عنـــدكم دهـــر

سيصـــلح مـــنكم العـــذر إذا لم يصـــلح الشـــعر

***

أزح عن صدرك الزبدا

أزح عـــن صـــدرك الزبـــدا ودعـــه يبـــث مـــا وجـــدا

وخـــل حطـــام موجـــدة تنـــاثر فوقـــه قصـــدا

ولا تحفـــل فشقشـــقة مشـــت لـــك أن تجـيش غـــدا

ولا تكبـــت فمـــن حقـــب ذممـــت الصـــبر والجلـــدا

أزح عـــن صـــدرك الزبـــدا وقـــل ، تعـــد العصـــور صـــدى

أأنـــت تخـــاف مـــن أحـــد أأنـــت مصـــانع أحـــدا

أتخشـــى النـــاس ، أشـــجعهم يخافـــك مغضـــبا حـــردا

ولا يعلوك خيرهم … ولست بخيرهم أبدا

ولكن كاشف نفسا … تقيم بنفسها الأودا

كنسج الدرع واثقة … بكون عيوبها الزردا

سيطريها ، إذا انتقدت … مساوئها ، من انتقدا

أزح عن صدرك الزبدا … ونهنه لاعجا رقدا

أعد للنبع سلسلة … وزحزح آسنا ركدا

فغيرك من إذا أكدى … ترضى الناس والبلدا

تركت وراءك الدنيا … وزخرفها وما وعدا

وما منتك مثقلة … بما يغريك أن تلدا

ورحت وأنت ذو سعة … تجيع الأهل والولدا

ظللت تسارع الأسدا … تريد المجد والصفدا

وتطمع تجمع القمريـ … ـن فخرهما أن انفردا

ولولا ذا لما وجدا … ولو وجدا لما افتقدا

عجيب أمرك الرجراج … لا جنفا ، ولا صددا

تضيق بعيشة رغد … وتهوى العيشة الرغدا

وترفض منة رفها … وتبغض بلغة صردا

وتخشى الزهد تعشقه … وتعشق كل من زهدا

ولا تقوى مصامدة … وتعبد كل من صمدا

ويدنو مطمح عجب … فتطلب مطمحا بعدا

ويدنو حيث ضقت يدا … وضعت سدى ، وفات مدى

أفـــالآن المنـــى مـــنح وكانـــت رغـــوة زبـــدا؟
وهبـــك أردت عودتهـــا وهبـــك جهـــدت أن تجـــدا
فلســـت بواجـــد أبـــدا عـــلى «السـبعين» مـــا فقـــدا

أزح عـــن صـــدرك الزبـــدا ولا تتـــنفس الصـــعدا
ولا تحـــزن لأن قطعـــت يـــداك الزنـــد والعضـــدا
وأن العـــيش منهـــزة وأن التضـــحيات ســـدى
وأنـــك تطعـــم الأيـــام يـــوم الأحمقـــين غـــدا
ومـــاذا؟ بعـــدما درجـــت كحبـــات الســـنا بـــددا
رؤى كسراب خادعـــــة تقـــرب منـــه مـــا ابتعـــدا
ومهـــما تبتـــدع صـــورا مجنحـــة الـــرؤى جـــددا
فـــما لـــك غـــير واحـــدة بهـــا فى «عبقـــر» وعـــدا
دم حـــل لمـــن فصـــدا وروح تأكـــل الجســـدا
وبشرى لا تحـــس بهـــا بأنـــك تـــزحم الأبـــدا
وهـــل رد الحيـــاة دمـــا لميـــت أنـــه خلـــدا

كفـــرت ولم أكـــن يومـــا بـــأول مـــؤمن جحـــدا
بكـــل النـــاس مجتمعـــا وكـــل الفكـــر معتقـــدا
فـــذا يعيـــا بمـــن وجـــدوا وذاك يلـــف مـــن وجـــدا
وينهـــد ذا عـــلى فـــزع ويقـــنص ذاك مـــن نهـــدا
ويلتقيـــان فى شـــبح يمـــج البـــؤس والعقـــدا

ويغدو الفكر بينهما ... ذليلا يخدم المعدا

أزح عن صدرك الزبدا ... وهلهل مشرقا غردا
وخل «البوم» ناعبة ... تقيء الحقد والحسدا
مخنثة فإن ولدت ... على «سقط» فلن تلدا
سينهى «الفجر» وحشتها ... ويلحقها بمن طردا

ويا خلا برمت به ... إذا حاججته اجتهدا
ألا أنبيك عن نكد ... تهون عنده النكدا
وردت وبيء جاحمه ... ولا أرضاك أن تردا
بمجتمع تثير به ... ذئاب الغابة الأسدا
عراة وهو مشتمل ... على أكتافه اللبدا
ولو لم يثنه إلف ... مرى شدقيه فازدردا
وخلق واخز خشن ... قتاد الشوكة اختضدا
كأنك تزرع «الموت» ... بأعينهم لمن حصدا
وكابوسا على مهل ... يلف حباله مسدا
خفافيش تبص دجى ... وتشكو السحرة الرمدا
ويعمى الضوء مقلتها ... فتضرب حوله رصدا
وقطعان بمدرجة ... تجمع حولها النقدا
تزيغ عيونها فزعا ... تخاف الذئب أن يفدا

وصلف مبرق خضلا ... فإن يرنهزة رعدا

يـــزورك جـــنح داجيـــة | يزيـــر الشـــوق والكمـــدا
فـــإن آدتـــك جائحـــة | أعـــان عليـــك واطـــردا
مشـــى يلســـانه شـــلل | وران عليـــه فانعقـــدا
يمـــزق فيـــك مجتمعـــا | ويســـمن منـــك منفـــردا
فليـــت مشـــاهدا خرســـا | فـــداء مغيـــب شـــهدا

و«بطـــن» ينـــتج الشـــعراء | لا تحصـــيهم عـــددا
مـــدب الـــدود مـــن أصـــفى | ومـــن أخـــوى ، ومـــن بلـــدا
يـــوزعهم عـــلى «الـــعشرات» | أكوامـــا بهـــا نضـــدا
ويفـــرزهم كـــأن بـــه | طبيبـــا يفـــرز الغـــددا
يخـــال الشـــعر مزرعـــة | تجـــد فســـائلا عـــددا
تـــرى أبـــدا مواســـمها | طرائـــق ، فصـــلت ، قـــددا

وآخـــر يشـــتم الجمهـــور | لـــف عليـــك واحتشـــدا
ويلغيـــه كـــأن لـــه | بـــأن يلغـــى الشـــموس يـــدا
يعـــد الشـــعر أعذبـــه | إذا لم يجتـــذب أحـــدا
ومـــا غنـــى ملحنـــه | وعـــبر الحـــى والوتـــدا

وشـــعر خـــير مـــا وصـــفوا | لحـــران إذا ابـــتردا
كطعـــم المـــاء ، تســـمعه | كأنـــك تقضـــم الجمـــدا
تخضـــن ربـــه همـــل | موكلـــة بـــما كســـدا
حفـــاة بـــئس مـــا حـــذيت | أديـــما خائســـا سردا

أبـــا الوثبـــات مـــا تركـــت — لجـــرد الخيـــل مطـــردا
يضـــج «الرافـــدان» بهـــا — ويحكـــى «النيـــل» عـــن «بـــردى»
ويهتـــف مشرق الـــدنيا — بمغربهـــا إذا قصـــدا
ومـــن ســـتطول مدتـــه — بـــما تتجـــاوز المـــددا
عيـــون الشـــعر تضـــمنها — عيـــون تـــأنف الضـــمدا
ويـــأبى أن يجـــف دم — طهـــور دم بـــه رفـــدا
ويـــا مـــن أتعـــب النـــاس — وخفـــق الـــبرق والـــبردا
ترفـــع فـــوق هـــامهم — وطـــر عـــن أرضـــهم صـــعدا
ودر فى بـــرج كوكبـــة — تنـــور منـــك واتقـــدا
وكـــن كعهـــاد مـــاطرة — ســـقى ، ومضى كـــما عهـــدا
ودع فرســـان «مطحنـــة» — خـــواء تفـــرغ العـــددا
ألم تـــر ســـيف «كيشـــوت» — كســـف «النخلـــة» ارتعـــدا
ولا تحقـــد فـــما خلقـــت — يـــداك لـــرجم مـــن حقـــدا
فـــلا ذمـــا لمـــن جحـــدا — ولا حمـــدا لمـــن حمـــدا

وغـــافين ابتنـــوا طنبـــا — ثـــووا فى ظلـــه عمـــدا
رضـــوا بـــالعلم مرتفقـــا — وبـــالآداب متســـدا
وجـــابوا عـــالم الفصـــحى — ولمـــوا منـــه مـــا شردا
فهـــم إن عميـــت ســـبل — يـــرون اللاحـــب النجـــدا
وهـــم لا يبســـطون يـــدا — تميـــز الغـــى والرشـــدا

وهم يرثون من صلحوا ... وهم يخشون من فسدا
يرون الحق مهتضما ... وقول الحق مضطهدا
وأم «الضاد» قد هتكت ... ورب «الضاد» قد جلدا
ولا يعنون، ما سلموا ... بأية طعنة نفدا
بهم عوز إلى مدد ... وأنت تريدهم مددا

أزح عن صدرك الزبدا ... ودعه يبث ما وجدا
وقل: يا نفس لا تردى ... على أعقاب من وردا
ويا غررا محجلة ... سعيت بها لمن قعدا
أثرت غبار حلبتها ... على صم فما عبدا
خذى مسعاك واستبقى ... مساف الشوط والأمدا
وعاذرة إذا عثرت ... صواهل تنشد الجددا
وحسبك ركعة عرضت ... وكم من راكع سجدا

***

حبيبتي

حبيبتي منذ كان الحب في سحر ... حلو النسائم حتى عقه الشفق
ومد تلاقي جناحانا على فنن ... منه إلى العالم المسحور ننطلق
نصون عهد ضميرينا وبينهما ... نجوى بها همسات الروح تسترق
يا حلوة المجتلي والنفس غائمة ... والأمر مختلط، والجو مختنق
ويا ضحوكة ثغر والدنى عبس ... ويا صفية طبع والمنى رنق

ويـا صبورا عـلى البلـوى تلطفهـا حتـى تعـود كبنـت الحـان تصـطفق
منـــى إليـــك ســـلام لا يقـــوم لـــه ســن الـبراع ، ولا يقـوى بـه الـورق
كـــأن نفســـى إذ تغشـــين وحـــدتها إنسـان عـين بمـرأى أختهـا عـرق

حبيبتـــى لم تخـــالف بيننـــا غـــير إلا وعـــدنا لماضـــينا فنتفـــق
ولا اشتكى جانب فـرط الجفـاف بـه إلا ارتمـى جانـب مخضـوضر أنـق
نهـش لطفـا بلقيـاهم كـما انتفضـت عن الرياض سقاها الـرائح الغـدق
حبيبتـى والهـوى، كالنـاس ، خلقتـه تمـل مـا لم تغـاير عنـده الخلـق
مـا لـذة الوصـل لم يلـو الصـدود بـه والحـب لم يختلس مـن أمنـة الفـرق
بئســت رتابـة لحـن عـوده وتـر وبـئس طعـم حيـاة لونهـا نسـق

تلك الثلاثـون والتسـع التـى دلفـت تســتاقنا عنتـــا طـــورا وترتفـــق
لـلآن نعجـب مـن ألـواح سـيرتها ممـا تشـابك فيهـا الحلـم والخـرق
جعنـا بهـا وشـبعنا ، لا الغنـى بطـر ولا الطـــوى بـــرم يجـــتره الأرق
تزيـــدنا ثقـــة بـــالنفس ضـــائقة كـما يزيـد جمـال الضـحوة الغسـق
معـــا نعـــاطى بأنفـــاس مصـــعدة معـــذبين تعـــاطوا كأســـنا وســـقوا
كم ساء قوما غنوا عـزا فـما سـكتوا مصـاب قـوم غنـوا ذلا فـما نطقـوا
نصـلى بنـارين يصـلى الخلـق حرهـا سيان من حرموا منهم ومـن رزقـوا
فى الـيسر نـار لمسـعورين أججهـا نبـل وفى العسر نـار شـبها الحنـق
مـا إن نحـس بهـا حتـى تصـيّرها بـردا مصـاير قـوم قبلنـا احترقـوا
مـاذا تظنـين هـل كانـت لنـا خـير فـيما عـداها؟وهل كانـت لنـا طـرق

وشركــة ومآســيها لهــا ثقــة ... بنــا ونحــن بعقبــى أمرهــا نثــق

حبيبتي لم تصرف زحفنا «صدف» ... كما يصرف زحف الركب مفترق

ولا اصطفى القدر المظنون رحلتنا ... كنـا لهـا قـدرا يـمضي ويستبق

سرنا على الشوك يدمينا ونألفه ... وفي مفــاوز ترمينــا ونلتصــق

كنا نرى الجمر مشبوبا ونحترق ... ومغرس الرجل ملغوما ونخترق

مجــانفين دروبــا ذل ســالكها ... من فرط ما عبدوا منها وما طرقوا

كأن ما استمرأوا من رعيها حسك ... فظ ، وما استعذبوا من وردها طرق

حبيبتــي مســنا ضر بمجتمــع ... كــل الـذي فوقـه في ضـده شرق

تسـد فيـه فـراغ الـروح وحشـتها ... كـما يشـوه فتـق الريطـة الرتـق

كـأن مـا يتخطـى مـن حـواجزه ... حـواجز المـوت تخطوهـا فتنصـعق

نشـوى بأحكامـه يومـا ونرفضـها ... ونســترق لــه يومــا ونـنعتــق

نســوم أنفســنا خســفا يجنبهــا ... خسـفا ويسـخر منـا النـاهز اللبـق

وبحسب العيش ما يغني الكفاف به ... إذ الكفـاف لـدى مـن حولنـا حمـق

ونكـرم الحـرف أن يـودى الهـوان بـه ... ويســتبيح حمــاه الواغــل المــذق

ومـا سـلمنا مـن العـدوى تلاحقنـا ... فعنـدنا مـن ثيـاب نفضـت شـقق

وقـد أفـاض علينـا مـن جرائـره ... ما ساورت مسحة الآهات والحرق

وبــئس ذاك عــزاء ، غــير أن يـدا ... تكـافح المـوج قـد يـوقى بهـا الغـرق

حبيبتـي سـيقص الـدهر قصـتنا ... حتـى ليكـذب أقـوام وإن صـدقوا

وكيـف لا وخفايـا أمرهـا عجـب ... بــه علينــا ضــحايا سره غلــق

ماذا لقينا؟ أنبدى مسخ خلقته ... أم سوف يلعن فيه الخلق والخلق؟
من شامتين تبنوا خزى مختلق ... وغاضبين ، وحيا ظل مختلق
أم سوف يندى من التاريخ زوره ... ما شاء وغد جبين بله العرق
لم يبق فى الغاب من ذئب به كلب ... إلا ومن دمنا فى نابه لعق
تشجعى كم أدال الحق من سفل ... داسوا عليه وكم ديسوا وكم سحقوا
لسنا بأول مخضوب دما هدرا ... ولا بآخر من يقفو ويلتحق
إن السهام التى ما راشها صيد ... ولا تكافى بها مرمى ومرتشق
كبرا صمدنا لها فاساقطت كسرا ... كما تساقط حول الأيكة الورق
لا نكذب الفخر ، فى أعماقنا عقد ... مسا يمج وفى أطباعنا علق

حبيبو والخطايا فى الورى نسب ... وللخطاة ، على ما أضمروا ، فرق
تبقى الجريمة يشتط العقاب بها ... حتى يمص دماء المجرم العلق
وللضمائر أفاق مجاوبة ... إذا دجا أفق جلى له أفق
وقد يثوب ضمير خاب آمله ... والنبع حتى من الجلمود ينبثق
ما نب شر فإن الخير يقحمه ... وما استقام الدجى فالنجم يأتلق
حبيبتى إنما أغرى اللئام بنا ... أنا جبلنا بطين غير ما خلقوا
خيطت عليهم جلود عندنا قرف ... من ريحها . وعليهم نثرها عبق
كم سرنا عسرنا مستعليا بدلا ... عن يسرهم يمتطيه الذل والملق
نفوسنا كئياب فوقهم جدد ... وثوبنا كنفوس عندهم خلق

حبيبتى وسيبقى منك مصطبح ... تندى على حواشيه ومغتبق

وسوف تستل من ريعان نشوته ... مرارة بشغاف القلب تعتلق

مرغت زهوك فى شوكى أجرره ... فكل أوراقه منزوعة . مزق

وقد تحملت عنى وزر محترب ... فج بعاتقه من حمله رهق

محلها فوق ما ترضى الحلوم به ... ومستخفا بها لا يطمع النزق

وحابس رأيه والنفس نازعة ... وحابس نزعها والرأى منطلق

يغشى المكاره لم يفحص مضاربه ... والسيف يفحص حداه ويمتشق

إن الجبين الذى ضوى جوانبه ... من جعد شعرك ما قد زرد الحلق

مشت عليه تجاعيد يضاربها ... عبر الغيوم صباح مشرق ألق

كم من يد لك فيها صنت لى قدما ... كادت على النمرق المفروش تنزلق

على التى تسحر «الغاوين» تفجعهم ... بالعبقريات ترقيها فتنمحق

شقوا الأعاصير خفاقين أشرعة ... واستروحوا النسم الغافى فما خفقوا

إنى وعينيك لا أمنى بداجية ... إلا وأنت لى الإصباح والفلق

سألتنى أمس فى نجوى يهز بها ... خوف النهايات من هاموا، ومن عشقوا

علام يجمع فى إبان غفلته ... شمل وإذ يزدهيه الوعى يفترق

حبيبتى ما يزال السر فى عمه ... على أسارى بأنياب الردى علقوا

تقحموا عالما غمت مصايره ... كأنهم من مصير غيره سرقوا

لا يستطيعون فكا من محاوره ... إلا إذا اسطاع فك المحجر الحدق

من كل مستغفل خطت منيته ... عليه ليلة وافى أمة الطلق

وإذا عجبت فمن «معلوفة» درجت ... ترعى «الهشيم» ويستبقى لها رمق

جيلين فى قبضة الجزار لا أمنت ... على الحياة ، ولم تضرب لها عنق

نقائض يرسف العقل الطليق بها ... وإن تفلسف أقوام ، وإذ حذقوا

أولا ، ففيم عفاريت موكلة ... بالموت ما رعدوا فينا وما برقوا

وفيم زهو الصبا واللطف يسحقه ... والحب ، والخير عات سادر نزق

تقلص الجهل حتى دق مفحصه ... وسمن العلم حتى كاد ينفلق

واصاعد الفكر حتى الكون فى رهج ... به ، وحتى نسيج الكون منخرق

وما يزال الأذى ، والبؤس مرتهنا ... والحقد والخبث والإدقاع والقلق

وما تزال حضارات مشعشعة ... فى قبضة الذر وحشا يوم ينطلق

***

فاتنة ورسام

وقال«محمد المصباح» يوما ... لفاتنة من الغيد الحسان

من «الجيك» السواحر لست تدرى ... بهن المحصنات من الزوانى

هلمى ارسمنك غدا.. ... فقالت غداة غد وفى المقهى الفلانى

فقال:

يمر سمى حيث استتمت ... من الرسم المعانى والمبانى

فقالت :

لا.. ومن أعطاك ذهنا ... وعلمك التفنن فى البيان

أداة الرسم تحملها سلاحا ... على فخذيك مشحوذ السنان

ولكن كل ما تبغيه منى ... خفوت الضوء فى ضنك المكان

***

طال ليلى

طال ليلى .. أما لصبح طروق فيولى .. أما لشمس شروق

وتغيب الشموس عندى ومشوا هن ناء فى الصدر منى سحيق

يزحم الهم مثله مستميتا مثلما يزحم الغريق الغريق

شاغلات فراغه ، لا يخلى عن طريق ، ولا يعاق طريق

يا نديمى .. وللطموح جموح عن سواه ، وللنجوم خفوق

والهموم المعذبات نعيم للمعنى ، يصلى بها وتروق

لا تخفف همى .. وأنت الشفيق أنا بالهم والعذاب .. حقيق

***

رسالة ..

إلى محمد على كلاى

من:

محمد مهدى الجواهرى

تلاكم وخصمه فهزمه

وأدماه فحاز إعجاب العالم وملايينه

يا مطعم الدنيا- وقد هزلت- لحما بشحم منه مقطوب

ومزيرها يقظى وغافية أطياف بادى البطش مرهوب

يا حالبا من ضرعها عسلا عن غير سم – غير محلوب

ومرقصا منها كما انتفضت نطف الحباب بكأس شريب

وكما تراقصت الدمى عبثا ... ما بين تصعيد وتصويب
ياطاعنا أعجاس صفوتها ... بمطى شديد الصلب أهوب
شسع لنعلك كل موهبة ... وفداء «زندك» كل موهوب
وصدى لهاتك كل مبتكر ... من كل مسموع ومكتوب
من كل ما هجس الغواة به ... عن فرط تسهيد وتعذيب

يا سالبا بجماع راحته ... أغنى الغنى ، وأعز مسلوب
ما الشعر؟ .. ما الآداب؟.. ... ما بدع للفكر؟ ما ومضات أسلوب
شسع لنعلك كل قافية ... دوت بتشريق وتغريب
وشدا بها السمار مالئة ... ما يفرغ الندمان من كوب
ومعيلها يجتر من ألم ... دام على الأسلات مسحوب
يلغى وينفى شأن منتبذ ... سقط من الأغلاط مشطوب

يا سيد «اللكمات» شامخة ... تهزا بمنسوب ، ومحسوب
ومربب الضربات ، ما مسحت ... يوما على أكتاف مربوب
مجد ذراعك ، إنها هبة ... أغنتك عن أدب وتأديب
محبوكة «الأليـاف» فى نمط ... عجب ، معنى فيه ، مطلوب
وتغن فيها ، واستجد لها ... غزلا ، ولا تبخل بتشبيب
لله نسجك ... أى ذى عصب ... من عالم القدرات مجلوب
ما كان إلا أن مددت به ... سببا لمجد جد مكذوب
حتى انثنيت بخير ما حفلت ... حلبات موروث ومكسوب

يفـدي عروقـك كـل مـا حملـت … أعـراق داود ، ويعقـوب
ونثـار عرسـك كـل مقـترن … مـن خاطـب عرسـا ، ومخطـوب

سـبحان ربـك كيـف عوضنـى … عـن «حومـل» قفـر و «ملحـوب»
ربعـا أنيسـا فى ملاعبـه … مـا شـئت مـن لهـو وتطريـب
متحاضـنين ، وبيننـا ملـح … مـن عاتـب صـب ، ومعتـوب
نتبـادل «اللكـمات» نحسـبها … قـبلات محبـوب ، ومحبـوب

يـا سـيد «اللكـمات» : يسـحرها … ذهبـا بـذهن منـه مشـبوب
نحـن الرعيـة ..عشـت مـن ملـك … بمفـاخر «العضـلات» معصـوب
زنـد بزنـد .. والـورى تبـع … لكـما ، وعرقـوب بعرقـوب
مرغـه .. مـزق ثـوب سـحنته … رقعـة مـن دمـه بشـؤبوب
لدغـه بـالنغرات لاذعـة … مـا لم يلـدغ سـم يعسـوب
سـلمت يـداك ..أأنـت صـغتها … أم صـوغ رب عنـك محجـوب

قـل لى – أبيـت اللعـن – ممتـدحا … وكرمـت عـن لـوم وتثريـب
الملهمـون أأنـت ترسـمهم … خـولا مـن الشـباب والشـيب
خـدما «لـقصرك» صـنع سـاحرة … ذى ألـف سـقف فيـه مـذهوب
ذى ألـف «باطيـة»وسـاقية … وبـألف رعبـوب ورعبـوب
أم أنـت تخشـى أن تعيـث بـه … نـزوات «مرعـوص» ومجـذوب
«أمحمـد» والـدهر ملحمـة … مـن غاصـب عـات ومغصـوب
والنـاس ذؤبـان تضـيق بهـا … أسـلاب تثقيـف ، وتهـذيب

لا يرتضـون- لفـرط مكلبـة - وثبـات ذئـب غـير مكلـوب
ويصـفقون لمحـرب شرس ويبصـقون بوجـه محـروب
يـذكى «الهـراش» حماسـهم طربـا لـدم بعـرف الـديك مسـكوب
وكـأنهم يسـقون صـافية بنزيـف رأس منـه منخـوب
و«الثـور»، تصـطخب الجـراح بـه، مـدعاة تهليـل وترحيـب
وكـأن مرتكـز الرمـاح بـه نغـم بعـود منـه مضروب
كـن حيـث أنـت تجئـك صـاغرة دفـع اللهـى، والزهـو، والطيـب
تسـعى لـذى بطـر، وقـد زويـت عـن نـابغ، أسـيان، مغلـوب

كـم «عبقريـات» مشـت ضرمـا فى جـنح داجـى الجـنح غربيـب
وتنفسـت رئـة الحيـاة بهـا مـن بعـد تعبـيس، وتقطيـب
عاشـت وماتـت فى حمـى جشـب جـاس، شـتيم العـيش مسبوب
مجلـودة - تلـوى أعنتهـا - بسـياط ترغيـب، وترهيـب
بمـرجمين .. نهـار مـرتخص وبليـل نـابى الجنـب، مرعـوب
حجـج مئـون، دون شـهقتها شـهقات مخنـوق، ومصـلوب
أعطـت، وأغنـت واسـترد بهـا أنفـاس محـزون، ومكـروب
مـا عادلـت أعشـار «ثانيـة» عمـرت بسـاح مـوحش مـوبى
تلـك «الملايـين» التـى سـحبت سـحب «المخاضـة» عـبر «أنبـوب»
نثـرت عـلى قـدمين خضـبتا بـدم لآخـر منـه مخضـوب

يـا أيهـا «العمـلاق» نازغـه «قـزم» عـلى سـبب .. وتسـبيب

كـم جـاء دهـرك بالأعاجيـب — مـن كـل مرفـوض ومشـجوب

كـم راغـب نحـى ، ومرتغـب — وكـم استعز بغـير مرغـوب

وكـم اصـطفى همـلا بنـادرة — وكـم ابـتلى فحـلا بمجبـوب

شسـع لنعلـك كـل موهبـة — وفـداء زنـدك كـل موهـوب

***

أبا مهند

أبـا «مهنـد» لا آذتـك نازلـة — ولا تخطـت إلى علياتـك العلـل

ولا خلت منك سوح الفضيل عـامرة — بهـا إذا غبـت عنهـا سـاعة خلـل

وظلـت كـالفجر ضـوء منـك منطلـق — يهدى العصور، وهدى منك مقتبل

يـا كاسـى الجيـل مـن أفضـاله مننـا — منهـا تتيـه عـلى أكتافـه حلـل

وحاضن «اللغة الفصحى» وقد عبثت — بها الجهالة .. والأخطـاء .. والزلـل

ومطلـع الفكـر فى ظلمائهـا قبسـا — كـما يحـول روضـا يانعـا طلـل

يهنيـك أن ربـوع العلـم تحتفـل — بأن سلمت .. وسوح المجد تبتهل

***

طنجة

لله درك «طـنـج» مـن وطـن — وقـف الـدلال عليـه والغـنج

الليـل عـن جفنيـك منطلـق — والصبـح عـن نهـديك منفـرج

تتخـالف الألـوان فى شـفق — ويلمهـا غسـق فتنمـزج

مـرج مـن «البحـرين» فـوقهما — ضـوء النجـوم يـرف والسرج

تهفــــو الرمــــال إليـــــه ناعمــــة   والسـفح والأمـواج .. و«القـبج»
صــــفت النفــوس فلفهــا مــرح   يهفــو بهــا ، وتلاقــت المهــج
فيـــد عـــلى خصر ، ولا رصـــد   وفــم عــلى ثغــر ، ولا حــرج
وتعـلى العيـون مـن الأسـى رهـج   وعـلى الوجـوه من الجـوى وهـج
تغفـــين والأطيـــاف حالمـــة   فى كــل مغنــى فيــك تختــلج

***

تنظم الشعر

أو

غزل فى الجو ...

وقالـــت : انظـــم الشبـــعر   فقلـــت : وهــا أنــا الشــعر
خــــذينى بــــين كفيـــك   فــداك «العجــز» والصــدر
وصـــوغينى كـــما تهـــوين   ســـطرا حـــذوه ســـطر
وشـــطرين ســـــوين   وأى شـــئته شـــطر
ألا يـــا حلـــوة العينـــين   يـــا مـــن حلوهـــا مـــر
ويـــا مشـــبوبة الخـــدين   عنـــدى مـــنهما جمـــر
عبـــدت الحـــب .. والشـــعر   وكـــل مـــنهما .. كفـــر

***

آليت

آليـــت أبـــرد حـــر جمـــرى   وأديـــل مـــن أمـــر بخمـــر

وأقـــايض البلـــوى بأيـــة بســـمة عـــن أي ثغـــر
بنشـــيش كأســـي بالحبـــاب بخمرتـــي ، ببنـــات شـــعري
يـــا رب يـــوم لي غنيـــ ـــت بساعة عـن ألـف شـهر
خلـــت الحيـــاة بـــزوغ فجـــ ـــر عنـــده بضـــفاف نهـــر
وكـــأن لي مـــن بـــرد معـــ ـــسول الرضـــاب دنـــان خمـــر
وحســـبت أنـــي داهـــر مـــا شـئت أرغـم أنـف دهـري
ونســـيت أنـــي مضـــغة في شـــدق أرقـــط مســـتسر

آليـــت أمضي بـــالعيون ســـواحرا نفثـــات ســـحري
وألحـــن الأمـــواج في شـــعري عـــلى أمـــواج بحـــر
وأخـــيط مـــن مـــزق الغـــمام مطارقـــا لبنـــات شـــعري
وأصـــب في الأنفـــاس مـــن خضر الربـــى نفخـــات عطـــري
وأصـــون عشـــي وادعـــا صـــون الحـــمام أليـــف وكـــر

آليـــت بعـــد تمـــرس بالـــدهر مـــن كـــر وفـــر
ووقيعـــة أنكرتهـــا شـــنعاء مـــن «زيـــد» بعمـــرو
أن أفتـــدي بـــدمي جريـــ ـــحا كـــان أن أريـــده نـــذري

أوقفـــت شـــطري في الشـــدائد كـــي يـــروح وقـــاء شـــطري
حتـــى إذا انفرجـــت ريـــاح الـــدهر عـــن نكبـــاء صر
يتكالـــب الشر المحيـــ ـــق بهـــا ، فيلجـــا لـــلأشر
عرضـــت وجهـــي للحتـــوف دريئـــة وأســـلت نحـــري

آليت أمتحن الرجولة ... يوم ملحمة وعسر
وارى رجولات الفتى ... ما كان من نفع وضر
وكريهة ملمومة ... لم ألف عنها من مفر
لم أعتذر عنها، وعنـ ... ـدى لو أراوغ ألف عذر
وكريهة لم تكتشف ... فدفنت جاحمها بصدرى
ألفيتها خير الثواب ... لمنبه فى الناس ذكرى
من صنع وغد فجرة ... من كل ذى بر أبر
ومساوين على الحروف ... كأنها تنزيل ذكر
مدوا العريان الضمير ... يدا بزعمهم تعرّى
ماذا تعرى إنها ... شية الحجول على الأغر
يا زاحمين بطهرهم ... طهر الملائك يوم حشر
شتأن أمركم وأمرى ... أنا ذا أنوء بثقل وزرى
أنا ليس لى عسال «عنـ ... ـترة» ولا صمصام «عمرو»
عمرى سيقطع رحلتى ... أنال ليست أقطع شوط عمرى
شاخ الجواد ولم يزل ... تعتامة صبوات مهر
طلق العنان فإن كبا ... نفض العنان، وراح يجرى
ولقد أقول وفى الثرى ... رجلى، ونفسى فى المجر
سبحان من جمع النقائض ... فى من خير، وشر
عندى كفاف «حمامة» ... فإذا استثرت فجوع «نمر»
أسرجت للأزمات مهرى ... وخبرتها، وحزمت أمرى

وحمدت في الكرب الشداد — صمود إيماني لكفري
سبعون في سوح الجهاد — نذرتها ، ووفيت نذري

ومبارزين سلاحهم — أن لست ند ذوات ظفر
أمنوا بعصمة صافح — عن كاشفي السوءات نكر
مثل «الفواحش» يحتمين بفحشهن ، بأى ستر
مستعبدين توارثوا — حقب التملك ، والتسري
ومسخرين فهم لديك وهم عليك لقاء أجر
ومخنث لم يحتسب — في ثيب خطبت وبكر
أقعى .. وقاء ضميره — ملآن من رجس وعهر
كذناب «عقربة» لها — سم على العذبات يجري
غال كأرخص ما تكون أجور غير ذوات طهر
لم يعل قدري مدحه — وبذمه لم يدن قدري
أسلمته للمبتلين العارفين به بمصر
ولمن بري أظفاره — قلم المباحث والتحري
يضوي بما يغذى به — شهم ، ويسمن بالتهري

ومقامرين على «الجواد» — فكبوة منه بقمر
حسدوا الفتى في نعمة — من دون ما نشب ووفر
من دون ما ورق سوى — ورق من الجنات نضر
لولا خفوق جناحه — لم تعترف وثبات نسر

عاشــوا عــلى ســاع لســاع   وهــو مــن عصر لــعصر

يحصــون وقــع مزاحفــي   وكــأنهم أشــياخ «بــدر»

دنيــا تلــوذ بواحــة   إذ ألــف قصر رهــن قفــر

أفكــان ذنبــي أننــي   أنشــودة في كــل قطــر

أو أن تــروح قصــائدي   وكأنهــا نفثــات ســحر

خسرى خســارة أمــة   وكــأن ربحهــم بــخسري

يــا صــامدا .. والنــازلات   الســود تخلــق ثــم تفــري

عجبــا للحمــك لا يطــا   ق أقــد مــن زبــر ، وصــخر

كــم صــل عنــد كعوبــه   للــوحش مــن نــاب وظفــر

يــا صــاحبي في الباحــة القصــوى   وأنــت أخــي وذخــري

هونــت كيــد الكائديــ   ــن تمــد في جلــدي وصــبري

أكبرتنــي أن أختشــي   وغــدا وأن أعنــي بغــر

وضربــت لي أمثولــة   بــأبي المحســد والمعــري

يــا ســيدي .. ونــداك ذخــري   ونثــاك مجمرتــي ، وعطــري

شــكرا وتلــك هديــة   يعيــا بهــا فرحــي ، وشــكري

إن الرجولــة حــرة   كــالبحر في مــد ، وجــزر

بنــت الطبيعــة .. كالنــدى   كــالبحر ، كالنســمات تسري

كــالزهر يحمــل شــوكة   وبجنبــه نفحــات عطــر

يغشــى الهجــير مغاضــبنا   ويــرق مثــل نســيم فجــر

مــا أهــون الــدنيا إذا   ضــاقت بســمح الــنفس حــر

وإذا انتهـــى أمـــر الأديـــــ ـــب بهـــا إلى نهـــى وأمـــر
وإلى مـــدى مـــا فى القـــراع المـــر مـــن نفـــع وضر
لا خـــير فى ومـــض النجـــوم إذا خبـــت ومضـــات فكـــر

أمـــا حـــديث المشرقيـــــ ـــن فملتقـى نحـرى ، وسـحرى
ضـــاقت قبـــور الملهميـــــ ـــن فـــألف موهبـــة بقـــبر
إنـــى دريـــت ، وليتنـــى كنـت الجهـول ، فلسـت أدرى
بـــالمنعظين رؤوســـهم كـــبرا ، نتـــاج صـــغا وصـــغر
وبكـــل منعفـــر الجبيـــــ ـــن أرب مـــن فحـــش وهجـــر
يبـــدى العفـــاف ، وربـــه ومربـــه فضـــلات تـــبر
ســـحتا يســـمن نحـــره بـــدم الأضـــاحى يـــوم نحـــر
ومســـارج مزعومـــة فى حومـــة الآداب غـــر
حـــولى .. ولا أدرى بهـــن كـــأنهن نجـــوم ظهـــر
حتـــى إذا زحـــف الظـــلام بجحفـــل للخطـــب مجـــر
لم ألـــف حـــرف ذبالـــة تهـــدى الســـبيل مـــدب شـــبر

خاســـت براعـــات تخـــش كـــأعظم فى القـــبر نخـــر
ومســـعرات ضـــغائن تتآكـــل الأضـــلاع وغـــر
ليـــت القـــذاة بـــأعين مســـمومة النظـــرات خـــزر

مـــن ذا يخلـــص أمـــة أخـــذت عـــلى طـــوع ، وقسر
مـــن نفســـها ، مـــن آمـــر فيهـــا ، ومـــن خـــدم لأمـــر

مثـــل «المـــوالى» شرفـــت … نســـبا إلى «مضر» و «فهـــر»

يتملكـــــون رقـــــابهم … ملـــك الجـــزور ليـــوم نحـــر

مـــن كـــل «فرعـــون» بهـــا … مـــن تحتـــه الأنهـــار تجـــرى

***

آه على تلكم السنين ...

آه عـــلى تلكـــم الســـنين … تياهـــة العطـــف بـــالجنون

نمشـــى ملوكـــا بهـــا حفـــاة … عروشـــنا مـــترف المجـــون

نســـقط فى الحـــاضر المـــواتى … مـــا يحمـــل الغيـــب مـــن جنـــين

ولا نخـــاف الغـــد المعمـــى … ولا نبـــالى بـــالمنجنون

ولا نعـــير الأفـــلاك ســـمعا … أفى حـــراك أم فى ســـكون

نشـــك أنـــا صرعـــى غـــواة … فنقتـــل الشـــك بـــاليقين

جراحنـــا لســـن بـــالمواضى … وحقـــدنا لـــيس بالـــدفين

زكـــل آهاتنـــا الخـــوافى … تســـحقها الكـــأس بـــالرنين

نشـــدو نشـــاوى فى جحـــر ضـــب … شـــدو العصـــافير فى الوكـــون

وتســـتدر النفـــوس طوعـــا … مـــدرة المضرع اللبـــون

ونـــزدرى حاقنـــا معنـــى … بسره الأحمـــق المصـــون

وشـــحة فى «الجيـــوب» منـــا … تخـــزى بهـــا شـــحة الضـــنين

وعـــين «خمارنـــا» المجـــافى … ترقـــت منـــا ســـوم الغبـــين

لا نســـتطيع الفـــرار منـــه … ألا بشـــان «منـــا» رهـــين

و «النــدل» إذ نســتدين منــه ... دريهــمات عــلى ضــمين

إذ نتهجـــى شـــتى حــروف ... تــفضى إلى «حرفــه» الــرطين

وعنــا بالســـباب منـــه ... ووجهـــه النـــافر البـــدين

وخرقـــة كـــالقماط لفــت ... ضــنكا عـــلى مكــرش بطــين

ثمــة نزجـــى أحـــلى القــوافى ... نرثـــى بهـــا ميــت الــديون

آه عــــلى تلكـــم الســـنين ... بــــالآه بيعـــت وبـــالحنين

نخـــبط ســـت الجهـــات فيهـــا ... لا ليســـار ولا يمـــين

نحســـب أنـــا لكــل حـــين ... وكــل حـــى فـــرهن حـــين

يـــذكى فتـــون الشـــباب فينـــا ... مـــا فى اللبانـــات مــن فتـــون

لا نتعـــزى عنهـــا بجـــاه ... ولا بـــمال ، ولا بنـــين

نســـحب فى غـــزوة وأخـــرى ... ذيـــول فـــتح لنـــا مبـــين

نـــأتى كنـــس الغـــزال صـــبحا ... وفقـــنص الظبـــى فى الكمـــين

رنـــق فى عينـــه نعـــاس ... ثقـــل مـــن خفقـــة الجفـــون

و«القـــرط» ملقـــى إلى اليمـــين ... و «المـــرط» شـــعث مـــن الغضـــون

والشـــعر نســـل عـــلى التراقـــى ... حفـــل ، وحفـــل عـــلى المتـــون

وبســـمة فى الشـــفاه حـــيرى ... كبســـمة الحـــالم الحـــزين

ونظـــرة خلتهـــا هتافـــا ... مـــن نغـــم أخـــرس مبـــين

آه عــــلى تلكـــم الســـنين ... تهصر مـــن رقـــة ولـــين

مـــن مرجـــع شمســـها ربيعـــا ... وليلهـــا مشرق الجبـــين

أيـــام رب الغـــواة ربـــى ... والفجـــر بـــين النخيـــل دينـــى

وكـــل مـــا يزدهـــى فتيـــا ... يلهـــب نفســـى ويزدهينـــى

أيـــام لم نلـــف فى النـــدامى ... مثـــل الصعـــاليك مـــن قـــرين

أنفـــس مـــا فى الوجـــود كنـــزا ... خبـــئ فى دمنـــة وطـــين

وخـــير مـــن دب مـــن أمـــين ... لمـــن يصـــاف ، ومـــن خـــؤون

يهـــزون مـــن «عبقـــر» وواد ... يحـــل ، خـــال مـــن القطـــين

وكلهـــم إن حمـــى وطـــيس ... عربيـــد جـــن ، أخـــو فنـــون

ينـــوون حجـــا إلى «المصـــلى» ... إذ هـــم غـــزاة عـــلى «الحجـــون»

ويحســـبون المـــال «المخبـــا» ... دينـــا يقـــاضى مـــن المـــدين

نفقـــدهم ثـــم نلتقـــيهم ... فى القـــبر ، فى القفـــر ، فى الســـجون

آه عـــلى تلكـــم الســـنين ... إذ نحـــن مـــنهن فى شـــؤون

وإذ ولاة الأمـــور منـــا ... شرائـــح اللحـــم فى الصـــحون

فى كـــل آن إذا اشـــتهينا ... نفـــدى بعجـــل مـــنهم ســـمين

مـــا إن نبقـــى فيـــه مـــدبا ... للطعـــن مـــن كثـــرة الطعـــون

نســـب «بـــيض» الأعنـــاب مـــنهم ... و «الســـود» قطفـــا وفى الغصـــون

لا نتـــوارى نخـــاف عينـــا ... ولا نـــورى خـــوف «الأذيـــن»

إذ كـــل مستصـــعر مريـــد ... يمســـخ فى صـــاغر مهـــين

آه عـــلى تلكـــم الســـنين ... مـــبرءات مـــن الظنـــون

مغفـــلات وجـــدن منـــا ... أى حـــرى بهـــا ، قمـــين

ذبنـــا بهـــا معـــدنا خليصـــا ... يســـبك فى معـــدن ثمـــين

طيــف حبيــب رمــت إلينــا ... بــه مرامــى نــوى شــطون

ولمــح وجــه يثــير فينــا ... نجــوى خــدين إلى خــدين

نحــار ، أن حومــت رؤاه ... تهــز منــا حبــل الــوتين

أكــان ســحرا يعمــى عيونــا ... أم نحــن ، غفــلا بــلا عيــون

وذكريــات حلــو شــجاها ... وأى ذكــرى بــلا شــجون

يطيــل مــن عمرهــا تلظــى ... أســيان ، فى عمــره ســجين

يرقــب فى غفــوة وأخــرى ... غــولا يســمى «ربيــب المنــون»

آه عــلى تلكــم السّــنين

***

بعد العرس

مــرت ســنين ســود ثــلاث ... وكــل يــوم مــنهن عــام

وأنــت مــن «واعــل» حــلال ... ومــن عميــد صــب حــرام

يقظتــه أنــت فى نهــار ... وأنــت فى ليلــه المنــام

عجــت بمغنــى الهــوى عليــه ... منــى وإن صــوح الســلام

قفــر فــلا ظبيــة لعــوب ... فيــه ، ولا يصــدح البغــام

وســاحه مــوحش حــزين ... يلقــط حبــا بــه الحــمام

كــأن حيطانــه حصــيد ... شــب بعيدانــه ضرام

واصــعدت آهــة ، وغطــى ... عينــى مــن رهبــة قتــام

وددت لــو كــان لى مقــام ... أو أن لحــدى فيــه يقــام

يـــا لليـــالى .. فى أمـــس ضـــوى وحشـــة لـــيلى هـــذا الحطـــام

يـــا حلـــوة المجـــتلى ســـلام كيـــف التـــوى العهـــد والـــذمام
كيـــف انطـــوت صـــفحة وأخـــرى فواحـــة مســـكها ختـــام
يـــا حلـــوة المجـــتلى ، ســـلام قريـــرة العـــين إذ تنـــام
تـــدرين أم لا؟ .. إنـــى حطـــام غلفـــه اللحـــم والعظـــام

يـــا حلـــوة المجـــتلى ، فـــداء لوجهـــك الأوجـــه الوســـام
عريـــك عـــرى الرمـــال بكـــرا لم يتهـــدج بهـــا النعـــام
وحـــين تكســـين فـــالروابى خضر تمشـــى بهـــا الغـــمام

حطمـــت قيثـــارة وأخـــرى مما اشـــتكى الوجـــد والهيـــام
أعلـــم أن لا تصـــغين ســـمعا أريـــد أن يســـمع الأنـــام
فـــيم عـــلى صـــخرة عتـــاب ومـــم عـــن صـــدها مـــلام
هـــل غـــير أن تتعـــب القـــوافى وغـــير أن يـــرخص الكـــلام
يـــا لـــك «ســـبعين» لا تـــوفى نـــذرا ولا يخمـــد الضرام
لا يعـــد ذام قبـــيح صـــنع مـــن حلـــو وجـــه عـــداه ذام

أديمـــة أنـــت عنـــد «رومـــا» ســـح ، وعنـــدى بـــرق جهـــام
عرســـك لا كـــان مـــن مشـــوم يـــرفض عـــن مـــأتم يقـــام
لا بوركـــت بيعـــة حوتـــه ولا زكـــا «قســـها» الإمـــام
وليـــت «عشـــا» أفرخـــت فيـــه قوضـــه الـــبغض والخصـــام

و«غرفــــة» تسرجـــان شـــبت نـــارا لهـــا أنـــتما طعـــام
فـــإن ظلـــما دم بـــريء وإن عـــدلا منـــه انتقـــام
أعجـــب بشرع الغـــرام شرعـــا يـــدان فيـــه مـــن لا يضـــام
ولـــيس منـــه مـــن لم يغـــرر بـــه ، ولم يخفـــر الـــذمام
أعجـــب بـــه حـــائرا عســـوفا وهـــو بهـــذا ، وذا ، إمـــام
النـــاس مـــن حولـــه ســـجود فهـــم قعـــود لـــه ، قيـــام
قلـــت وقـــد راعنـــي مصـــاب إنـــا لنـــار الهـــوى طعـــام
عـــلام يلـــوى بالحـــب بغـــض وفـــيم ضـــنيم ، ومستضـــام
قـــالوا : نظـــام يســـوم كونـــا قلـــت وهـــل كـــائن ســـوام
أفظـــع مـــن أخـــرق مســـود ســـيده الأخـــلاق ، النظـــام

***

لغة الشباب ، أو حوار صامت

شـــمرت أردانـــي لنصـــف وغســـلت أثـــوابي بكفـــي
ونشرتهـــا للشـــمس للنـــــظرات ، لـــلأرواح تســـفي
خالفتهـــا عـــدا ، ولونـــا خولطـــت صـــنفا بصـــنف
مـــا بـــين أربـــد لا يشـــف وبـــين مفضـــوح أشـــف
وظللـــت أرمقهـــا بأســــجاح . وترمقنـــي بعنـــف
لغـــة الثيـــاب عرفتهـــا وأجـــدتها حرفـــا بحـــرف
لم أنخـــدع برفيفهـــا علـــما بنـــما تحـــت المـــرف
فلطالمـــا خفقـــت عـــلى شرس كجلـــد «الفيـــل» جلـــف

ولطالمـــــا خلقـــــت عــــلى　　سـمح كضـوء الفجـر عــف
نعظـــــــت إلى رؤوســـــــها　　فيهــا تغــامز ألــف طــرف
واســــتلت الأكــــهام ألــــ　　ــــسنة مؤمنـــة .. تقفـــى
قالـــت بأفصـــخ مـــا احتـــوت　　لغـــة بـــلا نحـــو وصرف :
حقبـــا طـــوالا كنـــت إلـــ　　ــفك بـــرة يـــا شر إلـــف
درء الحتـــوف عليـــك كنـــت　　وفى يـــديك مـــدب حتفـــى
يـــا مولعـــا أبـــدا بطرحـــى　　- يتقـــى وضرى - وحـــذفى
مـــا كـــان مـــن درنـــى ، فمنـــ　　ـــك ومـــن دم غثيـــان صـــلف

كـــم أنـــت قـــاس .. يـــا بـــن حـــواء　　مولعـــــة بخصـــــف
هربـــت مـــن «العـــرى» الطهـــور　　وجنـــة تـــدوى ، وتشـــفى
وتقيلـــــت «وعثـــــا» تفجـــــر　　عـــن قلـــوب فيـــه غلـــف
أعطـــاك مـــن ســـواك مـــلء　　العـــين مـــن مـــرح وظـــرف
أظفـــار غـــول ســـبطة　　ونيـــوب ذئـــب غـــير عقـــف

مـــا أفحـــش الغـــاوى بصـــاعر　　قـــوة .. ومهـــين ضـــعف
يعـــرى ، فتحســـب ، أنـــه　　«قـــرد» تنـــزى تحـــت ســـقف
مـــا كـــان أحـــوج مـــن يرقصـــه　　إلى «صـــــنج» و «دف»
فـــإذا تقمصـــنى تبخـــ　　ـــتر لا يطـــاق مـــن التكفـــى
وانصـــاع «كالطـــاووس» يســـ　　ـــحب ذيلـــه فـــوق المـــزف
كـــم بينـــه عرمـــا يشـــب　　حريـــق ملحمـــة ويطفـــى

يطــــأ الرقــــاب .. وبينـــــه قزمـــــا بسروال وخـــــف ؟
ســـمج الملامـــح فـــرط مـــا غصـب الضـمير عـلى التخفـي
وكـــأن فـــوق جبينـــــه «طغــــراء» مســكنة وخســف
يعمـــى .. ويحقـــر نظرتـــى ويــذوب فى نظـــرات خشــف
وأراهمـــــا «وحشـــــين» فى قفصـــين .. قـــدام وخلـــف

ســـفها أريـــــدك وادعـــــا يفـــتر عـــن لمحـــات عطـــف
وأنـــا التـــى عرفتـــك إعـــ ـــصارا يــدمر غـــب عصـــف
لم تـــأل تخـــرق ريطتـــى مزقـــا إلى ربـــع ونصـــف
أأقـــول فـــيم هتكتنـــى أم إن بعـــض اللمـــح يكفـــى

أف لســــــنك حلـــــوة ولمـــا تخبـــى ألـــف أف
وتعســــت مــــن مظلومـــة نـــذر عـلى «العـورات» وقـف
كـــم فـــوق ردنـــى دمعـــة بـــدم أرقـــت .. ولم يجـــف
ورذاذ «ســـم» للصديــــــ ـــق يـداف فى «عسـل» بلطـف
كـــف تصـــافحه بهـــا خـــتلا .. وتذبحـــه بكـــف
وتــــروح فى خــــدع ، وفى ضرع ، وفى نشر ، ولـــف
لتلــــف نعــــش جريمـــة فى بردتـــى عبـــث .. وقصـــف
ووراء ذلـــك مضـــغة مخنوقـــة فى أى كهـــف
تلقـــى عـــلى قســـمات وجـــ ـــهك ظلهـــا «الكـابى» وتضـفى
أدركـــت سرك فوقهـــا كـــالجرح تعرفـــه بنـــزف

أتقيمهـــا رصـــدا – تضيـــ ـــق بـــه – فتطـــرده وتعفـــى
وتعـــود تمســـح مـــا تبقـــى فيـــك مـــن «بشر» فتصـــفى
وكـــذلك يهـــرب ســـادر خـــوف المســـف إلى الأســـف
لا كـــان يـــوم قطفتنـــى ودرجـــت مزهـــوا بخطفـــى
وحســـبتنى ألعوبـــة .. نســـج الخيـــوط عـــلى الملـــف
أكســـو «العـــراة» وينتهـــى أمـــرى إلى «ســـفط» و «رف»
نشـــئت أطهـــر منـــك أردانـــا وأطيـــب منـــك عـــرفى
فى طينـــة هـــى غـــير طيـــ ـــنك فى حمـــى روض ألـــف
فلـــك النجـــوم الزهـــر ســـقفى ومطـــارف «الكتـــان» ســـجفى
وتلـــف فتنـــة عريتـــى بغـــدائر لليـــل وحـــف
ويرشـــنى بطيوبـــه غـــبش الصـــباح المستشـــف
وألـــوذ مـــن وهـــج الظهيـــ ـــرة معجـــلا نضـــجى ، وقطفـــى
بمســـارب الغـــدران تســـ ـــقينى وتطربنـــى بعـــزف
ومـــن الغيـــوم مظلـــة مـــن نـــاعم الحـــبرات شـــف
وأعـــب مـــن قطـــر النـــدى رشـــفاته فـــأهز عطفـــى
يـــا هـــذه بعـــض الشـــماتة مـــرة بعـــض التشـــفى
أسرفـــت فى شـــتمى ، فكفـــى وغلـــوت فى نعتـــى ووصـــفى
وكـــذبت ، إذ صـــورتنى مـــن لـــيس يومـــا فى مصـــفى
وصـــدقت لـــو حملتنـــى وزر الحلـــيم المســـتخف
وجهلـــت أى بواعـــث تجـــتر مـــن رفقـــى ، وعنفـــى

مـــن دون حلـــف حلفـــة ولـــرب أحـــلاف بخلـــف

إنـــى أحـــرق زلتـــى وخطيئتـــى بجحـــيم لهفـــى

وأديـــــل سيء فعلــــه ما اسـطعت مـن حسـن بـألف

وإذا تـــبجح مـــن يمـــرغ أصـــغريه ومـــن يعفـــى

فأنـــا المـــدل بقـــوتى فى آن أمـــيط لثـــام ضـــعفى

كالبـــدر مـــن بعـــد الخســـوف يـــزاد مـــن وضـــح وكشـــف

فتغنجـــى – أن كنـــت حلـــف أخى شجى ، ونـدى ، ورفِ

***

يا فرحي العمر

أختى نبيهة

سـلمت أختـى إذ لم يبـق لى زمنـى أخـا سـواها ، ولا أختـا تنـاغينى

ولا تغيـب عـن عينـى منـبلج مـن حسـن وجهـك يعرونـى

يـا فرحـة العمـر ظـلى بسـمة عمـرت بالـذكريات ، تواسـينى ، وتسـلينى

حسبى وحسبك عن بعـد وعـن كثب أنى أناجيك فى هـذى «الـدواوين»

***

ذكريات من أثينا

سجا البحر ...

سـجا البحـر وانـداحت ضـفاف ندية ولـوح رضراض الحصى والجنـادل

وفكت عرى من موجه لصق موجة تماسـك فـيها بينهـا كالسلاسـل

وسدت كوى ظلت تسد خصاصها ... عيون ظباء ، أوعيون مطافل

ولف الدجى فى مستجد غلالة ... سوى ما تردى قبلها من غلائل

سوى ما تردى من مفاتن سحرة ... وما جرتيها من ذبول الأصائل

وما حمل «الإصباح» شوقا إلى الضحى ... من ورق النديان أشهى الرسائل

وخيم صمت فاستكنت حمائم ... وقر على الأغصان شدو البلابل

تثاءب «أملود» ولمت كمائم ... ودب فتور فى عروق الخمائل

وخولط لون فى شتيت مخالف ... لما يتراءى أو شبيه مشاكل

كأن الدنى ملت تدلى شخوصها ... بوضح السنى فاستبدلت بالمخايل

رؤى تستبيح الجن فى صبواتها ... بها ما بنى إنسيها من هياكل

سجا البحر حتى لا تعيد ضفافه ... صدى رعشات متعبات قلائل

وحتى ليبدو – فى غرابة حاله ... وغربته – عن نفسه جد ذاهل

وطال عليه فى عبوس دجنة ... ترقب «ضحاك» من الشرق قابل

ولم تبق إلا وثبة من مصابر ... ضعيف القوى كالمقعد المتحامل

فيا لك طلقا رهن أسيان موحش ... ونابة ذكر فى خفارة خامل

خلا الربع مأنوس الرحاب وأقفرت ... ملاعبه من «زغردات» الهلاهل

وماتت به الأصداء ، وارتد لاهثا ... هتاف الصبايا كالخيول الصواهل

وجفت رمال «للمسابح» بللت ... شفاها عطاشى من «عذاب» المناهل

وأعول مهجور «المساحب» وانطوت ... منازل «غيد» عامرات المنازل

سجا البحر رفاف السنى وتراقصت ... لئالئ تستهوى عيون الصياقل

وغص بأشباح إليه صواعد ... على أخريات من سماء نوازل

إذا هزهزته الريح وأسرحت به ... خيوط من الأضواء مثل الجدائل
وألحمه ومض من «البرق» ناعس ... وسداه شف من غيوم نواحل
حسبت «عريشا» من عناقيد كرمة ... تدلى «وحرشا» من حقول السنابل
وخلت النجوم الزهر صيدا لصائد ... ينشر من أشباكه والحبائل

تنفس عميقا أيها «الشيخ» لم يهن ... بجرى على فرط المدى المتطاول
ولم ينسه التياه من جبروته ... عناق الشواطئ، واحتضان الجداول
ولا زاده إلا سماحا وعزة ... تخطي شعوب فوقه وقبائل
فيا روعة الدنيا يسامر ركبها ... ويحمل أسرار العصور الأوائل
لك الخير هل جيل تقضى ولم تكن ... شهيدا على أعراسه والغوائل
وهل شع إلا عنك نور عباقر ... ووحي أساطير ، وبدع فطاحل
وهل سعرت نار لحرب ولم تثر ... عبابك يغلي حقدها كالمراجل
غزتك أساطيل الطغاة ، وطوحت ... بحابل حوت فيك أقواس نابل
ومررت منها جحفلا بعد جحفل ... وردك ملتاثا غبار الجحافل
وجازتك غضبانا كأن فضولها ... جراح بحر اللوح بادي المقاتل

ويا «خالدا» تهزا أسارير وجهه ... بمغزى خلود عادم الوجه زائل
وبالخلق منحوسا معنى يروعه ... بما يبتني من عاجل خوف آجل
عبدتك «صوفيا» يدين ضميره ... بما ذر فيه من قرون الدخائل
ويسرج منه بالندامة «معبدا» ... تشكى طويلا من دخان المشاعل
وعاطيتك النجوى معاطاة راهب ... مصيخ إلى همس من الغيب نازل

ولونــت أحلامــى بــما لونــت بــه مغانيك من كون بسحرك حافل
وغنــاك قيثـارى فلـم تلـف نغمتـى نشـازا ، ولا لحنى عليـك بواغـل
وتشــهد أمــات القــوافى تشــاغلت بهـا أكـؤس السـمار إنـك شـاغلى
فيـا «صـاحبى» لا تخـل عينـى شـدتا لطيفك من وجه لشخصك ماثل
ولا تنســـنى نفســا هوتــك فتيــة وناغـك بقيـا جـذعها المتآكـل
هوى لم يمل يوما ، وكم ضج خافقى بأهوائـه مـن مسـتقيم ومائـل
مفـــازة إعصـــار تظـــل رماهـــا تقاتــل فــيما بينهــا دون طائــل

ويـا مخجـلى فـيما تشـط مزاعمـى جنوحـا ، وفـيما تـدعى مـن شـمائل
تـنفض مـا يضـفى الغـرور ، وترتـدى أمامــك زى القــابع المتضــائل
ويفزعهــا مــا بــين أطــماح مــارد مقـيم ، وأطـماع ابـن يـومين راحـل
تــرى جامحــا لا ضــحكة للقوابــل ولا دمعـة تمـرى عيـون الثواكـل
ولا مصـــعرات للســـماء متونـــه ويحطـم مسـمار عظـام الكواهـل
تــرى مشرقــا لا الجــو رحبــا بغــالق عليـه ولا ضـوء الشـموس بآفـل
مهيبــا كــريما باســطا مــن ذراعــه تعبد ما اسطاعت دروب السـوابل
ويحنو على الشم الجوارى كما اختفت نطاســية بــالمثقلات الحوامــل

ســجا البحــر إلا مــن شراع مهــوم يحوم على صمت الدجى كالمخاتل
وخفــق مصــابيح كــأن خــوالجى تغلغلـن فيهـا مـن مليـح وناصـل
تغامزن بـى يعجبـن مـن وجـد سـاهر ويمنحن خلو البال طـرف المغـازل
عــلى الشــاطئ الأقصى كــأن رفيفهــا على الشاطئ الأدنى بريـد المراحـل

معالم كون غامضات سرائر فهن لمن يرتادها كالمجاهل
وما أصغر الدنيا على جهل ساحل لفرط التجافي والتنافي بساحل

سجا البحر وانشق الثرى عن هواجس ترعرع في مستوبئ الظل قاحل
وبت أساقي نبعها غير آبة بحق أنمي زرعها أم بباطل
أقول أغنيها فتنبو مسامعي وأحصي مساويها فتكبو أناملي
وأمضي أعانيها فترتد يقظتي جحيما، ونومي مثل حز المناجل
وتزداد قبحا إذ أعالج قبحها بمكذوب ظن للمعاذير فائل
ولست بدار هل أسمي أشرها بأم المآسي، أم بأم المهازل

***

فتى الفتيان ... المتنبي

تحدى الموت واختزل الزمانا فتى لوى من الزمن العنانا
فتى خبط الدنى والناس طرا وآلى أن يكونها، فكانا
أراب الجن إنس عبقري بوادي «عبقر» افترش الجبانا
تطوف الحور زدن بها تغني - وهن الفاتنات - به افتتانا
ضفرن جدائلا إكليل غار ومن طرر حبكن الصولجانا
ومن غرر له ناوحن عودا وطارحن الولائد والقيانا
ومما عتقت من ألف عام صففن له المشارب والدنانا
وذوبن اللغى، وكفين منها بأصداء العصور الترجمانا
ونصبن الآله على سرير من الزهرات زين بها وزانا

وراح الخلد يخفق بالقوافي عماليقا وأغيدة لدانا
وملء رحابه نغم طليق تخطى البعد واخترق الأوانا

دما صاغ الحروف مجنحات رهافا ، مشرئبات ، حسانا
يردن حياضه ينبوع فكر ويخضن البراعة والبنانا
وطار بهن في شرق وغرب كأن لهن في قصب رهانا
فويق الشمس كن له مدارا وتحت الشمس . كن له مكانا
وآب كما اشتهى يشتط آنا فيعصف قاصفا ويرق آنا
وفي حاليه يسحرنا هواه فننسى عبر غمرته هوانا
فتى دوى مع الفلك المدوى فقال كلاهما : إنا كلانا
فيا ابن الرافدين ، ونعم فخر بأن فتى بنى الدنيا فتانا
حبتك النفس أعظم ما تحلت به نفس مع المحن امتحانا
وذقت الطعم من نكبات دهر يمد لكل مائدة خوانا
وجهلك المخافة فرط علم بكنه حياة من طلب الأمانا
وأعطتك الرجولة خصلتيها مع النوب : التمرس والمرانا
فكنت إذا انبرى لك عنفوان من الغمرات أفظع عنفوانا
وكنت كفاء معمعة طحون لأنك كنت وحدك معمعانا

أسلت الروح في كلم موات فجلى غامض منها وبانا
وطاوعك العصبي من المعاني وكم غاو ألح به فخانا
فكم من لفظة عف حصان سحرت بلطفها العف الحصانا

وأخرى برزة تجلو البلايا | عقدت بها مع البلوى قرانا
وسر الخلق ذهن عبقري | أتى حجرا ففجره بيانا
ولم أر في الحذاقة من شبيه | كحذق المستعين بما استعانا
جران «العود» لا يخشى شذاه | ويخشى العود إن ألقى الجرانا

ويا ابن الكوفة الحمراء وشى | بها سمط اللآلىء والجمانا
وعاطي رملها من أصغريه | عيون الشعر تبرق والحنانا
وأبقى فوقها دمه ليسقى | هناك «بشعب بوان» حصانا
فقد كره الطعان وكان أدرى | بأنك - وهو - مذبوح طعانا

ويا ذا الدولة الكبرى تعالت | - وقد سحق البلى دولا - كيانا
بحسبك أن تهز الكون فيها | فتستدعى جنانك واللسانا
وأن تطرى الشجاعة في شجاع | فتعجب - حين يعجبك - الجبانا
وأن تعلو بهدان لا يعلى | وأن تهوى بعال لا يداني
فماذا تبتغي؟ أعلو شأن | فمن ذا كان أرفع منك شانا؟
أم الدنيا الغرور وقد تهاوت | على قدميك ذلا وامتهانا؟
تملقك «ابن عباد» وأرخى | لك العرنين منه والعرانا
وماجت أرضه ذهبا وصاحت | معاقله : هلم إلى حمانا
ونولنا نداك نعش عليه | فإن جداك باق لا جدانا
ومناك «ابن صفرة» لو توافي | بما يجبي العراق له ضمانا
وكان أرق من زبد لبانا | وكنت أشد من وتد حرانا

على ضنك وتأبى أن تراضى ... بما لم تهوه أو أن تعانا
وتعلم أن نفسك لن توقى ... عليك، وأن حرفك لن يصانا
ولكن فليكن نسب قريب ... يشد المستدين بما استدانا

ولما استيأسوا من مستميت ... فلا أرضا أراح ولا ضعانا
ولا أبقى على صعدات رمح ... ولا أعفى من الفرس اللبانا
أثاروا خلف رحلك عاويات ... ضباعا تستفز الديدبانا
أراعن يطمعون بمشمخر ... يدق برأسه القمم الرعانا
فكنت الحتف يدركهم عبيدا ... وأربابا إذا استوفى وحانا
ورد لنحرهم كيد أحلوا ... به الرئبال والقطط السمانا

تمن أبا المحسد تغل فينا ... مطاحننا وتستتشر منانا
«وضو» لنا، فقد تهنا ضياعا ... وخب بنا فقد شلت خطانا
وأدركنا، فقد طالت علينا ... مقاييس قصرن على سوانا
وقد غصنا فلا الأعماق منا ... ولا نسم يهب على ذرانا
وقد شمخت ملاحبنا علينا ... وقد أكلت أباطحنا ربانا

أبا الفتكات تنزلها دراكا ... فتدرك فتكة بكر عوانا
تهز بها من استغوى شعوبا ... ومن أغفى بها ومن استكانا
وتبدل من أرانبها ملوكا ... وأصناما تسبب «الثعلبانا»
مضت حقب وهن - كما تراها - ... فقاقيع، ونحن كما ترانا
تمزقنا دويلات تلاقت ... بها الرايات ضما واحتضانا

ترقـــع رايـــة منهـــا بـــأخرى وتســـتبقى أصـــائلها الهجانـــا

وتكـــذب حـــين تصـــطفق اعتناقـــا وتصـــدق حـــين تفـــترق اضـــطغانا

وتفخـــر أنهـــا ازدادت عـــدادا وتعلـــم أنهـــا ازدادت هوانـــا

إمـــارات يـــمار بهـــا هوانـــا ومشـــيخة تجـــدد مـــن صـــبانا

تطيـــل العمـــة العـــذبات منهـــا ويعـــتصر العقـــال الطيلســـانا

وكـــم ســـخرية ألقـــت ظـــلالا عـــلى مـــا جـــل مـــن خطـــب فهانـــا

حلفـــت أبـــا المحســـد بـــالمثنى مـــن الجـــبروت والغضـــب المعـــانى

وبالســـلع النـــوافر فى عـــروق كـــأن بكـــل واحـــدة ســـنانا

وبالوجـــه الـــذى صـــبغ الرزايـــا ببســـمة ســـاخر فقســـا ولانـــا

بأنـــك موقـــد الجمـــرات فينـــا وإن كسيت - عـــلى رغـــم - دخانـــا

وأن تراثنـــا مـــا أنـــت فيـــه وأشـــبارا حللـــت بهـــا قرانـــا

وأنـــا ســـوف تبعـــث مـــن جديـــد تـــنفض مـــا تلبـــد مـــن كرانـــا

تخشـــن نـــاعما أخـــوى فلانـــا وتـــنهض قعـــددا مـــل الزمانـــا

وتـــذكرنا بـــما قـــد كـــان منـــا ومـــا ســـيكون لـــو دارت رحانـــا

ولـــو طحنـــا بمـــزدرع وبيء كـــما تنفـــى المغربلـــة الزوانـــا

ولـــو ثرنـــا عـــلى النكســـات منـــا ولـــو شـــد التوحـــد مـــن عرانـــا

وأنـــا مـــا تعاضـــلت الليـــالى ومـــا طبـــع الصراع عـــلى شـــبانا

لموعـــودون فجـــرا أرحبيـــا نشـــق بـــه الغياهـــب مـــن دجانـــا

وأنـــا أمـــة خلقـــت لتبقـــى وأنـــت دليـــل بقياهـــا عيانـــا

***

محمد البكر

تعجـــل بشر طلعتـــك الأفـــول وغـــال شـــبابك . الموعـــود غـــول

وطـــاف بربعـــك المـــأنوس ليـــل تـــزول الـــداجيات ولا يـــزول

وأثقلـــك الحـــمام فلســـت تصـــحو ويصـــحو الـــروض أثقلـــه الـــذبول

وقاســـمك الـــردى مـــن تصـــطفيه كـــما يتقاســـم الشـــفق الأصـــيل

لعمـــرك إن ســـائمة الرزايـــا لهـــا في ســـوحنا مرعـــى وبيـــل

يظـــل الحـــى إثـــر الميـــت فيهـــا يـــود لـــو أنـــه عنـــه البـــديل

يســـمم لحمـــه موهـــوم ظـــن ويخطـــف لبـــه لمـــح ضـــئيل

وينهشـــه عـــلى التـــذكار وحـــش شروب مـــن حشاشـــته أكـــول

وحيـــدا عنـــد معـــترك الليـــالى ينازلـــه مـــن البلـــوى قبيـــل

يزيـــد تفكـــرا فيزيـــد هـــما وتســـتدعى لـــه العقـــد الحلـــول

ويبتعـــث الـــدخائل قـــد تناســـى دفائنهـــا ، فيقتلـــه القتيـــل

أســـلت الآهـــة الحـــرى تلاقـــت عليهـــا دمعـــة حـــرى تســـيل

عـــلى «قمـــرين» لفهـــما حفـــير تجـــرر فوقـــه حزنـــا ذيـــول

وآخـــر ثالـــث حلـــو كشـــمل يلـــم عـــلى الـــردى منـــه فلـــول

فيـــا لـــك موقفـــا جلـــلا فظيعـــا ينـــوء بثقلـــه «الشـــيخ الجليـــل»

تنـــازع وجهـــه فبـــدا شـــفيفا مهيـــب الحـــزن ، والصـــبر الجميـــل

عجبـــت لـــه وبعـــض العجـــب حمـــد وبعـــض الشـــك حكـــم لا يفيـــل

أمـــن صـــلب بركـــب مـــن «نعـــوش» يســـار ، ولا يخـــور ، ولا يميـــل

وتمتحن الرجولة في محك ... يماز به المزيف، والأصيل
وعند النفس شامخة وسفوح ... مطامنة، ومن دعة سهول
يراوحها على الضراء روح ... وفي «النكباء» أنسام قبول

فلا تبعد «محمد» المزكى ... دعاء محاول ما يستحيل
ذكرتك فاستجدت شاخصات ... كأن غيابها عندي مثول
خصال كلها شرف رفيع ... ونفس كلها خلق نبيل
وطبع صيغ من أدب ولطف ... كعطر الزهر فواح خجول
ورحت أعيش غصة ذكريات ... سجال ما تشيح، وما تنيل
أعقب ما تغيب من رؤاها ... كما يتعقب القداح المجيل
أسر على تمثلهن أني ... وجدت على هدى فيما أقول
ويؤلمني بهن مزيد علم ... وقد يتحسد الرجل الجهول
فهن بأمس في عيني سراج ... وهن اليوم في كبدي نصول
أقول أصونهن من التشكي ... فيأبى ذلك البرح الدخيل
فلا وأبيك ما نهنهت نفسي ... على أي وأيستها تميل
تركت القلب يعصره التياع ... فيمضي رسله جفن بليل
وعالجت الأسى بأسى جديد ... على أن الطبيب هو العليل
وقد يوقى بفرط الوجد وجد ... وقد يشفى بحرقته الغليل
وكم هم به انفرجت هموم ... وقد عمين وارتمت السدول
وتلتئم الفروع على التأسي ... بما مدت وشائجها الأصول
وقفت على القبور وليس فيها ... حبيب لي ولا صحب حلول

فقلت مسالما ودمى دموع ... بيوت أحبة هذى الطلول

أبثك يا «ابن أحمد» هدهدات ... بهن يسامر الخل الخليل
أتعلم أن طيفك لا يحول ... يحوم فيزحف الربع المحيل
بأشباح تخال بنات يوم ... ويعدل ساعة منهن جيل
وأخيلة يراع بها خلى ... وهن لواجد نعم المخيل
صدى قدم هنا، ومدب همس ... هناك يشله فزع مهول
وعش عافه نسر مهيض ... يلم به على شعث نسيل
وألواح كوجه الصبح بيض ... يجلل بالسواد لها فضول
وخيل سابقت برقا .. وكادت ... ولكن خانها لحظ كليل
وأرسال من «الفرسان» تهوى ... فيلقفهن من «وحش» رسيل
و «أغربة» على جدث، و «رفش» ... وأتربة يغص بها المهيل
ولفح عجاجة، ورؤى دخان ... على سفح، ونبع سلسبيل
وحور يستردن به، وحشد ... من «البجعات» أسراب شكول
ونضح «دم» على الجرفين يسقى ... به زرع، وينتهض «النخيل»
وسيل يرتمى شفقا، فتدحى ... به أرض، ويصطبغ المسيل
وتضحك غيمة، وتعود «جن» ... ملائكة وتزدهر الحقول
أبا المغوار «هيثم» حوطته ... بإخوته مغاوير فحول
تعز.. ولا يخنك كريم صبر ... وأنت لكل مكرمة عديل
يحزُّ النفس أن يمسي حزينًا ... عرينك أيها الأسدُ الثكول
ولكن ما السبيل؟ وكل حي ... سيقطع يومه هذا السبيل

هـي الـدنيا أسـاطير تـدول ... وأفـراس مغلفـة تجـول
ودار يسـتدير بهـا عـذاب ... عليـه يصلـب «الحـي» النزيـل
ومجـزرة تسـاط بهـا جبـاه ... وتسـحق عندها الغـرر الحجـول
كفـيء الشـمس تأكلنـا تباعًـا ... بـها يتأكـل الظـل الظليـل
و«ذرا» نسـتطير بهـا شـعاعًا ... ونمحـق.. لا المثـال ولا المثيـل
وتـذبحنا سـيوف مـن غيـوب ... عويـل النائحـات لهـا صـليل

عـلى أن «المصـاب» إذا تلاقـت ... عليـه النـاس يسـهل أو يحـول
بكـى لمصـابك الشـعب الأصـيل ... ورد عـلى الرعيـل بـه الرعيـل
وصـاح يـوزع الحسرات نـاع ... وطـار بهـا إلى الـدنيا رسـول
تعـز «أبـا محمـد» إن حُزنًـا ... يشـارك فيـه عـن ألم بـديل

***

أبا الشعر .. تغن بـ(تموز)

أبا الشعر قل ما يعجب الابن والأبا ... وهـل لـك إلا أن تقـول فتعجبـا
وهـل لـك والـدنيا تغنـي بمولـدٍ ... لـ«تمـوز» إلا أن تغنـي فتطربـا
وهـل لـك عـذر والقـوافي تحيلهـا ... متـى شـئت «قيثـارًا» و«نايًـا» مشـببا

أبا الشعر يا من عانق الأرض زهرةً ... وشـوكًا فردتـه أديـمًا مخضـبا
ويـا مـن تبنـاه «التمـرد» يافعـا ... وكهـلاً، ومـن نـاغى التمـرد أشـيبا
تغـنَّ بـ«تمـوز» فتمـوز مـاردٌ ... تخطـى عقبـات العصـور وأتعبـا
تمـادى بـه جـدب الليـالي ليخصـبا ... وطـال بـه عسر المخـاض لينجبـا

وجاءت به من مشرق الأرض غمرة ... عصوف لتذري به الشمس مغربا
تنصب «عملاقًا» عليه مخايل ... تزكيه في «العشرين» شيخًا مجربا
ومد ذراعيه ليحضن أمةً ... ترعرع في الأحلام منها تحسبا
وصاعد من أطماحه فتصاغرت ... لعينيه أمات المطاليب مطلبا

نعمتم صباحًا قادة «البعث» أصيدًا ... يسدد خطو الصيد منكم وأغلبا
وذوبٌ من «الحرف» المضيء يصوبكم ... بأعبق من صوب الغمام وأطيبا
وأنداء «ريحان» تضوع روحه ... وطاب به روض «القصيد» فأعشبا
تحية من أوصى بخير ضميره ... وألزمه صدق الوفاء وأوجبا
تمرستم بالحكم لم تتركوا به ... شبا مضرب إلا تثلم مضربا
وقارعتم الجلى، وقورعتم بها ... ولم تسألوا من ذا يكون المغلبا
وورثتم «سبعًا وخمسين» لم تلح ... بغير دم الفادين للركب كوكبا
وحملتم ثقلين قسطًا وجائرًا ... ولم يدر أي منهما كان أصعبا
وسايرتم «تموز» دربا تعثرت ... به ذكريات ما أمر وأعذبا
وعانيتم «خمسًا» عجاب شجونها ... و«خمسًا» بما حملنه كن أعجبا
تعاصت على التاريخ حتى تحيرت ... به صفحات كيف يملي ليكتبا
وحار الرواة المخلصون فلم يكن ... ليصدق فيه المرء إلا ليكذبا

أطيح بها هام الطغاة فكورت ... على هام من هز الطغاة وأرعبا
ودقت بأجراس الخلاص فأطبقت ... على من دعا يوم الخلاص وقرّبا
وأبدل من عهدٍ رثيث بآخر ... جديد ولكن أشوه الوجه أحدبا
وجاشت به الأضغان جبنًا، وغدرة ... ولؤمًا، وإسفافًا، وعرقًا ومذهبا

وأبـدت جلـود نـاعـمات صـميمها ... فكـن «ضباعًا» جائعـات، و«أذؤبـا»

وضجت «سجون» من خليط منافر ... كـم ضـم «نـزل» مـوحش مـن تغربـا

تلاقـت عـلى بهـم وبـر وفـاجر ... كـما خبطـت عشـواء ليـل لتحطبـا

ولاحـت لـ«تمـوز» رؤى أم واحـد ... وقـد أسـلمته القـابلات ليصـلبا

وأغفـى عـم للطائشـات تقـوده ... وجانـب واعٍ قسـطه فتهربـا

وصـوف مـن لم يعـرف الـدير عمـره ... وقـد خذلتـه نهـزة فترهبـا

وقـارع كـأس المـوت بالصـبر صـامد ... وأفـراغ مـن أسـآرها مـا ترسـبا

ونمـتم عـلى جمـر الغضـا تحضـنونه ... بـ«ساعة صـفر» خـوف أن تتسـربا

وخـاطرتم إن المنيـة كـالمنى ... كفـاءٌ يسـوح المجـد أن تتطلبـا

ودوت فـلا والله مـا رنَّ مثلهـا ... عـلى سـامع ممـن حبـا أو تنصـبا

تلاقـى عليهـا الخلـق لم يبـق مطرفـا ... من البيت لم يسحب ولـن يبـق مسـحبا

وشـعت وقـد وعـيَّ اللسـان، ضـمائر ... تـرف عـلى سـمر الوجـوه لتعربـا

عطفـتم بـه مـن بعـد مـا كـاد نقمـة ... عـلى خـدع الأحـلام أن يتنكبـا

وفجـرتم منـه الينـابيع ثـرة ... مـن البـذل لم يـترك لهـا أمـس مسربـا

وأنعشـتم فيهـا رؤى «الغـد» بعـدما ... أطـارت بـها منتـه «عنقـاء مغربـا»

وجئـتم بـ«تمـوز» جديـدٍ مسـعر ... يلـوب عـلى مـا فـات أسـيان مغضـبا

فأسفر عـن «عشر» وضـاء كـما انجلى ... سـنا الفجـر عـن ليـل تطـاول غيهبـا

سـنا الفجـر إلا غيمـة ثـم تـنجلي ... وإلا رمـادٌ ثـم يـذري بـه هبـا

كشـفتم بهـا مـن وجهـه مـا تقطبـا ... وقـومتم مـن جذعـه مـا تخشـبا

وأبـدلتم تلـك المغـارم مغنـما ... وصـيرتم تلـك المخـاسر مكسـبا

وأفـــرغتم قلبًـــا بقلـــب فأخصـــبا — وطـــوعتم شكسًـــا وإلبًـــا فأصـــحبا
وقلـتم عـما خـيرًا لـ«زاب» و«دجلـة» — وللنخـل والزيتـون أهـلاً ومرحبًـا
وسرحــتم الآلاف صــعد فوقهــا — بــلاءُ السـجون المطبقـات وصـوبا
وأشركـتم في حُكـم «حـزب» محبـب — أخـــي ثقـــة «حزبًـــا» وثيقًـــا محببـــا
أبـا «هيثم» يـا موسـع النـاس حلمـه — أفـــاء علـــيهم ظلـــه وتحـــدبا
ويا ابن «الحسين» الفذ شهمًا سميدعا — مهيبًـــا، وثوبًـــا قبـــل أن يتوثبـــا
ويـــا ذادة «الصـــفين» قطـــرًا، وأمـــة — يربـــون مـــن مجـــديهما مـــا تأشـــبا
نـداء صرح جنـب العجـب نفسـه — وإن راح صـبا بـالرجولات معجبـا
تخير حـب النـاس والخـير مـذهبا — وفـــرق فـــيهم روحـــه فتشـــعبا
وســاقاكم حلــو البيــان قصــائدا — من اللطف كادت أن تسيل فتشربا
لمتم على شعث كما انصب سحرة — نسـيم عـلى قطـر النـدى فتـذوبا
سرايـا صـفوف خـيرات تألبـت — وأنـــتم عـــلى «مســـتعمر»، وتألبـــا
وظلـــت وإيـــاكم ثلاثـــين حجـــة — تشـــدُّ عـــلى اليـــافوخ منـــه لتضربـــا
وآليـــتما أن لا تبقـــى يـــداكما — عـــلى ذنـــب حتـــى تقـــص المـــذنبا
أحـاق بهـن، بغـي، الطغـاة، وعـذبوا — بأسـياط «جـلاد» بكـم قـد تعـذبا
ومســـهم الضر الـــذي نـــال مـــنكم — وطـالوا كـما طلـتم عـلى الضر منكبـا
وطـــورد في عـــرض الـــبلاد وطولهـــا — ذووهم، وجابوا الأرض شرقًا ومغربا
ســواعدكم يــوم الكفــاح وبــوعكم — إذا مـــا تـــأتي ســـاعد، وتهيبـــا
وبيـــنكما كـــالأمس للملتقـــى غـــد — ويبقـى «غـد» أدنـى لسـاع وأقربـا
ويفتقـــد الغمـــر الشـــجاع دروعـــه — وإن لم يحـارب خـوف أن يتحربـا

فـلا تأخـذوهم في هنـاة وأختهـا — فمـن ذا الـذي لم يعـترف فيـه مثلبـا
ومـن ذا الـذي جـب الخطايـا تنزهًـا — وعـاف الـورى في «طيـنهم» وتربـا
وحسـب الفتـى أن تسـتبد هناتـه — بتهذيبـه، حتـى يعـود المهـذبا
ونعـم صـديق القـوم من إن تقطعـت — بهـم وبـه الأسـباب يومًـا تسـببا
وأحسن من عاتبت، أولمت، صاحب — ألام عـلى محـض الـوداد، وأعتبـا
فـلا تخـذلوا منهم «حليفًـا» مقربـا — ولا تشـمتوا فـيهم وفـيكم مجنبـا
أهيبـوا بـ«تمـوز» ليضـفي قلوعـه — على الحب «طاووسًـا» مدلا ويسحبا
وزيـدوا عـلى مـا لونـت مـن جمالـه — مسـاعيكم لونًـا مـن الحسـن مشربـا
ويـا «عيـد تمـوز» لـك المجـد خالـدًا — ولا زلـت سـؤلاً للجمـوع، ومأربـا
فـلا زحمتـك الطارئـات بثقلهـا — ولا زعزعـت منـك الكيـان المطنّبـا
ولا خبطـت صـفوًا أكـف لئيمـةٌ — ولا رنقـت للكـوثر العـذب مشربـا
وعوذت سوح «الرافدين» ولا غـدت — ضـفافك بعـد اليـوم للمـوت ملعبـا
ولا عـدت مرمـاة يـزاحم موكـبٌ — عـلى رملـك المـوار بالـدم موكبـا
ولا أظلمـت منـك البيـوت ولا ذكـا — بهـا خنجـر «ضـوى» وطلـقٌ تلهبـا
أبا الشعر قل ما يعجب الابـن والأبـا — وهـل لـك إلا أن تقـول فتعجبـا

***

إلى المجد ... إلى القمة ..

إلى المجـد مسـتقبل يصـنع — «ببغـداد» ، مـن حسـنها أروع
تحضـنه الصـفوة «البـاعثون» — حمـاة كفـاء لمـا اسـتودعوا
ترعـرع في الخـاطر «العبقـرى» — عـلى ومضـات لـه يطبـع

وطاف به من دنى الموحيات — زعيم بإنضاجه مولع
وناغاه مجد طريف يلوح — ومجد تليد ويسترجع
فجاء على صورة برزة — تصورها خالق مبدع

إلى المجد .. ما روض الصامدون — من العاصيات، وما طوعوا
وعاشت يد برة - عندها — بما غدرت إصبع تقطع
وللشمس .. يوم أغر الضحى — به الشمل من أمة يجمع
تحن إلى غمرات الزحوف — فتخفق أعلامها الشرع
وتصهل خيل إلى وقعة — يرج بها الموقع الموقع
وتصبو الأكف لبرد السيوف — إلى يوم تبترد الأضلع

إلى المجد .. يا غرر المشرقين — على «جبهة» حرة تطلع
تهادت على ذكوات العراق — ذيول من العز تسترفع
وقفت مواكب «منصورها» — مواكب نصر لها تتبع
أطلت على «جبهة» حولها — تشابك حبا بها الأذرع
كأن «ببغداد» عرس الربيع — تزف به أربع أربع
كأن «الهلاهل» من غيدها — نوابض أفئدة تسرع
كأن «المزامير» فوق الشفاه — طيور على فنن تسجع
كأن «الصبايا» بألعابها — حمائم في شبك وقع
تناقل لم يختلف جمعها — ولكنها اختلف المجمع

ويا «بردى» أيها السلسبيـ — ـل من كل عرق بنا ينبع

يضوع الرذاذ على الضفتين ... وتنتشق الطينة الأضوع

وترفد «:حسان» في عزه ... كؤوس «بني جفنة» تنزع

دلفنا إليك تزف الهوى ... ونشكو من الوجد ما ننزع

أحقا صددت عنه «الرافدين» ... وبابها بابك المشرع

و«شامك» «بغدادنا» المزدهاة ... و«بغدادنا» شامك الممتع

ويا نسمة الصبح في «الغوطتين» ... تنفسها المورق الممرع

نظل - على شهقات الحياة- ... بما تنفحين به نطمع

ويا إخوة الدم في المشرقين ... إلى «الضاد» ما بينها ترجع

تفيأ كل خفوق الظلال ... يثير المصيف بها المربع

وتبقى مواطنها الفاتنات ... على كل فاتنة برقع

تذاد بها فكرة حرة ... وينبو بذى الفكرة المضجع

عسى «يوم بغداد» يلغى الحجاب ... وينهى النهاة، وما شرعوا

ويا عسى «مصر»، يا أم، يا أمة ... بها يشمخ الشرف الأرفع

ويا درة في زحام الخطوب ... - وقد صدئت درر - تلمع

ويا دارة «المبدعين» الضخام ... بهم يقتدى، ولهم يخشع

على حبك انطوت الأضلع ... تلوب بها جمرة تلذع

مصيرك - يا مصر - لا الكامبيات ... ولكن مصائرنا أجمع

وعندك للنخب الحافظين ... سجل يمرغ من ضيعوا

سوى أن «ذا ترة» خائنا ... مع الركب من «واتر» يضلع

يعرى له جبهات الصمود   فيخلى له الأمد الأوسع

يعز على الحر أن يفتلى   رقاب بنيك .. ولا يخلع

ذليل .. وجرما أتى موجع   وأن تستذلى له أوجع

أتبقين «يا مصر» من يستباح   على يده الحرم الأمنع

خذيه «عتيقا» ، ولا تصرعيه   فليس جديرا به المصرع

وتليه خزيان حتى الجبين   جبين «لعجل» الخنا يهطع

ومدى له العمر يجرع به   من الهون ، والعار ما يجرع

دعيه و «كرشا» غنيا له   ونفسا لها فقرها المدقع

فما تنفع الأطم العامرات   نفوسها ضمائرها بلقع

سراة الحمى .. أجمعوا أمركم   وحكم المروءة أن تجمعوا

وحكم المروءة أن تنجدوا   هتاف الجموع ، وأن تصدعوا

وشدوا حيازيمكم إنها   حقيق بها الحازم الأروع

فقد هال أمركم الخافقين   على ما يروع ، وما يفزع

وراح وأسماعه الواجفات   تصيخ ، وأجراسه تقرع

ورحتم بفخرين من يستميـ   ـت فى الذب عنكم .. ومن يهلع

على أن خلفكم مربأ   ومن خلفه غادر يقبع

ومستوحش من مدب الذئاب   يضيق به المذئب المسبع

وأنتم كفاء بأن تلجموا   شدوقا جياعا ، وأن تردعوا

وأن تفرحوا كل ذى غلة   سيثلجها غاصب يفجع

سراة الحمى .. نفثة حرة ... إليها – على مضض – أهرع
أسيفا على فرط صمت الشفيع ... على غوث أهليه يستشفع
وفرط التغامض عن أعين ... مضت حقب وهي تستطلع
إليكم .. وأنتم عصوف الرياح ... غضوب إذا انتفضت زعزع
تشممها في الوكور النسور ... وتستافها سحب تقشع
نبا صبرها عن دروع الصدور ... وشد على قوسها المنزع
ثلاثون سود كسود القبور ... يطوف بها الشبح المفزع
تساط بها الروح – قبل الجلود – ... ويعتصر الدم ، والأدمع
أنوف تراغم منها «اليهود» ... وعجلهم الأصلم الأجدع
وشم جباه كخفق الصقور ... عظاما تناثر ، أو تضرع
وصرعى خيام كثوب اليتيم ... بها «القر» و «الحر» يستمتع
على «مزق» بعد بيض القباب ... وخضر الحقول ، وما تفزع
«وقدس» تعطل فيه الأذان ... وذيد به السجد الركع
ونحن إلى نجدة الواهبين ... بأضعف إيماننا نقنع

سراة الحمى .. والحمى جذوة ... عجاب ، إذا اختنقت تسطع
تعد الجحيم .. ولا تجتلى ... ورعد الأزيز .. ولا يسمع
وتندس تحت عمى الرماد ... زمانا .. وتخدع من يخدع
وتطغى فلا ترحم الراحمين ... ولا المرضعات ، وما ترضع
وتحسو الدماء .. ولا ترتوي ... وتأكل خلقا .. ولا تشبع
وتصبح بردا بعيد الحصاد ... وتخصب دنيا بما تزرع

فكونوا بحيث يكون الوعاة بما يستزاد ، وما يدفع
ومدوا «يد الله» .. عن حقكم تذودون ، وهى اليد الأرفع
وللمجد .. مستقبل يصنع «ببغداد» .. من حسنها أروع

***

أسيدتي نجاح ...

دلفت إليك يفضحني لغوبى ويسخر من شبابى والمشيب
يجرر بالذبالة من سراجى ويخنق ما عهدت من اللهيب
وعجت عليك فاكهة ونبعا وما أنا بالأكول وبالشروب
وبى من فرط حبك ما يعنى دمشق تحضنيني وأرفقى بى
وإنى ، والغرابة فى طبع ولوع بالغريب وبالعجيب
أزاد إذا طربت إليك حزنا وبعض الحزن من شيم الطروب
يرقص دمعه وعد حقيق فيعطفه إلى وعد حريب
ويحيي الليل يرقب منه صبحا وليس له سوى فجر كذوب
ولم أر فى الضرائب مثل ضد إلى ضد نقيض من ضريب

آسيت على الرؤى مترنحات حططن على فى قفر جديب
ومرتجع الصدى من ذكريات كخفق البرق فى دجن ضبيب
يظل المرء مهما أخطأته يد الأيام طوع يد المصيب
كأن العمر ينضح من إناء بعيد الغور شفاف الثقوب
وما أحلى الحياة لو استراحت ملاعبها من الزور الغريب

مـن الهلـك الـذى لا ريـب فيـه ... وهـان الشر فى هلـك مريـب
وما أشهى حضور الشمس نابت ... نجـوم الليـل عنهـا فى المغيـب
ومـا أشـقى الغزالـة لـيس تـألو ... تخـاف الـدهر مـن وثبـات ذيـب
أحبتـى الـذين بهـم تسرى ... همـوم الـنفس فى الـبرج العصيب
سـلام الله مـا خفقـت غصـون ... مرفرفـة عـلى المـرج الخصـيب
ومـا جـرت عـلى الـذكوات منهـا ... ذيـول صـبا معطـرة الجيـوب
ومـا انـتفض الحـمام بهـا فغنـى ... عشـية ديمـة سـمح سـكوب
عـلى نخـب النـدامى مـن هتـوف ... يحلـو الـذكريات ومـن مجيـب
ومـن مترفقـين كـما تهـادت ... عـلى نـبض العليـل يـد الطبيـب
أشـعتم فى رؤحـا مـن جديـد ... وفـرجتم عـن الوجـه الكئيـب
وعـدت بكـم وقـد بـردت شـذاتى ... إلى جـذوات خـافقى الشـبوب
ونـوت بشـكركم وقـد اسـتغلت ... بغـل يـد المثـاب يـد المثيـب

نهيـت الـنفس تغـرق فى هواهـا ... فتغـرق فى الشـكاة وفى الوجيـب
وتغـرى بالصـبابة وهـى حتـف ... كـما تغـرى الفراشـة باللهيـب

وقلت لها :

نـذيرك مـا تبقـى ... عـلى شـعفات قلبـك مـن نـدوب
وحسـبك مـا لقيـت بـأن تكفـى ... عـن المـوت البطـيء وأن تتـوبى

فقالت :

لـن أتـوب وفى دمشـق ... هـوى أصـلى عليـه ويصـطلى بـى
وهبنـى تبـت عـن صـبوات عهـد ... يـرف بملعـب الرشـأ الربيـب

فكيف أتوب عن جمرات وجد ... لديك وأنت ترفل فى المشيب
أتوب وسمار غساسنة تجلى ... بغر جباههم سود الخطوب

وأنت قد عبدت دربى ... فضاع على مفترق الدروب
وعندى بالذى آتى شفيع ... على ما فى من زلل وحوب
يجب قصيدك الحلو الخطايا ... وكان الشعر جباب الذنوب

نسيم صبا دمشق أسل نديا ... من الرشفات فى كأسى وكوبى
وهب على مرتفقا تصعد ... جمام النفس تؤذن بالهبوب
ودع عذبا من الهمسات تجرى ... على شفتى كمسترق الدبيب
وأطلق عنقلة شبكت لسانى ... وما أنا بالعقيل ولا الهيوب
وهبنى من شذاك ذكى نفح ... يليق بغصن أندلس الرطيب

أسيدتى نجاح إليك أهدى ... تحيات الأديب إلى الأديب
إلى ريحانة الأدب المصفى ... ترف بواحة الذهن الخصيب
أسيدتى نجاح وأنت أدرى ... بما تبنى القلوب عن القلوب
عرفت عميم فضلك من بعيد ... ورزت كريم نبلك من قريب
وطابقت السماع على عيان ... وجانست الإهابة بالمهيب
فكنت بحيث تلتحم السجايا ... مهذبة بمحتشم مهيب
أسيدتى وكل أخى نصاب ... من الدنيا سيقنع بالنصيب
وكل أخ مفارقة أخوه ... وكل مشعشع فإلى غروب

إليك فزعت منك فقد رماني ... نداك على شفا جرف رهيب
وقد بالغت في الألطاف حتى ... كأنك تحرصين على هروبي
وأطمع أن أثوب وفي خوف ... على ما أنت فيه أن تثوبي
سلمت ولا برحت منار مجد ... وبرج هدى ، ومفخرة الحقوب

***

مصابيح البيان

مصابيح البيان لئن تعاصى ... على مجال قول أو تأبى
فقد يلف السكوت أعز نطقا ... إذا كلف المحب بمن أحبا
لعل البعد يطلق من لسان ... أضيق به إذا ما ازددت قربا
أما وهواكم وندى شوق ... يظل على هجير البعد رطبا
وغر مكارم فيئت فيها ... نعيم الخلد رفرف واشرأبا
يمينا إن لي نفسا تغنى ... بكم حبا وتستهوى وتصبى
سأحفظ عهدكم لأجد عهدا ... وأرهن عندكم ، لأعود ، قلبا
وسوف أبعثر الأطياف على ... إلى طيف الحبيب أشق دربا

***

يا فتية الوطن الحبيب

تحيتي إلى الطلاب العراقيين في (اليونان)

يا فتية الوطن الحبيب تفيأوا ... ظلل الحضارة «في حمى الإغريق»
وتلقفوا في سوحه ثمر النهى ... والعلم من دوح أشم وريق

غطـى البسـيطة كلهـا بسـمائه　　　وأنـار ليـل غروبهـا بشروق
من هـا هنـا نمت الشرائع لم تـزل　　　لـلآن شرعـة عـالم مطـروق
وتكاملـت نظـم ، وشـعت أنجـم　　　مـن كـل فـذ ، مـارد ، عمليـق
مـن كـل :خـلاق يريـك بـها أتـى　　　مـن معجـزات قـدرة «المخلـوق»
طابـت مـدارجكم وبـورك جمعكـم　　　مـن مسـعف ، ومزامـل ، ورفيـق
ورعـاكم لطـف «الإلـه» ومـدكم　　　بـالنجح والتيسـير والتوفيـق

يـا فتيـة الـوطن الحبيـب تـزودوا　　　مـن خـير زاد فى أعـز طريـق
زاد النهـى ، وطريـق مجـد مسـفر　　　فى «الرافـدين» عـن الغـد المرمـوق

***

خمرتى

خمرتـى فضـلك لا يحصى عـلى　　　أنـت قـد حببـت دنيـاى إلى
عـدتى فى شـدتى خمـر و «نـى»　　　لا أقـول الشـعر حتـى أشربـا
فطرتـــــى كـــل عـــــ　　　ــــلى مـــا فطـــرا

***

رسالة

مـن مبلـغ عنـى رسـالة موجـد　　　كلـف إلى الرشـأ الأغـن محمـد
خـادعتنى بـاللحظ منـك فصدتنى　　　ولقـد يعـز عـلى سـواك تصـيدى
ولقـد ذكرتـك والكـؤوس مرنـة　　　والصـحب بـين مصرع ومعربـد

وجـذبتني ، وأنـا البعيـد تنـاولا — وبريتنـي بـري الحديـد بمـبرد

وغمزت للساقي وقلت لـه ادع لي — باسـم الـذي أهـوى ولا تـتردد

وإذا خشـيت المـرجفين فغـن لي — «مـن آل ميـة رائـح أو مغتـدي»

***

وشاح من الورد

نشرت في صحيفة «مرآة العراق» العدد ٣ في ١ كانون الأول ١٩٢٤ .. بعنوان :

الأدب الحديث

وشاح من الورد

للشاعر المطبوع الشيخ محمد مهدي الجواهري

قدمها الشاعر برسالة إلى صاحب الصحيفة ، محسن ناجي صالح هي :

أخي المحترم صاحب «مرآة العراق» المفضال ..

بعد السلام عليك ..

بمناسبة إرسالي الموشحة الصغيرة لجريدتك الغراء أقول :

إن إخواني الشرقيين عامة يدينون اليوم بدين التقليد وأنا معهم .. ولكني ، مع هذا كله ، فأنا غيرهم ..

لقد ضاقت خطة الأدب العربي الوسيعة بكثير من إخواني أصحاب الأذواق في الأدب الشرقي كما يظنون ، وعوضا من أن يستخرجوا من أوزانه وأعاريضه أوزانا وأعاريض أخرى ليكون لهم أيادي خالدة عليه ، فقد نزلوا كلا على الأدب الإفرنجي ، وآخر ما أتحفونا به من ذلك الشعر المنثور.

أجل .. أخي ، خير من هذا الشعر المنثور الغربي الفاقد لرنة الشعر الموسيقية التي تنزل بها القافية على أعماق القلب بلا إذن ، الموشحات الأندلسية المتشعبة الفنون ، الكثيرة اللطف والرونق .

وخير لناقلها إلى العرب الأديب أمين الريحاني أن يكون ثاني «ابن باجه» و«ابن زهر» و«ابن الخطيب» من أن يكون ثاني فلان الأفرنسي والأمريكاني وهو العربي القح .

أما أنا ، المخلص فلا أزال مشغوفا بالآثار الأندلسية المعتوقة أقرأها عند كل صباح ومساء ، بنغمتي التي أقرأ بها كل ما يعجبني ويطربني .. ولا تزال موشحات الأندلسيين وأهازيجهم قبلتي وقدوتي عندما أريد الخروج على بحور الخليل بن أحمد وأعاريضه الدارجة المألوفة .

وإليك واحدة منها نظمت قبل سنين عثرت عليها بين أوراقي المتناثرة ، وبعثت بها إليك ، على ما بها ، دليلا على إعجابي بهذا النوع من النظم منذ صغري.

والسلام عليك

المخلص

محمد مهدي الجواهري

يغـــــزل للفجــــــــر بـــــــيض الخيـــــوط

والصـــبح إذ يسري مطـــالع الـــبشر عـــلى النـــواحي
وريـــق القطـــــر يحـــوك للزهـــر ثـــوب ارتيـــاح

والشـــهب نـــدمان بعـــــض لـــــبعض

والكل فرسان

والروض ميدان　　للقطف والعض

والصدغ بستان

واللحظ وسنان　　كالنرجس الغض

والشعر كالشعر فى اللف والنشر فيه افتضاحى
والخد كالبدر كالشمس في الظهر والأفق ضاحى

روح الصبا تسرى بالبعث والنشر على البطاح
ويانع الزهر يلتف بالنهر مثل الوشاح

الروض مزدان

تكسوه ألوان　　من الربيع

والنبت فينان

روح وريحان　　زاهى الفروع

والشمس في سكر من رشفة الخمر من الأقاح
تسرى ولا تدرى بالنهى والأمر بلا جماح

ومبســــم الفجـــــر

يفـــــر عـــــن در مـــــن الســـــقيط

وطـــــائر الـــــنسر

يلـــــوذ بـــــالوكر خـــــوف الســـــقوط

والبـــــــدر فى الأسر
واهى الخيوط

***

امنن علىّ

مـــولاى كـــم لـــك فى العـــدى يـــوم ســـبقت بـــه أغـــر
ومكـــارم فـــت الكـــرام بهـــا ففـــات العـــد حصر
لم يعـــدنى تقبيـــل كفـــك غـــير جـــودك فهـــو بحـــر
أنـــا غـــرس نعمتـــك الـــذى أنطقتنـــى فـــالقول ســـكر
فلأجزينـــك مـــا حييـــت ومـــا بقـــى ليـــل وفجـــر
بمـــدائح رقـــت كـــما أخـــذت مـــن الألبـــاب خمـــر
وقصـــائد بدويـــة يصـــبو لهـــا بـــدو وحضر
أنكـــرت منـــى ســـيرة قـــبلى عليهـــا الأهـــل مـــروا

قـــــل لى : لعــــــا إمـــــا | عثـــرت فـــإننى ذاك الأغـــر
وامـــنن عـــلى «بدميـــة» | أو لا فـــإن «الـــقصر» قفـــر
ســـتريك أيـــام الشـــقاء | بهـــــا عــــــداك ولا تسر-

***

صياد

مضى حمـزة الصـياد يصـطاد بكـرة | فـآب وقـد صـاد العشـى غرابـا
وحمـــزة صـــياد كفـــاه ذخـــيرة | وإن صـاد كلبـا أن يقـال أصـابا

***

عالم الغد

عـــالم الغـــد :يـــا رهـــين ضـــباب
مـــن دخــان ونفثـــة وتـــراب
وعجـــاج مـــن المغـــانى الخـــراب
تحـــت أنقاضـــها وجـــوه كـــوابى
مـــن شـــيوخ وصـــبية وكعـــاب

هـــى إذ حشرجـــت ورقـــت وجيبـــا
أودعـــت فى الـــتراب سرا رهيبـــا
وخيـــالا للملـــهمين خصـــيبا
أمـــس هـــذا الضبـــاب كـــان قلوبـــا

نابضـــات بنافـــحات الشـــباب

وهبــات مــن الأمــانى العــذاب
وهـى للكـون ، بـعد ، سـوط عـذاب
بجنــــاح المـــــروع المرتـــــاب
حلقـت كالسـحاب فـوق السـحاب

تمــنح الشــمس جــذوة واشــتعالا
ومشـــت فى الثــرى تهــز الجبــالا
يمـــلأ الأرض غيضـــها زلـــزالا
يتحـــــدى يثقـــــله الأثقـــــالا
فتقيــــل الطغـــــاة والأقيـــــالا
والمهازيـــل فى الحريـــر كســـالى
عثـــرات تعرقـــل الأجيـــالا
وبعوضـــا عـــلى الـــدماء عيـــالا

تتهـــزى مـــن مـــاجن لعـــاب
يتلهــــى بكـــأ ســــه والشراب
ســـاقط فـــوق غـــيره كالـــذباب
ذاهـــل عـــن دنـــو يـــوم الحســـاب
عصـــفت بـــالرؤوس والأذنـــاب
مـــن عبيـــد وســـادة أربـــاب
ثـــم قالـــت وأنفـــذت – كالشـــهاب
قال–بـالرجم– وهـو فصـل الخطـاب

أترانـــى مطـــرودة مـــن إهـــابى
واللطـــاف الخلصـــان مـــن أحبـــابي

ومقـــرى فى وارفـــات الظـــلال
خافقـــــات : برقـــــة ودلال
والنمـــير المرقـــرق السلســـال
والطيـــوف المعرســـات حيـــالى
والأحاديـــث ذوب ســـحر حـــلال

والأمـــاني مثـــل زهـــر الـــروابي
بالصـــبا تســـتجم لا بالتصـــابى
أترانـــى اطرحـــت مـــالى ومـــابى
ضـــلة فى مســـالكى كـــالسراب
ومهـــاوى تشـــرد واغـــتراب

أترانـــى أصـــبحت محـــض خيـــال
وبيـــان عـــن فكـــرة ومثـــال

لأنمـــى هـــذى الوجـــوه القباحـــا
تنـــذر الكـــون كالوبـــاء اجتياحـــا
وأصـــون الإقـــطاع والأرباحـــا
ولأســـقى هـــذا الـــزنيم الوقاحـــا
مـــن دم العامـــل المـــلىء جراحـــا
ولأبقـــى الأجـــير والفلاحـــا
والنفـــوس التـــى تفـــيض صـــلاحا

والــــذكاء المنـــــور الوضــــاحا

رهـــن ذل وخيفـــة وارتيـــاب

وأســـارى مـــامر ومرابـــى

وصريـــح فى لؤمـــه ومحـــابى

وقـــوانين لم تجـــئ بكتـــاب

مـــن ســـماء الأخـــلاق والآداب

غـــير مـــا ســـن مجرمـــون وقـــاح

شرعـــوا الظلـــم ســـنة وارتـــاحوا

وجـــرت- وفـــق مـــا أرادوا - الريـــاح

فـــإذا العـــيش ســـبة واجـــتراح

وجهـــود الأفـــراد نهـــب مبـــاح

وهنـــاء مفـــتح الأبـــواب

للنفايـــات مـــن وحـــوش الغـــاب

يلعقـــون الـــدماء مثـــل الكـــلاب

عنـــدهم مـــن مشرع مفتـــاح

بـــين حديـــه غلظـــة وســـماح

ومســـاء فى جوفـــه وصـــباح

وانقيـــاد لثـــلة وجمـــاح

عـــن ملايـــين مـــدقعين عـــراة

وجيـــاع غرثـــى ، مـــراض ، حفـــاة

وحيــــارى مشرديـــــن غــــواة
نقلــوا مــن دمــائهم لــلسراة
وتخلــوا عــن حقــهم فى الحيــاة
لبقـــاء العنـــا صر المنتقـــاة
تتهـــاداهم أكـــف الجبـــاة
كــل مســتنزف الــدما كــالنواة
مــزدراة عــلى الثــرى ملقــاة

كــل ألــف مــنهم بعلــج ســمين
نــاتئ الأخــدعين ضــخم الــوتين
فــتراهم مــن حرقــة وشــجون
وخنــوع بــاد ، وحقــد دفــين

وتمــادى أوامــر ونــواهى
وتــرد فى مهلكــات دواهــى
تــرك الــذل مــنهم فى الجبــاه
وأخاديــد أعــين وشــفاه

ومجــارى الدمــوع ، والبســمات
وخطــوط الوجــوه ، والقســمات
طابعــا فى الخلــود كــالنيرات
هــو فى الأرض مكمــن الجمــرات
ومثــار العــوا طــف الخطــرات

قــد علمنــا بمنطــق الحــدثان

وبـــدرس مـــن«الحكـــم» الزمـــان

بـــدم خـــط فى ســـطور كتـــاب
لنظـــام مهـــيمن غـــلاب
مســـتتم الفصـــول والأبـــواب
مـــن نتـــاج الأجيـــال والأحقـــاب
وضـــحايا الأشـــراط والحجـــاب
لم تعـــوق خطـــاه بالإرهـــاب
وفنـــون الإجـــرام والارتكـــاب
وأســـاليب مغريـــات كـــذاب
مـــن ثـــواب مســـتهجن وعقـــاب

وبـــما كـــان مـــن قـــديم وكانـــا
مـــن حـــديث تســـمعا وعيانـــا
مـــن جمـــوع هلكـــى تثـــل كيانـــا
ركـــزوا فى أساســـه الطغيانـــا
وطلـــوا بالعـــد الـــة الجـــدرانا
رافعـــات مـــن فوقـــه بنيانـــا
للـــذى تستـــطيعه عنوانـــا
إن هـــذا النضـــو الـــذليل المهانـــا
الـــذى فـــاض نقمـــة واحتقانـــا
وتغـــاضى عـــن الأذى أزمانـــا

يحمل القلب نابضا والهوانا

والشعور الممض والحرمانا

والذى ظنه الجبان جبانا

لم يكن مثل ما أرادوا وخالوا

بل هزبرا إذا استقام مجال

وعصوفا مدمرا مرنانا

وخضما إذا انبرى طوفانا

وجحيما إذا طغى بركانا

يقذف الغيظ جوفه نيرانا

لا عتابا ، ورقة ، وحنانا

لم نعود لصق التراب العتابا

غير ما كان زجرة وسبابا

وامتهانا وإمرة وعقابا

وشحنا آدابنا واللغات

باختلاف الحروف واللهجات

بنعوت فياضة وصفات

مجحفات بحقه مزريات

لائقات بهذه النكرات

من «سواد» و«سوقة» وطغام

ورعاع تساق كالأنعام

ووضعناه فى أحط مقام

وحرمنـــا لــــذة الاحـــترام
واجتنبنـــاه كاجتنـــاب الجـــذام
وســـلبناه مـــا لـــه مـــن حطـــام
وركلنـــاه ، بعـــد ، بالأقـــدام

لم نغـــادر عليـــه حتـــى الثيابـــا
وشربنـــا دمـــاءه أكوابـــا
طافحـــات تعاســـة واكتئابـــا

وسرقنـــا رغيـــفه والطعامـــا
ومنعنـــاه مضطـــجعا ومقامـــا
ثـــم جئنـــاه مجـــرمين لئامـــا
نترضـــاه محســـنين كرامـــا
رافعـــين الـــرؤوس والأعلامـــا
مشـــهدين الأجيـــال والأيامـــا
والطـــروس الضخـــام والأقلامـــا

ورجـــال الصـــحافة الأحـــرارا
وشـــيوخ المنـــابر الأخيـــارا

ودعـــاة التحريـــر والتفكـــير
مـــن أديـــب وشـــاعر نحريـــر
وعـــلى كـــل موجـــة في الأثـــير

إننـــا مـــوسرون نرعـــى ذمامـــا

ونواسي الضعاف والأيتاما
ونعزي أراملا وأياما

مؤثرين الجياع بالفضلات
ونفايا موائد ضحلات
غرقات بأدمع هطلات
من عيون ندية خضلات

وبفيض من مقذع التشهير
ومثير الإذلال والتحقير
لفقير وعائذ مستجير
وفقير لمن ؟ للص خطير
مستجير بمن ؟ بشر مجير

يا نظام الإحسان والصدقات
واقتطاع الأجراء والنفقات
من حساب الأسلاب والسرقات
واحتضان اللقيط في الطرقات
واحتيال القانون للطبقات
موبقات تسرم بالموبقات

يربأ الكون واثبا مقداما
ماشيا — والأنوف رغم — أماما
غازيا ثوره العقول اقتحاما
تاركا خلفه — الرياء — حطاما

أن تـــرى أنـــت للشـــعوب نظامـــا

أيهـــــا المســـــــتمن بـــــــالتلطيف
مســـــترقا بـــكسرة مـــن رغيـــف
لا تقيـــــه إثـــــارة مـــــن جـــوع
وبكـــــوخ فى ظـــــل قصر منيـــف
يتمنـــى انعكـــاس ضـــوء الشـــموع
وســـميل مـــن الثيـــاب شـــفيف
يســـــتر العورتـــــين بـــــالترقيع
وحواليـــــه مـــــن نتـــاج الصروف
مـــن ذويـــه «الأوبـــاش» أى قطيـــع

عجبا! هـل علمـت؟ مـن ذا تكـون؟
أنـــت يـــا مـــن تركـــز التكـــوين
فـــوق متنيـــك، والوجـــود الثمـــين
آه لـــو زايلتـــك هـــذى الظنـــون
شـــاءها الخـــوف والنظـــام المهـــين
وتجـــلى لـــك العيـــان اليقـــين
والمكـــــان الـــــذى تحـــل المكـــين
وبـــأى الهبـــات أنـــت قمـــين
آه لـــو كنـــت عالمـــا مـــا يحـــين

لـــو تأبيـــت أن تجـــوب القفـــارا

وتــــرود البحـــــور والأنهــــارا

وتــــدك الصخـــــور والأحجـــارا

وتشـــــيد القـــــلاع والأســـــوارا

باعثـــا ميـــت الـــتراب نضــــارا

وزروعـــــا فينانـــــة وثـــــمارا

وســــلاحا وزينـــــة ودثـــــارا

لـــو تحاشـــيت أن تقـــيم مطــــارا

أو تهيـــــى دبابـــــة وقطـــــارا

أو ترفعـــت أن تـــذيب الحديـــدا

وتزجـــــى فيالـــــقا وجنـــــودا

وتعـــــلى معـــــابرا وســـــدودا

وتصـــــفى سبـــــائكا ونقـــــودا

وتســـــوى جـــــواهرا وعقـــــودا

وكبـــــولا بجنبـــــها وقيـــــودا

كــف يومـا عــن أن تكـون أســيرا

للـــذى أنـــت«ربـــه» مـــأجورا

لـــترى هـــل تكـــون إلا أمـــيرا

وبشـــيرا إلى الـــورى ونـــذيرا؟

ذق كـــما شـــئت يومـــذاك الخمـــورا

وتخـــير كـــما تريـــد القصـــورا

ثـــم جـــاور «مخلـــدين» و «حـــورا»

واسحب الخز ناعما والحريرا
واسق أطفالك الظماء العصيرا

من مزاج التفاح والأعناب
لا خليط الأوشال والأوشاب
وترض الصغار بالألعاب
من تصاوير غابرين عجاب
نزلوا نطفة من الأصلاب
أرج المسك فوقها والملاب
والبرايا من طينة وتراب
قذر طافح بعاز وعاب
كل «رأس» محطم الأعصاب
خلفه كومة من «الأذناب»

كل مسخ بالأمس كان مخيفا
مشمخرا على الرؤوس منيفا
حبس الفكر حوله أن يطوفا
وهبوب الرياح إلا رفيفا
وطيور السماء إلا زفيفا
حذرا أن تمسه تجديفا
لا يراه العباد إلا وقوفا
وسجودا وركعا عكوفا

إنــه «كتلــة» مــن التقــديس

مســتطير الألــوان كالطــاووس

كــل يــوم زفــاف العــروس

أرهــم مــن«مقومــات» الغبــاء

وافتضــاح الخمــول في الســيماء

وجمــود المــلامــح البلهــاء

فــوق هــذي«اللعيبــة» الرعنــاء

مــا يــريهم حقيقــة النــبلاء

أرهــم : رأس«بومــة» نكــراء

صــاعدا باســتقامة واســتواء

فــوق جســم«البغــال» في الامــتلاء

لوحــة ذات بهجــة ورواء

رســمتها كــف«النظــام» المرائــي

لترينــا نمــوذج «الكــبراء»

أرهــم : صــورة لوجــه خــلاء

مــن سـمات الإيحــاء والإغــراء

جامــد مثــل صــخرة صــماء

ومــن الصــخر مــا يفــيض بــماء

ويقــوى دعائــها للبنــاء

وتماثيــل نطــق خرســاء

مــن نتــاج النوابــغ العظــماء

بجبين ضنك كطى الحذاء

أوسعته صقلا أكف «الهناء»

لا ترى فوقه غضون عناء

هى رمز الرجولة الشماء

وعيون «كفحمة الطرفاء»

خافقات بنظرة جوفاء

آذنت من خمودها بانطفاء

هى عنوان ميت الأحياء

أرهم : فى العروق مجرى الدماء

آسنات فى ظل عيش رخاء

لم تخض بهمة وفتاء

ومهب العواصف النكباء

واختلاط السراء بالضراء

ومثار العواطف الشعواء

وتجاريب خيبة ورجاء

من أب عاش عيشة السفهاء

يقضم المال قضمة العجماء

حازه من تسفل وارتشاء

واقتطاع وسرقة وادناء

لم يكلف حتى بمعنى الثراء

ولأم مشغولة بالنساء

وفنون الأصباغ والأزياء

ومجالى تبذل وارتماء

وانزلاق فى هوة عمياء

من مهاوى الفجور والأغواء

تنهزا منها عيون الإماء

قل لهم : أمس كان مسخ كهذا

يملأ الأرض قوة ونفاذا

وارتقاء بمعشر وانتباذا

لم يكن أمس من يقول : لماذا؟

كان هذا المسخ الغبى معاذا

لنفوس تمجه وملاذا

أمس كنا وكنتم شذاذا

أمس كنا وكنتم شحاذا

نجتدى من دمائنا قطرات

حبست عند هذه الحشرات

هى منا فى هذه الغمرات

والوجوه «المصفرة» الغبرات

والعيون «الحزينة» الحذرات

هى منا فى هذه النبرات

فى حنايا الصدور «منكسرات»

والأغــــانى أفعــــمت بعويـــــل
ونـــــواح مرجــــع وهـــــديل
بـين زاهـى الربـى وخضر الحقـول
وعـــلى كـــل جـــدول ومســـيل
ولـــدى كـــل بكـــرة وأصـــيل
صـــارخات مـــن احتـــدام الميـــول
وتقاليـــــد «معـــــشر» و «قبيـــــل»
مـــن فـــؤاد دام وحـــب قتيـــل
و «ضـــمير» ســـام و«جســـم» ذليـــل

وهـــي ضـــوء الشـــموع في الحجـــرات
عنـــدهم و«الكـــواكـــب» النـــيرات
ودلال الأواني الخفــــــــــــــرات
و«تحايــــا» أنفـــا ســـها العطـــرات
واصـــطخاب «الأهـــواء» فى الســـهرات
وأريـــج «العـــرائش» المزهـــرات
وهـــى ذوب الخمـــور معـــتصرات

أمـس هـذا «النعـيم»كـان زروعـا
والـــزروع الورفـــاء كانـــت بقيعـــا
كـم سـقينا تلـك«الكـروم» دموعـا
واحتضـــنا أصـــولها والفروعـــا

كم عصرنا– ونحن نعصر جوعا–

الـــثمار التـــي تســـيل اللعابـــا

لنســاقى هــذى«المســوخ» الشرابــا

كــم دفنــا تحــت الــتراب شــبابا

وأضـــعنا الجهـــود والأتعابـــا

لـــنجلى هـــذى اللعـــوب الكعابـــا

تســـحب الخـــز نـــاعما جلبابـــا

مـــن «إهاباتنـــا» خلعنـــا إهابـــا

فوقهـــا ســـاحر الـــرؤى جـــذابا

و«عصرنـــا» دماءنـــا أحقابـــا

لنصـــفى منهـــا اللمـــى والرضـــابا

نـــترضى بـــذلك الأربابـــا

وســـلوا مـــن مثالـــث ومثـــانى

حانيـــات عـــلى أكـــف الغـــوانى

ناطقـــات ، برقـــة وحنـــان

عن أمانى هذى«العلوج» «السمان»

وتشـــهى «فلانـــة»؟ و «فـــلان»

كـم وكـم – مثلهـا– ظهـور حـوانى

وعيـــون مقروحـــة الأجفـــان

عالجـــت شـــد هـــذه العيـــدان

باعثـــات فى ميـــت «الأحطـــاب»

أى روح ملـــــطف منســـــاب

هــى لــو عــاودت إلى «الإنســاب»

وتـــراث المنـــاخ و «الأعصـــاب»

وافتقـــاد اللـــــدات والأتــــراب

وهى فى العرق أخت وحش الغـاب

هــى أم الطيــور ، بنــت الســحاب

ضـــاربات عروقهـــا فى الـــتراب

قـــرأت فى مقاصــــف الأقطـــاب

ومقاصــــير «نخـــــبة» أطيـــاب

واقتعـــاد بهـــا وراء حجـــاب

ومراســـيم مثقـــلات الوطـــاب

باصـــــطناع الوقـــــار والآداب

محــض إيحاشـــة وفــرط اغــتراب

ومثـــار الشكـــــوك والارتيـــاب

لتخلــت عــن«فاتنــات» القيــان

وصـــدور «المغـــامرات» الحســـان

عبقـــات الأحضــــان ؟ والأردان

لصـــدور مكتــــظة الأشـــجان

زاخـــرات الأنغـــام والألحـــان

مثلهـــا فى مكانـــــة وكيـــان

مـن بنـات الوحـول والأطيـان
لا صـدور الأكـابر الأعيـان

عـالم «اليـوم» أنـت ضـحكة رائـي
أنـت – لـولا العيـان – محض هـراء
أنـت في «عـالم الغـد» المترائـي
مـن أقاصـيص صـبية أبريـاء
ونكـات الخـلان والخلطـاء
أنـت للسـامرين حـول «الصـلاء»
سـمر قاتـل ليـالى الشـتاء

«عـالم الغـد» : أمـس أبصرت «قنـا»
مجهـدا عنـد«نـاعم» يتكنـى
«سـيدا» عبـد«سـيد» يتغنـى
بنعـوت «لسـيد» يتهنـى

بنعـيم مـن «سـيد» راح عبـدا
«لسـواه» بفضـله يـتردى

وغريـب في أمـر هـذي الجمـوع
مسـترقين للنظـام الرقيـع
إن هـذا «السـوى» مطـاع الجميـع
وأولاء السـادات بالتشـفيع
هـم عبيـد لعبـد ذاك «المطيـع»
يـا «هـواة» التنفيـذ والتشريـع

و «غـــواة» التمويــه و «الترقيــع»
هـل عـرفتم«جوعـان» رب «مجيـع»
ومجيعــا يخـــاف وطـــأة جـــوع

هكـــذا . هكـــذا . دنـــا فتـــدلى
هـــرم مـــن عـــلٍ لتحـــتٍ تعـــلى
رافعـــات عنـــد الجماهـــير ثقـــلا
ســـلقيات عـــلى البســـيطة ظـــلا
يـــنعم «الفـــرد» تحتـــه مســـتغلا
بالأطاييـــب – دونـــهم – مســـتقلا
فلـماذا ؟ وكيـــف؟ «عـــز» و «جـــلا»
وتخطـــى عـــلى«العبـــاد» ؟ مـــدلا
مـــن علـــيهم غـــدا عيـــالا وكـــلا
ولمـــاذا ؟ وكيـــف؟ عـــاد أشـــلا
ولمـــاذا عـــن كـــل حـــق تخـــلى
ولمـــاذا ؟ أضـــحى الأغـــم الأذلا
ذلـــك الأكثـــر المعيـــل «الأقـــلا»
لغـــز لم يجـــد لـــه العقـــل حـــلا

أنـــت يـــا رافعـــا مـــن الأثقـــال
هرمـــا ، كـــان مـــن ضروب المحـــال
أنـــت يـــا مـــن لا يســـتقر ببـــال

غــير إلمامــة كطيــف خيــال
كــن جوابــا عــلى أدق ســؤال
كـان مـذ كانـت العصـور الخـوالى
عــن «قيــام» مهــدد بــالزوال
وتهــاوى كواكــب وجبــال

وتجــلى بعــث ، وعقبــى نشــور
واطــراح القبــور أهــل القبــور
ويســير مــن أمــرهم وعســير
وتهاويــل نــا فــخ فى الصــور
وامتحانــات منــكر ونكــير
وجــزاء مــن جنــة وســعير

ذاك رمــز انتصــار عهــد النضــال
و «ربايــا» تحــول وانتقــام
وتصــاميم دولــة العــمال

عــالم الغــد إن«ســوق» العبيــد
نزلــوا عنــد حكــم«لــون الجلــود»
وابتــداعات« ســيد» و «مســود»
ومآســى حــواجز وحــدود
وصياح «النخاس»: هـل من مزيـد؟
فى «تماثيــل» أوثقــت بــالقيود
غارقــات آذانهــا فى الصــديد

منيـــت فى قيامهــــا والقعـــود
بعتــــل فــــظ عنيــــد مريـــد
صـــارخات بلونهـــا المكمـــود
وبـــما فى عيونهـــا مـــن شرود

للســما تبتغــى اخــتراق النجــوم
تتحـــرى مقــر ذاك «الحكـــيم»
الـــذى شـــاء مـــا بهـــا مـــن همـــوم

لم تعطــــــل إلا لأن رقيقـــــا
أبيضـــا يمـــلأ العيـــون أنيقـــا
لا يـــرى مثـــل خلقـــه مخلوقـــا
فى خضـــم مـــن الغـــرور غريقـــا
يســـترق الغريـــق منـــه الغريقـــا

حـــل فى «رقـــة» محـــل الســـود
فى هبـــوط «أســـواقه» وصـــعود
ونحـــوس «نجومـــه» وســـعود

تلـــك ســـوق فيهـــا «غنـــى» ومتـــاع
وعليهـــــا تســـــابق وصراع
كـــل يـــوم بـــين «الرقيـــق» نـــزاع
أيهـــم قبـــل غـــيره ينصـــاع
ســـيطرت فى ســـمائها الأطـــماع

واستوى فوق عرشها الإقطاع
وتباري الإثراء والإدقاع
والمطيعون يمتطيهم مطاع
كم ، وكم تشترى بها وتباع
حرمات ، وأنفس ، وطباع
عريت من «ضمائر» فهي «قاع»

صفصف ، موحش الثرى إمحالا
ليس فيها«للصالحات» انتجاع
فهي «جرداء» لا تفيء ظلالا
وهي «ظلماء» لم(ينرها) شعاع
من «أحاسيس» ترشد الضلالا

عرض «البائعون» فيها الرجالا
بعضهم فوق بعضهم أثقالا
كل مستكبر يتيه اختيالا
داهن منه لمة وسبالا
ساحب من«تجبر» أذيالا
حملت من «فضائح» أوحالا

وصياح «النخاس» عاد فرنا
من جديد«بسوقة» يتغنى
أيها الخائف احتقارا و«طعنا»
يتجنى ويتقي ما تجنى

كـــم «مجـــن» هنـــا لبـــاغ «مجنـــا»

دون مـا شـق مـن خـروف و«سـنا»

هـا هنـا لـو أعـرتم«السـوق» «وزنـا»

ســـلع تحمـــل«الجرائـــر» عنـــا

هـــن لفـــظ و«مشـــتريهن» معنـــى

هـــن مـــرآى و«مجتنـــيهن» مبنـــى

مـــن هنـــا لفقـــت لفيفـــا وهنـــا

كـــم نصـــبنا بخلقهـــا وتعبنـــا

كـــم ســـعينا بهمـــة الجبـــار

بأســـاليب جمـــة الأوطـــار

كـــم بثثنـــا الأرصـــاد ليـــل نهـــار

فى ســـواد الأقطـــار والأمصـــار

لشراء «البضـــــــــائع» الأشرار

تـــتردى مظـــاهر الأخيـــار

أيهـــا المبتغـــون نشر دمـــار

وارتجـــاع عـــلى يـــدى «سمســـار»

يـــا بغـــاة الإدقـــاع والإفقـــار

واحتجـاز الشـعوب رهـن الأسـار

أيهـــا الوالغـــون فى كـــل عـــار

وشـــنار لكـــن وراء ســـتار

كـم سـتار لكـم هنـا وحجـاب
نحـن حكنـا خيوطـه باقتضـاب
وأقمنـا نسـيجه باغتصـاب
مـن نثـار الأسـقاط و«الأسـلاب»
مـن مـراء ومـرتش ومحـابى
وخـؤون ومرجـف كـذاب
عنـدنا ، هـا هنـا، عـلى الأبـواب
ألـف قطـب «رخـو» مـن الأقطـاب
مـن «دهـاة» القطـاع والنهـاب
بـاختلاف الحجـوم والأضراب
وبشـتى النعـوت والألقـاب
وافـتراق «الألـوان» و «الأثـواب»
نحـن أدرى بهـذه «الأنصـاب»
و«بأحسـابهن» و«الأنسـاب»
ومحـل لهـن فى «الإعـراب»

إنهـا حـين تـترك الأبوابـا
عنـدما تـدفعون عنهـا الحسـابا
ترتـدى غـير ثوبهـا أثوابـا
ثـم تلقـى عـلى«انضـمير» حجابـا
وعـلى أوجـه«خـزين» خضـابا
فالمحـابى غـدا يـروح محـابى

والمرائـــى مبــجلا مســتطابا
والخــؤونَ «الشــهم» الرفيـع جنابـا

والغبــار الــذى صــبيناه صــبا
مـن «وحـول» فكـان شخصا مـذبا
سيصـــلى لـــه ويعبـــد ربـــا

عنـــدنا ألـــف هيكـــل جبـــار
حولـــه شـــائك مـــن الأســـوار
مـــن بنـــاء«المشرع» القهـــار
يـــتراءى لأعـــينَ النظـــار
فارغـــا شـــامخا عـــلى الأبصـــار
يـــتحلى «بهيـــبة» و«وقـــار»
و«احتفـــاظ» وإمـــرة واقتـــدار
وبسر «فـــــذ» مــــن الأسرار
وبإحكـــام «صـــانع» مختـــار
نحـــن صـــغناه مـــن مـــزيج غبـــار
مـــن مثـــار«النكبـــاء» و«الإعصـــار»
ومـــداس «الوحـــوش» بـــين القفـــار
و «وحـــول» الأكـــدار والأقـــذار
فهـــو كـــاس ـ كـــما أردتـــم ـ وعـــارى
وهـــو «عـــال» عـــلى أســـاس هـــارى

عالم الغد : «أمس» أبصرت فردا

من أولاء البيض«العبيد» استبدا

دخل «السوق» فاشتروا منه عبدا

ليس يقوى لما أرادوا مردا

ثم ألقوا على خفافيه بردا

زعموا أنه تضمخ مجدا

فانبرى وهو يحسب الهزل جدا

والأناسي أولياء و «جندا»

وخضوعا لم يملكوا عنه بدا

فرط عجب«بمقلتيه» ووجدا

بالعبودية التي يستردى

كذبوا أي «سؤدد» ؟ أي مجد؟

مستعار متى اشتهوا مسترد

من غرور وباطل مستمد

أي «برد» من كف أي «مسدى»

ملحم ، مالك لحل وعقد

قد ترداه ألف جبس ووغد

أمروا ، وانتهوا بعزل وطرد

فإذا «مجدهم» هباء نثير

وإذا ماؤهم سراب يغور

وإذا هم قفر صحاصح بور

وإذا مـا انطـوت عليـه الصـدور
جيـف تسـتفز منهـا القبـور
وتخـاف الـدنو منهـا العطـور
قـبح المسـتعار والمسـتعير
فى مصـيريهما .. وبـئس المصـير
وإذا فـوق كـل ذاك الضـمير
لم يسـاوم ليشـتريه الحريـر

«عـالم الغـد» : أمـس مـرت حيـالى
كتـل مـن«مـؤمرين» مـوالى
أُخـرجتهم «مصـانع للرجـال»
هـم بـرغم الألـوان والأشـكال
نسـجوا كلهـم عـلى «منـوال»
مـن «دمـى» إمـرة؟ و «لعبـة» مـال
و«مغـاوير» منطـق وجـدال
و«مرايـا» سـيا سـة واحتيـال
و«سـعالى» ذوى شـعور طـوال
تستسـيغ «الحـرام» باسـم الحـلال
ثـم مـرت مواكـب مـن «جمـال»
بحـراب محـمية وعـوالى
تتشـكى فى الوخـد والأرقـال

وطء مـا حملـت مـن الأثقـال

مـن خـداع«التشريـع» و «التقنـين»
مـن شروح فياضـة ومتـون
دبرتهـا فطـاحل «التـدوين»
ودعـاة التخـدير والتسـكين
ورقـاة لعـالم مجنـون

ثـم لاحـت«أصـابع» كـالظلال
وكـما طـاف طـائف مـن خيـال
ثـم جـرت هـذي الـدمى بحبـال
مـن «نضـار» مزيـف مـتلالى
و«بجـاه» ممـزق أسـمال
وبمجـد عـار مـن«المجـد» حـالى
بطـلاء مـن القـرون الخـوالى

والخـوالى مـن القـرون سراب
شـبه كـل أمرهـا وارتيـاب

***

عصامى

عصـامى عفـى الـرحمن عنـه   وأسـكن روحـه غـرف الجنـان
وعوضـه عـن المتـع الخـوالى   بـما فى الخلـد مـن متـع حسـان
وقـد كـان المجـلى فى احتكـار   وقـد كـان المعـلى فى اختـزان

وقـد ظـل الربـا يربـو لديـه ... وينمـو فى الـدقائق والثـوانى

عصـامى تهـزأ بالمعـالى ... وما يحوين من سخف المعانى
فقـد كـان الغنـى بـما لديـه ... بفضـل الله – عـن علـم مهـان
وعـن أديـب يجـوع المـرء فيـه ... وعـن فضـل تضـيق بـه اليـدان
عصـامى حـوى ، والشـكر فـرض ... بحمـد الله ، مـا لم يحـو ثـانى

عصـامى وفـذ عبقـرى ... لطيـف الكيـد مشـدود الجنـان
وقـد أجـرى مـن الـذهب المصـفى ... ينابيعـا تسـيل مـع الزمـان
وقـد عصر الـدموع مـن اليتـامى ... فقاقيعـا تفـر مـن البنـان
وحولهـا سـبيكا مـن نضـار ... بمعجـزة ، وعقـدا مـن جمـان

عصـامى أجـاع الشـعب دهـرا ... وأطعمـه الـتراب مـع الـزوان
وراح مـبرأ السـاحات بـرا ... نقـى الـذيل طهـرا كالحصـان

عصـامى أسـال ثـراه كـأس ... مـن الـذهب المصـفى فى الـدنان

***

المصير المحتم

أيا ابن سعيد يلهب الناس سوطه ... ويحلـف فـيهم أن يخـط المصـايرا
لقـد كنـت أرجـو أن تـرى لـك عـبرة ... بمـن رامهـا قـبلا فـزار المقـابرا
ولكنـه بغـى وطـيش وإثـرة ... وواحـدة منهن تعمـى البصـائرا

***

أطياف بغداد

كم في غمار الناس من متوقد ... أوقيد شع على البلاد كفرقد

وكم استقر على الربى من خامل ... قد كان أليق بالحضيض الأوهد

فأعد على بغداد ظل غمامة ... باللطف تنضح والندى والسؤدد

أيام كان لمذهب متعرق ... تعنو الورى ، ونموذج متبغدد

بالكرخ ببغداد تتيه ، وكوفة ... بالمسجدين ، وبصرة بالمربد

أيام كان الشعر أي كتيبة ... تحمي الثغور بها وأي مهند

كان المقصر تستفز شذاته ... ليجيد عقبى حاذق ومجود

أطياف مجد ما يزال خيالها ... مرحا بأيقاظ يطوف وهجد

ورؤى كأن الجن تبعث هزة ... منها بأعطاف الحسان الخرد

ومرد أصداء يجاوب بعضها ... بعضا بضخم تراثها المتبدد

تتمازج الألوان فيها عن سنا ... شفق بكل صبيغة ، متورد

عن بأس هارون ورقة «معبد» ... وهوى «الخليع» بها ونسك «المهتدى»

درجت سدى لم تبق غير لميظة ... من لحمها بفم الزمان الأدرد

وتعرت الآراء في ضحواتها ... إلا كومضة جمرة في موقد

أضغاث ريحان جنى ننتشي ... بمعرق من عودها ومعضد

في كل سفر نفحة من عبقر ... لمطامن في الرأي أو متمرد

وبكل ديوان مرنة ساجع ... ومحز ثوب بالعبير مجسد

آمنت بالخلاق من شعرائه ... بمبيض صحف الورى ومسود

بالأريحى «أبى نواس» وصحبه   من شارب نخب الحياة معربد
ومقاطع بغنائه فى حانة   سحرا أذان العابد المتهجد
لم يلف جبار السماء مدللا   فى المذنبين كقائل : قم سيدى
بابن المعرة ترتمى جمراته   بأمض من عنت الزمان وأحقد
بالبحترى أبى السلاسل لمعا   بالعبقرى «أبى محسد» أحمد
بمذل «كافور» عجيبة دهره   ومعز آل «الأرمنى» و «مخلد»

***

لو كنت خصمك

نفسي ...

ونفس المرء إن «خليت»   مما يثير فإنها عار
يا نحلة زهراتها ألمٌ   ودمٌ، ودمعٌ، منه يشتار
وربيعها فلكٌ بعاصفة   حمراء تذور الناس دوار
هل أنت إلا طينة عفنت   حتى تمسك من جوى نار

أعزيزتي..!

ظلي مؤججةً   تصليك أحقادٌ، وأوغار
وتثيرك الذكرى، فلا عنتٌ يُشجي   ولا حقدٌ، ولا ثار
النفوس تميزُ أثرتها   عند الصراع المرِّ إيثار
لو كنتُ خصمك كان مطلبي   أن لا يهب عليك إعصار
لدعوت أن تثنيك بارقة   ويقيم منك العزم أوطار

وتــــردَّك اللـــــذات مغريــــة   جرفـــا بمـــوج البحـــر ينهـــار
أن ترقــــد الأنغـــام في سرور   مســـحورة وتمـــوت أوتـــار

***

عظماء

عظـــماء وجـــوههم موميـــاء   وكـــذلك «الفـــراعن» العظـــماء!!
نخـــرات لا روح فيهـــا ، ولا   معنـــى ، ولا فكـــرة ولا إيحـــاء

عظـــماء .. لأنهـــم أغبيـــاء   وقريـــب مـــن الغبـــاء الثـــراء
وقريـــب مـــن الثـــراء خنـــوع   وخمـــول ، وغـــدرة ، وريـــاء
وقريـــب أن توســـع الـــنفس   ذلا وصغارا ..
لیأنس الكبراء
عظماء .. لا كبرياء، ولا نفح شموخ   وكلهم كبرياء

ونجـــى مـــثلي غبـــي وحمـــل الـــ   ـــمرء هـــم المغفلـــين غبـــاء
مـــن أولاء الـــذين يســـخر راع   ورعايـــا منـــهم ، وذئـــب ، وشـــاء
قال : ما الحال ؟ ..
قلـــت : إنـــي عـــن حـــال   هيـــاء خلـــو كهـــذي بـــراء
قال : والناس ؟ ..
قلـــــت : شيء هـــــراء   خـــدم عنـــد غـــيرهم أجـــراء
غنـــي الـــدود عـــن ســـواه بمســـعاه   وهـــم مـــن تـــواكـــل فقـــراء
ومســـفون يتكـــرون عـــلى الصقـــ   ـــر المعـــلى أن تحتويـــه ســـماء

الضـــحايا لـــديهم النبغـــاء والبعيـــدون عـــنهم العظـــماء
وقريـب مـنهم خنـوع وإسـفاف وكـــذب وغفلـــة ومـــراء

قال : والحاكمون ؟ ..

قلت : سواء هم ومن يحكمونهم نظراء
يجـذب الشـئ مثلـه ، وتحـلى بنظـــام التجـــانس ، الأشـــياء

قـــال : لله أنـــتم الشـــعراء عـــدد الرمـــل عنـــدكم أهـــواء
أمس ..
والشـــعب كلـــه معجـــزات لك واليوم
كله أسواء

قلت مهلا يا صاحبى .. ظلمات الـ ـــليل فى عـــين حـــالم ..
أضواء
أرأيـت «الكـواز» ..أنفـس مـا يمـلـ ـــلك ذخـــرا ، طـــين خبيـــث ..
وماء
صـانعا منـه ألـف شـكل جـرارا قـــائلا فى نعوتهـــا مـــا يشـــاء
يتغنـى بـــ«كـوزه» .. وكـأن الـ ـــكوز فى الحســـــن..
كوكب وضاء
وكـــذا كـــل خـــالق يـــترضى ما تبنى ...
وهكذا الشعراء

أرميت العود فانكسر

أرميت العود فانكسرا؟ … أم تجافى لحنك الوترا؟

أم تقول :

النطق أعوزني … أنت يا من ينطق الحجرا

أنت يا من إن رمى حنقا … فحمة الليل ارتمت شررا

فإذا غطت كآبته … فلكا لم يطلع القمرا

وإذا ألقى ببسمته … ليبس الروضة ازدهرا

يا غريب الدار في وطن … بهداة قبله كفرا

بدم سوى ضم حفرا … وبورد كلل الحفرا

راجما حقدا وموجدة … شجرا يهدى لها الثمرا

قل …

وأصدق قومك الخبرا … إنهم لم يفضلوا «بقرا»

أبدا تجتر ما علفت … ثم تعطى الضرع من عصرا

ألغير الموت يفجؤها … أمة لا تبصر الخطرا

بل كأن لم تعط باصرة … تستبين النفع والضررا

لفها ليل .. فأنزلها … عن سماء أطلعت غررا

أسلمت للذل مقودها … لا تبالى زل أو عثرا

وتخلت عن مصايرها … واستنامت ترقب القدرا

وتناست أنها قدر … وإله يخلق البشرا

***

نحن .. والكلم ..

إنــا ، وحســبك تلــك مهزلــة ... نفنــى ، وتبقــى بعــدنا الكلــم

أبــدا تســخرنا فنتبعهــا ... فكأننــا لأدائهــا قلــم

ورق يضــم شــتاتنا مزقــا ... كحــوادث الأيــام تنــتظم

أنــا ذاك بــين ســطورها عمــة ... متحــير ، يمشــى ويــرتطم

***

بكرت جلق

رن فى القلــب فهــز الســمعا ... إنــه داعــى المــروءات دعــا

بكــرت «جلــق» ترمــى كســفا ... مــن أواذيهــا وتزجــى دفعــا

الشــباب الحــى مــا أعظمــه ... دافعــا شــيب الحمــى منــدفعا

والجمــوع الحمــس مــا أغضــبها ... وهــى فى غضــبتها مــا أروعــا

أمــة ســوف تــرى خالقهــا ... أنهــا قــد خلقــت كــى تبــدعا

تصــنع المعجــز شــتى أمرهــا ... كيــف لــو حــم لهــا أن تجمعــا

عصــف الــوعى بهــا فانــدفعت ... وصــحا الكــون عــلى كــون وعــى

مــن مريــر الجــد شــعت مــا حــلا ... ومــن الضر أتــت مــا نفعــا

وبأشــلاء الضــحايا باركــت ... دمنــا طابــت بهــا مزدرعــا

زحــف الشرق إلى الغــرب بهــا ... وارتمــى الأدنــى عــلى الأقصى معــا

قــوة الحــق كــآراد الضــحى ... مــن تــرى يمنعهــا أن تســطعا

«جــزر المغــرب» يــا أســطورة ... تلــبس الأهــوال لونــا ممتعــا

الأذى تـــدفع عنـــه بـــالردى ... طـــاب أســـلوبا لهـــا مبتـــدعا

وعـــلى مشـــتجر مـــن أســـل ... تصـــلب الخـــوف اغـــتلى والهلعـــا

تصـــنع الثـــورة فى أتونهـــا ... فكـــرة تـــأنف أن تصـــطنعا

مـــن نفـــوس ذبـــن فى حـــب الحمـــى ... فتســـاقطن عليـــه قطعـــا

نكتـــب التـــاريخ لا تـــدرى لهـــا ... غـــير أســـفار الضـــحايا مرجعـــا

وقـــع المـــوت عليهـــا فـــرأى ... «هولـــة» أخشـــن منـــه موقعـــا

ثـــم أغرتـــه بلحـــم ودم ... ثـــم حالـــت دونـــه أن يرجعـــا

ثـــم شـــبا فى حمـــى الضر معـــا ... توأمـــا مـــن محـــض ثـــدى رضـــعا

الهـــداة الغـــر مـــن لـــون الـــدما ... فجـــروا للشـــمس منهـــا مطلعـــا

والـــرؤى تصـــبغها مـــن لونهـــا ... عضـــلا قفـــرا وقلبـــا ممرعـــا

جهـــل الصـــنعة نكـــس أبلـــة ... سرق البـــاب وعـــاف المصـــنعا

خمســـة .. إن بطونـــا حملـــت ... ثقلهـــم مـــا عقمـــت أن تضـــعا

حمـــق الغـــدر أيثنـــى ســـاعدا ... عـــن كفـــاح فقـــد كـــف أصـــبعا

خمســـة .. غصـــت «فرنســـا» بهـــم ... نعـــم عقبـــى خمســـة مرتجعـــا

لم أجـــد أروع منـــه مصـــطرع الـــ ... ـــخير والشر إذا مـــا اصـــطرعا

أرأيـــت الـــدهر ضـــيما دفعـــا ... أم بغـــير الـــدم حقـــا رجعـــا

***

كم ببغداد ألاعيب

كـــم ببغـــداد ألا عيـــب ... وأســـاطير أعاجيـــب

وأســـاطين إذا امتحنـــوا فمهازيــــل مناخيـــب

و«تهاويــــل» يـــدان لهـــا طـــوع مـــا تـــومى حواجيـــب

وعلــــــوج فى بلهنيــــــة فى خناهــــا يعبـــق الطيـــب

سرر مــــن فوقهـــا بقــــر بســـبيك التـــبر معصـــوب

ويهـــيم مـــن دم سرب طـــل .. مطعـــوم فمربـــوب

مـــد ســـحت مـــن غباغبـــه وغـــذاها الإثـــم والحـــوب

ولـــوى مـــن عطفـــه بـــذخ مـــن ســـواد جـــاع مغصـــوب

كـــذب التـــاريخ لا عـــرب إنهـــم ، لا بـــد ، تعريـــب

أو فـــأعراف وأنعمـــة ومـــــروءات أكاذيـــــب

خزيـــت بغـــداد مـــن بلـــد كـــل شيء فيـــه مقلـــوب

فلـــق الإصـــباح غربيـــب ونعيـــق البـــوم تشـــبيب

والخنـــا غـــنم ومحمـــدة والنهـــى جلـــد وتعـــذيب

وبيـــوت الفســـق عـــامرة وعـــرين الليـــث منهـــوب

ورجـــال كالرجـــال لحـــى وشـــباب قنـــع شـــيب

خزيـــت بغـــداد تعركهـــا مـــن ضـــباع جـــوع نيـــب

خلـــدت ألفـــا يلقنهـــا الـــذل محســـوب ومنســـوب

وتفـــاريق ومســـتبأ مـــن فجـــاج الأرض مجلـــوب

وسراة جـــل مجـــدهم خلـــب .. ضـــحيان .. مكـــذوب

عـــاث رجـــس فى محارمهـــا وتـــولى رعيهـــا ذيـــب

ضـــل واســـتخذى لـــه نقـــد بالحطـــام الـــدون مســـحوب

كل مخضود السباب به ... من سجال الذل شؤبوب
ما بهم عرى النفوس إذا ... خضبت منهم عراقيب
وإذا رفت على طبع ... وعلى لؤم جلابيب
كم ببغداد ألاعيب ... وأضاحيك أخاشيب
وعضاريط .. مرازبة ... ويرابيع .. يعاسيب
كل منخوس ومشفره ... بيد الأطماع مثقوب
ودمى للأجنبي بها ... خبب حلو وتقريب
شد خيط في مخاصرها ... فهو للترفيه مجدوب
و «وزارات» يلم لها ... ريث تستشفي مجاذيب
كسر ضمت على عجل ... ثم سوتها تراكيب
ونفايات تحف بها ... من نفايات أصاحيب
وغباوات يتاح لها ... من غباوات أطاييب
و«دساتير» مخرقة ... عشعشت فيها العناكيب
وسياسيات ملفقة ... وزعامات أساليب
دون أجنات .. كما جليت ... من زناديق محاريب
خزيت بغداد .. حنكها ... في المذلات التجاريب
دهرها متلوثة .. ولها ... بيد البلوى تلابيب
«الفرات» العذب لوثة ... إنه بالذل مقطوب
هطعت صيد الرقاب به ... وهوت تلك الأهاضيب
وخبا في أي مختبط ... قبس غيران مشبوب
ومشى في دجلة خنث ... لم تعوده الرعابيب

خزيــت بغــداد ..لــيس بهــا مثــل هــذا الفحــل يعســوب؟
فــوق جمــر مــن ذنابتــه لفــــراعين مســـــاحيب
درجــت «خمســون» وهــو لهــا طالــب حتفــا ومطلــوب
كــم بهــا «ثبــت» عرضــت لــه فهــو مطعــون فمشــجوب
وهجــين مــا لــه نســب لقصــيد قلــت منســوب
مــن إمــاء حولــه خجــل وحــريم منــه محجــوب
ودعــى إنــه عطــب نلــت منــه فهــو معطــوب
شــقيت صــم الرمــاح بــه وتحامتــه الأنابيــب
ورمــى فاســتنوقت لســن أنهــا بــزل مصــاعيب
جثتــه بــالهون أدمغــه فــإذا الغــلاب مغلــوب
وإذا ســلاب أرديــة قــذر .. عريــان .. مســلوب
وإذا الصــلاب .. مفتضــح بعمــود الشــعر مصــلوب

كــم ببغــداد ألاعيــب
وأســاطير أعاجيــب

***

صابرت أعدائى

صــنع الوثــوق بنفســه لا يــرتضى خــتلا إذ الختــل الكثــير مــواتى

صــابرت أعــدائى لهــم حلبــاتهم جــم مخاوفهــا ، ولى حلبــاتى

أهـوى علـيهم بالجبـال أدكهـا ... يومـا ، ويومـا أكتفـي بحصـاة

حتـى إذا سرج الكمـى أمالـة ... وكبـا بـه طمـر أخـو نـزوات

أهـوى علـى الليث الجريح ينوشه ... ويفـر دود مزايـل قـذرات

ثمنـا دفعـت فليتـه لجحـاجح ... صـيد ، ولا لمـربلين جفـاة

وأمـر أثمـان الخطيئـة مـرة ... حجـر أتـى مـن معـرقين جنـاة

ونهضت أشمخ بعدها إذ خافقى ... حـى ، وإذ مثـل القنـاة قنـاتى

فتفحصـوا طهـر الضـمير ولطفـه ... وصـلاحه كـتفحص الأدوات

فـإذا استقام فكـل شيء هـين ... وإلى جهـنم سـائر الـزلات

***

كفرت..

قـالوا : كفـرت .. وقـد يحـا ... لـك .. قـدوة مـن يؤمنـون

وبمـن كفـرت ؟ .. بمـن كحلـ ... ـت لـه مـن الشـعر العيـون

وبمـن أجعـت لـه بنيـ ... ـك وقـل مـثلهم بنـون

وبمـن حملـت مـن الأذى ... مـا لـيس تعدلـه المنـون

شرعـت لـك الأبـواب فارعـة ... قسـاة – يوصـدون

وتملقـوك فراعنـا ... أبـد المـدى يتملقـون

وبمـن ذبحـت لـه الحيـاة ... وأنـت منهـا فى جنـون

مهـلا رويـدكم فـما ... صـافحت يومـا مـن يخـون

أمـى غـذتنى الملهبـات ... وضرعهـا حفـل لبـون

وأبــى تحلــف أن يجــوع ... ولا يــذل ، ولا يهــون

ودرجــت دربهـــا وطالـــت ... بــي عــلى الــدروب السنون

أفتحلمـــون بــــها رأت؟ ... رأيـــت مـــا يقـــذى العيـــون

عبـــاد أصـــنمة تبـــاع ... وحـــولهم مـــن يشـــترون

وصــحاب ألســـنة تـــلاك ... لكـــاذبين يثرثـــرون

مســـتعمر يتخونـــون ... ومثلـــه يســـتعمرون

خشـــب مســـندة عـــلى ... خشـــب بهـــا يتســـمرون

يرقـــون مـــن جثـــث الشـــباب ... مقاعـــدا يتصـــدرون

ويـــرون خمـــر دمـــائهم ... سرجـــا بهـــا يتنـــورون

ويـــؤمرون عـــلى الجيـــاع ... ومـــنهم مـــا يكتـــزون

أفتعـــذلون المؤمنيـــ ... ـــن بشـــعبهم إذ يكـــذبون

***

هلم معي ..

هلـــم معـــى نرقـــب المشـــهدا ... عجيبـــا .. قمينـــا بـــأن يشـــهدا

ومـــاذا سنشـــهد بيـــت القـــذى ... يغشـــى العيـــون ، وليـــت الـــردى

كعهـــد «المماليـــك» عهـــد «الملـــوك» ... وعهـــد «الإمـــارات» منـــه صـــدى

وباســـم الجماهـــير مكذوبـــة ... نحـــاس مزيفـــة عســـجدا

كملقوطـــة تجهـــل الوالـــدين ... وبيـــت «الأمومـــة» .. والمولـــدا

ومجهـــودة تلعـــن الفـــارهين ... وتلعـــن مـــن شـــاء أن تجهـــدا

حمـــيما لقـــوم كلـــدغ الســـياط ... وبـــردا لقـــوم كســـقط النـــدى

يا حبيبي

يا حبيبي ... لست وحدى
أنا والغربة والوحشة ..
والرأس عليه من نديف الثلج
ما يهزأ بالموقد فى قلبى مشبوبا
كعهدى .. وأنا ابن الخمس
والعشرين عاما
يتلظى بالصبابات
ضراما وغراما ..

***

كاليجولا

كاليجولا : حيث السماء نجوم
لا زوريدة .. حيارى تحوم
فى تخوم الدجى .. وحيث الليالى
حالمات ... ينفثن سحر الخيال
وإذا «النبع» .. والندى ..والرمال
وسفوح نشوانة .. وتلال
وحقول – وصبية .. وغلال
يتنفسن .. ياسمينًا ووردًا تصطبي جبهة السماء .. فتندى

ورويدًا .. غلائل من سحاب

عطراتٌ .. يرقصن زرق القباب

في أعالي «مآذن».. «كالعلالي»

مسرجات .. تزينت باللئالي

كعناقيد .. من كروم الدَّوالي

كاليجولا .. شعرٌ، وينبوع خمر

ونجاوي «قيثارة» .. وابتهال

و«قماري» ... في ظلال نخيل

يتطارحن سحرة .. بالهديل

غنجٌ في صداحها .. ودلال

كاليجولا .. شرق يفيض سماحا

وغرامًا ، وثورةً .. وطماحا

وقلوب عطشى... تنز جراحا

وقناديل من جديل الشعور

كاليجولا ... مغنى، وعش نسور

وأباريق .. من عصير التمور

ونشيد.. من سقسقات الطيور

كاليجولا... خمرٌ، وأمرٌ، وحب

وحجال ... بالعاشقين تخب

كاليجولا... واد مدى الدهر خصب

ليس يظما.. وفي الشفاه مصب

لشفاهٍ ... وفي المناقير حب

وطيوف... من ساحرات «بخاري»

و«سمرقند».. كالنجوم عذارى

عاريات... يرقصن بين الحقول

غار من عريها نسيل جديل

وثنايا سنابل .. سمراء

والفراشات يرتجفن .. نشاوى

يتمايلن .. في أغنَّ خميل

في مهب النسيم .. كل مميل

وغيوم يمرحن .. طولاً وعرضًا

معجلات بعض يزحزح بعضا

في سماء بالحسن.. تلحف أرضا

ترتدي .. وشي ريطة دكناء

وحي مستلهم وفتنة رائي

و«الدراويش» .. يمنحون الوجودا

أزليًا من طهره.. سرمديا

و«التسابيح».. وشوشات غناء

يتهادى بها.. عنان السماء

كلما نفضت على الكون .. فيا

من غبار الأحقاب .. عاد فتيا

كاليجولا ... مقاطع من أغاني

رُتلت للنجوم .. ... والأزهار

وأريجٌ ... ... ينساب في الأسحار

من شراب «التفاح» .. ... والرُّمان

كاليجولا .. ... من معطيات الزمان

***

سأقول فيك...

سـأقول فيـك ولا أخـاف ... قـولا يهـاب .. ولا يعـاف

سـأقول فيـك مـن الضميـ ... ـر من الصميم .. من الشغاف

سـأقول فيـك بـدون تعـ ... ـمية ، ولا حـذف المضـاف

سـأجاذبن لـك النجـوم ... لينسـجمن مـع القـواف

سـأنزلن .. ليخـدمن ... سريـرك .. السـور اللطـاف

سـأوجج النـيران مـن ... نهـديك فى الشـبم النطـاف

سـأقول فيـك .. ولا أخـاف ... أو ثـم غـيرك مـن يخـاف؟

سـأقول فيـك ولا أخـاف ... فلـيس يملكنـى أحـد

لا ، لـيس فى عنقـى مسـد ... لا ، لسـت موعـودا بغـد

يـا مـن أقمـت عـلى الأسـد ... مـن سـحر عينيـك الرصـد

لم ترفعـى عنـك المشـد ... حتـى تبلـد ذو اللبـد

لم تـدر قبلـك أيـة ... لبـوة .. هـذا الجسـد

سـأجرر الـدنيا إليـك ليستشـفوا مـا لـديك
سـأقول : مـدى نحـوهم عشر الأنامـل مـن يـديك
ودعـى شـذا «العضـاب» - يـذكى جمـرهم - مـن خنصريـك
سـأريهم غـرف الجنـان ولا أزحـزح مـا عليـك
سـأقول : هـم أدنـى .. وأضـ ـنعف أن يـروك بصـفحتيك
ألـوى بوجهـك عـنهم لا يقربـوا مـن وجنتيـك
سـأقول : حسبهم مـن الأفضـال رعشـة مقلتيـك

***

يا دارة المجد

يـا دارة المجـد ودار السـلام بغـداد يـا عقـدا فريـد النظـام
يـا أم نهـرين استفاضـا دمـا ونعمـة مـن عهـد سـام وحـام
مـن عهـد سنحاريب إذ نينـوي يتـوج الحكمـة منهـا النظـام
وعهـد حمـوراب إذ بابـل يكـون بالأحكـام منهـا احتكـام
شـعارها الشـمس وعنوانهـا سـنابل القمـح وعـدل يقـام
وبرجهـا يحضـن كـل اللغـى وسـحرها يجـذب كـل الأنـام

وعهـد هـارون وفى ملكـه تنقـل الشـمس ويرعـى الغمـام
إذ شـهرذاد عـن حقيـق المنـى تقـص عـن أحلامهـا فى المنـام
وإذ ضروب الفكـر جياشـة يسـحق بعـض بعضـها فى الزحـام

بغـداد والتـاريخ ذو أشـطر وشر شـطريه عهـود الجمـام

يغـدو بهـا المـدرك مـالا يـرام ... مـيسر المأخـذ سـهل المـرام
يغفـو عـلى المجـد وأحلامـه ... حتـى إذا الغـرور مناه نـام
حتـى إذا صـحا رأى كوكبـا ... فى كفـه أصـبح برقـا يشـام

***

أبا نواف

سـلمت أبـا نـواف الشـهم إنهـا ... نهـار وليـل يوسـعان بنـا أكـلا
أقـول لهـا مهـلا وأعلـم أنهـا ... إلى طيـة تخشـى مغبتهـا عجـلى
سنبقى رسـوما بعـدها مثلما محت ... سموم الرياح الهوج من روضة شكلا
عـلى أننـى ملـف عـزاء بماجـد ... كمثلك يضفى الحب والنبل والفضلا

***

أسعف فمى

يـا سـيدى أسـعف فمـى ليقـولا ... فى عيـد مولـدك الجميـل جميـلا
أسـعف فمـى يطلعـك حـرا ناطقـا ... عسـلا ، ولـيس مـداهنا معسـولا
يـا أيهـا الملـك الأجـل مكانـة ... بـين الملـوك ويـا أعـز قبـيلا
يا ابن الهواشم من قريش أسلفوا ... جـيلا بمدرجـة الفخـار فجـيلا
نسـلوك فحـلا مـن فحـول قـدموا ... أبـدا شـهيد كرامـة وقتـيلا
لله درك مـن مهيـب وادع ... نسر يطارحـه الحـمام هـديلا
يـدنى البعيـد مـن القريـب سماحة ... ويؤلـف الميئـوس والمـأمولا
يـا ملهمـا جـاب الحيـاة مسائلا ... عنهـا وعـما ألهمـت مسـؤولا

يهديه ضوء العبقرى كأنه ... يستل منها سرها المجهولا
يرقى الجبال مصاعبا ترقى به ... ويعاف للمتحدرين سهولا
ويقلب الدنيا الغرور فلا يرى ... فيها الذى يرضى الغرور فتيلا
يا مبرئ العلل الجسام بطيبه ... تأبى المروءة أن تكون عليلا
أنا فى صميم الضارعين لربهم ... ألا يريك كريهة وجفيلا
والضارعات معى مصائر أمة ... ألا يعود بها العزيز ذليلا
فلقد أضات طريقها وضربته ... مثلا شرودا يرشد الضليلا
وأشعت فيها الرأى لا متهيبا ... نقدا ، ولا مترجيا تهليلا

يا سيدى ومن الضمير رسالة ... يمشى إليك بها الضمير رسولا
حجج مضت وأعيده فى هاشم ... قولا نبيلا يستميح نبيلا
يا ابن الذين تنزلت ببيوتهم ... سور الكتاب ورتلت ترتيلا
الحاملين من الأمانة ثقلها ... لا مصعرين ولا أصاغر ميلا
والطامسين من الجهالة غيها ... والمطلعين من النهى قنديلا
والجاعلين بيوتهم وقبورهم ... للسائلين عن الكرام دليلا
شدت عروقك من كرائم هاشم ... بيض نمين خديجة وبتولا
وحنت عليك من الجدود ذؤابة ... رعت الحسين وجعفرا وعقيلا

هذى قبور بنى أبيك ودورهم ... يملأن عرضا فى الحجاز وطولا
ما كان حج الشافعين إليهم ... فى المشرقين طفالة وفضولا
حب الألى سكنوا الديار يشفهم ... فيعاودون طلولها تقبيلا

يا ابن النبى وللملوك رسالة ... من حقها بالعدل كان رسولا
قسماً بمن أولاك أفضل نعمة ... من شعبك التمجيد والتأهيلا
أنى شفيت بقرب مجدك ساعة ... من لهفة القلب المشرق غليلا
وأبيت شأن ذويك إلا منة ... ليست تبارح ربعك المأهولا
فوسمتنى شرفا وكيد حواسد ... بهما يعز الفاضل المفضولا
ولسوف تعرف بعدها يا سيدى ... أنى أجازى بالجميل جميلا

***

انتهى الجزء الثاني.. والديوان

الفهرس

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

